مجلة «حمورابي» للدراسات
مجلة فصلية محكمة تعنى بالشؤون السياسية والستراتيجية
العدد 40 ـ السنة العاشرة ـ شتاء 2021

رئيس التحرير: **أ. م. د. شـريف سـعيد حميـد**

مدير التحرير: **هبـة علـي حسـين**

هيـأة التحـريـر

أ. د. بلقيس محمد جـــواد ـ جامعة گلگامش الأهلية ـ العراق

أ. د. خيري عبد الرزاق جاسم ـ مركز الدراسات الدولية والاستراتيجية ـ جامعة بغداد

أ. د. محســـن صـالـــــح ـ كلية العلوم الاجتماعية ـ الجامعة اللبنانية

أ. د. سـعيد مجيـد دحـــدوح ـ أستاذ العلوم السياسية ـ العراق

أ. د. مثنـــى علـي حســـين ـ كلية العلوم السياسية ـ جامعة بغداد

أ. د. ســـعدون حمـود جثيـر ـ كلية الإدارة والاقتصاد ـ جامعة بغداد

أ. د. وســـام فاضـل راضـي ـ كلية الإعلام ـ جامعة بغداد

أ. د. أمحمـــــد مـــالكـي ـ أستاذ العلوم السياسية ـ المغرب

أ. د. نـــورهـان الشـــيخ ـ أستاذ العلوم السياسية ـ مصر

أ. د. عـــروس الـزبـــير ـ أستاذ علم الاجتماع ـ الجزائر

أ.د. بشرى احمد جاسم _ الإمارات العربية المتحدة ـ جامعة الشارقة

أ.م.د. أركان ريسان عباس – الجامعة المستنصرية– العراق

المـــدقـق اللغـــــــوي: أ. د. فائزة عباس حميدي الربيعي

تدقيق اللغة الانكليزية: سعد مزهر كرم الله

الاشتراك السنوي: للأفـــــــراد: 30 دولاراً أمريكياً
للمؤســـسات: 50 دولاراً أمريكياً
خارج الوطن العربي: 80 دولاراً أمريكياً

البريد الإلكتروني: hcrsiraq@yahoo.com
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد:
1709 لسنة 2012

ISSN 2227-5312

المحتويات

ملف حمورابي: مستقبل العراق والمنطقة بعد الانسحاب الامريكي منها "انعكاسات المشهد الافغاني"

- إعادة تعريف الولايات المتحدة لمصالحها في الشرق الأوسط وإنعكاساته على التواجد العسكري ..... أ. م. د. عماد مؤيد جاسم 6- 41

- سَطْوَة المصالح الإقليميّة والدّوْلية على الوضع الجيواستراتيجي العراقي بعد انسحاب القوّات الأميركية عام 2021 .....أ.م.د. سماح مهدي صالح العلياوي 42-75

- القدرات الامنية والعسكرية للمؤسسة العسكرية العراقية لمواجهة التحديات المحتملة بعد الانسحاب الامريكي على ضوء التجربة الافغانية وتداعياتها .... الفريق الركن حسن سلمان خليفة البيضاني 76-116

بحوث حمورابي:

- أطر المعالجة الإعلامية لتقارير المراسلين في الفضائيات العربية ازاء التظاهرات في العراق..... أ.م.د.شريف سعيد حميد السعدي و م.م.أحمد نايف مرزوق الزيدي 118-148

- عودة الحرب الباردة ..... د. أحمد بوخريص 149-173

- الاتحاد الأوروبي والحد من انتشار أسلحة الدمار الشامل : البرنامج النووي الإيراني إنموذجا ..... شهد حسن علي 174-194

- الحرب السيبرانية: دراسة في استراتيجية الهجمات السيبرانية بين الولايات المتحدة الامريكية وإيران ..... أ.م.د. كرار عباس متعب فرج 195-223

- ظاهرة الارهاب في منطقة الشرق الاوسط بعد عام 2011 سوريا و اليمن – انموذجاً ..... م.د.اسيل حمزة 224-249

- واقع الديمقراطية التوافقية في مملكة بلجيكا الدروس المستفادة .... م.د. حيدر عبد جساس 250-272

- الحديث النبوي في الفكر الاسلامي: قراءة في الآثار السياسية لعملية التدوين .... م.د نزار محمد جوده 273-290

- مسلمو تركستان الشرقية(الايغور) والعلاقة مع السلطات الصينية. دراسة في اليات الاندماج والاستيعاب ..... د. علاء عبد الرزاق مطلك الفهد 291-320

مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية

العنوان: العراق بغداد الكرادة عرصات الهندية مجاور السفارة الصينية
بغداد الجادرية صندوق بريد 2405

Mobile: 00964 - 7810234002
Baghdad - Aljadiriyah - P O. Box: 2405
E-mail: hcrsiraq@yahoo.com Website: http://www.hcrsiraq.net

كلمة حمورابي

اخبار ساخنة مباشرة وتغطيات اعلامية مستمرة منذ لحظة دخول طالبان الى القصر الرئاسي في العاصمة الافغانية مساء الاحد 15 آب 2021 وذلك عقب فرار الرئيس أشرف غني من البلاد تاركا عناصر التنظيم في بث مباشر يتبادلون مشاعر الفرح والبهجة استشعارا بالنصر الكبير، وكان النقل في ذروته عبر الفضائيات والأولوية كانت لقناة "الجزيرة" فضلا عن الارسال الرقمي والحركة الكونية لمواقع التواصل الاجتماعي، وكان هذا الحدث يشكل الخبر الرئيس في المتابعة والتغطية ويمثل الحدث الصادم لكل المتابعين والمراقبين سواء كانوا انظمة وحكومات ام سياسيين ومؤسسات معنية.

وبدأت السجالات والنقاشات تترى تباعا لتحلل وتتعرف وتعي أبعاد ذلك الانسحاب "انسحاب القوات الامريكية" وما نتج عنه من تقديم البلاد كهدية مجانية لتنظيم القاعدة، وكان من بين أبرز التساؤلات هو ما يشير الى مصير الشعب الافغاني؟ ومصير الشركات والأفراد والمؤسسات المتعاونين مع تلك القوات ؟ وما مستقبل المنطقة بشكل عام من تداعيات هذا الانسحاب وما خلفه من سقوط للمنظومة العسكرية والامنية الأفغانية ؟ وهل يتكرر هذا الانسحاب في مناطق أخرى ؟ كالعراق مثلا ؟ وكيف سيكون وتكون المنطقة برمتها لو حدث الانسحاب ؟

وحين نتابع تلك القصة المستقبلية –مستقبل العراق والمنطقة-ونستشرف حدودها وأبعادها من خلال ما يطرحه المعنيون بهذا الشأن نلحظ ان التحليلات والآراء والتنبؤات تنقسم وتتفرع الى أقسام عدة تبعا للآيدلوجية الحاكمة على طريقة تفكير مصدرها.

فمنها ما أشار الى ان المنطقة سوف تغرق في بحر من المشكلات والنزاعات ربما تتبلور بعضها بهيأة صدامات مسلحة وحروب، وهو رأي متطرف يمثل آيدلوجية خاصة ورؤية سوداوية تعبر عن الشعور بالنقص والدونية وعدم القدرة على تبني مشروع مرحلي لإدارة الأزمات والعمل بتنسيق وتناغم بين أقطاب المنطقة وزعامات القوم.

ومنها ما ذهب بإتجاه الطرف الآخر البعيد وأشار الى ان المنطقة سوف تستقر وتستشعر الأمن وتتجه الى البناء والنشاط الاقتصادي والعلمي والتنافس من أجل خلق حالة من التوازن الدولي في كل مجالات الحياة، وايضا هذا الرأي انما يعبر عن سطحية في التفكير والنظر !!

نرى ان القصة المستقبلية ينبغي أن تكون متكاملة العناصر والاركان حتى تكتمل الصورة وتكون النظرة الاستشرافية دقيقة وأقرب الى الواقعية والامكان، لذا يجب علينا الرجوع الى ثلاثة عقود زمنية أولاً والنظر في الاسباب والمقومات والخطة التي حيكت من قبل إدارة الولايات المتحدة للولوج الى المنطقة ، ثم النظر وبإمعان الى الإستراتيجيات المتبعة أنذاك والى آليات تنفيذها، وكذلك الجهات التي ساندت ومكّنت ويسرت انجاح تلك الخطط وأمّنت الوصول، وهكذا النظر بالتحليل الموضوعي والتوسع في كل التفاصيل صغيرة كانت أو كبيرة ليتشكل تصور حقيقي لنشأة البذرة الاولى وتنامي التواجد العسكري للولايات المتحدة الامريكية في المنطقة.

تأتي بعد ذلك المراجعة الدقيقة لكفتي الميزان ونعني هنا النظر الى الجوانب الايجابية والجوانب السلبية التي ولدت وتعاظمت نتيجة مباشرة لأفعال وتصرفات التواجد العسكري الأجنبي، او تلك غير المباشرة التي حدثت ولا زالت تحدث نتيجة لهذا التواجد، وفي كل مجالات الحياة للدولة وللمواطن وللبيئة.

وحين النظر بتجرد وموضوعية الى حسنات التواجد العسكري الامريكي نرى انها لا تتعدى الإطاحة بنظام الدكتاتورية الطاغوتية السابقة التي حكمت العراق أكثر من ثلاثين سنة، ومن جانب آخر نحن عاصرنا الاحداث الدامية التي تسببت بها القوات الامريكية منذ عام 2003 ، وعشنا في ظل الأحداث الاليمة التي خلقتها تلك القوات، ولم نك بمنأى وبمعزل عن آثار ما زرعته القوات الامريكية من سياسات التمزيق والتفريق والكيل بمكاييل عدة، وما الطائفية والإقتتال المذهبي الا بذرة لعينة مما زرعته تلك السياسة.

الأنظمة السياسية في المنطقة وخصوصا العراق أصبحت في ظل التواجد العسكري الامريكي اوهن من بيت العنكبوت ضعفا، إذ أصبح وسمها العام انها انظمة فاشلة ومتخلفة إدارياً وسياسياً تحكمها المحاصصة الدينية والطائفية والحزبية، وتفشي الفساد والتضخم والثراء المالي لبعض الأشخاص والأُسر والاحزاب على حساب المواطن والخدمات والأجيال.

العراق والمنطقة في ظل التواجد العسكري الامريكي أصبحت متخلفة اقتصادياً وانهكتها الديون واحتكارية البنك الدولي والرأسمالية الخفية، وايضا أصبحت عرضة للصدامات الادارية والمناكفات السياسية، وتجاوز الأمر الى تفكك في النسيج المجتمعي وفقدان الهوية الوطنية وخلق حالة من الانكسار النفسي مجهولة الأسباب وفقدان الثقة والشعور السلبي تجاه الذات وتجاه الآخرين وتجاه الدولة، ونحن هنا نؤكد مستندين الى قناعات علمية وثقافة تخصصية وأيضا مستندين الى آراء جملة من المتخصصين والدراسات الميدانية بهذا السياق ان تلك الامور لم تحدث اعتباطاً وانما بعضها كان كنتيجة حتمية مباشرة ومدروسة لمخطط إستراتيجي دقيق؛ وبعض نتائجها كانت غير مباشرة وايضا معروفة ومتوقعة كنتيجة عرضية لتصرفات وسياسات التواجد العسكري وهيمنته على مقدرات الدول والمواطن.

ومجلة حمورابي في هذا العدد عمدت الى طرح ملف تعتقد ان فيه اهمية بالغة وان من اللازم والضروري التطرق اليه وتسليط الضوء عليه من قبل المفكرين والباحثين حتى نفهم حدوده ونتنبأ بأبعاده وآثاره وهو "الانسحاب الامريكي العسكري من المنطقة" ، وخصوصا نحن في العراق نتطلع الى ذلك الانسحاب قريبا بعد اتفاق الجهات الرسمية المخولة عليه والذي ينبغي ان يكون في نهاية يوم الحادي والثلاثين من كانون الاول من العام الحالي 2021.

وفعلا تلقينا مجموعة من البحوث العلمية التي تعبر عن آراء وقراءات أصحابها بهذا الخصوص وبعد النظر فيها استبعدت هيأة تحرير المجلة قسماً منها لعدم توافقها مع منهجية المجلة العلمية وأسلوب التوثيق المعتمد فيها، او لأسباب أخرى تتعلق بالموضوعية والحيادية والتجرد التي رسمت للمجلة كأولوية في أهدافها وتعاطيها مع البحوث والمقالات العلمية.

ونحن بدورنا نقدمها للقارئ الكريم وللباحث والمتابع المهتم ونأمل أن تعم الإفادة وتكون شريكاً في التفكير لفهم وإدراك الواقع والنظر الى المستقبل.

رئيس التحرير
كانون الأول 2021

ملف حمورابي
(مستقبل العراق والمنطقة بعد الانسحاب الامريكي منها "انعكاسات المشهد الافغاني

- إعادة تعريف الولايات المتحدة لمصالحها في الشرق الأوسط وإنعكاساته على التواجد العسكري ..... أ.م.د. عماد مؤيد جاسم
- سَطْوَة المصالح الإقليميَّة والدَّوْلية على الوضع الجيواستراتيجي العراقي بعد انسحاب القوَّات الأميركية عام 2021 ....أ.م.د. سماح مهدي صالح العلياوي
- القدرات الامنية والعسكرية للمؤسسة العسكرية العراقية لمواجهة التحديات المحتملة بعد الانسحاب الامريكي على ضوء التجربة الافغانية وتداعياتها ..... الفريق الركن حسن سلمان خليفة البيضاني

إعادة تعريف الولايات المتحدة لمصالحها في الشرق الأوسط وإنعكاساته على التواجد العسكري

*أ.م.د. عماد مؤيد جاسم
باحث من العراق

*جامعة ديالى/ كلية القانون والعلوم السياسية

Imad.m.j@uodiyala.edu.i

ملخص :

منذ سنوات عدة، أخذ نمط من التفكير في دوائر صنع القرار الأميركي يتبلور تدريجياً حول ضرورة إعادة النظر في طبيعة الإلتزامات العسكرية والسياسية تجاه منطقة الشرق الأوسط بعد تصاعد كلف الإنفاق على الحروب التي خاضتها الولايات المتحدة في أفغانستان والعراق، وتعثر تحقيق الأهداف التي وضعتها. الأكثر من ذلك، إن ما خلفته هذه الحروب من عواقب تمثلت بإنتشار مظاهر عدم الإستقرار الإقليمي قد أقنعت صناع القرار بضرورة تبني إستراتيجية جديدة قائمة على البدء بفك الإرتباط الجزئي مع المنطقة في ضوء تراجع قيمة المصالح الأميركية، وإعطاء الأولوية لإهتمام أكثر بمناطق شرق آسيا باعتبار أن المصالح المستقبلية للولايات المتحدة في مجالي التجارة والإستثمار تكمن هناك سيما مع تصاعد قوة الصين التي يمكن أن تهدد المصالح الأميركية في آسيا.

كلمات مفتاحية : الايغور، السلطات الصينية، الاندماج، الاستيعاب، المسلمين في الصين، الهان .

Redefining the United States' Global Role and Its Repercussions on the Middle East on Military Presence

Asst.Prof. Emad Moayad Jassem, Ph.D.
A Researcher from Iraq
Diyala University/College of Law and Political Science

ABSTRACT

Several years ago, a pattern of thinking in American decision-making circles began to gradually crystallize about the need to reconsider the nature of military and political commitments towards the Middle East after the escalation of spending costs on the wars

waged by the United States in Afghanistan and Iraq and the failure to achieve the goals it set. Moreover, the consequences of these wars represented by the spread of regional instability have convinced decision- makers to adopt a new strategy based on starting partial disengagement with the region in light of the decline in the value of American interests and giving priority to paying more attention to the areas of East Asia where the future interests of the United States are located, especially with the rising power of China, which could threaten American interests in Asia.

KEY WORDS: Uyghurs, Chinese authorities, integration, assimilation, Muslims in China, Han.

المقدمة

رغم ما كُتب ويُكتب حالياً من مقالات وأبحاث من قبل خبراء السياسة الخارجية ومؤسسات التفكير الأميركية (Think Tanks) ومنذ فترة ليست بالقصيرة عن عزم الولايات المتحدة تقليص إلتزاماتها في الشرق الأوسط أو ما يُطلق عليه بـ(فك الإرتباط -Disengagement) بما يعنيه من تخفيف حجم تواجدها العسكري، إلا أنه لغاية الآن لا توجد، على المستوى الرسمي، خطة استراتيجية معلنة وواضحة المعالم تتبناها بخصوص حجم هذا الإنسحاب أو التقليص وآلية تحقيقه والفترة اللازمة لإنجازه. مع ذلك، من الخطأ القول إنَّ ما تم تداوله في خطب وأحاديث عدد من الرؤساء، بدءاً بالرئيس (باراك أوباما) وإنتهاءً بالرئيس (جو بايدن)، هو عبارة عن مقولة مجردة من كل معنى، بقدر ما هي محاولات تبدو متنافرة لمعالجة التداعيات السلبية للحروب التي خاضتها إدارة الرئيس الجمهوري (جورج دبليو بوش) في أفغانستان عام 2001 والعراق عام 2003 والتي نتج عنها إحتلال أميركي لكلا البلدين وتواجد لقوات أميركية بلغ عددها في أعلى ذروته أكثر من (102) ألف جندي في شهر كانون الثاني عام 2011 في أفغانستان [1]، وأكثر من (165) ألف جندي أواخر نهاية عام 2007 في العراق [2]. إن هذه الإطروحة، رغم إفتقارها للوضوح الإجرائي إلا أنها تدريجياً بدأت تتحول جزئياً الى واقع. فالقرارات التي تم إتخاذها منذ سنوات بخصوص سحب القوات الأميركية من العراق نهاية عام 2011، وتقليص التواجد العسكري الأميركي في افغانستان على مراحل وصولاً إلى الإنسحاب الكامل نهاية آب 2021 بالطريقة التي أثارت جدلاً، وإعادة نشر القوات والإصول العسكرية في الخليج، كل هذا يؤكد أن الطروحات حقيقة وليست تنظير وإن لم يتم تأطيرها بشكل استراتيجية لغاية الآن.

(1) Afghanistan: How troops level changed over the course America's longest war, USA Facts, September 15, 2021, At: https://bit.ly/3ofqMpp

(2) Stephen Biddle, Jeffrey A. Friedman, Jacob N. Shapiro, Testing the Surge: Why Did Violence Decline in Iraq in 2007?, International Security, Volume (37), Issue (1), Summer 2021, PP 7 – 10.

أهمية البحث

إن دراسة عزم الولايات المتحدة إجراء مراجعة لدورها السياسي والعسكري في

الشرق الأوسط مسألة تنطوي على أهمية ربما توازي في قيمتها حدث مثل «الربيع العربي» 2011، دلالة على حجم التغيير الذي يمكن أن يُحدثه، على اعتبار أنَّ الولايات المتحدة، القوة الكبرى التي إمتلكت دوراً مؤثراً في المنطقة طيلة ما يزيد عن سبعين عاماً، قررت تقييم أهدافها من منظور جديد، وهذا يُدلل على أن ثمة تغييرات جيوسياسية لا بد من تدقيق النظر فيها باعتبارها المحرك الدافع وراء هذه السياسة، وهذه المتغيرات تبدو ذات صلة بالبيئة الاقليمية مثلما لها علاقة بالبيئة الدولية. كذلك إن معرفة مستوى التغيير الذي سيطرأ على السياسة الأميركية تجاه المنطقة يمكن أن يكون مؤشراً لتوقع التداعيات المحتملة له.

إشكالية البحث.

لقد إرتبط التواجد الاميركي في الشرق الاوسط بمصالح محددة ووجود هذه المصالح كان يعني وجوداً عسكرياً وسياسياً، وبالتالي أنَّ قرار الولايات المتحدة بتقليص التزاماتها الاستراتيجية يفترض بديهياً إن هذه المصالح تغيرت أو فقدت قيمتها لدى صانع القرار الأميركي وهو ما يدفعنا للتساؤل: كيف تغيرت هذه المصالح؟ وهل ستتخلى الولايات المتحدة بالكامل عن الشرق الأوسط أم تتبنى تقليص الإلتزامات السياسية والعسكرية وتوظيف جديد للقوة؟.

فرضية البحث.

تفترض فكرة البحث أنَّ التغييرات التي تجري على مستوى النظام الدولي وطبيعة مستوى القوة الذي تجد الولايات المتحدة نفسها فيه، يدفع الإدارة الأميركية الى إعادة تعريف مصالحها الحيوية والأساسية، وهو ما يفضي إلى إعادة ترتيب أولوية المناطق الجيوسياسية في العالم حسب أهمية المصالح فيها. إن منطقة شرق آسيا ومنذ عقد من الزمان باتت محط إهتمام صانع القرار الأميركي الذي يسعى لأن يحوز على أكبر قدر من الإنشغال الاستراتيجي بها فضلاً عن تخصيص الموارد الكافية لها، وهو ما يُدلل على بدء فك الإرتباط بالمناطق التي ما عادت تحظى بأهمية استثنائية.

إن فرضية البحث تتمثل في« أنّ عجز الولايات المتحدة عن تحقيق أهدافها التي رسمتها منذ قرابة عقدين بخصوص نشر الديمقراطية في الشرق الأوسط، فضلاً عن التعثر العسكري والسياسي في البلدان التي أحتلتها مترافقاً مع تنامي القوة والنفوذ لدى روسيا والصين، يدفع بها إلى إعادة تعريف مصالحها في الشرق الأوسط وإعادة توزيع الموارد نحو المناطق الأكثر أهمية في إطار المواجهة والإحتواء للقوى المنافسة».

منهجية البحث

بما أن الموضوع يقع ضمن نطاق تحليل السياسة الخارجية (FPA)، كونه يهدف

إلى فهم التغيرات المؤثرة في إدراك صانع القرار للمصالح الحيوية في المنطقة، لذا تم إستخدام المنهج الواقعي (Realist Approach)، بإعتبار أنه يُقدم مقاربة منطقية لفهم طبيعة التحول لدى مؤسسة السياسة الخارجية في الإبتعاد عن المحفزات المثالية التي كانت تؤمن بنشر الديمقراطية والقيم الليبرالية كوسيلة لتغيير الشرق الأوسط، لصالح تبني رؤية واقعية مستندة إلى الإعتراف بأن هذه الوسائل غير مجدية ومن الضروري النظر إلى التغييرات التي لحقت بالعالم ومقدار إقتراب القوى المنافسة من تهديد مكانة الولايات المتحدة من جهة، وإدراك حجم الإخفاق والإحباط في الشرق الأوسط رغم الإنفاق العسكري والمالي على مدار عقدين من الزمان من جهة أخرى.

هيكلية البحث.

تم تقسيم البحث إلى ثلاثة محاور: المحور الأول تطرق إلى الجدل السياسي والنخبوي حول تقليص الإلتزامات في الشرق الاوسط، فيما تناول المحور الثاني إتجاه الولايات المتحدة لإعادة تعريف مصالحها في ضوء التغييرات الجيوسياسية التي أدت إلى تقليص الأهمية الإستثنائية لبعض المصالح، أما المحور الثالث ناقش تأثير إعادة التعريف على التواجد العسكري الأميركي والمعضلة التي تواجهها الولايات المتحدة في الموازنة الحذرة ما بين تقليص الإلتزامات والحفاظ على ما تبقى لها من مصالح في المنطقة.

أولاً: الجدل السياسي والنخبوي حول إطروحة فك الإرتباط مع الشرق الأوسط.

مع تولي الرئيس الأميركي الأسبق (باراك أوباما) الحكم في البيت الأبيض مطلع عام 2009، كان التصور السائد والذي يقترب من درجة اليقين أن الولايات المتحدة بصدد إجراء مراجعة لسياستها الخارجية وبالأخص في منطقة الشرق الأوسط وإعادة تعريف لمصالحها الحيوية والأساسية هناك. فعوضاً عن محاولات مراقبة العالم أو المحاولات الخاطئة لـ«بناء الدول» في مجتمعات لم تهتم أميركا بفهمها، أراد (أوباما) إستعادة ما أسماه بـ(الملاءة الاستراتيجية –Strategic Solvency)* التي تسمح بتدخلات أمريكية أكثر فاعلية وأكثر مرونة في المجالات الجغرافية التي يُعتقد أنها ذات أهمية أكبر. وعلى نطاق أوسع، سعى (أوباما) لتحويل انتباه الولايات المتحدة من الإنخراط المكثف في الصراعات العسكرية في الشرق الأوسط والذي أستمر لثلاثة عقود، إلى إعادة التركيز على منطقة آسيا والمحيط الهادئ الأكثر ديناميكية من الناحية الاقتصادية، والتي تؤدي دوراً حاسماً بشكل متزايد في التجارة والاستثمار الأمريكي وفق ما أسماه بـ(إعادة التوازن مع آسيا). بمعنى آخر، ما أراد (أوباما) تحقيقه هو وضع طرائق جديدة للتفكير في السياسة الخارجية من خلال تحديد المصالح الأميركية بدقة وحسب أهميتها (محورية وأساسية وهامشية)، والمواءمة بشكل أفضل بين أهداف سياسة واشنطن المفرطة الطموح بشكل مزمن

(*)(Solvency) هو مصطلح مالي يُقصد به قدرة الشركة على الوفاء بإلتزاماتها وفقاً للنفقات الثابتة مع تحقيق التوسع والنمو، واستخدام (أوباما) له بقصد الإشـارة إلى ان الاستراتيجية يجب أن تأخذ بنظر الإعتبار الموائمة المعقولة والمطلوبة بين الموارد والاهـداف على المدى الطويل.

مع وسائلها العسكرية والمالية المحدودة[3].

هذا التوجه الجديد الذي أعلن عنه (أوباما)، والذي كان يبدو ضرورياً بالنسبة للولايات المتحدة في مواجهة تحديات داخلية وخارجية، مثلما ترك إنطباعاً لدى الفواعل الإقليمية في الشرق الأوسط أن الولايات المتحدة على وشك تقليص إلتزاماتها الإستراتيجية، وأن إدارة (أوباما) بدأت تفقد حماسها لتأمين إمدادات النفط في الشرق الأوسط [4]، تعارض أيضاً في كثير من الأحيان مع سياسات إستمرت واشنطن بتبنيها وكانت تقف بالضد من طروحات تقليص الإلتزام، ما سبب نوعاً من الضبابية والحيرة بالنسبة للمراقبين حول ما تريد الولايات المتحدة القيام به إزاء الشرق الأوسط; هل تريد فعلاً تحقيق إنسحاب عام من الشرق الأوسط والتخلي عنه كلياً وفق ما يسمى بإستراتيجية الخروج (Exit Strategy)، أم هو تقليص لإلتزاماتها الإستراتيجية هناك وإعادة النظر في أولويات سياستها وفقاً لمصالحها المتغيرة؟.

أن الولايات المتحدة على وشك تقليص إلتزاماتها الإستراتيجية

بالتأكيد إنَّ هناك فرقاً كبيراً بين الخيارين، فالإنسحاب الكامل، من ناحية المعنى والإجراءات يبدو من حيث المماثلة التاريخية قريب الشبه بما فعلته بريطانيا عندما إتخذت حكومة حزب العمال بقيادة رئيس الوزراء (هارولد ويلسون Wilson-) قراراً في كانون الثاني 1968، بتخلي بريطانيا عن لعب أي دور في مناطق «شرق السويس» وتحديداً الخليج العربي*، وان تسحب بريطانيا قواتها العسكرية من هناك بحلول نهاية عام 1971. هذا القرار التأريخي والذي جاء بعد أكثر من ثلاث سنوات من الجدل السياسي الذي تزامن مع إنسحاب القوات البريطانية من شرق ماليزيا نهاية عام 1967، كان يعني إنهاء بريطانيا لمسؤوليتها الدفاعية التي تولتها في حماية الخليج العربي طيلة فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، نتيجة الضغوط الاقتصادية الشديدة التي واجهتها المملكة في أعقاب تخفيض قيمة الجنيه الاسترليني في 18 نوفمبر 1967، ما إضطرها للعمل على خفض الإنفاق الدفاعي الخارجي وسحب قواتها العسكرية من مناطق «شرق السويس» التي لا يتعرض فيها أمنها المباشر للخطر، على إعتبار أنَّه لم يعد من مصلحة بريطانيا بذل مثل هذا الجهد، المادي والمالي، في تلك المنطقة [5].

أما تقليص الإلتزامات الإستراتيجية فيعطي معنى مغاير، كونه يشير إلى نية الإدارة الأميركية في إعادة قراءة لمصالحها المتغيرة في المنطقة وتبني توجه قائم على أساس إعادة نشر الإصول العسكرية (أفراد وأسلحة ومعدات)، بما في ذلك الإنسحاب من مناطق والتركز في مناطق أخرى، وتقليلها إلى الحد الذي تعتقد أنه كاف للحفاظ على ما تبقى من مصالح، ويمكن أن يكون هذا مقدمة لتحقيق تخلي كليً عن الشرق الأوسط خلال السنوات القادمة.

وغني عن التعريف أنّ علاقة الولايات المتحدة بالشرق الأوسط وخلال القرن

(3) David Unger, The Foreign Policy Legacy of Barack Obama, The International Spectator: Italian Journal of International Affairs, Volume (51), No (4), 2016, p 1.

(4) Loren Thompson, What Happens When America No Longer Needs Middle East Oil?, Fobes Magazine, December 3, 2012, At: https://bit.ly/3F137zI

*على الرغم من التسمية الفخة «شـرق السويس» فإن الممتلكات والالتزامات الدفاعية التي شكلت هذا «الـدور» كانت في الواقع مجموعة متنوعة من بقايا الماضي الامبراطوري البريطاني، الموجود في جنوب شبة الجزيرة العربية، والخليج العربي، والشرق الأقصى، وهي تتألف من قاعدتين سياديتين كبيرتين، واحدة في عدن والأخرى في سنغافورة، فضلاً عن مجموعة من المواقع الأصغر في الخليج العربي في الشارقة والبحرين ومصيرة، وفي شرق اسيا في ماليزيا وهونغ كونغ وبلغ عدد القوات المشمولة بالانسحاب ما يقدر بـــ(80.900) جندي، وارتبطت هذه البنية التحتية بمجموعة من المعاهدات ووعود الحماية لعدد من الدول الصغيرة والمحميات والكيانات القبلية، وكان الانسحاب البريطاني من شرق ماليزيا قد سبق الانسحاب من الخليج العربي. للمزيد يمكن الرجوع الى الحقائق والبيانات التي وردت في المصدر التالي:

Hugh Hanning, Britain East of Suez: Facts and Figures, *International Affairs*, Royal Institute of International Affairs, Volume (42), No (2), 1966, PP 253 – 254.

(5) David M. McCourt, What was Britain's "East of Suez Role"? Reassessing the Withdrawal, 1964–1968, Diplomacy & Statecraft, Volume (20), No (3), November, 2009. PP 453-454.

الماضي تم صياغتها ورعايتها وفق مبادئ عدة حددت شكل العلاقة ونوعية المصالح المشمولة بالحماية مثل; مبدأ أيزنهاور (1957-1960)، ومبدأ نيكسون (1969-1976)، ومبدأ كارتر (1980 – ربما لغاية الوقت الحاضر). لذلك، إن فك ارتباط الولايات المتحدة بالمنطقة سيمثل انفصالاً حاداً عن النمط التاريخي للتدخل الغربي في إدارة الشؤون الأمنية للمنطقة، بيد أن النقاش الدائر حول الإستراتيجية العسكرية أو التفكير الاستراتيجي الجديد تجاه الشرق الاوسط ليس بحديث العهد، بل هو يأتي ضمن سياق الجدل الدائر منذ سنوات طوال داخل مؤسسات صنع القرار ومؤسسات التفكير حول الاستراتيجية الكبرى (Grand Strategy) الواجب إتباعها بعد الحرب الباردة وكيفية تحقيق إعادة الإنتشار الأمثل عسكرياً.

تقليص الإلتزامات الإستراتيجية فيعطي معنى مغاير، كونه يشير إلى نية الإدارة الأميركية

فمنذ عقد التسعينيات من القرن الماضي، كان الجدل بصدد التمركز العسكري الأمريكي حول العالم قد إنقسم ما بين مدرستين رئيسيتين; المدرسة الأولى مثلتها النخبة الأكاديمية في الجامعات وتحديداً علماء العلاقات الدولية الواقعيين الذي طرحوا مفهوم (Offshore Balancing)، أي تحقيق موازنة الاخطار والتهديدات من خلال إعادة نشر القوات والقدرات العسكرية في المشاعات العالمية (البحار والسماء والفضاء الخارجي)، حيث تتمتع الولايات المتحدة بمكانة مهيمنة نسبياً بالنظر إلى قدراتها التي لا مثيل لها لإظهار القوة والتفوق التكنولوجي. وحجتهم في ذلك أنَّ الإستراتيجية الكبرى بعد الحرب الباردة يُفترض أن تتغير بعد تغير البيئة الدولية وإختفاء الخطر الشيوعي، ومن الخطأ الإبقاء على ذات الإستراتيجية التي تم تطبيقها للفترة 1945 – 1991، لأن وجود قوات أمريكية منتشرة في الخطوط الأمامية سيخلق ضمانات أمنية للحكومات الإقليمية التي تستفيد منها وتستخدمها للتأثير على صنع السياسات في واشنطن، وأن هكذا وجود ضخم للقوات في الشرق الأوسط سيولد الانتقام من الولايات المتحدة ومصالحها في المنطقة وخارجها. وتوقعت هذه المدرسة (عام 1997) أنه في حال نجحت هذه الإستراتيجية لعقد قادم، أي لغاية عام 2010، من غير الممكن الإستمرار بتبنيها بعد ذلك لأن التوزيع المتغير للقوة في النظام الدولي والانحدار النسبي لقوة الولايات المتحدة والصعود المقابل لقوى عظمى جديدة، سيجعل الاستراتيجية غير صالحة للعمل، لأن قوة إستراتيجية الردع الأمريكية الموسعة ستتآكل بمرور الوقت وسترتفع تكاليف ومخاطر استراتيجية الهيمنة إلى مستويات عالية غير مقبولة (6).

كان الجدل بصدد التمركز العسكري الأمريكي حول العالم قد إنقسم ما بين مدرستين رئيسيتين

أما المدرسة الفكرية الأخرى، والتي أطلت برأسها بقوة في سنوات الجدل حول كيفية تغيير الإستراتيجية الكبرى فترة حكم (أوباما)، هي مدرسة (المدافعين عن المشاركات المستمرة -forward engagers)، التي تزعمها (هال براندز

(6) Christopher Layne, From Preponderance to Offshore Balancing: America's Future Grand Strategy, International Security, Volume (22), No (1), summer, 1997, PP 86 – 87.

وأيضاً يمكن الرجوع إلى المقالة التي كتبها إثنان من أشهر رواد المدرسة الواقعية الأميركية في العلاقات الدولية:

John J. Mearsheimer and Stephen M. Walt, The Case for Offshore Balancing: A Superior U.S. Grand Strategy, Foreign Affairs, Volume (95), No (4), July – August, 2016, PP 70 - 83.

-Brands)*من مجلس العلاقات الخارجية، إذ يرى أنَّ إدعاءات (الموازنة عن بعد) مُضللة رغم أنها تبدو جذابة للوهلة الأولى، لكن نوع التخفيض الاستراتيجي الواسع النطاق لن يحقق سوى فوائد جيوسياسية ومالية من المحتمل أن تكون متواضعة في أحسن الأحوال. هذه المدرسة تؤمن بأن على الولايات المتحدة أن تكون لها مشاركات فاعلة في المناطق الحيوية من العالم بما في ذلك الوجود العسكري المستدام، وهي تزعم أن واشنطن بحاجة إلى وجود عسكري واسع النطاق في الشرق الأوسط لتحقيق المصالح الحيوية الأمريكية. من هذا المنظور، إن الالتزامات الأمنية الأقل والبصمة العسكرية الأصغر ستقلل من نفوذ الولايات المتحدة في تشكيل الخيارات والتوجه السياسي للحكومات في الشرق الأوسط، فضلاً عن أن الإنخفاض في الدعم الأمريكي المرئي لشركائها وحلفائها في المنطقة، سيكون سبباً في قدر أكبر من عدم اليقين وربما المزيد من الفوضى، لذا، حسب وجهة نظرها، أنَّ الوجود الأميركي القوي أمر بالغ الأهمية للحفاظ على النظام العالمي [7].

أن واشنطن بحاجة إلى وجود عسكري واسع النطاق في الشرق الأوسط لتحقيق المصالح الحيوية الأمريكية

وطوال السنوات الماضية، هيمنت أفكار هاتين المدرستين على النقاش الأكاديمي والجدل السياسي، حتى أن مؤسسة (Atlantic Council)، عندما أطلقت مشروعاً للنقاش بين خبراء الإستراتيجيا والسياسة الخارجية في عام 2021 حول ما هي السياسة المثلى الواجب إتباعها بخصوص التواجد العسكري والسياسي للولايات المتحدة في الشرق الأوسط تحديداً وليس العالم، وهل من مصلحة الولايات المتحدة تنفيذ إنسحاب كامل أم تفضيل إبتعاد جزئي، مع دراسة آثار كل خيار على موقعها كقوة عظمى، إنقسمت وجهات النظر داخل المؤسسة نفسها ما بين مؤيد لإستراتيجية (Offshore Balancing) كخيار في السياسة الخارجية، وآخر مدافع عن إستراتيجية (Forward Engagers). إذ أن الإتجاه الأول أكد على ضرورة أن تقوم الولايات المتحدة بتخفيض (Reduce) إلتزاماتها الإستراتيجية في الشرق الأوسط من خلال تقليص شبكتها من القواعد الجوية والبحرية وتصميم بصمة عسكرية أصغر بكثير مُصممة لتلبية المصالح والأولويات المعاد تعريفها والتركيز أكثر على اتفاقيات الوصول*، جنباً إلى جنب مع الدبلوماسية القوية، وهو ما من شأنه أن يسمح لواشنطن بتعزيز توازن مستقر في المنطقة [8]. وإن الحجة التي قدمها أنصار هذا الإتجاه أن التغييرات الجيوسياسية والإقتصادية في الشرق الأوسط جعلت للولايات المتحدة مصالح محدودة هناك، وأن التهديدات لتلك المصالح المحدودة ضئيلة وليست بالمستوى الذي يدعو للقلق، فضلاً عن أنه يمكن إدارتها من بعيد، وأن الوجود العسكري الأمريكي هناك يؤدي إلى نتائج عكسية إلى حد كبير وغير مستدام، وبالتالي أنَّ التخفيض الحاد في القوات العسكرية الأمريكية في المنطقة سيُعزز الأمن ويسمح بتفعيل الدبلوماسية

أن التغييرات الجيوسياسية والإقتصادية في الشرق الأوسط جعلت للولايات المتحدة مصالح محدودة هناك

*يعمل (Hal Brnds) إستاذاً في جامعة (John Hopkins) للدراسات الدولية المتقدمة.

(7) Hal Brands, The Limits of Offshore Balancing, *Strategic Studies Institute and U.S. Army War College Press*, USA, September 2015, At: https://bit.ly/309YN20
- **Stephen G. Brooks and William C. Wohlforth,** America Abroad: Why the Sole Superpower Should Not Pull Back from the World, First Edition, Oxford University Press, UK, 2016.

(8) Robert A. Manning and Christopher Preble, Reality Check: Rethinking US military policy in the Greater Middle East, Atlantic Council, Reality Check Series, June 24, 2021, At: https://bit.ly/3c5it9P

* إتفاقيات الوصول (Access Agreements) يُقصد بها إتفاقات تعقدها الولايات المتحدة مع دول معينة تسمح لها، عند الضرورة والحاجة، بإستخدام قواعد ومنشآت عسكرية، وأن تقدم الدولة المستضيفة كافة التسهيلات القانونية والإجرائية التي تسمح بالإستخدام الأمثل لهذه القواعد بما في ذلك وصول معدات عسكرية وأسلحة وأفـــراد. وهذه الإتفاقات تعد جـزء من إتفاقات التعاون الأمني والعسكري المشترك بين الـدول وتدخل في إطار توفير الحماية للدولة المستضيفة من إعتداء خارجي، فضلاً عن كونها قريبة من إتفاقيات وضع القوات (SOFA) التي

الأمريكية.

على العكس من ذلك، كان الإتجاه الثاني يرى أن هكذا سياسة ستكون بمثابة انسحاب أميركي عام من الشرق الأوسط، وسيُنظر إليها بلا شك على هذا النحو من قبل جميع الجهات الفاعلة الإقليمية، وأن تبني هكذا سياسة هو تقليل من شأن مصالح الولايات المتحدة في الشرق الأوسط وتقليل من شأن التهديدات التي تتعرض لها تلك المصالح. ودافع أنصار هذا الإتجاه عن فكرة أن من يدعون للإنسحاب يخلطون بين فشل سياسة الولايات المتحدة لما بعد عام 2003 مع النهج الإستراتيجي الأكثر نجاحاً والأطول أمداً الذي سبقه، بمعنى أن المشكلة في الحروب الخاطئة التي إختارتها الولايات المتحدة في أفغانستان والعراق وليس في هذا التواجد العسكري، وبالتالي فإن انسحاب عسكري شبه كلي من شأنه أن يُنظر إليه حتماً من قبل الشركاء الإقليميين على أنه تخلي عن التأثير الدبلوماسي للولايات المتحدة ويقلل بشكل حاد من النفوذ الدبلوماسي الأمريكي، وأن السعي إلى هكذا إنسحاب من المنطقة من شأنه أن يقلب الوضع الراهن مرة أخرى مثلما حدث مع ظهور تنظيم (داعش) بعد إنسحاب القوات الأميركية من العراق [9].

تحدد المركز القانوني للقوات الأجنبية والأعمال المسموح لها القيام بها. مثال على ذلك المحادثات الأخيرة بين الجانبين البريطاني والياباني حول عقد إتفاقية وصول تسمح بموجبها اليابان بإستخدام قواعدها العسكرية من قبل القوات الملكية البريطانية. للمزيد يمكن الرجوع إلى:
Japan and U.K. to begin talks on access agreement for joint military exercises, The Japan Times, September 28, 2021, At: https://bit.ly/3H7Izr9

أن المشكلة في الحروب الخاطئة التي إختارتها الولايات المتحدة في أفغانستان والعراق وليس في هذا التواجد العسكري

(9) حول وجهة النظر هذه يمكن الرجوع إلى:
William F. Wechsler, No, the US shouldn't withdraw from the Middle East, Atlantic Council, Issue Brief Series, June 24, 2021, At: https://bit.ly/3D3wLDW

يمكن القول أنَّ هذا الاختلاف ما بين فك الإرتباط الجزئي والإنخراط في المنطقة كان إنعكاساً حتمياً للنزاع البيروقراطي داخل مراكز صنع السياسة الرسمية والجدل الاكاديمي بين مؤسسات التفكير، إلى الحد الذي أصبحت فيه هذه الثنائية في أغلب الأحيان جزءاً من البرامج الانتخابية للفوز بالرئاسة، مثلما هو الحال في المناظرات التي جرت بين باراك أوباما وجون ماكين عام 2008 وهيلاري كلنتون ودونالد ترامب عام 2016، إذ كان أحد المرشحين يتبنى الإنخراط المكثف في الشرق الأوسط وعدم سحب القوات فيما يدعوا الثاني إلى ترك المنطقة والتركيز على الداخل، وكان ميل كفة الميزان بإتجاه هذه المدرسة أو تلك يعتمد على التطورات الميدانية ومقدار النجاح أو الفشل الذي تحققه السياسة الأميركية. وهذه المسألة كانت تُطرح على طاولة النقاش العام حتى قبل وصول إدارة (أوباما). مثال على ذلك، عندما أخذت السياسة الأميركية منتصف عام 2005 تُظهر فشلاً واضحاً في تحقيق أهدافها في العراق مع تصاعد وتيرة العمليات الإرهابية وفقدان السيطرة على الوضع الأمني، دعا (جون دوتش --Du etch) مدير وكالة المخابرات المركزية في مقال كتبه لصحيفة (نيويورك تايمز) إلى إعادة إنتشار القوات الأمريكية وإرجاعها إلى الوطن، لأن الولايات المتحدة لم تحقق أهدافها الرئيسة، ولم تصبح المنطقة أكثر سلاماً أو استقراراً نتيجة للوجود الأمريكي المتزايد داخل العراق، وأنه يُفترض بالولايات المتحدة مغادرة العراق والتركيز على مصالحها

أنَّ هذا الاختلاف ما بين فك الإرتباط الجزئي والإنخراط في المنطقة كان إنعكاساً حتمياً للنزاع البيروقراطي داخل مراكز صنع السياسة الرسمية

الأمنية في شرق آسيا وإجبار نفسها على الانخراط الكامل في تلك المنطقة من خلال دبلوماسيتها وقوتها الاقتصادية [10].

(10) John Deutch, Time to Pull Out. And Not Just From Iraq, The New York Times, July 15, 2005, At: https://nyti.ms/3H7tqGg

وبعد وقوع الأزمة المالية العالمية 2008، والأضرار الإقتصادية الهائلة التي لحقت بالولايات المتحدة، إزدادت قوة الرأي الذي يدعو إلى إعادة النظر في الإستراتيجية الكبرى في مواجهة أزمة كساد وجيش منهك وحلفاء متعثرين وشعب تتضاءل رغبته في المشاركة العالمية، وأن الوقت قد حان لتقليص النفقات، حتى بعد (65) عاماً من اتباع إستراتيجية كبرى ملتزمة عالمياً وتأكيد القادة السياسيين الأمريكيين بشكل موحد تقريباً على التزامهم بالقيادة العالمية، لكن يجب على الولايات المتحدة تقليص التزاماتها العالمية وتقليص أو إلغاء وجودها العسكري في الخارج، والقضاء على التزاماتها الأمنية العالمية أو تقليصها بشكل كبير، وتقليل أو تجنب جهودها لتعزيز وقيادة النظام المؤسسي الليبرالي [11].

ولم تصبح المنطقة أكثر سلاماً أو استقراراً نتيجة للوجود الأمريكي المتزايد داخل العراق

(11) Stephen G. Brooks, G. John Ikenberry and William C. Wohlforth, Don't Come Home, America: The Case against Retrenchment, International Security, Volume (37), No (3), Winter 2012 / 2013, PP 7 - 51.

على هذا الأساس، بدت إعادة التفكير في السياسة الأميركية تجاه الشرق الأوسط على مستوى الأهداف والوسائل كإستجابة حتمية للتداعيات التي سببتها بالدرجة الأولى حربي أفغانستان والعراق. صحيح أن التغييرات الجيوسياسية على مستوى العالم المتمثلة بالتدخل الروسي في أوكرانيا وخطاب الرئيس الروسي (بوتين) والرئيس الصيني (شي جين بنغ-Xi Jinping) عن عالم متعدد الأقطاب[12]، تعد من العوامل المحّفزة على إعادة التفكير، إلا أنَّ التغيير في السياسة الاميركية باتَ امراً مفروغاً منه بحكم الآثار التي خلفتها الحروب الخارجية وما رافقها من سياسات وممارسات مثل الترويج للديمقراطية وتغيير الأنظمة والتي لم تثمر عن نتائج حقيقية [13]، وهي التي مهدت الأرضية اللازمة للتفكير بشكل جدي بفك الإرتباط الإستراتيجي، إلا أنه على ما يبدو، كان هناك قلق داخل نخب صنع القرار من العواقب السلبية لذلك، فضلاً عن عدم تبلور الوسائل الكفيلة بتحقيق ذات المهام وذات الأغراض وبموارد أقل.

بدت إعادة التفكير في السياسة الأميركية تجاه الشرق الأوسط على مستوى الأهداف والوسائل كإستجابة حتمية للتداعيات التي سببتها بالدرجة الأولى حربي أفغانستان والعراق

(12) يعتبر البعض أن عام 2014 نقطة تحول في طبيعة العلاقات بين الدول الكبرى ما بعد الحرب الباردة بسبب إحتلال روسيا لشبه جزيرة القرم وتدخلها في أوكرانيا وحديث روسيا والصين عن (نظام دولي متعدد الأقطاب)، ما كان يعني عودة الحقائق الجيوسياسية لتفرض نفسها بطريقة مشابهة لما كان سائداً في الحرب الباردة. للمزيد يمكن الرجوع إلى:
Walter Russell Mead, The Return of Geopolitics: The Revenge of the Revisionist Powers, Foreign Affairs, Volume (93), No (3), May – June, 2014, PP 69 – 74.

(13) ناقشت إحدى الدراسات مدة صحة الفرضية التي تقول «إن فرض الديمقراطية بالقوة على البلدان يمكن أن يؤسس لنظام ديمقراطي مستدام»، ومن خلال دراسة (43) نظام تم فرض الديمقراطية فيه بالقوة خلال الفترة (1800-1994)، كانت النتائج إن بقاء

لهذا السبب لم يكن هناك إندفاع شديد نحو تقليص الإلتزامات وبسرعة، رغم الإدعاءات الخطابية، وإن ما إستهدفت إدارة الرئيس الأسبق (أوباما) تحقيقه كنقطة إنطلاق جديدة في السياسة الخارجية، على حد رأي أحد مساعديه وهو (ديريك شوليت -Chollet) هو السعي إلى إعادة ضبط نهج الولايات المتحدة في الشرق الأوسط وليس مغادرته دون أن يعني هذا تحولاً جذرياً في السياسة، بقدر ما كان يعني إعادة معايرة على طول عدة خطوط. وأن الانسحاب الأميركي من العراق عام 2011، الذي يُنظر إليه على أنه قرار (أوباما) بمغادرة الشرق الأوسط، تم تنفيذه لأنه سبق وأن أطلقه كوعد انتخابي في حملته في عام 2008، فضلاً عن أن الانسحاب

بالأصل كان قراراً ورثه عن الإدارة السابقة التي عقدت مع العراق اتفاقية وضع القوات (SOFA) وكان ملزماً بتنفيذه [14]

إن إعادة معايرة وضبط النهج الذي سارت عليه إدارة الرئيس (أوباما) إزاء قضايا محددة كانت تؤرق الإدارة الأميركية، كان قد تمثل بالانفتاح على التعامل مع الملف النووي الإيراني والمشاركة مع الحلفاء الأوربيين في التفاوض معها باعتماد الدبلوماسية متعددة الأطراف، واللجوء إلى المصالحة مع العالم الإسلامي لإزالة الآثار السيئة التي خلفتها إدارة (جورج دبليو بوش)، وكل هذا كان يعني على حد رأي مساعدي (أوباما) أسلوبا جديداً يأخذ بنظر الاعتبار التغيير في ديناميكيا القوة والنفوذ، وإن الإدارة الأميركية وإن لم تنجح في إيجاد حلول لمشاكل الشرق الأوسط، إلا أن هذا لا يعني أنها تخلت عن المشاركة أو أن لا يكون لها دور هناك[15].

وإن الإدارة الأميركية وإن لم تنجح في إيجاد حلول لمشاكل الشرق الأوسط، إلا أن هذا لا يعني أنها تخلت عن المشاركة

لهذا خلال سنوات الدورة الرئاسية الأولى لـ(أوباما) (2009-2013)، أخذت إلتزامات الولايات المتحدة الأمنية تجاه الشرق الأوسط تخضع لمزيد من الدراسة والنقاش، مع التركيز بشكل خاص على تقييم العائد الذي حصلت عليه الولايات المتحدة بشأن تكلفة الحفاظ على التزاماتها العسكرية في الخارج، وإنقسمت الآراء بهذا الخصوص إلى ثلاث إتجاهات:

الإتجاه الأول: أعرب عن أسفه للعجز المتزايد في الميزانية الأمريكية والمليارات التي يتم إنفاقها على أفراد الدفاع والبنية التحتية خلال فترة الأزمة الاقتصادية، ودعا إلى شكل أو آخر من أشكال التقليص العسكري وزيادة توزيع العبء فيما يتعلق بالالتزامات الأمنية الدولية. **الإتجاه الثاني**: أنتقد الشراكات الأمنية للولايات المتحدة وأعتبرها سبباً أساسياً في خلق مقاومة لقوة الولايات المتحدة ما يعني أن هذه الشراكات جاءت بنتائج عكسية، وخلقت إحتكاكات أكثر مع نفوذ الولايات المتحدة في الخارج. أما **الإتجاه الثالث**: إدعى أن الموارد المخصصة للحفاظ على التزامات الولايات المتحدة في الخارج يمكن استخدامها بدلاً من ذلك في خدمة الأهداف المحلية مثل البنية التحتية والتعليم والبحث والتطوير المدنيين والابتكار الذي من شأنه زيادة القدرة التنافسية للولايات المتحدة العالمية أكثر من التزاماتها العسكرية بالخارج [16].

هذه الإتجاهات المختلفة في النظر لطبيعة الإلتزامات الأميركية، رغم أنها لم تكن من القوة بحيث تدعو صناع القرار إلى تبنيها، إلا أنها أسهمت في جذب الاهتمام نحو حقائق مهملة أو وقائع كانت نخب صنع السياسة تتجاهل رؤيتها. ورغم أن السياسة الأميركية إزاء الشرق الأوسط فترة الرئيس (أوباما) قد شرعت بإظهار نوع من التغيير في الإسلوب بهدف التكيف مع حقائق القوة، وتحمسها لفكرة تقليص

الديمقراطية وإستمرارها في هذه الدول ليس أمراً مضموناً في مثل هذه الحالات. يمكن الرجوع إلى الدراسة وما تضمنته من تحليلات:
Andrew J. Enterline and J. Michael Greig, Against All Odds? The History of Imposed Democracy and the Future of Iraq and Afghanistan, Foreign Policy Analysis, Volume (4), No (4), October 2008, PP 321 – 247.

(14) Derek Chollet, Jake Sullivan, Dimitri Simes and Mary Beth Long, U.S. Commitments in the Middle East: Advice to the Trump Administration, *Middle East Policy, Volume (24), Issue* (1), 2017, P 5.

(15) Ibid. P 6.

(16) Stephen G. Brooks, G. John Ikenberry and William C. Wohlforth, Op.cit, PP 15 – 20.

الإلتزامات العسكرية إلا أنها كانت تواجه معضلة في كيفية إدارة الحقائق الموجودة على الأرض بما لا يؤثر في مصالحها. فالولايات المتحدة كانت تمتلك حضوراً عسكرياً مكثفاً متمثلاً بآلاف الجنود في قواعد جوية متعددة، أكثر من 50 ألف جندي في الشرق الأوسط بإستثناء العراق وأفغانستان، ولديها القدرة على نشر سريع لقوات إضافية في الشرق الأوسط، كما كانت البحرية الأميركية تقوم بزيارات منتظمة ودورية إلى موانئ المنطقة فضلاً عن وجود برامج أمنية ثنائية في جميع أنحاء المنطقة تشمل مبيعات الأسلحة والتدريب والاستشارات والدعم اللوجستي وتبادل المعلومات الاستخبارية ودعمها [17]، وكل هذا كان يعني قيود شديدة تعيق قدرة الولايات المتحدة على فك الإرتباط الجزئي بسهولة. وحسب وجهة نظر أميركية، أنه حتى مع إنخفاض مستوى دعم الرأي العام للسياسة الأميركية في الشرق الأوسط، لم يكن بإستطاعة إدارة الرئيس (أوباما) مغادرة الشرق الأوسط حتى وإن رغبت بذلك [18].

كانت تواجه معضلة في كيفية إدارة الحقائق الموجودة على الأرض بما لا يؤثر في مصالحها.

لم تكتف دعوات تقليص الإلتزامات العسكرية، بتسليط الضوء على النفقات التي يتكبدها الاَقتصاد، بل حاولت جذب الإنتباه أكثر بلفت الأنظار إلى تراجع قيمة المصالح الأميركية في الشرق الأوسط، وكانت هناك كتابات مبكرة عن مضمون هذه الفكرة، وهذه الكتابات ظهرت مع إلتقاط القوات الأميركية لأنفاسها في العراق وتحقيقها لبعض النجاحات في عام 2007، ما دعى المفكرين إلى ضرورة تحلي الإدارة الأميركية بالجرأة والاعتراف بأن الشرق الأوسط ليس مهماً على صعيد المصالح الحيوية وأن الأهمية الإستثنائية لبعض القضايا مثل (النفط) أخذت تفقد بريقها [19]. مع ذلك، لم تلقَ هذه الأراء صدىً واسعاً أو أن يكون صوتها مسموعاً لأن الاخفاقات لم تكن هائلة وفي المقابل كانت هناك وجهات نظر تعاكسها في التحليل للشرق الأوسط، فضلاً عن أن الإدارة الأميركية كانت تحمل تصوراتها الخاصة عن المنطقة، وأن «نخبة السياسة الخارجية التي نشأت في الحرب الباردة كانت مترددة في إعادة النظر في الإفتراضات الأساسية حول كيفية تصرف الولايات المتحدة تجاه الشرق الأوسط ،،، لأنه بأعتقادهم لا تزال هناك مصالح في الشرق الأوسط يجب حمايتها» [20].

لم تكتفِ دعوات تقليص الإلتزامات العسكرية، بتسليط الضوء على النفقات التي يتكبدها الاقتصاد، بل حاولت جذب الإنتباه أكثر بلفت الأنظار إلى تراجع قيمة المصالح الأميركية في الشرق الأوسط

وبشكل عام، ومن خلال مراجعة وتفحص الأراء ووجهات النظر الأكثر إنتشاراً أنَّ المدة من 2009 ولغاية عام 2019، كانت المقالات تدافع عن الحاجة لتبني التغيير في السياسة الأميركية مع إقرارها بالأهمية النسبية للشرق الأوسط، لكن بدءاً من عام 2020، أخذت المقالات التي تروج للإعتقاد بأن الولايات المتحدة قد أفرطت في إلتزاماتها تجاه المنطقة بشكل تتجاوز فيه الإهتمام بتحدياتها الداخلية، تبدو هي الغالبة في الطيف الفكري النخبوي الأميركي الذي بات يؤمن

(17) Micah Zenko, US Military Policy in the Middle East: An Appraisal, Chatham House: The Royal Institute of International Affairs, Research Paper, October, 2018, P 3.

(18) وجهة النظر هذه تركز على فكرة أن مستوى تعقيد العلاقة وتشابك المصالح بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط يعيقها عن المغادرة أو التخلي عنه مثلما يتصوره البعض على أنه أمر ممكن. يمكن الرجوع إلى:
Michael J. Totten, No Exit: Why the US Can't Leave the Middle East, World Affairs, Volume (176), No (4), November / December, 2013, PP 8 – 14.

(19) يمكن الرجوع إلى عينة من هذه الكتابات:
- Philip E. Auerswald, The Irrelevance of the Middle East, The American Interest, Volume (2), No (5), May – June, 2007, PP 19 – 27.
- Edward Luttwak, The middle of nowhere, Prospect Magazine, May 2007, At: https://bit.ly/3CxtxY9

(20) - Andrew Gilmour, Rethinking U.S. Strategy in the Wider Middle East, The National Interest, October 17, 2021, At: https://bit.ly/3qAr0dk

أن هناك حاجة ماسة للتغيير على مستوى الأدوات مع تضاؤل الأهمية الاستراتيجية للشرق الأوسط كمصلحة أميركية [21]. إذ حفزت سلسلة الإخفاقات المفكرين الاستراتيجيين الأمريكيين وصناع السياسة السابقين للدعوة إلى إستراتيجية جديدة لتقليص النفقات، وظهر شبه إجماع لدى نخب سياسية وفكرية أن الوقت قد حان لتقر واشنطن بأنه لم يعد لديها أي مصالح حيوية في المنطقة ولا بد من تقليص طموحاتها إلى حد كبير، وتخفيض قواتها، بما في ذلك إنهاء حقبة «الحروب التي لا نهاية لها» (Endless Wars) والإنسحاب كلياً من الشرق الأوسط برمته بعد أن ثبُت فشل الطموحات التي وضعتها إدارة (جورج دبليو بوش) لإحداث التغيير في هذه المجتمعات أو إنهاء الصراعات، وهي مسألة تطلبت سنوات من النكسات للوصول إلى هذا الرأي، مثلما أن الإجماع بين الحزبين (الجمهوري والديمقراطي) على انسحاب القوات الأمريكية من أفغانستان إستدعى سنوات من تراكم الإخفاقات حتى يتحقق.

إن المقالات التي كتبها نخبة من الإستراتيجيين أمثال; (مارتن إنديك*-Indyke) [22]، و(آرون ديفيد ميلر-Miller)، و(ريتشارد سوكولسكي-Sokolsky) [23]، و(ستيفن كوك -Cook) [24]، و(مارا كارلين-Karlin)، و(تمارا كوفمان -Cofman)** [25]، كانت تُظهر بشدة تعالي الأصوات لنخبة السياسة الخارجية الغاضبة والمتحمسة لتحويل إنتباه الولايات المتحدة من الشرق الأوسط نحو مواجهة التهديدات الإستراتيجية القادمة من روسيا والصين. وجميع هذه الكتابات كان تروج لفكرة التخلص من الإعتقاد الخاطئ بأن الشرق الأوسط ما زال مهماً بصورة إستثنائية للمصالح الأميركية، لأن التغييرات الجيوسياسية قد أحدثت تحولاً كبيراً في هذه المصالح، وإن الشرق الأوسط ما عاد يستحق هذا الإنخراط الأميركي وإنفاق الاموال فيه، وعلى حد قول (مارتن أنديك)، «إنه ينبغي لمؤسسة صنع السياسة الخارجية في واشنطن أن تتقبل حقيقة، كان من الصعب على الكثيرين الإقتناع بها سابقاً، وهي أن هناك مصالح حيوية قليلة على المحك (at stake) باتت لنا في الشرق الأوسط» [26].

ثانياً: إعادة تعريف المصالح الأميركية في ضوء التغييرات الجيوسياسية.

إن المصالح التي شكلت أساس السياسة الأمريكية تجاه الشرق

(21) مع ذلك إستمرت مدرسة (Forward Engagers) التي يتزعمها (Hal Brands) بطرح أفكارها بخصوص أن الولايات المتحدة لا ينبغي لها التخلي عن الشرق الأوسط. وفي مقال كتبه عام 2019، أكد (Brands) على أن الولايات المتحدة بحاجة لتغيير أدواتها وأساليبها للتكيف مع التحولات الجيوسياسية لكن الشرق الأوسط ما زال مهماً بالنسبة لها، وطرح بعض المقترحات بخصوص الإستراتيجية التي يمكن للولايات المتحدة إتباعها للحفاظ على مصالحها ومواجهة التهديدات باستخدام مجموعة فرعية مختارة من القدرات مثل: الأعتماد على قوات العمليات الخاصة، والقوة الجوية التكتيكية، ودعم القوات المحلية للحفاظ على الضغط على الجماعات الإرهابية الأكثر خطورة ومنعها من شن هجمات خارجية كبيرة. (كانت هذه في جوهرها، هي الاستراتيجية التي كانت الولايات المتحدة تتبعها قبل إعلان ترامب الانسحاب من سوريا.). فضلاً عن الإستمرار بدعم الشركاء في المنطقة من خلال الدعم الاستخباراتي والدبلوماسي والعسكري من أجل الحفاظ على توازن القوى المسموح به. وكل هذا يعني إن مقترحاته إقتربت إلى حد كبير من إطروحة مدرسة (Offshore Balancing)، التي كانت تؤكد على التمركز في نقاط بعيدة عن مركز التهديدات مع إمتلاك (ذراع قوة) يسمح بمواجهتها عند الضرورة. للمزيد يمكن الرجوع إلى مقالته:
Hal Brands, Why America Can't Quit The Middle East, The Caravan Magazine, Hoover Institution, Issue 1921, March 21, 2019, At: https://hvr.co/3Cetb8t

(*) (مارتن أنديك) شغل منصب مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى في إدارة الرئيس (بيل كلنتون) وكان المبعوث الأميركي الخاص للمفاوضات الإسرائيلية – الفلسطينية في إدارة الرئيس (اوباما). وإرتبط إسمه بسياسة الإحتواء المزدوج (Dual Containment)، التي وضعها عام 1994 كسياسة خارجية أميركية تجاه العراق وإيران فترة إدارة الرئيس (كلنتون).

(22)Martin Indyk, The Middle East Isn't Worth It Anymore, The Wall Street Journal, January 17, 2020, At: https://on.wsj.com/3HijU3k

(23) - Aaron David Miller and Richard Sokolsky, The Middle East Just Doesn't Matter as Much Any Longer, Politico Magazine, September 3, 2020, At: https://politi.co/3qv4Rgw

(24) - Steven A, Cook, No Exit: Why the Middle East Still Matters to America, Foreign Affairs, November / December 2020, At: https://fam.ag/3wx3Y84

**شغلت (تمارا كوفمان) منصب نائب مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى خلال الولاية الأولى لـ(باراك أوباما) وكانت صوتاً قوياً داعماً للإصلاح السياسي في الشرق الأوسط، ودعت خلال الولاية الأولى إلى إلتزام أميركي صارم بنشر الديمقراطية هناك وأن يكون هذا الهدف على رأس جدول أعمال الرئيس، إلا أن المفارقة إنه في مقالتها التي نشرتها مطلع عام 2019 أبدت إحباطها من نشر الديمقراطية في المنطقة ودعت إلى مغادرتها، وهذا دليل على مقدار التغيير الذي أحدثه الشرق الأوسط في أفكار الكثيرين.

(25)Mara Karlin & Tamar Cofman Wittes, America's Middle East Purgatory: The Case for Doing Less, Foreign Affairs, January – February, 2019, At: https://fam.ag/3DpFhxj

(26) Martin Indyk, he Middle East Isn't Worth It Anymore, Op.cit.

الأوسط تمثلت تقليدياً بضمان إمدادات النفط من الخليج إلى الأسواق العالمية، وضمان أمن إسرائيل وتفوقها على الدول المجاورة، فضلاً عن مواجهة التهديدات سواء التي كان مصدرها القوى الإقليمية أو حركات متطرفة. وغالباً ما كانت هذه المصالح البوصلة لتحديد إتجاه السياسة الأميركية في الثبات او التغيير، وعلى حد رأي (هال براندز-Brands)، وهو من أشد المدافعين عن التدخل والبقاء في الشرق الأوسط; «في حال تغيرت هذه المصالح وتراجعت أهميتها يمكن أن تتغير معها هذه السياسة، ويمكن بعدها الحديث عن خروج أميركي مستدام» [27]. ورغم دفاعه المستميت أن هذه المصالح ما زالت تحتفظ بقدر عالٍ من الأهمية، إلا أن الغلبة على ما يبدو للرأي الذي يؤكد أنها أخذت تفقد فيه أهميّتها، وهذه مسألة دافع عنها المحللون قبل المسؤولين، إذ كتب (جاستن لوغان -Logan) رئيس معهد (كاتو Cato Institute–) مقالاً في عام 2014 حاجج فيه أن النخب السياسة الأميركية المهووسة بالشرق الأوسط تحمل أفكاراً مغلوطة عن الأهمية المركزية لقضايا الاهتمام بهذه المنطقة وهي (النفط وإسرائيل والأرهاب)، فهذه العناصر ليست مهمة مثل ما تتصورها هذه النخب [28]. وعلى ما يبدو أن الولايات المتحدة أخذت مؤخراً تعيد تقييم هذه العناصر وفق منظور جديد، فالنفط الخليجي تراجعت أهميته بالنسبة لها، وإسرائيل باتت قادرة على حماية نفسها، اما التهديدات الإقليمية فيمكن ضبطها بقوة عسكرية أصغر. وعلى أساس هذا المنظور ستعيد الولايات المتحدة ضبط تواجدها العسكري وإنخراطها السياسي – الدبلوماسي في المنطقة.

أن الولايات المتحدة أخذت مؤخراً تعيد تقييم هذه العناصر وفق منظور جديد

(27) Hal Brands, Biden Can Leave Afghanistan but Not the Middle East, Bloomberg, August 26, 2021, At: https://bloom.bg/3c4YU1z

(28) *Justin Logan,* Why the Middle East Still Doesn't Matter, Politico Magazine, October 9, 2014, At: https://politi.co/3qA-hqay

1. تراجع أهمية النفط كمصلحة أميركية في الشرق الأوسط.

منذ بدء تطبيق حظر النفط العربي 1973-1974، بات الوصول إلى المصادر الهايدروكاربونية المحرك الأساس لسياسة الولايات المتحدة تجاه الشرق الأوسط، وتم إعتماد مبدأ كارتر لعام 1980، الذي يشير صراحة إلى أن تدفق النفط من الخليج العربي يُعد مصلحة أميركية حيوية، كأحد ثوابت السياسة الخارجية. ومع ذلك، فقد غيرت ثورة (النفط الصخري-Shale Oil) الجغرافيا السياسية للطاقة. إذ أصبحت الولايات المتحدة أكبر منتج للنفط والغاز في العالم، وتحول مركز ثقل إنتاج الهيدروكربون العالمي نحو نصف الكرة الغربي، الولايات المتحدة وكندا والمكسيك والبرازيل، ومن المتوقع أن تصبح الولايات المتحدة مُصدراً صافياً للنفط بحلول عام 2030 [29].

وتؤكد البيانات أن الولايات المتحدة لم تعد بحاجة إلى نفط الشرق الأوسط مثل السابق

(29) Robert A. Manning, The Shale Revolution and The New Geopolitics of Energy, Atlantic Council, Washington, November, 2014, P 2, At: https://bit.ly/3DcpEZK

وتؤكد البيانات أن الولايات المتحدة لم تعد بحاجة إلى نفط الشرق الأوسط مثل السابق، إذ تجاوز إنتاجها من النفط مستوى طلبها في عام 2019 لأول مرة منذ عام 1957 [30]. ففي عام 2020، صدرت الولايات المتحدة حوالي (8.51) مليون برميل في اليوم، واستوردت حوالي (7.86) مليون برميل في اليوم؛ فضلاً عن ذلك، أنَّ (52

(30) - U.S. energy facts explained, U.S. Energy Information Administration (EIA), May 14, 2021, At: https://bit.ly/3osKQVc

%) من وارداتها جاءت من كندا، بينما تم استيراد (7 %) فقط من المملكة العربية السعودية، وهو ما يعادل واردات الولايات المتحدة من روسيا [31]، كما أن الولايات المتحدة تحصل على النفط من المكسيك يفوق ما تحصل عليه من السعودية، ولعل ما يزيد من قلة إهتمام الولايات المتحدة بنفط الشرق الأوسط، أن (75 %) من هذا النفط يتم تصديره إلى آسيا (الصين والهند واليابان وكوريا الجنوبية)، مما يعطي هذه البلدان مصلحة إستراتيجية في أمن الممرات البحرية التي تتدفق من خلالها إمدادات النفط أكثر من الولايات المتحدة التي يبدو أنها تبذل جهوداً في حمايتها أكثر مما تفعل هذه البلدان المستفيدة من نفط الشرق الأوسط [32] .

(31) - Oil and petroleum products explained: Oil imports and exports, U.S. Energy Information Administration (EIA), April 13, 2021, At: https://bit.ly/3omBMBn

(32) Robert A. Manning and Christopher Preble, Reality Check: Rethinking US military policy in the Greater Middle East, Op.cit.

ربما كان أبرز مثال على التحول في أهمية نفط الشرق الأوسط هو رد فعل الولايات المتحدة على هجوم أيلول 2019 على المنشآت النفطية في المملكة العربية السعودية، والذي تعتقد معظم وكالات الاستخبارات الغربية أن إيران كانت تقف وراءه. مع ذلك، لم تتخذ الولايات المتحدة أي فعل تجاه هذا التهديد لتدفق النفط وهو ما تعارض مع سياسة الدفاع عن حقول النفط في الخليج (مبدأ كارتر) التي إستقرت عليها لمدة تزيد عن (40) عاماً. صحيح أن ضمان إمدادت النفط للأسواق العالمية ومنع أي قوة إقليمية من تهديد هذه المصلحة ما زالت مسألة مهمة، لكن الولايات المتحدة ما عادت تفضل التعامل معها بطريقة صلبة يمكن أن تجر الولايات المتحدة إلى الدخول في نزاع عسكري، لذا فضلت نخبة صنع السياسة الخارجية الأميركية إثارة العواقب الخطيرة المحتملة للرد العسكري، ما كان يعني أنَّ هناك تحولاً في وجهة نظر المؤسسة الأميركية حول إستخدام القوة في حماية المصالح النفطية [33]. كل هذا يعني، أنَّ عدم وجود نقاش واسع حول رد الفعل المطلوب إتخاذه، وطغيان تفكير بديهي بتجنب استخدام القوة العسكرية وضبط النفس كان يشير إلى أن هذه المصلحة ما عادت حيوية.

(33) Steven A, Cook, No Exit: Why the Middle East Still Matters to America, Op.cit.

وحتى مع بقاء تمتع نفط الشرق الأوسط ببعض الأهمية للولايات المتحدة، إذ لا يزال إنتاج النفط في الخليج يمثل حوالي (20 %) من إنتاج النفط العالمي

وحتى مع بقاء تمتع نفط الشرق الأوسط ببعض الأهمية للولايات المتحدة، إذ لا يزال إنتاج النفط في الخليج يمثل حوالي (20 %) من إنتاج النفط العالمي، ويمر ما يقرب من ثلث إجمالي النفط المنقول بحراً عبر مضيق هرمز، وبالتالي، فإن الحفاظ على استقرار أسعار النفط العالمية لا يزال يعتمد جزئياً على منع الانقطاعات الكبيرة في صادرات النفط من الخليج والتي من شأنها أن تؤدي إلى ارتفاع مفاجئ ودراماتيكي في أسعار النفط بحيث تواجه الأسواق العالمية صعوبة في التكيف معها على المدى القصير، إلا أنه يمكن التخفيف من هذا التهديد من خلال الحفاظ على بصمة عسكرية أصغر بكثير من تلك التي أنشأتها واشنطن في العقدين الماضيين. وعلى حد رأي المدافعين عن هذا التوجه، إن الوجود البحري الأمريكي المتواضع في البحرين، ومجموعة صغيرة من سفن البحرية الأمريكية مع مجموعة من الطائرات المقاتلة المتمركزة في قواعد جوية في

المنطقة أو على حاملة طائرات، يمكن أن يكون كافياً في توفير الحماية اللازمة [34].

(34) Aaron David Miller and Richard Sokolsky, The Middle East Just Doesn't Matter as Much Any Longer, Op.cit.

أضف إلى ذلك، هناك مُحاججة علمية أخذت تنتشر في الأوساط السياسية، أنه ليس لأزمات الشرق الأوسط تأثير مخيف على أسعار النفط كما هو مُتصور بشكل عام، باعتبار أن أسواق النفط حتى في أوقات الأزمات تعمل على تصحيح مسارها، ولعل هذا بدأ أول الأمر مع مقالة (فيلب أورسوالد) عام 2007، إذ أشار إلى أنه خلال الفترة (1981 – 1999)، وهي السنوات التي شهدت الحرب العراقية – الإيرانية وحرب الكويت، والصراع الإسرائيلي – الفلسطيني، لم يكن لهذه الأحداث تأثير على أسعار النفط بل أن التقلبات التي تعرضت لها كان بسبب قوانين العرض والطلب، وأن هناك سلع غير النفط شهدت تقلبات أكبر، أضف إلى ذلك أن أسعار النفط العالية غالباً ما تشجع على تطوير مصادر طاقة بديلة، ما يدفع المنتجين إلى إتباع سياسات لتصحيح الأسعار[35]، ولعل هذه الحقيقة أخذت تزيد من الحماسة لتقليل التواجد العسكري الأميركي في الشرق الأوسط، سيما أن جميع الدول المنتجة للنفط، بما في ذلك إيران، تحرص على الحفاظ على الإستقرار في إمدادات النفط لأن لها مصلحة في طرح منتجاتها في الأسواق العالمية.

ليس لأزمات الشرق الأوسط تأثير مخيف على أسعار النفط كما هو مُتصور بشكل عام

(35) Philip E. Auerswald, The Irrelevance of the Middle East, The American Interest, Op.cit, P 21.

2. ضمان أمن إسرائيل.

كان أول تدخل عسكري أميركي في الشرق الأوسط هو الإنزال الأميركي في لبنان عام 1958 بطلب من الرئيس اللبناني آنذاك (كميل شمعون)، وقتها إعتبر الرئيس الأميركي (دوايت آيزنهاور -Eisenhower) أنَّ الشرق الأوسط بموارده النفطية الهائلة يُعد مصلحة أميركية، ولم يذكر بقاء وأمن إسرائيل كمصلحة حيوية [36]. كان النفط العربي المصلحة الحيوية الأولى للولايات المتحدة، لكن بعد حرب الأيام الستة في حزيران 1967، تحولت إسرائيل إلى مصلحة حيوية [37]، أخذت الولايات المتحدة تحرص على ضمان أمنها إلى جوار النفط. ومثلما أن الدول العربية التي لديها شراكات امنية ودفاعية مع الولايات المتحدة أخذت تخشى من تداعيات فك الإرتباط الأميركي مع الشرق الأوسط، كذلك الحال كان في إسرائيل التي لم تخفِ قلقها من هذا الإنسحاب. فعندما سُئل رئيس الوزراء الإسرائيلي (بنيامين نتنياهو) قبل مغادرته منصبه، عما إذا كان قلقاً من مغادرة الولايات للشرق الأوسط، أجاب بالقول «نعم طبعا، أعتقد أنه سيكون مصيبة كبيرة لنا ولكن أيضاً للولايات المتحدة. بالنسبة لنا ولحلفائنا العرب الجدد، فإن قوة الولايات المتحدة مطلوبة لتقييد إيران ووكلائها أو دحرها» [38].

أنَّ الشرق الأوسط بموارده النفطية الهائلة يُعد مصلحة أميركية

(36) Michael Young, Beirut 1958 and Its Lessons: An interview with Bruce Riedel, Carnegie Middle East Center, February 11, 2020, At: https://bit.ly/3c5s-rrU

(37) - Samuel W. Lewis, The United States and Israel: Evolution of an Unwritten Alliance, Middle East Journal, Volume (53), No (3), Special Issue on Israel, Summer, 1999, pp. 364-378.

(38) - Hisham Melhem, America's Middle East Allies Are Free Riders No More, New Lines Magazine, April 21, 2021, At: https://bit.ly/3Dc4r26

بالنسبة للأميركيين، لديهم منظور مختلف لموقع إسرائيل في مرحلة ما بعد تقليص الإلتزامات الأميركية. فعلى الرغم من قناعتهم بأن إسرائيل لا تزال شريكاً

محورياً للولايات المتحدة في مجالات الاستخبارات والدفاع والتكنولوجيا، إلا أن وضعها تغير كثيراً وأصبحت أكثر اعتماداً على نفسها، وهم ينظرون إليها بإعتبارها «مبتكر عالمي» رائد في مجال التكنولوجيا، ولديها جيش من الطراز الحديث، بمعنى آخر، لم يعد وجود إسرائيل مُهدداً بشكل كبير من قبل أي دولة عربية أو مجموعة من الدول العربية، في ظل إمتلاكها لتفوق عسكري نوعي على جوارها العربي. والأهم من ذلك أن إسرائيل لديها بوليصة تأمين نهائية: أسلحة نووية آمنة وذات ضربة ثانية[39].

كذلك يعتقد الأميركيون، أن معاهدات (السلام) التي أبرمتها إسرائيل مع مصر والأردن مثلما أدت إلى تحييد دول المواجهة، كذلك أسست (اتفاقيات إبراهيم-Abraham Accords) لعام 2020، تحالفاً استراتيجياً رسمياً جديداً لإسرائيل مع دول الخليج الرئيسة، فضلاً عن المغرب والسودان، وهو ما يزيد من مساحة «الأمن» بالنسبة لإسرائيل، على حد إعتقادهم. ولا تزال هذه الاتفاقات إحدى الموروثات الرئيسة للسياسة الخارجية لـ(دونالد ترامب)، التي تشير إلى تحول في العلاقات الإقليمية، على أعتبار أن الحكومات العربية، باستثناء مصر والأردن، ربطت إقامة علاقات دبلوماسية مع إسرائيل باتفاق سلام دائم بين الإسرائيليين والفلسطينيين، لكن في آب 2020، اختارت كل من الإمارات العربية المتحدة والبحرين، تجاهل المخاوف الفلسطينية لصالح الوعد بتوسيع العلاقات التجارية مع إسرائيل، وتعزيز التعاون الأمني ضد إيران [40].

يعتقد الأميركيون، أن معاهدات (السلام) التي أبرمتها إسرائيل مع مصر والأردن مثلما أدت إلى تحييد دول المواجهة

مع ذلك، ورغم هذه الحجج التي يقدمها خبراء السياسة الأميركية، إلا أن ما يثير مخاوف الإسرائيلين هي أن العلاقات الأميركية – الإسرائيلية شهدت إختلافات في وجهات النظر إقتربت من درجة التوتر، سيما فترة الرئيس (باراك أوباما)، ما جعل علاقة إسرائيل بالإدارات الديمقراطية تبدو حذرة ومحفوفة بالمشاكل خصوصاً بعد التحالف المثير للجدل بين (نيتنياهو) و(ترامب). ولعل ما يزيد أكثر من مخاوف الإسرائيليين، هو قلقهم من تراجع القيمة الإستراتيجية لدولتهم في حسابات الإدارة الأميركية خصوصاً بعد تصاعد الأصوات التي بدأت تعلو داخل الولايات المتحدة وتنظر إلى إسرائيل باعتبارها (عبئاً إستراتيجياً) أكثر من كونها شريكاً موثوقاً به [41]، فضلاً عن الإنخفاض الحاد في التعاطف مع إسرائيل داخل الحزب الديمقراطي، وبالأخص داخل الجناح التقدمي بسبب من طبيعة التغييرات الهيكلية التي أخذت تطرأ عليه وعلى مواقف جمهوره [42].

ولعل ما يزيد أكثر من مخاوف الإسرائيليين، هو قلقهم من تراجع القيمة الإستراتيجية لدولتهم في حسابات الإدارة الأميركية

ومع هذه التغييرات، إلا أن مسؤولي إدارة الرئيس (بايدن)، رغم كل إعتراضاتهم العديدة على أجندة الرئيس (ترامب) الأوسع نطاقاً، إلا أنهم كانوا حريصين إلى حد ما على البناء على (اتفاقيات إبراهيم)، حتى أن الرئيس (بايدن) نفسه، وخلال

(39) Dr. Mohammad Yaghi, What Drives President Biden's Middle East Policies And what are their Impacts on the Gulf States?, Konrad- Adenauer-Stiftung, Policy Report, No (22), May, 2021, P 2. At: https://bit.ly/3q6AdtQ

(40) Ishaan Tharoor, The mirage of Trump's 'peace' deals, The Washington Post, September 15, 2020, At: https://wapo.st/3ojXF40

(41) بعد أيام من إنتهاء حرب إسرائيل الأخيرة على قطاع غزة في شهر آيار، كتب استاذ العلاقات الدولية في جامعة هارفرد (Stephen M.Walt) مقالاً جريئاً في مجلة (Foreign Policy) بعنوان (حان الوقت لإنهاء العلاقة الخاصة مع إسرائيل)، أشار فيه إلى ان الولايات المتحدة تتحمل عواقب سياسية، وليس اقتصادية، نظير علاقتها الاستثنائية والخاصة التي تجمعها مع إسرائيل، وأن هذه الدولة الصغيرة التي كانت عبارة عن قيمة إستراتيجية فترة الحرب الباردة، تحولت الآن إلى مشكلة لصناع القرار في واشنطن. للمزيد يمكن الرجوع إلى مقالته:

-Stephen M.Walt, It's Time to End the 'Special Relationship' With Israel, Foreign Policy, May 27, 2021, At: https://bit.ly/30lamUz

(42) Jonathan Rynhold, The Future of US - Israeli Relations, Survival: Global Politics and Strategy, Volume (63), Issue (5), September, 2021, PP 121 – 146.

الحملة الانتخابية، أشاد بصفقات التطبيع، مؤكداً أنه سيسعى للبناء على هذا التقدم، ويتحدى جميع دول المنطقة لمواكبة هذا التقدم، كجزء من سعيه لتوفير مساحة أمن أكبر لإسرائيل وإدماجها ضمن المنظومة الإقليمية. وحتى مع فقدان الولايات المتحدة لدورها كطرف محايد في الصراع الإسرائيلي -الفلسطيني بانحيازها الواضح لإسرائيل، إلا أن إدارة (بايدن) لم تسعَ إلى تغيير الوضع بل تفضل الحفاظ على الوضع الراهن مع بعض الاختلافات عن سياسة (ترامب). إحدى الأمثلة على هذه الإختلافات، أنَّها إستأنفت تقديم المساعدات للفلسطينين والتي سبق أنَّ قطعها الرئيس (ترامب)، وتبنيها الدعوة لإعادة التفاوض بين الجانبين، فضلاً عن إقناع الإدارة الأميركية لإسرائيل بإصلاح علاقاتها المتوترة مع الأردن [43]. وكل هذه كانت مؤشرات لتطمين الجانب الإسرائيلي بأن الولايات المتحدة لا تفكر بالتخلي عن إسرائيل كلياً، بقدر ما تريد منها أن تعتمد أكثر على قدراتها الذاتية في تأمين الحماية لنفسها وتجنب السياسات التي قد تفضي إلى توريط الولايات المتحدة في نزاعات المنطقة، ويبدو أن هذا التصور قد أدركه الإسرائيليون وفهموه جيداً بدليل أن رئيس الوزراء الإسرائيلي (نفتالي بينيت-Bennett) قال في أول زيارة له للبيت الأبيض وأمام الرئيس (بايدن) «إنَّ إسرائيل سوف لن تسأل الولايات المتحدة أبداً إرسال قوات للدفاع عنها» [44].

(43) Ishaan Tharoor, Biden carries forward a Trump-era Middle East policy, The Washington Post, October 13, 2021, At: https://wapo.st/3cdTLE8

إنَّ إسرائيل سوف لن تسأل الولايات المتحدة أبداً إرسال قوات للدفاع عنها

(44) Full text: Biden and Bennett's statements at the White House, Times of Israel, August 27, 2021, At: https://bit.ly/3nrkcgf

3. مواجهة (التهديد الإيراني) للمصالح الأميركية.

تعد إيران التحدي الأكبر الذي يواجه خطط السياسة الأميركية فيما يتعلق بفك الارتباط، ليس بالنسبة للولايات المتحدة فحسب، بل أيضاً لشركائها الإقليميين الذين يتخوفون من أن تقليص الإلتزامات الأميركية بهذا الشكل مع عدم وجود خطة محكمة أو بدائل يمكن أن تسمح لهم بملء الفراغ، سيترك إيران وروسيا، اللاعبين الأكثر قدرة وتنظيماً يحققان أقصى إستفادة من فك الإرتباط هذا، مثلما سبق وأن حذر من ذلك نائب الرئيس الأسبق (ديك تشيني-Cheney) [45]، علماً أنَّ البعض إعتبر أنَّ المشكلة لا تكمن في الإنسحاب الأميركي بقدر ما هو متأصل في السياسات الخاطئة التي إنتهجها الرئيس (ترامب) والتي أسهمت في جعل إيران قوة إقليمية مؤثرة. فالإنسحاب من الإتفاق النووي، سمح لإيران بإستئناف تطوير برنامجها وإكتساب المزيد من المعرفة والخبرات التقنية، وهذا أسهم، بالتوازي مع فرض روسيا لهيمنتها على سوريا، في جعل الشريكين (روسيا وإيران) أكثر نفوذاً في المنطقة [46]، في وقت أخذت تتراجع فيه قوة الولايات المتحدة.

تعد إيران التحدي الأكبر الذي يواجه خطط السياسة الأميركية فيما يتعلق بفك الارتباط

(45) Cheney Warns Disengagement in Mideast Benefits Iran, Russia, VOA News, December 9, 2019, At: https://bit.ly/3op-MTJQ

(46) Stephen Blank, The consequences of US disengagement from the Middle East, The Hill, October 24, 2017, At: https://bit.ly/3kzdjI1

من الحقائق المؤكدة أن الإدارة الأميركية الحالية ينتابها القلق من أن تقليص الإلتزامات سيؤدي حتماً إلى توسيع نفوذ إيران أكثر في المنطقة، وهي تدرك جيداً أنَّ سبب إصرار الشركاء الإقليميين، بما في ذلك إسرائيل، على رفض فكرة

الإنسحاب إنما لتخوفهم من هذه النتائج، لذا باتت المعضلة التي تواجهها تتمثل في كيفية تحقيق توازن أمثل ما بين الحفاظ على تواجد عسكري مقبول له القدرة على التعامل مع التحدي الإيراني، شرط أن لا يجرها إلى صراع مسلح، وما بين الإلتزامات الأخرى في شرق آسيا التي تتطلب تكثيف الجهود الإستراتيجية. إذ كي تنجح الولايات المتحدة في عصر المنافسة المتزايدة بين القوى العظمى، يجب أن لا تكون الإلتزامات المكلفة بمراقبة الشرق الأوسط على حساب الأصول اللازمة لمواجهة صعود الصين وتوسع روسيا. لذلك تعتقد أنَّ التواصل الدبلوماسي مع إيران بخصوص القضايا الملحة وأهمها الملف النووي يمكن أن يخلق حالة من الإستقرار الإقليمي، فهي تؤمن أن الإلتزام المسؤول وغير المعمق بالشرق الاوسط والإبقاء على الدبلوماسية الماهرة كفيل بالحفاظ على المصالح الاميركية، مثلما حاجج في ذلك (جيك سوليفان-Sullivan) [47] وأيضاً (مارا كارلين -Karlin) [48].

أنَّ التواصل الدبلوماسي مع إيران بخصوص القضايا الملحة وأهمها الملف النووي يمكن أن يخلق حالة من الإستقرار الإقليمي

(47) Daniel Benaim and Jake Sullivan, America's Opportunity in the Middle East, Foreign Affairs, May 22, 2020, At: https://fam.ag/3wHJR7g

(48) Mara Karlin and Tamara Cofman Wittes, America's Middle East Purgatory, Op.cit.

وفي أول لقاء جمع ما بين رئيس وزراء إسرائيل (نيفتالي بينيت-Bennett) والرئيس الأميركي في 27 آب 2021، أعرب (بينيت) عن مخاوفه من سعي الإدارة الأميركية للعودة إلى الإتفاق النووي مع إيران، وحاول إقناع نظيره الأميركي بترك الفكرة وإعتماد إستراتيجية جديدة ضد إيران تعتمد إسلوب الضغط الإقتصادي والتخريب للمنشآت النووية والعسكرية بإستخدام (الهجمات السيبرانية-Cyber Attacks)، لكن يبدو أن الرئيس (بايدن) لم يكن متحمساً لخطة (بينيت)، بل كان مُقتنعاً بقدرة الإتفاق النووي على حل المشكلة، مؤكداً للمسؤول الإسرائيلي أنه «إذا فشلت الدبلوماسية، فنحن مستعدون للإنتقال إلى خيارات أخرى» [49]. ما يعني أن الإدارة الأميركية تعتقد أن القوة العسكرية والضغط الاقتصادي لم تنجح في حل مشكلة الملف النووي، وبالتالي تعول على الدبلوماسية في تحقيق نتائج أفضل.

(49) - Jonathan Lis, Bennett-Biden Meeting Revived Israel-U.S. Ties, but There Were No Dramatic Achievements, Harretz, August 29, 2021, At: https://bit.ly/3C8pu4t

أن الإدارة الأميركية تعتقد أن القوة العسكرية والضغط الاقتصادي لم تنجح في حل مشكلة الملف النووي، وبالتالي تعول على الدبلوماسية في تحقيق نتائج أفضل

إن الواقع يشير إلى أنَّ الولايات المتحدة تشعر أنه من غير المجدي أن تستمر بتبني سياسات (قوة) تُرهق إقتصادها أكثر من اللازم، سيما أن هذه السياسات على ما تبدو لا تحقق الغرض المطلوب وربما تؤدي إلى نتائج معاكسة، خصوصاً أنه سبق للإدارة الأميركية أن إختبرت سياسات الضغط والتورط العسكري بدفع من شركائها الأقليميين، ما جعل ديناميكيات الدفع والجذب ما بين التفضيلات الأمريكية الرامية لتقليص إلتزاماتها ومطالب الشركاء الإقليميين الذين يدعونها إلى البقاء، تُنتج نهجاً سيئاً في صنع السياسات، وهو ما تبدى واضحاً في تخبط الرؤساء ما بين العمل على الإنسحاب والإنخراط في ازمات، وكانت النتيجة أن المشاركة الأمريكية بقيت عند مستوى مرتفع بما تسببه من تكاليف كبيرة، ولكنها

منخفضة للغاية وربما عديمة التأثير في دفع المنطقة نحو اتجاه أكثر إيجابية بما يحقق الإستقرار الإقليمي.

إن حرب اليمن تُمثل إنموذجاً صارخاً لهذه الجدلية فضلاً عن أنها تكشف عن مستوى التخبط والتناقض في السياسة الأميركية في الشرق الأوسط. إذ دعمت كل من إدارتي (باراك أوباما) و(دونالد ترامب) الحملة الجوية السعودية لطرد الحوثيين من الأراضي التي استولوا عليها بعد اندلاع القتال في عام 2015. ولم ينتج عن هذه الحرب أي نصر حاسم بقدر ما تسببت بأسوأ كارثة إنسانية في العالم. ورغم أن الإدارات الأميركية كانت تميل للقبول برأي دول الخليج المتحالفة بأن اليمن جبهة حاسمة ضد توسع النفوذ الإيراني، إلا أنها بقيت تحمل في داخلها موقفين متباعدين [50]; فهي من جهة غير راغبة في إستخدام النفوذ للضغط على شركائها من أجل إنهاء القتال لإنهاء هذه الكارثة، وأيضاً غير راغبة في الإستثمار مباشرة في دعم الأهداف العسكرية لشركائها. ونتيجة لذلك، فإن إدارة (دونالد ترامب)، على وجه الخصوص باتت متورطة بشدة في العواقب المروعة للحرب التي وجدت نفسها فيها دون سيطرة عليها، فضلاً عن أنها تصرف الإنتباه عن القضايا الأكثر خطورة المتمثلة في تنافس القوى الإقليمية والدولية في سوريا.

إن حرب اليمن تُمثل إنموذجاً صارخاً لهذه الجدلية فضلاً عن أنها تكشف عن مستوى التخبط والتناقض في السياسة الأميركية

لم تعد الرؤية الأميركية لمواجهة إيران قائمة على أساس الإنخراط العسكري المباشر والمستمر

على ما يبدو، لم تعد الرؤية الأميركية لمواجهة إيران قائمة على أساس الإنخراط العسكري المباشر والمستمر، في وقت تجد فيه شركائها الإقليميين يتقاتلون فيما بينهم من أجل الهيمنة الإقليمية أو تحقيق الصدارة الإقتصادية، فضلاً عن إنتهاجهم سياسات أضرت بالولايات المتحدة نفسها. فخلال إنتشار جائحة (Covid-19)، وتراجع أسعار النفط، بدأت السعودية بإغراق السوق النفطية بملايين البراميل الفائضة كجزء من حرب الأسعار مع روسيا نتيجة عدم الإتفاق على حصص الإنتاج، ما أثر على شركات النفط الصخري الأميركية، فكان قرار الرئيس (ترامب) بسحب منظومة الدفاع الصاروخي نوعاً من العقاب للسعودية، وإن كان في ذات الوقت سبب إضافي محفزاً لسياسة فك الإرتباط، وإنعكاساً لعدم تناغم الشركاء مع غايات الولايات المتحدة، حتى أن الرئيس (ترامب) نفسه علق على هذا القرار قائلا «لقد تم إستغلالنا في كثير من أنحاء العالم» [51]، في إشارة صريحة ضمنياً أنه في الوقت الذي تُقدم فيه الولايات المتحدة الحماية للسعودية من هجمات الحوثيين الصاروخية، تعمد الرياض إلى إلحاق الضرر الإقتصادي بالولايات المتحدة.

تعتقد الإدارة الأميركية أنه من الضروري تجنب الثقة المتعالية في قدرتها على تحقيق أهداف سياسية من خلال التدخلات العسكرية

لذلك تعتقد الإدارة الأميركية أنه من الضروري تجنب الثقة المتعالية في قدرتها على تحقيق أهداف سياسية من خلال التدخلات العسكرية، وأن تنفصل عن حروب دول مجلس التعاون الخليجي التي

(50) Mara Karlin & Tamar Cofman Wittes, Getting America out of Middle East purgatory, Brookings Institute, December 11, 2018, At: https://brook.gs/3nd3B-MR

(51) Lolita C. Baldor, US pulls anti-missile systems from Saudi Arabia amid dispute, Associated Press, May 7, 2020, At: https://bit.ly/3CfuMek

تمارسها بالنيابة عنهم ضد إيران. صحيح أن الحكومة الإيرانية هي خصم للولايات المتحدة، لكن سلسلة الصراعات في المنطقة لم تؤدِ إلى النتائج المرغوبة، بل أنَّ الإعتقاد الخاطئ بأن الولايات المتحدة يمكن أن توجه النتائج بشكل غير مباشر في سوريا أو اليمن ترتب عليه كُلف هائلة، سيما أن التدخل العسكري للولايات المتحدة لم يكن جوهرياً بما يكفي لقلب التوازن، بل أسهم في تمديد نطاق الصراع وتشجيع الجماعات المتطرفة والسماح للمشاعر المعادية لأميركا بالنمو [52].

أن إدارة (بايدن) قدمت بعض التطمينات لحلفائها في سوريا من أن سيناريو الإنسحاب الأميركي من أفغانستان لن يتكرر في سوريا

مع ذلك وحسب الرؤية الأميركية، إن تقليص التواجد العسكري في الشرق الأوسط لن يعني إنسحاباً نهائياً عن مواجهة إيران، إذ ما زالت الولايات المتحدة تحتفظ ببصمة عسكرية صغيرة في مناطق شرق سوريا فضلاً عن أنها مستمرة بدعم حلفائها من (قوات سوريا الديمقراطية-SDF)[53]، وتمتلك تغطية جوية بإستخدام الطائرات المسيرة، وهي لا تعتبر هذا الوجود عبئاً مالياً مرهقاً، سيما أن إدارة (بايدن) قدمت بعض التطمينات لحلفائها في سوريا من أن سيناريو الإنسحاب الأميركي من أفغانستان لن يتكرر في سوريا [54]، وبالتالي هذا التواجد في أماكن محددة يُراد به أن يكون وسيلة لمنع إيران من التوسع أكثر. بهذا المعنى يمكن القول إنَّ الرؤية الأميركية تركز على مواجهة إيران بقدر تهديدها للمصالح الأميركية وليس الإنخراط في حرب أو توتر عسكري بالنيابة عن دول الخليج.

إن إسلوب الرئيس (بايدن) في مواجهة التهديدات الإقليمية، أنه يحاول الجمع ما بين إستخدام القوة العسكرية المحدود وما بين الضغط الدبلوماسي. فخلال الأسابيع الأولى من رئاسته، أصدر أمراً بتوجيه ضربات عسكرية تجاه مواقع، إدعت الإدارة الأميركية أنها لفصائل إيرانية في سوريا، لإظهار نوعاً من القوة تجاه إيران ودفعها للقبول بالتفاوض حول الملف النووي، ومن جهة أخرى كشفت إدارته عن (الملخص السري) للإستخبارات بخصوص مقتل الصحفي السعودي (جمال خاشقجي) عام 2018، والذي أقر بعلم الجهات السعودية، على أعلى المستويات بحادثة الأغتيال [55]، وكان هذا الفعل نوعاً من التأنيب للسعودية وجزءاً من نهجه في ضبط العلاقة معها، سيما بعد إمتناعه عن تصدير أسلحة هجومية لها ورفع إسم (الحوثيين) عن لائحة (المنظمات الإرهابية)، وكلا القرارين كان يُراد بهما إنهاء حرب اليمن ودفع السعودية للتفاوض مع الحوثيين [56]. في ضوء هذه الاعتبارات، بدا أن الرئيس (بايدن) يحاول تجنب المزيد من التدخل العسكري في الشرق الأوسط، مع رغبته في مواءمة سياساته بشكل أوثق مع سياسات التيار التقدمي في حزبه، وإن إدارته لا تتبنى رؤية كبرى للشرق الأوسط بقدر ما تركز على أهداف رئيسة تعتقد أن تحقيقها سيعمل على فك الإرتباط مع فرض إستقرار نسبي في المنطقة، وهذه الأهداف تشمل; تقليص وجودها العسكري في منطقة الخليج وإعادة ضبط

(52) Chris Murphy, America's Middle East Policy Is Outdated and Dangerous: A New Approach to the Gulf States Needs a Better Foundation, Foreign Affairs, Volume (100), No (1), January -February 18, 2021, At: https://fam.ag/3wTcKxC

(53) ظهرت قوات سوريا الديمقراطية إلـى حيز الوجود في عـام 2015، وشكلت تحالفاً برعاية أمريكية بين فيلق الدفاع الشعبي (YPG)، وميليشيا كردية، وعدد من الميليشيات العربية الصغيرة. وصاغ الجنرال الأمريكي (ريموند توماس) اسم المجموعة التي أطلق عليها هذا الاسم (SDF). وبحلول عام 2016، كان عدد قوات سوريا الديمقراطية (30) ألف جندي، مع (24) ألف كردي و(6000) من المسلحين العرب. للمزيد يمكن الرجوع إلى:
Dylan Maguire, A Perfect Proxy? The United States–Syrian Democratic Forces Partnership, Virginia Tech School of Public and International Affairs: PWP Conflict Studies, 2020, pp 6 – 7. At: https://bit.ly/3D9el4A

(54) Michael Young, Behavior Change: An interview with Joe Macaron, Carnegie Middle East Center, October 20, 2021, At: https://bit.ly/3kyHwqD

(55) Hussein Ibish, Riyadh and Tehran are Both Put on Notice That Biden has a New Mideast Approach, The Arab Gulf States Institute in Washington, March 1, 2021, At: https://bit.ly/30iUtgG

(56) Lara Jakes and Eric Schmitt, Biden Reverses Trump Terrorist Designation for Houthis in Yemen, The New York Times, February 5, 2021, At: https://nyti.ms/3c9MxRE

العلاقات مع المملكة العربية السعودية، إنهاء الحرب في اليمن، وإعادة الاتفاق النووي الإيراني إلى المسار السابق ودعم المبادرات الإقليمية والدولية الهادفة إلى تخفيف حدة التوتر بين إيران ودول الخليج [57].

(57) Julie Norman, Middle East balance key to Biden's foreign policy aims, Op.cit.

4. محاربة الإرهاب الدولي.

رغم الفشل الذي أحاط بالسياسة الاميركية كونها لم تحقق الاستقرار في الشرق الأوسط بعد قضائها فيه عقدين من الزمن وإنفاق مليارات الدولارات، مع ذلك، يَعد البعض من الخبراء أنَّ هناك نوعاً من العزاء والتبرير لهذا الإنفاق يتمثل في أن الولايات المتحدة باتت أكثر أمناً ولم تتعرض لعمل إرهابي بمستوى حدث سبتمبر 2001، وبلغ مستوى الشعور بالأمن إلى حد الإعتقاد أن تعرض الولايات المتحدة لهجوم إرهابي لم يعد أمراً وارداً أو يتمتع بأرجحية عالية، ما دفع الإرهاب الداخلي، المتأتي من جماعات إسلامية، إلى أن يحتل أولوية منخفضة في سلم الإهتمام الإستراتيجي الأميركي، وعلى حد قول (راسل ميد-Mead) «تراجعت الحرب على الإرهاب إلى هوامش السياسة الأمريكية مع بروز مخاوف من انهيار النظام العالمي الليبرالي بسبب سياسات روسيا والصين» [58]، وهذا التراجع كان مرده قناعة أخذت تتبلور تدريجياً في أذهان الإستراتيجيين، إن الإرهاب بات مشكلة المجتمعات المحلية وفقد خاصية القدرة على القيام بأعمال وأنشطة في الدول المتقدمة.

إن الإرهاب بات مشكلة المجتمعات المحلية وفقد خاصية القدرة على القيام بأعمال وأنشطة في الدول المتقدمة

(58) Walter Russell Mead, American Global Leadership Is in Retreat, The Wall Street Journal, September 13, 2021, At: https://on.wsj.com/3CfEsW8

إذ انخفض إجمالي الوفيات الناجمة عن الإرهاب في جميع أنحاء العالم بنسبة (59%) منذ ذروته في عام 2014. وبالنسبة للغرب، إن التهديد الحالي المتأتي من عنف (الإسلاميين) أقل بكثير من الإرهاب اليميني المتطرف الذي إرتفع ليبلغ نسبة (250%) بعد العام المذكور، وبات الإرهاب اليميني في الدول المتقدمة يشكل نسبة (46%) من الهجمات و(82%) من الوفيات. ومن وجهة نظر غربية، أخذت معظم الحركات المتطرفة (ذات الطابع الإسلامي) تميل إلى أن تكون محلية، مثل (طالبان) في أفغانستان، (بوكو حرام) في نيجيريا، (حركة الشباب) في القرن الأفريقي، وهذا يمثل تحول كبير عن نشاط (القاعدة)، عندما أصر قادتها على أن التركيز يجب أن لا يكون على «العدو القريب» (الأنظمة المحلية) بل على «العدو البعيد» (الولايات المتحدة والغرب على نطاق أوسع). إذ أخذت هذه التنظيمات بالبحث عن أماكن منزوية وغير مستقرة أو غير خاضعة للحكم، مثل الصومال وموزمبيق، لتعمل فيها، وهذا التركيز على النزاعات المحلية يقوض أي جاذبية عالمية لهذه الحركات على إعتبار أن أنصارها في جميع أنحاء العالم لا يتماهون مع القضايا المحلية في مثل هذه الدول المضطربة [59].

ما تزال الولايات المتحدة تمتلك قدراً من الخشية بخصوص سيطرة التنظيمات الإرهابية على أراضي تحولها إلى معقل لأنشطة قد تُوجه نحو الدول الغربية

(59) Fareed Zakaria, Ten years later, Islamist terrorism isn't the threat it used to be, The Washington Post, April 29, 2021, At: https://wapo.st/3n3mdiD

مع ذلك، ما تزال الولايات المتحدة تمتلك قدراً من الخشية بخصوص سيطرة التنظيمات الإرهابية على أراضي تحولها إلى معقل لأنشطة قد تُوجه نحو الدول الغربية مثلما فعلت (القاعدة) سابقاً، لذا باتت تركز في حربها ضد الإرهاب في المناطق القصية والبعيدة عن الأراضي الأميركية مثل سوريا، على التعاون مع الجهات الفاعلة هناك لتحقيق هذه الغاية، لأنه من غير الممكن هزيمة تنظيم (داعش) على يد القوات الاميركية وحدها دون وجود قوات محلية على الأرض قادرة على التعامل مع هذا التحدي أفضل منها [60]، وعليه، أنَّ (الحرب على الإرهاب) ستختلف عن الطابع السابق الذي تميزت به، إذ لن تكون حرباً مبنية على رؤى تغيير النظام، وتعزيز الديمقراطية، أو التشبث باعتقاد زائف بقدرة الولايات المتحدة على إصلاح سياسات المنطقة، بل مثلما دعا البعض إلى ذلك، ستكون نهجاً يركز على جمع المعلومات الاستخبارية، والتعاون متعدد الأطراف مع دول، على مقربة من مناطق الإرهابيين مثل العراق والأردن وحتى قوات سوريا الديمقراطية، مثلما أوضحت ذلك الإستراتيجية الوطنية لمكافحة الإرهاب لعام 2018 لإدارة الرئيس (ترامب) [61]، باعتبارها خارطة طريق يمكنها من تقليل المشكلة إلى مستوى يمكن التحكم فيه.

(60) *Aaron David Miller and Richard Sokolsky*, Leaving Syria Is Far Less Risky Than Staying, NPR News, January 19, 2019, At: https://n.pr/3kCJ2rG

الحرب على الإرهاب) ستختلف عن الطابع السابق الذي تميزت به، إذ لن تكون حرباً مبنية على رؤى تغيير النظام، وتعزيز الديمقراطية

(61) The White House, National Strategy for Counterterrorism of The United States of America (NSCT), October 2018, At: https://bit.ly/3H7Mbt7

أن التوجه العام الذي سيحكم سياسة إدارة التفضيلات الأميركية هو تقليل أكلاف التواجد العسكري في الشرق الأوسط

ثالثاً: تقليص الوجود العسكري الأميركي في الشرق الأوسط ومعضلة التوازن.

يبدو أن التوجه العام الذي سيحكم سياسة إدارة التفضيلات الأميركية هو تقليل أكلاف التواجد العسكري في الشرق الأوسط، وبدأ هذا الأمر منذ سنوات قريبة جداً، رغم الأصوات التي ما تزال تدعم التدخل العسكري والدبلوماسي الأمريكي المكثف، ممن يفضلون موقفاً إقليمياً في هيأة الإستعداد لحملة عسكرية طويلة الأمد ضد القوات المعادية للولايات المتحدة [62]. ويبدو أن هذا التقليص بات ضرورة ويتمتع بتأييد سياسي في ظل إرتفاع الكلف المالية المرتبطة به. إذ بلغت كلفة حروب أميركا في الشرق الأوسط منذ عام 2001 ولغاية أواخر عام 2019 حسب الدراسة التي أصدرها معهد (واتسون-Watson) في جامعة (براون-Brown) بحدود (6.4) تريليون دولار [63]. ومع أن الولايات المتحدة تجنبت الحروب المكلفة إلا أنها أبقت على تواجد عسكري مكثف أخذ بدوره يُحمل الاقتصاد الاميركي أعباء ترهقه في وقت أخذ فيه النمو الاقتصادي يتباطأ، وكان عام 2016 علامة موثوقة تؤكد أنَّ إستمرار الولايات المتحدة بهذا النهج المسرف عسكرياً يمكن أن يؤدي بها إلى التراجع أمام القوى الدولية الأخرى. فعلى الرغم أن الولايات المتحدة في عام 2016 حققت المركز الأول في حجم الناتج القومي بمقدار (18) تريليون دولار وبنسبة (24 %) من حجم الناتج العالمي، وأن الصين

(62) Max Boot, Why winning and losing are irrelevant in Syria and Afghanistan, The Washington Post, January 30, 2019, At: https://wapo.st/3qu2A5k

(63) Neta C. Crawford, United States Budgetary Costs and Obligations of Post - 9/11 Wars through FY2020: $6.4 Trillion, Watson Institute on International and Public Affairs, Brown University, November 13, 2019, At: https://bit.ly/3qC3pZZ

جاءت بعدها بالمركز الثاني بمقدار (11) تريليون دولار وبنسبة (14.8 %) من حجم الناتج العالمي، مع ذلك، كانت الصين أعلى نمواً على مستوى العالم بنسبة بلغت (6.7%) فيما بلغت نسبة النمو الأميركي (1.6%) [64].

(64) Alex Gray, The world's 10 biggest economies in 2017, The World Economic Forum, March 9, 2017, At: https://bit.ly/3kE-fABx

من المتوقع أن تتفوق الصين على الولايات المتحدة لتحتل المركز الأول على هذا الأساس قبل عام 2030

وهذا كان يدلل على أن الصين، مدفوعة بالنمو القوي، ستسبق الولايات المتحدة وتتجاوزها خلال السنوات القادمة حسب التوقعات التي وردت في دراسة أعدتها شركة (PWC) عام 2017، وأشارت فيها إلى أن التحول في القوة الاقتصادية العالمية نحو الاقتصادات الناشئة سيكون مدفوعاً إلى حد كبير بالنمو الإقتصادي للصين والهند، ورغم أن الصين ليست حتى الآن أكبر اقتصاد من حيث الناتج المحلي الإجمالي في أسعار الصرف السوقية، لكن من المتوقع أن تتفوق الصين على الولايات المتحدة لتحتل المركز الأول على هذا الأساس قبل عام 2030 [65].

(65) The Long View: How will the global economic order change by 2050?, Price Water House Coopers (PWC), February 2017, P 20, At: https://pwc.to/3neZ1hd

بات تقليص الإلتزامات العسكرية في الشرق الأوسط يُراد به تخفيف العبء عن كاهل الاقتصادي الاميركي

وعليه، بات تقليص الإلتزامات العسكرية في الشرق الأوسط يُراد به تخفيف العبء عن كاهل الاقتصادي الاميركي، وعلى حد دراسة كل من (تشارلز كلازر-Glaser) و(روزماري كيلانك-Kelanic) إن ميزانية الدفاع الأميركية يمكن أن تنخفض بمقدار (15%) إن تخلت الولايات المتحدة عن وجودها العسكري في منطقة الخليج [66].

(66) Charles L. Glaser and Rosemary A. Kelanic, Getting Out of the Gulf: Oil and US Military Strategy, Foreign Affairs, volume (96), No (1), January - February, 2017, PP 122 – 131.

كانت حروب أفغانستان والعراق، وهي الأكثر إستهلاكاً للنفقات الحربية، قد حفرت درساً في الذاكرة الأميركية أنَّ هناك حدوداً للقوة ويبدو أن الوعي بهذه الحدود أخذ يتزايد بمرور الوقت، بدليل أنه في السنوات الأخيرة من رئاسة (جورج دبليو بوش)، وبمجرد أن بدأت الحملات العسكرية في أفغانستان والعراق بالتعثر، لم يعد هناك الكثير من الشهية للمغامرات الأجنبية. إذ تنحت الولايات المتحدة جانباً في عام 2008 عندما غزت روسيا جورجيا، الدولة الصديقة للغرب، فيما تخلى (أوباما) علناً عن أقدم حليف لأميركا في الشرق الأوسط، نظام حسني مبارك، عندما واجهته ثورة عام 2011 ولم يفعل شيئاً لمساعدة أوكرانيا عندما غزت روسيا شبه جزيرة القرم وضمتها في عام 2014 [67]، كما لم يكن (أوباما) راغباً في أن تكون هناك قوات أميركية على الأرض السورية، بالطريقة التي تواجدت بها في أفغانستان والعراق بسبب من خشيته تحول سوريا إلى مستنقع مثلما حدث في تجارب الحروب السابقة. حتى أنه بعد بدأت العمليات الروسية بدعم الحكومة السورية في شهر تشرين الأول 2015، حذر (اوباما) نظيره الروسي من أن التدخل بهذا الشكل ونشر قوات على الأرض سيجر بلاده إلى مستنقع [68].

حروب أفغانستان والعراق، وهي الأكثر إستهلاكاً للنفقات الحربية، قد حفرت درساً في الذاكرة الأميركية أنَّ هناك حدوداً للقوة

(67) Anshel Pfeffer, What America's Mideast Allies Can Learn From Afghanistan's Collapse, Haaretz, August 15, 2021, At: https://bit.ly/3DxPIP9

(68) - Alistair Bell, Tom Perry, Obama warns Russia's Putin of 'quagmire' in Syria, Reuters, October 3, 2015, At: https://reut.rs/3neIzxD

لكن من المفارقات التي يمكن ملاحظتها بخصوص السياسة الأميركية فترة الرئيس (أوباما) وحتى فترة الرئيس (دونالد ترامب)، أن الإدعاء بتقليص الإلتزامات

الإستراتيجية تكرر بإصرار على الرغم من حقيقة أن الولايات المتحدة لعبت دوراً رئيساً في الإنخراط عسكرياً في بعض الصراعات. وحتى مع إتخاذ الرئيس (أوباما) نهجاً أكثر تحفظاً في إستخدام القوة العسكرية الأمريكية أو في انخراط الولايات المتحدة جغرافياً، بحيث أنه خلال سنوات حكمه، إنخفض الإنفاق الدفاعي بشكل كبير من (849.9) مليار دولار في عام 2010 إلى (669.5) مليار دولار في عام 2016 [69]، إلا أن هذا لم يمنع إنجذاب الولايات المتحدة نحو التدخل في بعض أزمات المنطقة بما يتنافي مع توجهات تقليص الإلتزامات، رغم أنها حاولت أن تجد ضبطاً وموازنة معقولة ما بين فك الإرتباط والتدخل الذي تعتقد أنه ضروري لمصالحها

تبنت الولايات المتحدة تدخلاً عسكرياً مُخففاً لا يترتب عليه تورط في حروب على أرض الخصم

(69) Brandon Friedman, US Engagement and Disengagement in the Middle East: Paradox and Perception, Strategic Assessment, Volume (24), No (1), January, 2021, P 139.

لهذا السبب تبنت الولايات المتحدة تدخلاً عسكرياً مُخففاً لا يترتب عليه تورط في حروب على أرض الخصم، من أجل عدم الإنجراف بعيداً عن دعوات فك الإرتباط. مثال على ذلك التدخل العسكري الأميركي الذي أطاح بنظام معمر القذافي في ليبيا في عام 2011، عندما تبنت إدارة (أوباما) مفهوم (القيادة من الخلف –Leading from Behind)، بما يتضمنه من تعويل على «القدرات المتزايدة للحلفاء والشركاء كجزء أساس من تقاسم الأعباء» [70]، فضلاً عن دورها في تجميع وقيادة تحالف عسكري لأكثر من (70) دولة بالضد من تنظيم (داعش) من عام 2014 ولغاية الآن، وتفضيلها المشاركة والتعاون مع الأطراف الدولية تجاه أزمة سوريا والبحث عن حلول دبلوماسية بالتشاور مع روسيا، حتى بلغ عزم (أوباما) على عدم التورط هناك درجة أنه رغم عدم إلتزام سوريا «بالخطوط الحمراء» التي وضعها، إلا أنه لم يرد بحملة عسكرية حازمة مثلما كان يُهدد، ما كانت علامة ضعف وتردد في استخدام القوة العسكرية وهي ما استغله الجمهوريون والمحافظون لانتقاده بشدة [71].

(70) Kevin Marsh, "Leading from behind": neoclassical realism and operation Odyssey Dawn, Defense & Security Analysis, Volume (30), Issue (2), 2014, P 120.

(71) Matt Spetalnick, Obama's Syria 'Red Line' Has Echoes in his Warning to Ukraine, Reuters, February 21, 2014, At: https://reut.rs/30B3UJd

لكن من جانب آخر، تبنت الولايات المتحدة مواقف وسياسات تعارضت كلياً، على ما يبدو مع الرغبة في تقليص الإلتزام العسكري والسياسي. أن تواجد قواتها في سوريا لغاية الآن وزيادة أعداد القوات في أفغانستان في بعض السنوات قبل الإنسحاب، هي أمثلة عن هذه السياسات. والأكثر من ذلك، أنها، ومنذ آذار 2015، باتت الولايات المتحدة طرفاً في الحرب السعودية على اليمن. إذ بدأت بدعم حملات القصف ضد الحوثيين، وشمل هذا الدعم إعادة التزود بالوقود في الجو، والبحث القتالي والإنقاذ للطيارين الذين تم إسقاطهم، وتحليل المعلومات الاستخباراتية، حيث كان هناك ما يصل إلى 45 محللاً للمساعدة في تطوير الأهـداف وتحسينها. فضلاً عن ذلك، قدم مقاولو الدفاع الأمريكيون (Contractors) الكثير من التدريب والمشورة والمساعدة اللوجستية التي تسمح للقوات الجوية والبحرية والبرية الملكية السعودية بالعمل. ولعل

تبنت الولايات المتحدة مواقف وسياسات تعارضت كلياً، على ما يبدو مع الرغبة في تقليص الإلتزام العسكري والسياسي

أحد الأمثلة النموذجية هو مشاركة شركة (S&K Aerospace)، للخدمات الدفاعية والدعم التقني، التي حصلت في سبتمبر 2017 على عقد مدته ست سنوات بقيمة (560) مليون دولار لتوفير الدعم اللوجستي لإسطول القوات الجوية السعودية [72].

(72) Micah Zenko, US Military Policy in the Middle East: An Appraisal, Op.cit, P 22.

وبشكل عام، مع نهاية فترة رئاستي (أوباما) و(ترامب)، ورغم أنه جرى تخفيض لإعداد القوات العسكرية في الخليج خلال سنوات (ترامب)، إلا أنَّهما لم ينجحا كلياً في إبعاد الولايات المتحدة ولو قليلاً عن مشاكل الشرق الأوسط. فتخفيف حجم البصمة العسكرية لم يرافقه تخفيف لحجم التورط السياسي في المنطقة، وعلى حد رأي مجلة (The Economist) حاول (أوباما) التمحور في آسيا، لكن «الربيع العربي» والحرب الأهلية السورية و(داعش) والبرنامج النووي الإيراني إستمر في جره إلى الشرق الاوسط. أما (ترامب)، فعلى الرغم من كل الضجيج الذي أحدثه بشأن إنهاء «الحروب الأبدية»، إلا أنه اتجه نحو الحرب مع إيران، وأرسل آلاف الجنود إلى المنطقة، وفي النهاية، لم يغير كثيراً من واقع الإلتزام العسكري الأمريكي المترامي الأطراف هناك [73].

(73) Exodus: chapter 41, Can Joe Biden get America out of the Middle East?, The Economist, March 3, 2021, At: https://econ.st/3ovQDcy

هذا التنافر بين نطاق التواجد الفعلي والتعويل على أهمية الوجود العسكري الأمريكي والعمليات العسكرية من جهة، والتصور السائد في جميع أنحاء المنطقة بأن الولايات المتحدة كانت تنسحب أو تنفصل عن الشرق الأوسط من جهة أخرى، كان هو التناقض الكبير في العقد الماضي في الشرق الأوسط. وعلى الرغم من أن الدعوة لفك الإرتباط كانت تتصاعد تدريجياً، إلا أنه على ما يبدو لم يكن هناك إلتزام صارم بتنفيذ هذا الإتجاه كلياً وحرفياً، إذ كانت نخب السياسة الخارجية مترددة في الاعتراف بحدود القوة الأمريكية. لذا إنتهجت إدارتي الرئيسين (أوباما) و(ترامب) سياسات حذرة تجاه الشرق الأوسط من أجل تجنب التورط في أزمات صراع مستعصية، لكن مع إدراك ثابت نسبياً إن المصالح تتطلب التدخل المباشر في أحيان كثيرة، ما بدا أنهما يحافظان على ما يسمى بـ«الضرورات المتضاربة» التي شكلت منذ فترة طويلة نهج الولايات المتحدة تجاه تلك المنطقة، فهي «تنجذب نحو الشرق الأوسط من خلال استمرار المصالح والتهديدات الملحة، لكنها تميل إلى مغادرة المنطقة بسبب المخاطر والتكاليف التي تسببها المشاركة الأمريكية» ([74])، وعلى حد وصف (مارتن أنديك-Indyke)،«هذه المنطقة المضطربة تترك واشنطن عالقة على الدوام بين الرغبة في إنهاء التدخل العسكري الأمريكي هناك، والإندفاع إلى شن حرب أخرى في الشرق الأوسط»[75]. وهذا التنافر مثلما كان إنعكاساً لإختلاف وجهات النظر ما بين البقاء والمغادرة، كان في ذات الوقت دليلاً لا يقبل الشك أن تصرفات الإدارة الأميركية وسياستها تجاه التطورات الإقليمية التي تنجذب إليها كانت عبارة عن تكتيكات (Tactics) أكثر من كونها إستراتيجية واضحة [76].

كانت نخب السياسة الخارجية مترددة في الاعتراف بحدود القوة الأمريكية

(74) Hal Brands, Why America Can't Quit The Middle East, The Caravan Magazine, Hoover Institution, Issue (1921), March 21, 2019, At: https://hvr.co/3Cetb8t

(75) Martin Indyk, The Middle East Isn't Worth It Anymore, Op.cit.

(76) Lawrence Wilkerson Col, Now That "The Middle East Isn't Worth It Anymore: What Should the U.S. Do?, Responsible Statecraft, January 22, 2020, At: https://bit.ly/3D99q3I

أيضاً ما يفسر مراوحة السياسة الأميركية ما بين الإسلوب القديم والإسلوب

الجديد، وهو ما خلق هذا التنافر ما بين الإدعاء بالإنسحاب وما بين الإنخراط في قضايا المنطقة، أنه على خلاف التصور الإقليمي الذي ظهر في الشرق الأوسط والذي حكم بأن القوة الاقتصادية والعسكرية النسبية للولايات المتحدة قد تراجعت وأنه لم يعد بإمكانها إخفاء حقيقة أن قدرتها على التصرف كقوة عظمى باتت محدودة [77]، كانت الولايات المتحدة تميل إلى الإيحاء بأن مواقف القادة الأمريكيين حول كيفية استخدام الولايات المتحدة لقوتها العسكرية للحفاظ على مصالحها هي التي تغيرت وليس محتوى هذه القوة. إلا أن هذا على ما يبدو لم يكن مقنعاً بما فيه الكفاية، لذا كانت الولايات المتحدة تندفع بين الحين والآخر إلى ممارسة (تمارين القوة –Power Exercises)، كوسيلة للحفاظ على مصالحها من جهة والرد على التصورات بأنها لم تعد قوة عظمى من جهة أخرى.

(77) **Sydney Wise,** The U.S.–Middle East Future: In the Face of Fatigue, *The Cairo Review of Global Affairs,* No (39), Fall 2020, At: https://bit.ly/3Cf9zBs

رغم هذه المراوحة ما بين الإبتعاد والإنجذاب، كانت الإدارات الأميركية تُدرك تدريجياً أن هناك حاجة لإعادة تقييم تواجدها العسكري في المنطقة

لكن رغم هذه المراوحة ما بين الإبتعاد والإنجذاب، كانت الإدارات الأميركية تُدرك تدريجياً أن هناك حاجة لإعادة تقييم تواجدها العسكري في المنطقة، وأن مرد هذه المراجعة الإستراتيجية ليس الديناميكيات الإقليمية الجديدة أو الأولويات المحلية للولايات المتحدة فحسب، بل بسبب الطبيعة المتغيرة للمصالح الأمريكية هناك بالدرجة الاولى [78]، وأن المصالح المتغيرة ما عادت تستدعي وجوداً عسكرياً مُكثفاً. بمعنى آخر، لا تريد الإبتعاد كلياً عن المنطقة بقدر ما تريد تقليل أكلاف التدخل عبر تقليص تواجدها مع الحفاظ على بصمة عسكرية فاعلة عند الضرورة، وأن تجد لها طريقاً مقبولاً ما بين الإنسحاب الكلي والتفاعل المكثف في شؤون المنطقة وقضاياها، وهذا ربما سيكون توجهها المستقبلي [79]. وعلى حد رأي البعض، أنَّ سبب حاجة الولايات المتحدة للحفاظ على بصمة عسكرية صغيرة، لأن هذا التواجد العسكري المحدود بات مرتبطاً بالحفاظ على مكانة الولايات المتحدة نفسها. ووفقاً لهذا الرأي، إن حرب العراق كانت كارثة لكن مغادرة الشرق الأوسط سيتسبب بمزيد من الإنهيارات والكوارث، مثلما حدث مع بروز تنظيم (داعش) وتوسع روسيا في سوريا، وبالتالي ترك هذه التداعيات تبرز تدريجياً سيؤدي إلى تآكل مكانة أميركا وإضعاف موقعها كقوة عالمية [80].

(78) Aaron David Miller and Richard Sokolsky, The Middle East Just Doesn't Matter as Much Any Longer, Op.cit.

(79) Rex Brynen, Exploring US Engagement in the Middle East: A Crisis Simulation, Atlantic Council: Issue Brief, September 2016, P 2, At: https://bit.ly/3H92rdm

إن حرب العراق كانت كارثة لكن مغادرة الشرق الأوسط سيتسبب بمزيد من الإنهيارات والكوارث

لهذه الأسباب، أخذت الولايات المتحدة بتقليص أعداد قواتها مع الحفاظ على جزء من الإصول العسكرية التي تعتقد أنها ضرورية للحفاظ على دور أميركي مقبول، وهذه معضلة تحاول الولايات المتحدة السيطرة عليها، بحيث لا يصل تقليص النفقات والتواجد العسكري إلى المستوى الذي لا يكون كافياً لحماية بعض المصالح الأمريكية الدائمة في المنطقة، مثلما أشار إلى ذلك مستشار الأمن القومي الأميركي الحالي (جيك سوليفان-Sullivan)، في مقال نشره قبل أنَّ يتولى منصبه الرسمي*، إذ أكد إن «تقليص الوجود الأمريكي في الشرق

(80) Yaroslav Trofimov, America Can't Escape the Middle East, The Wall Street Journal, October 25, 2019, At: https://on.wsj.com/3HbkRdt

(*) سبق لـ(جيك سوليفان) أن عمل مستشاراً لـ(بايدن) عندما كان نائباً للرئيس (باراك اوباما).

الأوسط سيتطلب تحقيق توازن صعب: الحد من البصمة العسكرية الأمريكية التي عفا عليها الزمن دون خلق حالة جديدة من إنعدام الأمن، مع الحفاظ على الردع و التأثير عند الحاجة لمعالجة تلك المصالح الأمريكية الرئيسية المتبقية» [81].

(81) Daniel Benaim and Jake Sullivan, America's Opportunity in the Middle East, Foreign Affairs, May 22, 2020, At: https://fam.ag/322MhlR

تقليص الوجود الأمريكي في الشرق الأوسط سيتطلب تحقيق توازن صعب

إن ما يثبت عدم وضوح الإستراتيجية بخصوص تقليص القوات العسكرية هو شكل السياسة الأميركية التي باتت قائمة على أساس ردود الفعل تجاه التطورات الاقليمية التي تحدث. إذ تعمد تارة إلى زيادة قواتها في المنطقة وتارة أخرى تقوم بتقليصها وإعادة نشرها، وهذا يُدلل على غياب التصور العام لكيفية تحقيق هدف فك الإرتباط. أحد الأمثلة الإنموذجية على ذلك، إن الرئيس (ترامب) لم يكن مقتنعاً أبداً بتحقيق إستثمار سياسي وعسكري طويل الأجل مع (قوات سوريا الديمقراطية)، وكان يبحث عن مخرج مما أسماه بـ(المستنقع السوري –Syrian Quagmire)، لذلك بعد مكالمة هاتفية في ديسمبر 2018 مع الرئيس التركي (أردوغان)، كان (ترامب) مستعداً ليس فقط لإعادة نشر القوات الأمريكية من الحدود التركية السورية، ولكن لسحبها بالكامل [82]. لكن عندما قرر في شهر اكتوبر 2019، وبشكل مفاجئ، سحب القوات الأميركية من مناطق شرق سوريا والتخلي عن القوات التي قاتلت إلى جوار الولايات المتحدة ضد تنظيم (داعش)، والأكثر من ذلك السماح للقوات التركية بالدخول إلى المناطق تلك والبدء بمطاردة القوات الكردية، أثار قراره هذا إستغراباً ورفضاً من قبل الكثير من أعضاء الكونغرس ممن إعتبروا سياسته خاطئة كونها لا تأخذ بنظر الاعتبار القوة المنافسة التي ستملىء الفراغ، ورغم تبرير الرئيس (ترامب) لهذا الإنسحاب، كما أعلن في البيت الأبيض برغبة بلاده في إنهاء الحروب الأبدية والإنفصال عن الشرق الاوسط» [83]. إلا أن الضغط السياسي الذي مارسه المشرعين الأميركيين قد دفعه إلى الرضوخ لإرادتهم والإبقاء على ما لا يقل عن (600) جندي أميركي في شرق سوريا.

(82) Aaron David Miller, Eugene Rumer and Richard Sokolsky, What Trump Actually Gets Right about Syria, Politico Magazine, October 18, 2019, At: https://politi.co/3x0yozM

(83) Uri Friedman, The Consequences of Donald Trump Washing His Hands of the Middle East, The Atlantic, October 24, 2019, At: https://bit.ly/3cs-02wi

وفي موقف متناقض، عندما تصاعد التوتر مع إيران مطلع عام 2020، بدأت الإدارة الأميركية بالتخطيط لإرسال (3000) جندي إضافي إلى الشرق الاوسط [84]، وتم إرسال (750) جندي إضافي إلى العراق فعلاً [85]. ومن جانب آخر، كانت هناك ميول لتخفيض التواجد العسكري في المملكة العربية السعودية، والذي سبق أن عزز الرئيس هذا التواجد قبل عام إستجابة للتوترات العسكرية مع إيران، إذ إتخذ الرئيس (ترامب) في شهر آيار 2020، قراراً بسحب منظومتي صواريخ (Patriot) من المملكة السعودية ونشرها خارج أراضيها، فضلاً عن إعادة نشر ما يقدر بـ(300) جندي أميركي خارج المملكة، وهذه القوات والمنظومات الدفاعية تم إرسالها للسعودية سابقاً بعد أن تعرضت منشآت شركة (أرامكو) النفطية إلى هجمات بصواريخ وطائرات مسيرة في شهر أيلول 2019، ما أدى إلى توقف إنتاج 5.7 مليون برميل يومياً من النفط الخام، أي ما يقرب من (6٪) من الإنتاج العالمي. وتضمنت

(84) Paul Shinkman, Trump to Send 3,000 More Troops to Middle East Amid Iran Escalation, US News, January 3, 2020, At: https://bit.ly/3qHUlTp

(85) Rashaan Ayesh, Where U.S. troops and military assets are deployed in the Middle East, Axios News, January 8, 2020, At: https://bit.ly/3FmXc88

القدرات العسكرية التي تم نشرها في السعودية وقتئذ إرسال (2000) جندي إضافي لينضموا إلى ما يقرب من (700) جندي تم نشرهم في جولات سابقة [86]. هذا يؤكد أنه خلال السنتين الأخيرتين من حكم الرئيس (ترامب)، كان هناك تنافر ما بين الدعوة للإبتعاد عن الشرق الأوسط من جهة وتعزيز الوجود العسكري رداً على تطورات الوضع الأمني الإقليمي من جهة اخرى.

(86) Gordon Lubold and Nancy A. Youssef, Pentagon to Deploy Around 2,000 Additional Troops to Saudi Arabia, The Wall Street Journal, October 11, 2019, At: https://on.wsj.com/3DiUsIf

أخذت عمليات الإنسحاب وإعادة الإنتشار تتسارع بشكل أكبر، وبدت أنها تعكس العديد من التغييرات الأخيرة

مع مجيء إدارة الرئيس (بايدن) للبيت الأبيض، وخلال الأشهر الأولى، أخذت عمليات الإنسحاب وإعادة الإنتشار تتسارع بشكل أكبر، وبدت أنها تعكس العديد من التغييرات الأخيرة على الأرض في الشرق الأوسط فضلاً عن الضرورات الإستراتيجية لواشنطن مع انتهاء الحرب في أفغانستان والتخطيط لسحب جميع القوات الأميركية منها، وإنهاء عقدين من (مكافحة الإرهاب) الذي كان بمثابة المحرك الرئيس لنشر القوات والأسلحة الأمريكية. وتطبيقاً لهذه السياسة الرامية إلى إدخار القوات لمواجهة الصين ضمن مشهد المنافسة بين القوى الكبرى، أزالت الولايات المتحدة في شهر نيسان 2021، ما لا يقل عن ثلاث بطاريات (باتريوت) المضادة للصواريخ من منطقة الخليج، بما في ذلك واحدة من قاعدة (الأمير سلطان) الجوية في المملكة العربية السعودية، كما تم تحويل قدرات أخرى مثل حاملة طائرات وأنظمة مراقبة، من الشرق الأوسط لتلبية الاحتياجات العسكرية في أماكن أخرى حول العالم [87]. بعدها في شهر حزيران من العام نفسه، بدأت الإدارة الأميركية تُقلل بشكل حاد من عدد الأنظمة الأمريكية المضادة للصواريخ في الشرق الأوسط في إعادة تنظيم كبيرة لبصمتها العسكرية هناك، إذ سحبت وزارة الدفاع (البنتاغون)، ما يقرب من ثماني بطاريات (باتريوت) من دول من بينها العراق والكويت والأردن والمملكة العربية السعودية، بما في ذلك تقليص أسراب المقاتلات النفاثة المخصصة للمنطقة [88].

(87) Gordon Lubold and Warren P. Strobel, Biden Trimming Forces Sent to Mideast to Help Saudi Arabia, The Wall Street Journal, April 1, 2021, At: https://on.wsj.com/3kv7bAc

(88) Gordon Lubold, Nancy A. Youssef and Michael R. Gordon, U.S. Military to Withdraw Hundreds of Troops, Aircraft, Antimissile Batteries From Middle East, The Wall Street Journal, June 18, 2021, At: https://on.wsj.com/30lfQ0T

أنّ إتجاه تقليص اعداد القوات المتمركزة في المنطقة بات هو السائد في الوسط السياسي الاميركي

صحيح، أن هناك بعض التنافر ما بين تقليص الإلتزامات وما بين زيادة تواجد القوات العسكرية في بعض الحالات، إلا أنَّ أعداد هذه القوات بشكل إجمالي في الشرق الأوسط كانت تميل نحو الإنخفاض، وفقاً لبيانات وزارة الدفاع ومصادر أخرى. ومقارنة بعام 2008، حين كانت ست دول من المنطقة وهي: البحرين والكويت وقطر والمملكة العربية السعودية وتركيا والإمارات العربية المتحدة، تستضيف بحدود (76000) فرد من الجيش الأميركي (عسكري ومدني)، ما يشكل نسبة (16٪) من (484000) فرد عسكري أمريكي متمركزين في الخارج، أصبح العدد بحلول أيلول 2019، أقل بقليل من (10000) في هذه الدول، أو حوالي ما نسبته (4٪) من جميع الأفراد العسكريين في الخارج [89].

(89) How Many U.S. Troops Are in the Middle East?, U.S News, January 9, 2020, At: https://bit.ly/3qJJY1q

ولعل هذا يؤكد أن التواجد العسكري في الشرق الاوسط، رغم أنه كان يخضع

لضرورات الموقف الإقليمي حسب رؤية الإدارة الاميركية، بحيث كان يرتفع وينخفض من دولة إلى أخرى خلال السنوات الاخيرة، إلا أنّ إتجاه تقليص اعداد القوات المتمركزة في المنطقة بات هو السائد في الوسط السياسي الاميركي، ويمكن الإطلاع على الجدول رقم (1) لإكتشاف مستوى التغيير الذي حدث في أعداد القوات في بلدان معينة، علماً أن هذه الاعداد تشمل كذلك الأفراد المدنيين العاملين مع الجيش الأميركي:

الدولة	عدد أفراد القوات الأميركية (عسكريين ومدنيين)					
	أيلول 2010	أيلول 2013	أيلول 2015	أيلول 2017	أيلول 2019	منتصف 2020
أفغانستان	101.205	63.673	12.802	15.298	14.000	8.000
العراق	49.741	760	5.158	8.892	5.200	3.200
قطر	15.114	7.560	6.930	6.671	606	527
البحرين	5.402	7.292	6.047	9.838	4.704	4.527
الإمارات	1.501	3.795	3.511	4.240	374	225
السعودية	687	883	721	850	555	1.720
الكويت	29.481	13.118	14.473	16.712	1.998	1.360
تركيا	2.144	1.742	2.299	2.273	1.729	1.884
سوريا	-	-	-	1.720	2.000	700
الأردن	51	1.437	2.196	2.730	100	361

جدول رقم (1) أعداد القوات الاميركية في دول الشرق الاوسط خلال الفترة (2010 – 2020) [90]

من الجدول أعلاه، نلاحظ أنه حتى عام 2020، حدث تقليص كبير في أعداد القوات مقارنة بما كانت عليه في عام 2017، إذ بلغ هذا التخفيض بالنسبة لقطر (92%)، وللبحرين (54%)، وللإمارات (94%)، وللكويت (92%)، وللأردن (86%)، وللعراق (64%). وهذا يُدلل على أن الولايات المتحدة مضت قُدماً بتنفيذ أحد أوجه فك الإرتباط مع الشرق الأوسط وهو تقليص أعداد القوات المتواجدة فيه، والإبقاء على شكل من أشكال الحضور العسكري المخفف الذي تعتقد واشنطن أنه سيكون كافياً لردع التحديات، دون أن يكون هناك إنسحاب كلي ومغادرة نهائية. إذ أن السيناريو الأفغاني يُثير لدى المخططين الإستراتيجيين التخوف من حدوث فراغ قوة يمكن أن يؤثر في ديناميكيات البيئة الامنية الإقليمية، خصوصاً أنه بعد عودة حركة طالبان لتفرض سيطرتها على البلاد، حتى قبل إتمام عمليات إجلاء القوات الأميركية، تضاعفت حُجة الآراء التي تدعو إلى الإبقاء على قوة عسكرية أميركية في الشرق الأوسط، سيما أن هذه الآراء تتسلح بالتاريخ وتشير إلى أن إنسحاب البريطانيين من الشرق الاوسط لم يتسبب بعدم إستقرار على إعتبار أن الاميركيين حلوا محلهم، اما إنسحاب الاميركيين، وفق السيناريو

أن السيناريو الأفغاني يُثير لدى المخططين الإستراتيجيين التخوف من حدوث فراغ قوة يمكن أن يؤثر في ديناميكيات البيئة الامنية الإقليمية

(90) تم إعـداد الجدول بناءُ على المصادر التالية، بضمنها مصادر وزارة الدفاع الاميركية، علماً أن (البنتاغون) ومنذ عام 2017، توقف عن نشر أي بيانات رسمية بخصوص تواجد قواته في أفغانستان والعراق وسوريا، لذا تم الإعتماد على التقديرات الخاصة بهذه البلدان من المصادر الآخرى:
- Mike Sweeney, A Plan for U.S withdrawal from Middle East, Defence Priorties, December 2020, At: https://bit.ly/3qPBTYK
- Micah Zenko, US Military Policy in the Middle East: An Appraisal, Op.cit.
- Rashaan Ayesh, Where U.S. troops and military assets are deployed in the Middle East, Op.cit.
- How Many U.S. Troops Are in the Middle East?, U.S News, January 9, 2020, At: https://bit.ly/3qJJY1q
- Department of Defence, DMDC Document, DoD Personnel Reports, At: https://bit.ly/3cjItOX
- Afghanistan war: US-Taliban deal would see 5,400 troops withdraw, BBC News, September 3, 2019, At: https://bbc.in/3oxD1xA
- Luis Martinez, US reducing troop size in Iraq to 3,000, ABC News, September 9, 2020, At: https://abcn.ws/3nq5Axx
- Tara Copp, 26,000 US troops total in Iraq, Afghanistan and Syria: DoD reports, Military Times, November 27, 2017, At: https://bit.ly/3CscLK2

الأفغاني سيسمح للقوى الإقليمية وحتى الدولية بالحلول محلها وفرض سيطرتها في المنطقة[91].

(91) Mike Sweeney, A Plan for U.S withdrawal from Middle East, Op.cit.

الخاتمة

من خلال ما تقدم، يمكن القول أنَّ تقليص الإلتزامات الإستراتيجية في الشرق الأوسط تمثل بتخفيض التواجد الأميركي عسكرياً، بما تضمنه هذا التقليص من إنسحاب كامل من بعض البلدان مثل أفغانستان وجزئياً العراق وإعادة نشر الجنود وبأعداد أقل من السابق ضمن قواعد محددة والإحتفاظ بالعدد المقبول من الجنود الذي يسمح بالحفاظ على المصالح المتبقية. وإن إحدى أهم إفتراضات تقليص الإلتزامات هو عدم التورط في صراعات وحروب المنطقة، وهذا نابع من تراجع الأهمية الإستراتيجية للشرق الأوسط نتيجة التغيرات الجيوسياسية التي طرأت على العناصر التي كانت تمثل قيمة ومصلحة للولايات المتحدة مثل النفط وأمن إسرائيل وغيرها، ويمكن في الختام أن نخلص إلى بعض الإستنتاجات:

1. إن فكرة فك الإرتباط الجزئي قد إستحوذت على أذهان صناع القرار بعد سنوات من الممانعة في الإعتراف بأن ثمة حدود للقوة الأميركية، وأنَّ التراكمات السلبية التي خلفتها حربي أفغانستان والعراق كان لهما الأثر الأكبر في إرغام صناع القرار على إجراء مراجعة للسياسة الخارجية، سيما بعد عدم نجاح مشروع الترويج للديمقراطية أو إستخدام القوة العسكرية في فرضها.
2. يتضمن فك الإرتباط الجزئي من الناحية السياسية التخلي عن بعض الإلتزامات من قبيل نشر الديمقراطية والدفاع عن حقوق الإنسان والإبتعاد عن طروحات الإصلاح السياسي التي كانت تنادي بها إدارة (باراك أوباما)، مع الإحتفاظ ببعض الإلتزامات العسكرية، وبذلك يختلف فك الإرتباط الاستراتيجي عن الإنسحاب العسكري البريطاني كونه يستهدف تقليص الإلتزامات دون أن يعني التخلي كلياً عن الدور الأساس الذي أدته الولايات المتحدة.
3. أسهمت التغييرات الجيوسياسية والتحول في العلاقات الإقليمية إلى تراجع الأهمية النسبية للمصالح الأميركية التقليدية في المنطقة مثل النفط وأمن إسرائيل وهو ما زاد من الميل أكثر لتقليص الإلتزامات إزاء الشرق الأوسط.
4. تجد الولايات المتحدة نفسها في مواجهة معضلة تتمثل في تحقيق التوازن المطلوب ما بين توجيه تركيزها على منطقة جنوب شرق آسيا وما بين الإحتفاظ بتواجد عسكري محدود قد لا ينجح في حماية مصالحها المتبقية في الشرق الأوسط.
5. ستسعى الولايات المتحدة، ضمن إطار فك الإرتباط الجزئي وللحفاظ على التوازن المطلوب، إلى تحقيق إستقرار سياسي نسبي في الشرق الأوسط، وهي مسألة تعود بالنفع عليها على إعتبار أنَّ الأوضاع المضطربة تهدد مصالحها ما قد يستدعي تدخلاً عسكرياً، وهذا أمر لا تود الولايات المتحدة حالياً التورط فيه.

References

First: Books.

1. Stephen G. Brooks and William C. Wohlforth, *America Abroad: Why the Sole Superpower Should Not Pull Back from the World*, First Edition, Oxford University Press, UK, 2016.

Second: Articles.

1. Andrew J. Enterline and J. Michael Greig, Against All Odds? The History of Imposed Democracy and the Future of Iraq and Afghanistan, *Foreign Policy Analysis*, Volume (4), No (4), October 2008.
2. Brandon Friedman, US Engagement and Disengagement in the Middle East: Paradox and Perception, *Strategic Assessment*, Volume (24), No (1), January, 2021.
3. Christopher Layne, From Preponderance to Offshore Balancing: America's Future Grand Strategy, *International Security*, Volume (22), No (1), summer, 1997.
4. David M. McCourt, What was Britain's "East of Suez Role"? Reassessing the Withdrawal, 1964–1968, *Diplomacy & Statecraft*, Volume (20), No (3), November, 2009.
5. David Unger, The Foreign Policy Legacy of Barack Obama, *The International Spectator: Italian Journal of International Affairs*, Volume (51), No (4), 2016.
6. Derek Chollet, Jake Sullivan, Dimitri Simes and Mary Beth Long, U.S. Commitments in the Middle East: Advice to the Trump Administration, *Middle East Policy,* Volume (24), Issue (1), 2017.
7. Hugh Hanning, Britain East of Suez: Facts and Figures, *International Affairs*, Royal Institute of International Affairs, Volume (42), No (2), 1966.
8. Jonathan Rynhold, The Future of US - Israeli Relations, *Survival: Global Politics and Strategy*, Volume (63), Issue (5), September, 2021.
9. Kevin Marsh, "Leading from behind": neoclassical realism and operation Odyssey Dawn, *Defense & Security Analysis*, Volume (30), Issue (2), 2014.
10. Micah Zenko, US Military Policy in the Middle East: An Appraisal, Chatham House: The Royal Institute of International Af-

fairs, *Research Paper*, October, 2018.
11. Michael J. Totten, No Exit: Why the US Can't Leave the Middle East, *World Affairs*, Volume (176), No (4), November / December, 2013.
12. Mohammad Yaghi, What Drives President Biden's Middle East Policies And what are their Impacts on the Gulf States?, Konrad-Adenauer-Stiftung, *Policy Report*, No (22), May, 2021.
13. Samuel W. Lewis, The United States and Israel: Evolution of an Unwritten Alliance, *Middle East Journal*, Volume (53), No (3), Special Issue on Israel, Summer, 1999.
14. Stephen Biddle, Jeffrey A. Friedman, Jacob N. Shapiro, Testing the Surge: Why Did Violence Decline in Iraq in 2007?, *International Security*, Volume (37), Issue (1), Summer 2021.
15. Stephen G. Brooks, G. John Ikenberry and William C. Wohlforth, Don't Come Home, America: The Case against Retrenchment, *International Security*, Volume (37), No (3), Winter 2012 / 2013.

Third: Essays.

1. Aaron David Miller and Richard Sokolsky, The Middle East Just Doesn't Matter as Much Any Longer, *Politico Magazine*, September 3, 2020.
2. Aaron David Miller, Eugene Rumer and Richard Sokolsky, What Trump Actually Gets Right about Syria, Politico Magazine, october 18, 2019.
3. Andrew Gilmour, Rethinking U.S. Strategy in the Wider Middle East, *The National Interest*, October 17, 2021.
4. Charles L. Glaser and Rosemary A. Kelanic, Getting Out of the Gulf: Oil and US Military Strategy, *Foreign Affairs*, volume (96), No (1), January - February, 2017.
5. Chris Murphy, America's Middle East Policy Is Outdated and Dangerous: A New Approach to the Gulf States Needs a Better Foundation, *Foreign Affairs*, Volume (100), No (1), January -February 18, 2021.
6. Daniel Benaim and Jake Sullivan, America's Opportunity in the Middle East, *Foreign Affairs*, May 22, 2020.
7. Edward Luttwak, The middle of nowhere, *Prospect Magazine*, May 2007.

8. Exodus: chapter 41, Can Joe Biden get America out of the Middle East?, *The Economist*, March 3, 2021.
9. Hal Brands, Biden Can Leave Afghanistan but Not the Middle East, *Bloomberg*, August 26, 2021.
10. Hal Brands, Why America Can't Quit The Middle East, *The Caravan Magazine, Hoover Institution*, Issue 1921, March 21, 2019.
11. Hisham Melhem, America's Middle East Allies Are Free Riders No More, *New Lines Magazine,* April 21, 2021.
12. Hussein Ibish, Riyadh and Tehran are Both Put on Notice That Biden has a New Mideast Approach, *The Arab Gulf States Institute in Washington*, March 1, 2021.
13. John J. Mearsheimer and Stephen M. Walt, The Case for Offshore Balancing: A Superior U.S. Grand Strategy, *Foreign Affairs*, Volume (95), No (4), July – August, 2016.
14. Justin Logan, Why the Middle East Still Doesn't Matter, *Politico Magazine*, October 9, 2014.
15. Lawrence Wilkerson Col, Now That 'The Middle East Isn't Worth It Anymore: What Should the U.S. Do?, *Responsible Statecraft*, January 22, 2020.
16. Loren Thompson, What Happens When America No Longer Needs Middle East Oil?, *Fobes Magazine*, December 3, 2012.
17. Mara Karlin & Tamar Cofman Wittes, America's Middle East Purgatory: The Case for Doing Less, *Foreign Affairs*, January – February, 2019.
18. Mara Karlin & Tamar Cofman Wittes, Getting America out of Middle East purgatory, Brook*ings Institute*, December 11, 2018.
19. Martin Indyk, The Middle East Isn't Worth It Anymore, *The Wall Street Journal*, January 17, 2020.
20. Michael Young, Behavior Change: An interview with Joe Macaron, *Carnegie Middle East Center*, October 20, 2021.
21. Michael Young, Beirut 1958 and Its Lessons: An interview with Bruce Riedel, *Carnegie Middle East Center*, February 11, 2020.
22. Philip E. Auerswald, The Irrelevance of the Middle East, *The American Interest*, Volume (2), No (5), May – June, 2007.
23. Rex Brynen, Exploring US Engagement in the Middle East: A Crisis Simulation, *Atlantic Council: Issue Brief*, September 2016.
24. Robert A. Manning and Christopher Preble, Reality Check: Re-

thinking US military policy in the Greater Middle East, *Atlantic Council*, Reality Check Series, June 24, 2021.
25. Robert A. Manning, The Shale Revolution and The New Geo-politics of Energy, *Atlantic Council*, Washington, November, 2014.
26. Stephen M.Walt, It's Time to End the 'Special Relationship' With Israel, *Foreign Policy*, May 27, 2021.
27. Steven A, Cook, No Exit: Why the Middle East Still Matters to America, *Foreign Affairs*, November / December 2020.
28. Sydney Wise**,** The U.S.–Middle East Future: In the Face of Fatigue, *The Cairo Review of Global Affairs*, No (39), Fall 2020.
29. Uri Friedman, The Consequences of Donald Trump Washing His Hands of the Middle East, *The Atlantic*, October 24, 2019.
30. Walter Russell Mead, The Return of Geopolitics: The Revenge of the Revisionist Powers, *Foreign Affairs*, Volume (93), No (3), May – June, 2014.
31. William F. Wechsler, No, the US shouldn't withdraw from the Middle East, Atlantic Council, *Issue Brief Series*, June 24, 2021.

Fourth: Studies.

1. Alex Gray, The world's 10 biggest economies in 2017, *The World Economic Forum*, March 9, 2017.
2. Dylan Maguire, A Perfect Proxy? The United States–Syrian Democratic Forces Partnership, Virginia Tech School of Public and International Affairs: *PWP Conflict Studies*, 2020.
3. Hal Brands, The Limits of Offshore Balancing, *Strategic Studies Institute and U.S. Army War College Press*, USA, September 2015.
4. Mike Sweeney, A Plan for U.S withdrawal from Middle East, *Defence Priorties*, December 2020.
5. Neta C. Crawford, United States Budgetary Costs and Obligations of Post - 9/11 Wars through FY2020: $6.4 Trillion, *Watson Institute on International and Public Affairs*, Brown University, November 13, 2019.
6. The Long View: How will the global economic order change by 2050?, *Price Water House Coopers* (PWC), February 2017.

Fifth: Documents

1. U.S. energy facts explained, U.S. *Energy Information Administration* (EIA), May 14, 2021.
2. Oil and petroleum products explained: Oil imports and exports, U*.S. Energy Information Administration* (EIA), April 13, 2021.
3. The White House, National Strategy for Counterterrorism of The United States of America (NSCT), October 2018.
4. Department of Defence, DMDC Document, *DoD Personnel Reports*.

2. Sixth: Newspapers and Media.

1. Aaron David Miller and Richard Sokolsky, Leaving Syria Is Far Less Risky Than Staying, *NPR News*, January 19, 2019.
2. Afghanistan war: US-Taliban deal would see 5,400 troops withdraw, *BBC News*, September 3, 2019.
3. Afghanistan: How troops level changed over the course America's longest war, *USA Facts*, September 15, 2021.
4. Alistair Bell, Tom Perry, Obama warns Russia's Putin of 'quagmire' in Syria, *Reuters*, October 3, 2015.
5. Anshel Pfeffer, What America's Mideast Allies Can Learn From Afghanistan's Collapse, Haaretz, August 15, 2021.
6. Cheney Warns Disengagement in Mideast Benefits Iran, Russia, *VOA News*, December 9, 2019.
7. Fareed Zakaria, Ten years later, Islamist terrorism isn't the threat it used to be, *The Washington Post*, April 29, 2021.
8. Full text: Biden and Bennett's statements at the White House, *Times of Israel*, August 27, 2021.
9. Gordon Lubold and Nancy A. Youssef, Pentagon to Deploy Around 2,000 Additional Troops to Saudi Arabia, *The Wall Street Journal*, October 11, 2019.
10. Gordon Lubold and Warren P. Strobel, Biden Trimming Forces Sent to Mideast to Help Saudi Arabia, *The Wall Street Journal*, April 1, 2021.
11. Gordon Lubold, Nancy A. Youssef and Michael R. Gordon, U.S. Military to Withdraw Hundreds of Troops, Aircraft, Antimissile Batteries From Middle East, *The Wall Street Journal*, June 18, 2021.
12. How Many U.S. Troops Are in the Middle East?, U.S News, Jan-

uary 9, 2020.
13. Ishaan Tharoor, Biden carries forward a Trump-era Middle East policy, *The Washington Post*, October 13, 2021.
14. Ishaan Tharoor, The mirage of Trump's 'peace' deals, *The Washington Post*, September 15, 2020.
15. Japan and U.K. to begin talks on access agreement for joint military exercises, The Japan Times, September 28, 2021.
16. John Deutch, Time to Pull Out. And Not Just From Iraq, *The New York Times*, July 15, 2005.
17. Jonathan Lis, Bennett-Biden Meeting Revived Israel-U.S. Ties, but There Were No Dramatic Achievements, *Harretz*, August 29, 2021.
18. Lara Jakes and Eric Schmitt, Biden Reverses Trump Terrorist Designation for Houthis in Yemen, *The New York Times*, February 5, 2021.
19. Lolita C. Baldor, US pulls anti-missile systems from Saudi Arabia amid dispute, *Associated Press*, May 7, 2020.
20. Luis Martinez, US reducing troop size in Iraq to 3,000, *ABC News*, September 9, 2020.
21. Matt Spetalnick, Obama's Syria 'Red Line' Has Echoes in his Warning to Ukraine, *Reuters*, February 21, 2014,
22. Max Boot, Why winning and losing are irrelevant in Syria and Afghanistan, *The Washington Post*, January 30, 2019.
23. Paul Shinkman, Trump to Send 3,000 More Troops to Middle East Amid Iran Escalation, *US News*, January 3, 2020.
24. Rashaan Ayesh, Where U.S. troops and military assets are deployed in the Middle East, *Axios News*, January 8, 2020,
25. Stephen Blank, The consequences of US disengagement from the Middle East, *The Hill*, October 24, 2017.
26. Tara Copp, 26,000 US troops total in Iraq, Afghanistan and Syria: DoD reports, *Military Times*, November 27, 2017.
27. Walter Russell Mead, American Global Leadership Is in Retreat, *The Wall Street Journal*, September 13, 2021.
28. Yaroslav Trofimov, America Can't Escape the Middle East, *The Wall Street Journal*, October 25, 2019.

سَطْوَة المصالح الإقليميَّة والدَّوْلية على الوضع الجيواستراتيجي العراقي بعد انسحاب القوَّات الأميركية عام 2021

*أ.م.د.سماح مهدي صالح العلياوي

باحث من العراق

*جامعة الإمام جعفر الصادق (ع)/ قسم القانون

Samahmehdi2@gmail.com

ملخص :

يُعدُّ العراق محوراً للتطّلعات الجيواستراتيجية العالمية، كونه مرتكزاً طاقوياً ومواصلاتياً، ولاعباً مؤثراً في التفاهمات الإقليميّة، لذلك أخذت الولايات المتّحدة على عاتقها إعادة تركيب قواعد الهيمنة في الشّرق الأوسط بعد الانسحاب من أفغانستان بشكل كليّ مع الاحتفاظ ببعض التواجد في العراق، وترتيب خطوات السِّياسة الخليجية لإقامة علاقات جديدة مع العراق بما يتلاءم مع خطط السِّلام. وفي المقابل، فأن العراق عادَ بقوّة إلى عزم القيادات الروسية والصينية، والطموحات التوسّعية في المنطقة حيث أثبتت القِوى الإقليميّة تأثيرها في تحجيم النظام الأحادي القطبية، إذ تسعى إيران إلى تأكيد وجودها بما يعزّز أمنها القومي، ويدعم تواجد وديمومة حلفائها في المنطقة، وتذهب تركيا تُجَاه حسم الملف العراقي بما يؤكِّد طموحاتها للقيادة الإقليميّة، وتحجيم الدّور الكردي، ومكافحة حزب العمال الكوردستاني.

كلمات مفتاحية : العراق، الجيواستراتيجي، الولايات المتَّحدة ، روسيا والصين

The Ascendancy of Regional and International Interests on the Iraqi Geostrategic Situation After the Withdrawal of American Forces in 2021

Assistant professor Pd.D Samah Mahdi Salih Al–Elayawi

Researcher From Iraq

Teacher at the Law Department in Imam Jaaffar AL Sadiq University

ABSTRACT

Iraq is at the center of global geostrategic aspirations, as it is an energy and transportation hub, and an influential player in regional understandings. Therefore, the United States took it upon itself to restructure the bases of hegemony in the Middle East after with-

drawing from Afghanistan completely while retaining some presence in Iraq, and arranging Gulf policy steps to establish relations new deal with Iraq in line with peace plans. On the other hand, Iraq has strongly returned to the determination of the Russian and Chinese leaders, and the expansionist ambitions in the region, as regional powers have proven their influence in curbing the unipolar system. The Iraqi file confirming its ambitions for regional leadership, curtailing the Kurdish role, and combating the Kurdistan

Workers' Party

المقدمة

يُعدُّ العراق محوراً جيواستراتيجياً للتنافس الدَّوْلي، والتناقضات المتقاربة في بناء النظام العالمي الجديد القائم على تعدُّدية تعطي حيزاً للقِوى القادرة والراغبة في إعادة هيكلة المنظومة العالمية، والدُّوَل الساعية إلى تحقيق المصالح القارية، إذ تتمسُّك الولايات المتَّحدة بالقيادة الأحادية، ومنع هيكلة التوازنات القائمة على التعدُّدية بفعل تنامي النفوذ الرّوسي- الصيني على المستوى العالمي، ولذلك أخذت الدُّوَل القريبة من العراق جغرافياً وسياسياً تبحث عن تواجد حقيقي يخلق حالة تزاحم شديدة الخصوصية بين الأطراف من دون الوصول إلى مستوى من التصادم العلني، حيث تتذرع القِوى من تداعيات المشهد الأمني والسِّياسيّ العراقي، وإمكانية الانتقال إلى العمق الجيوبوليتيكي للدُّوَل الأخرى، ومن جانبه يفترض على العراق إعادة تأسيس النظام السِّياسيّ وفق مبدأ سيادة القانون وحماية المصالح القومية.

أهميَّة البحث

تنطلق أهميَّة البحث من تحديد طبيعة الأزمات العراقية المركبة، والتأثيرات الناتجة من حركة الأقطاب الإقليميَّة والدَّوْلية على الواقع الجيوسياسي العراقي في ظلّ التحركات الحكومية والشعبية العراقية المطالبة باخراج القوَّات الأميركية عام 2021، ممَّا يفرض نوعاً من التنافس وتضارب المصالح بين الأطراف المُتعدِّدة، والّذي يؤثر على استقرار العراق حسب اختلاف سلوك القِوى الفاعلة.

إشكالية البحث

يرتكز البحث على إشكالية مفادها: «**تأثير المصالح الإقليميَّة والدَّوْلية على الوضع الجيواستراتيجي العراقي بعد انسحاب القوَّات الأميركية عام 2021**»، إذ اثبتت التجارب العملية فشل الإستراتيجية الأميركية في تشكيل التحالفات الداخلية الكافية لإستمرار تواجد القوَّات الأميركية على الأراضي العراقية، ومن ثمَّ تتَّضح ملامح تنافس القِوى الإقليميَّة والدَّوْلية الّتي وجدت من انهيار مرتكزات النظام السِّياسيّ العراقي فرصة لإعادة المكتسبات المغيبة بفعل الاندفاعات الأميركية. وعليه تتَّضح

التساؤلات التالية، وهي:

- ما هو تأثير إعادة هيكلة التوازنات الإقليميَّة على الوضع العراقي؟
- ما هي التحركات العراقية وسط تضارب مصالح القِوى الدَّوْلية؟

فرضية البحث

إن سعي القِوى الإقليميَّة والدَّوْلية إلى إعادة هيكلة التوازنات جعل العراق في مواجهة التناقَضات السِّياسيَّة والإقتصادية للأقطاب الصاعدة، والقِوى العالمية التقليدية، وهو ما يحفِّز العراق نحو استعادة مكانته وتأثيره في إطار تلَك التوازنات عِبرَ بناء نظام سياسي ديمقراطي وتحقيق سيادة كاملة.

منهج البحث

أخذ البحث بالمنهج التاريخي لإعطاء خلفية عن مراحل تطوُّر بعض السِّياسات الإقليميَّة والدَّوْلية إزاء العراق. كما تمت الاستعانة بالمنهج التحليلي لإيضاح الغايات الإستراتيجية للقِوى ذات التأثير المباشر في الأزمة العراقية، وإمكانية استثمار العراق في مأسسة منظومة المصالح الأجنبية.

هيكليَّة البحث

إن هيكليَّة البحث اشتملت على المُلخص، والمُقدِّمة، والخاتمة، كما تضمَّنت مبحثين، إذ في المبحث الأول تضمن عنوان: «**تأثير إعادة هيكلة التوازنات الإقليميَّة على الواقع العراقي**». وتضمَّن المبحث الثاني عنوان: «**العراق بين الغايات الدَّوْلية المتضاربة وحماية المصالح العُليا**».

المبحث الأول

تأثير إعادة هيكلة التوازنات الإقليميَّة على الواقع العراقي

لقد أسهمت مجموعة من المُتغيِّرات الإقليميَّة في تقهقر أحادية النظام الدَّوْلي وتبدل مراكز القِوى الإقليميَّة، أهمُّها: موجة الحراك العربي عام 2010، وتفشي إرهاب ما يُسمَّى الدَّولة الإسلاميَّة في العراق والشام «داعش» عام 2014، الّذي تمكن من إسقاط أربعة محافظات في العراق وسورية، إلاَّ أنَّ ثباتهما وقدرتهما على صدَّ الهجمات الإرهابية أسقط العديد من المشاريع الغربية ذات الأدوات الإقليميَّة، وساهم في إعلان الولايات المتَّحدة سحب قواتها من العراق نهاية عام 2021، وقد برزت رؤى متناقضة لمراكز الثقل الإقليمي، خاصة دُوَل الخليج وتركيا وإيران، وهذه المراكز تأخذ من الوضع الجيوسياسي العراقي المربك وسطاً لتحقيق مصالحها، كونه لا يمتلك إستراتيجية ثابته أو واضحة للتعامل مع المحاور الإقليميَّة والدَّوْلية. وبناء عليه، سوف نقسِّم هذا المبحث على ثلاثة مطالب، هي: المطلب الأول، الإستراتيجية الخليجية في ضوء مقررات قمَّة العُلا. والمطلب الثاني، التوسُّع التركي بذريعة حماية المكتسبات الذاتية. والمطلب الثالث: الرؤية الإيرانية لحماية

برزت رؤى متناقضة لمراكز الثقل الإقليمي، خاصة دُوَل الخليج وتركيا وإيران

الأمن الإقليمي.

المطلب الأول: الإستراتيجية الخليجية في ضوء مقررات قمَّة العُلا

إنَّ السِّياسة الخارجية لدُوَل مجلس التعاون الخليجي تقوم على مسار تضعه الإدارات الأميركية، لكن التعامل مع العراق وضع دُوَل الخليج في متاهة الانقسام بين الولاء للولايات المتَّحدة الّتي أسقطت النظام العراقي عام 2003، وبين الميول للمجاهر بالخلفية الطائفية لتحجيم العلاقات مع العراق، والّتي عزَّزت الاختلالات الأمنيَّة وتفشي ظاهرة الإرهاب في العراق، لكن بعد أن طالت العديد من الدُّوَل الخليجية أبدى وزراء خارجية دُوَل الخليج استعدادهم للتعاون مع الإستراتيجية الأميركية عام 2007، والرامية إلى ضبط الأوضاع الأمنيَّة في العراق والحفاظ على وحدة العراق والحيلولة دون تقسيمه أو تفكيكه، خشية أن يمتد الانفلات الأمني إلى دولهم فضلاً عن صعوبة التعامل مع دولة مفككة أو ضعيفة[1].

وأصبحت الدُّوَل الخليجية تخشى من تقسيم العراق على أسس طائفية في ظلّ تزايد الحديث عن الفدرالية من جانب بعض القوى السِّياسيّة الّتي تتطلع نحو الانفصال ممَّا يؤدي إلى تقسيم العراق إلى دويلات عدَّة، والخوف من قيام دولة شيعية في الجنوب تحاكي المشاعر الإيرانية، ومن المُمكن أن تساهم في تنامي الدَّور الإيراني في الخليج، وتحفِّز الشيعة في الخليج على المطالبة بحقوق أكبر في الحكم[2]، كذلك التخوف من الأنموذج الديمقراطي الجديد في العراق بعد أن طالبتْ الولايات المتَّحدة من الدُّوَل الخليجية إجراء اصلاحات داخلية سياسيَّة وإقتصادية وإجتماعية، وانعكاس ذلك على تركيبة المجتمعات الخليجية، لأنَّ أنظمة الحكم في دُوَل الخليج لا زالت وراثية متخلفة في أسلوب تبادل السُّلطة، وتحدي الديمقراطية كونها شعارات أكثر ممَّا هي فعل سياسي حيث لم تسمح بشكل حقيقي للمشاركة الشعبية في رسم سياساتها، كما أنَّ معظم دُوَل الخليج تدرك أن المنظومة الأمنيَّة في الخليج تقوم على التعاون بين الأطراف، وأن أيّ اخلال في أيّ دولة خليجية يؤثر على هذه المنظومة بعد أن أصبحت عرضة لتفكُّك نظمها السُّلطوية وتغيير شامل للأنظمة الملكية في ضوء موجة التغيير الّتي طالت أغلب الأنظمة العربيَّة عام 2010.

أنَّ معظم دُوَل الخليج تدرك أن المنظومة الأمنيَّة في الخليج تقوم على التعاون بين الأطراف

وبإعلان الرئيس الأميركي «باراك أوباما» (Barack Obama) الانسحاب من العراق عام 2011، بدأت دُوَل الخليج تتلمس المصاعب المحتملة والمؤثرة، لذلك أعلنت بأن لديها الرغبة للقيام بدور إيجابي في الملفات العراقية العالقة، وأشار اجتماع القمَّة الخليجية الرابعة والثلاثون عام 2013، عن توجه سعودي لتشكيل اتِّحاد خليجي يقوم على ركيزتين، هما: العملة الموحدة، وزيادة عدد قوَّات درع الجزيرة، وقد كشفت فكرة الاتِّحاد عن التناقضات الخليجية حيث برزت ثلاثة محاور، هي: المحور المعتدل يضمُّ الكويت والإمارات وعُمان، ومحور الإخوان المسلمين بقيادة قطر، والمحور المتشدِّد يجمع السعودية والبحرين.

(1) جاسم يونس الحريري، العراق ودُوَل الخليج (المُتغيِّرات والمستقبل)، مجلة «دراسات دولية»، مركز الدراسات الإستراتيجية والدَّوْلية، جامعة بغداد، بغداد، العدد 33، نيسان/أبريل، 2007، ص91 – 93.

(2) موسى الحسيني، الطائفية في الوطن العربي: أسبابها ومظاهرها (العراق إنموذجاً)، شمس للنشر والإعلام، القاهرة، 2017، ص268.

وبعد أن تمكن تنظيم «**داعش**» من السَّيطرة على محافظات نينوى وصلاح الدين والأنبار في كانون الثاني/يناير 2014، الأمر الّذي دفع المجتمع الدَّوْلي للتحرك كون تأثير التنظيم الإرهابي مُتعدِّدة على مختلف دُوَل العالم، إذ يُعدُّ من التنظيمات العابرة للحدود، وله امتدادات وأصول عربيَّة وعالمية، وأن عدم معالجة تنظيم «**داعش**» على الأراضي العراقية يجعل دُوَل الخليج أمام تداعيات غير محتملة، فقد يسعى إلى خلق مجاميع عنقودي في مختلف الدُّوَل عبرَ التجنيد والإدارة عن بعد، لذلك سارعت دُوَل الخليج إلى عقد مؤتمر وزاري أكَّدَ على التنسيق الأمني العالي المستوى ضدَّ أيّ احتمالات، كما أعرب مجلس الوزراء السعودي في حزيران/يونيو 2014، عن قلقه من الأوضاع في العراق، وأكَّد على ضرورة الحفاظ على سيادة واستقلال العراق، ورفض التدخُّل الأجنبي في شؤونه الوطنيَّة[3].

وفي ظلّ انتقال العمليات الإرهابية إلى العالم الغربي على شكل تفجيرات، وعمليات قتل جَمَاعية عبرَ تكتُّلات مغلقة ذاتية التنظيم، أصدر قرار مجلس الأمن الدَّوْلي المرقَّم (2178) في أيلول/سبتمبر 2014، وتضمَّن حثَّ الدُّوَل الأعضاء على منع وقمع تجنيد أو تنظيم أو نقل أو تجهيز المقاتلين الإرهابيين، كذلك منع وقمع تمويل أو سفر هؤلاء الأفراد، وتوسيع نطاق الالتزامات بموجب القانون الدَّوْلي، وتعزيز آليات التعاون الإقليمي والإجراءات الدَّوْلية[4]، وبغية تحقيق التوازن العسكري في المنطقة سارعت الولايات المتَّحدة إلى تشكيل وقيادة ما يُسمَّى «**التحالف الدَّوْلي**» لمكافحة «**داعش**» في أيلول/سبتمبر 2014. وسرعان ما حدثت مُتغيِّرات مصيرية أسهمت في إعادة نهوض هيكلة العملية السِّياسيَّة والقوَّات المسلّحة العراقية، إذ بموجب فتوى من المرجع الشيعي السيد «علي السيستاني» تشكلت فصائل باسم «**الحشد الشعبي**» للردع والقضاء على تنظيم «**داعش**» في حزيران/يونيو 2014، ثمَّ قدَّمت إيران كافَّة المتطلّبات اللّوجستية والعسكرية إلى القوَّات العراقية، وقد توسَّع التعاون بين روسيا، وإيران، والعراق، وسورية من خلال «**مركز التنسيق المعلوماتي**» أو «**غرفة عمليات بغداد**» الرباعية ضدَّ الإرهاب في تشرين الأول/أكتوبر 2015[5].

تشكلت فصائل باسم "الحشد الشعبي" للردع والقضاء على تنظيم "داعش" في حزيران/ يونيو 2014

وأمام مشاركة الولايات المتَّحدة في محاربة «**داعش**» أصبحت دُوَل الخليج ملزمة في المشاركة بالتحالف الدَّوْلي، إذ عملت على مراجعة التشريعات لإصدار قوانين تمنع جمع الأموال للإرهابيين، ومراقبة أنشطة الجمعيات الخيرية، وسحب الجنسية ممن يشتبه في تورطهم في الإرهاب، والتعامل مع التمويل والتجنيد، وأطلقت الإمارات مركز «**صواب**» لمكافحة الدعاية والتجنيد لتنظيم «**داعش**»، كما تستضيف مركز «هدايا» لمكافحة التطرُّف العنيف، وشكَّلت الكويت وحدة استخبارات مالية مخصصَة للتحقيق في الأنشطة غير المشروعة، وقد ترأست السعودية بالشراكة مع الولايات المتَّحدة وإيطاليا «**الفرقة العاملة**» الّتي تركز على الجهود الرامية لمكافحة التمويل، وقدمت السعودية وقطر تسهيلات للطَّلعات الجوية الأميركية في المنطقة

(3) صافيناز محمد أحمد، المواقف العربيَّة من الأزمـة العراقية، مجلة «السِّياسة الدَّوْلية»، مؤسَّسة الأهرام، القاهرة، السنة الخمسون، المجلَّد 49، العدد 198، تشرين الأول/أكتوبر، 2014، ص152.

(4) Shimels Sisay Belete, The Right to Liberty and Security versus Counter4) –)Terrorism under international law, Publiqation Academic Publishing Press, Frankfurt, 2018, P. 116.

(5) نضال حمادة، خفايا وأسـرار داعش (من عمامة أسامة بن لادن إلى قبعة صدام حسين)، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، 2015، ص17.

من قاعدة السيلية العسكرية، وقاعدة العضيد الجوية، وقاعدة عريفجان العسكرية.

وحينما تمكنت القوّات العراقية من تحرير الأراضي المحتلة كافة، فقد إفتضحت النوايا الأميركية في حقيقة القضاء على التنظيمات الإرهابية في سورية والعراق، واستعمالهم أدوات لإرهاب المنطقة، وهي ذريعة الحملة الانتخابية للرئيس الأميركي «دونالد ترامب» **(Donald Trump)** عام 2017، وهنا أجبرت الولايات المتَّحدة الدُّوَل الخليجية على دفع الأموال، والدخول في اتِّفاقيات أمنيَّة ثنائية تحت ذريعة اختلال التوازن الإقليمي لمصلحة الملف النووي الإيراني، وبسبب ما وصفته دُوَل الخليج بعدم التزام الدوحة بمقررات مجلس التعاون الخليجي سحبت كلٌّ من السعودية، البحرين، الإمارات، مصر، وموريتانيا سفرائها من قطر في حزيران/يونيو 2017، وأغلقت المجالات الجوية والمنافذ البرية والبحرية مع الدوحة. وأبدى الرئيس الأميركي السابق «دونالد ترامب» رغبته في إعادة هيكلة منظومة العلاقات الخليجية – الخليجية، ودعم العلاقات الخليجية – الإسرائيليَّة ضمن خطَّة المستشار «جاريد كوشنر» **(Jared Kushner)**، وعلى هذا الأساس بادرت الإمارات إلى عقد اتِّفاقية سلام مع إسرائيل، في آب/أغسطس 2020، وبحسب وصف الرئيس الأميركي أنه اتِّفاق سيسهمُّ في دفع عملية السَّلام في الشَّرق الأوسط، كما وقَّعت البحرين وإسرائيل اتِّفاقية سلام في أيلول/سبتمبر 2020، كذلك وقَّعت السودان وإسرائيل على اتِّفاقية سلام في أيلول/سبتمبر 2020، وأيضاً التحقت المغرب بركب التطبيع بعد توقيع اتِّفاقية سلام مع إسرائيل في كانون الأول/ديسمبر 2020[6].

إفتضحت النوايا الأميركية في حقيقة القضاء على التنظيمات الإرهابية في سورية والعراق

وبعد خسائر الإستراتيجية الأميركية في الشَّرق الأوسط وضع الرئيس الأميركي الجديد «جو بايدن» **(Joe Biden)** عام 2021، خطَّة جديدة تقوم على سحب القوّات الأميركية من بؤر التوتُّر الإقليميَّة خاصة أفغانستان والعراق، والاعتماد على الحلفاء الإقليميّين في إداء بعض المهام، فقد تغيِّرت معادلة التوازن الإقليمي لأنَّ الولايات المتَّحدة لم تُعدُّ الفاعل الوحيد الأقوى في معادلة القوى الدَّوْلية، والطرف الّذي يحدَّد شكل ونوع التوازن الإقليمي، وإنَّما مجرد شريك مع فواعل روسية وصينية وإيرانية، وأن تحقيق المكاسب الأمنيَّة الخليجية لم يُعدُّ مرتبطاً بقرارات الإدارة الأميركية، وعلى هذا الأساس تمكَّنت الولايات المتَّحدة من دفع السعودية إلى إعادة الدوحة إلى الحاضنة الخليجية خلال قمَّة «**العُلا**» الّتي جمعت قادة دُوَل مجلس التعاون لدُوَل الخليج العربيَّة في 5 كانون الثاني/يناير 2021، وتضمَّن بيان القمَّة استكمال مُقوِّمات الوحدة الإقتصادية، والمنظومتين الدفاعية والأمنيَّة المشتركة، وبلورة سياسيَّة خارجية موحدة، واستكمال متطلبات الاتِّحاد الجمركي والسُّوق الخليجية المشتركة، وتنمية القدرات التقنية في الأجهزة الحكومية، والاستفادة من أدوات مُتقدِّمة للتعاون في إطار مجموعة العشرين،

تغيّرت معادلة التوازن الإقليمي لأنَّ الولايات المتَّحدة لم تُعدُّ الفاعل الوحيد الأقوى في معادلة القوى الدَّوْلية

(6) محسن محمد صالح وربيع محمد الدنان ووائل عبد الله وهبة، اليوميات الفلسطينية لسنة 2020، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، 2020، ص383.

وتفعيل دور المركز الخليجي للوقاية من الأمراض ومكافحتها[7]. لكن الأهداف غير المُعلنة لقمَّة «**العُلا**» تكمن في التوجُّه الأميركي لأبعاد قطر عن القوى الإقليميَّة المُناهضة لعملية التطبيع؛ بمعنى أبعاد قطر عن تركيا وإيران، وبناء منظومة عربيَّة جديدة تراعي المصالح الإسرائيليَّة بعيداً عن المحاولات الشعبوية والمقاومات الوطنيَّة، ناهيك عن الرغبة الأميركية في إيجاد أدوات ردع خليجية لمُنافسة النفوذ الإيراني في اليمن وسورية والعراق ولبنان.

أن الدَّور الوظيفي للدُّوَل الخليجية في العراق يرتبط بالهواجس الأمنيَّة، واختلال توازن القِوى الإقليميَّة

يتَّضح ممَّا سبق أن الدَّور الوظيفي للدُّوَل الخليجية في العراق يرتبط بالهواجس الأمنيَّة، واختلال توازن القوى الإقليميَّة، وأصبح يركز على محاولة جر العراق إلى عملية السَّلام المزعوم مع إسرائيل، ممَّا يضع النظام العراقي أمام مواجهات جمة تستعدي الحذر والدقة في التعامل مع الأطراف الخليجية.

(7) Marwan Kabalan, The Al – Ula GCC Summit: An End to Gulf Rivalry or Just Another Truce?, magazine "Insight Turkey: Geopolitics in The Eastern Mediterranean", Ankara, Vol. 23, No. 1, Winter, 2021, P. 53 – 55.

المطلب الثاني: التوسُّع التركي بذريعة حماية المكتسبات الذاتية

انطلقت المشاريع التركية الكُبْرَى إزاء العراق مع وصول حزب العدالة والتنمية التركي بقيادة «رجب طيب أردوغان» في تشرين الثاني/نوفمبر 2002، فقد وضع وزير الخارجية التركي «أحمد داود أوغلو» نظريَّة «العمق الإستراتيجي» **(strategic depth)** أو «تصفير المشكلات، الّتي تفرض الوصول السِّلمي الفعّال في الأقاليم المُتعدِّدة عن طريق إقامة علاقات إقليميَّة تقوم على الاحترام، الحوار، والتعاون، وحلِّ الخلافات بالطرق السِّلمية، واستيعاب التنوع العرقي والدِّيني[8]، لكنها واجهت تحدٍّ القيام بدور الموازنة الإقليميَّة بسبب عدم وفرة الخيارات، والقدرات الاستمرارية، وتعقد القضايا، وهذه الإستراتيجية مثَّلت مبادئ حكومة حزب العدالة والتنمية التركي، وليست مبادئ إستراتيجية راسخة.

(8) أحمد داوود أوغلو، العمق الإستراتيجي: موقع تركيا ودورها في السَّاحة الدَّوْلية، ترجمة: محمد جابر ثلجي وطارق عبد الجليل، الطّبعة الثانية، الدَّار العربيَّة للعلوم ناشرون، بيروت، 2011، ص121 – 141.

لكنَّ الحكومة التركية أضافت خمسة مبادئ، هي: **الأول**، التوازن السَّليم بين الحريَّة والأمن، و**الثاني**، التأثير في الإقليم الداخلي والخارجي من خلال تصفير النزاعات وبدأ التحوُّل عبرَ إجراءات حُسنُ الجوار، و**الثالث**، السِّياسة الخارجية المُتعدِّدة الأبعاد، و**الرابع**، الدبلوماسيَّة المتناغمة للانتقال من السِّياسة الجامدة والمكوِّن الدبلوماسي إلى الحركة الدائمة والتواصل مع كل دُوَل العالم المهمَّة، و**الخامس**، تجنُّب القطيعة أو الجفاء مع الولايات المتَّحدة والاتِّحاد الأوروبي في مرحلة الابتعاد التدريجي عن موقع التابع[9].

وضعت تركيا على الولايات المتَّحدة قبل احتلال العراق عام 2003، ما سُمِّي "الخطوط الحمراء

لقد وضعت تركيا على الولايات المتَّحدة قبل احتلال العراق عام 2003، ما سُمِّي «**الخطوط الحمراء**»، وهي: عدم ضمِّ مدينتي كركوك والموصل إلى إقليم كوردستان، وعدم السَّماح لقوَّات البيشمركة الكُردية بالدخول إليهما، والدفاع عن حقوق الأقلية التركمانية، لأنَّ الاحتلال قد يسهمُّ في تعزيز الجبهة الكردية في شمال العراق في الجهة المجاورة لأكراد تركيا في الجنوب، ويقوِّض المصالح

(9) بولنت آراس وآخـرون، التحوُّل التركي تُجَاه المنطقة العربيَّة، مركز دراسـات الشَّرق الأوسـط، عمّان، 2012، ص21 – 23.

الإقتصادية القادمة من العراق[10]، فقد شكل إقليم كوردستان العراق أحدى العوامل المهمَّة الّتي أسهمت في رسم طبيعة العلاقات العراقية – التركية، فأنقرة تخشى من وجود إقليم كوردستاني يتمتع بالحكم الذاتي في شمال العراق يقوي التطُّلعات القومية للكورد في تركيا، كما تشعر تركيا بالقلق من حزب العمال الكوردستاني، وتعدُّه تهديداً لأمنها وسلامة أراضيها، إذ يستعمل الأراضي العراقية ملاذاً آمناً لشن هجمات ضدَّ تركيا، لذلك سعت إلى بناء مستوى عالٍ من التعاون والتنسيق الأمني والإستخباراتي مع العراق، وردت بالعديد من العمليات العسكرية داخل الأراضي العراقية[11] وركزت تركيا بعد دخول القوَّات الأميركية عام 2003، على بقاء العراق دولة مركزية موحدة قوية تجمع كافة الطوائف والقوميات، لذلك دعمت تركيا الحكومة في بغداد، وقد انتقدت مراراً حكومة أربيل لعدم اتخاذها إجراءات كافية لمنع حزب العمال الكوردستاني.

(10) خليل العناني، كركوك... مدينة على حافة الانفجار، مجلة «السِّياسة الدَّوْلية»، مؤسَّسة الأهرام، القاهرة، السنة الثالثة والأربـعـون، المجلَّد 42، العدد 169، تموز/يوليو، 2007، ص174 – 177.

شكل إقليم كوردستان العراق أحدى العوامل المهمَّة الّتي أسهمت في رسم طبيعة العلاقات العراقية – التركية

(11)William Hale, Turkey, the US and Iraq: Middle East Issues, Saqi Press, London, 2007, P. 65 – 79.

لكن الرؤية التركية إزاء الواقع الكردي أخذت منحىً أكثر واقعية تراعي المصالح الإقتصادية مع الإشارة إلى احترام العراق وسيادته الإقليميَّة، حيث التحوُّل من إستراتيجية التوازن بين بغداد وأربيل إلى إستراتيجية تفضيل التعاون مع أربيل كون الحكومة العراقية وقفت عاجزة أمام ردع حزب العمال الكوردستاني ومكافحة الإرهاب نتيجة لعدم الاستقرار الأمني والفراغ السِّياسيّ، فقد قام مجلس الأمن القومي التركي بعقد اجتماعات رفيعة المستوى مع المسؤولين في حكومة إقليم كوردستان عام 2007، توجت بأول زيارة لوزير الخارجية التركي «أحمد داود أوغلو» إلى أربيل عام ٢٠٠٨، **وقد تعهد رئيس حكومة الإقليم «مسعود برزاني» بالتعاون مع تركيا لمواجهة حزب العمال الكوردستاني الذي شنّ هجوماً بقنبلة على خط الأنابيب** «كركوك – يومورتاليك»، ولعلَّ هذا التغيير في السِّياسة الخارجية التركية دفع رئيس الوزراء العراقي السابق «نوري المالكي» إلى اعتباره تدخُّلاً غير مقبول في شؤون العراق الداخلية[12]، وبرزت مؤشرات خطيرة تدّل على تراجع العلاقات العراقية – التركية حيث تدهورت على المستوى الدبلوماسي والأمني، إذ سعت تركيا إلى تقليص حصة العراق وسورية من مياه نهري دجلة والفرات ممَّا خلق أزمة بيئية وإجتماعية في العراق، كما استثمرت تركيا الخلافات بين بغداد وأربيل حول ملف الطَّاقة حيث عقدت حكومة الإقليم عقداً مع شركة «إكسون موبيل» **(Exxon Mobil)** في تشرين الأول/أكتوبر 2011، منحت بموجبه أثنين من ستة حقول في المناطق المتنازع عليها في محافظة كركوك، وكانت الشركات التركية من بين الشركات الّتي استثمرت في هذه الحقول.

سعت تركيا إلى تقليص حصة العراق وسورية من مياه نهري دجلة والفرات ممَّا خلق أزمة بيئية وإجتماعية في العراق

(12) Stephen Larrabee and Gonul Tol, Turkey's Kurdish Challenge, magazine "Survival Global Politics and Strategy", Washington, Vol. 53, No. 4, August, 2011, P. 143 – 152.

وأخذت العلاقات الثنائية بين تركيا والعراق جانباً سلبياً بعد صدور مذكرة اعتقال من الحكومة العراقية بحقّ نائب الرئيس العراقي الأسبق «طارق الهاشمي» في كانون الأول/ديسمبر 2011، والّذي غادر إلى تركيا الّتي رفضت تنفيذ أمر الاعتقال، فقد

أكَّد الرئيس التركي «رجب طيب أردوغان»، قائلاً: «**نرفض تسليم الهاشمي ما دام يريد البقاء في بلدنا، ولن نُسلِّمه إلى العراق أبداً**»، لذلك عبَّر رئيس الوزراء العراقي الأسبق «نوري المالكي» خلال مقابلة له مع صحيفة «وول ستريت جورنال» (**Wall Street Journal**)، قائلاً: «**نحن نرحِّب بالعلاقات الإقتصادية مع أنقرة، ونحاول دعْمها بشتى السبل، لكن في الوقت نفسه نرفض التدخُّل التركي في الشؤون الداخلية، عبرَ دعم أنقرة لشخصيات وكُتَل سياسية عراقيَّة**»[13]، ثمَّ أعلنت الحكومة العراقية امتعاضها من الزيارة المفاجئة لوزير الخارجية التركي «أحمد داود أوغلو» إلى مدينة كركوك في آب/أغسطس 2012، وهي رسالة ذات دلالات اعتبارية لدّعم المكوِّن التركماني في كركوك، واعتبرت وزارة الخارجية العراقية هذه الزيارة خرقاً للأعراف والتقاليد الدبلوماسيَّة، وانتهاكاً للأراضي العراقية، وتجاوزاً خطراً على سيادة العراق، محملة إقليم كوردستاني المسؤولية. لذلك رفضت الحكومة العراقية السَّماح لطائرة وزير الطَّاقة التركي «تانر يلدز» في كانون الأول/ ديسمبر 2012، بالهبوط في مطار أربيل ممَّا خلق أزمة دبلوماسيَّة بين البلدين.

(13) أحمد محمد وهبان، السِّياسة الخارجية التركية تُجَاه منطقة الشَّرق الأوسط: صراع الهويَّة والبرجماتية والمبادئ الكمالية، الجمعية السعودية للعلوم السِّياسيَّة، الرياض، 2013، ص18 – 21.

ونتيجة للبراغماتية التركية بدأ النظام السِّياسيّ العراقي يفقد الثقة بالنوايا التركية

ونتيجة للبراغماتية التركية بدأ النظام السِّياسيّ العراقي يفقد الثقة بالنوايا التركية، خاصة بعد أن أشارت التحركات التركية إلى وجود علاقات سرية بين أنقرة و«**داعش**»، لذلك ظهرت مشاعر الاستياء الرسمي والشعبي في العراق تُجَاه تركيا الّتي بدأت باستيراد النفط من إقليم كوردستان من دون موافقة الحكومة المركزية في بغداد، إذ تصدر أربيل حوالى (٤٠٠.٠٠٠) ألف برميل يومياً إلى تركيا عام 2014، ومع أن الطرفين بغداد وأربيل توصل إلى اتِّفاق في كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٤، يقضي بقيام حكومة الإقليم بتسليم (٥٥٠) ألف برميل كل يوم إلى «شركة تسويق النفط العراقية» (**SOMO Oil**)، وفي المقابل يحصل الإقليم على (١٧) من الميزانية العراقية العامة[14] إلاَّ أن الاتِّفاق لم ينفذ إلاَّ جزئياً من كلا الطرفين، ممَّا سمح للتدخُّل التركي المباشر، واستثمار ورقة الطَّاقة في إدارة حكومَة إقليم كوردستان.

واستغلت القوَّات التركية سقوط المحافظات الغربية العراقية بيد "داعش" كذلك القيادة الأميركية لما يُسمَّى "التحالف الدُّولي" لمكافحة "داعش"

(14) group of authors, Iraq: Selected Issues, International Monetary Fund Press, Washington DC, 2015, P. 9.

واستغلت القوَّات التركية سقوط المحافظات الغربية العراقية بيد «**داعش**» كذلك القيادة الأميركية لما يُسمَّى «**التحالف الدُّوْلي**» لمكافحة «**داعش**» في أيلول/سبتمبر 2014، للقيام بعمليات تدخُّل برية في الأراضي العراقية عام 2015، لا سيّما في محافظة دهوك، وقد عبَّر الشَّعب العراقي عن رفضه لهذا التدخُّل من خلال المظاهرات والتصريحات الرسمية الّتي أدانت توغُّل القوُّات التركية في الأراضي العراقية، ودعت أنقرة الى وقف انتهاكاتها المتكررة لسِّيادة العراق، والانسحاب الفوري للقوَّات التركية الّتي تنفذ مشروعاً للعثمانية الجديدة في المنطقة. وفي المقابل فأن التعهدات الكردية لم تكن كفيلة بردع حزب العمال الكوردستاني الّذي

استأنف عملياته ضدَّ الأنابيب النَّفطية المتوجه من العراق إلى تركيا، وخاصة بعد أن تمكن تنظيم «**داعش**» من فرض سيطرته على مساحات واسعة من العراق وسورية وبدأ مرحلة البناء الذاتي بعيداً عن تأثير الأحزاب الإخوانية في المنطقة، لهذا أعادتْ تركيا حساباتها الإستراتيجية الأمنيَّة لأن ضعف المؤسَّسات الأمنيَّة خلق حالة من الفراغ في سورية والعراق أتاحت للقوى الغربية التدخُّل في هاتين الدولتين، لذلك تجسد بالتحوُّل إلى التعاون وتطوير العلاقات مع الحكومة المركزية في العراق لردع التهديدات، إذ إن الولايات المتَّحدة سعت لتهدئة الدَّوَلتين بهدف تعزيز المصالح الأميركية، وهو ما يؤكِّد بأنَّ العلاقات الثنائية في ظلّ الدَّور الأميركي كانت خاضعة لمشهدين، هما: الأول، مشهد استمرار العلاقات بين العراق وتركيا القائمة على الشد والجذب، والثاني، مشهد تطوُّر العلاقات بين العراق وتركيا القائمة على إيجاد حلول مناسبة للملفات العالقة تحت المظَّلة الأميركية.

وبعد أن تمكَّنت القوَّات العراقية من تحرير الأراضي من تنظيم «**داعش**» في كانون الأول/ديسمبر 2017، وإعلان الولايات المتَّحدة سحب قواتها العسكرية من العراق نهاية عام 2021، فأن تركيا تطرح بدائل إستراتيجية جديدة تقوم على تعزيز القواعد العسكرية في المناطقة الحدودية مع العراق، فقد أشار وزير الداخلية التركي «سليمان صويلو» في أيار/مايو 2021، خلال اجتماع لحزب العدالة والتنمية التركي أن أنقرة سوف تمضي قُدماً في عملياتها العسكرية بالقرب من حدودها في إقليم كوردستان العراق مشيراً إلى أن مدينة «**متينا**» في محافظة دهوك هي طريق إلى «**قنديل**» معقل حزب العمال الكوردستاني، كما تفقد وزير الدفاع التركي «خلوصي أكار» إحدى القواعد التركية في إقليم كوردستان العراق، برفقة قائد القوَّات البرية ورئيس هيئة الأركان العامة، وهو ما يؤكِّد استمرار تركيا في التدخُّل القائم على عدم احترام السِّيادة العراقية، وأن المُتغيِّرات الأمنيَّة هي الحاكم الأساسي لطبيعة العلاقات التركية – العراقية في المستقبل.

أن المُتغيِّرات الأمنيَّة هي الحاكم الأساسي لطبيعة العلاقات التركية – العراقية في المستقبل

المطلب الثالث: الرؤية الإيرانية لحماية الأمن الإقليمي

تتمتَّع إيران بأهميَّة جيوبوليتيكية مُتعدِّدة الأوجه، فمن الناحية الجغرافية تمتد من مضيق هرمز حتى حدود الاتِّحاد السُّوفياتي سابقاً، وهذه المساحة مثَّلت خطورة إقتصادية حيث تمتلك إيران كميات جيدة من النفط والغاز، وقاعدة صناعية، ودرجة مُتقدِّمة من الإمكانات النووية، ومن الناحية السِّياسيَّة تمتلك ثقل إستراتيجي في أزمات الشَّرق الأوسط، خاصة حضورها الهام في الصِّراع العربي- الإسرائيلي عبرَ دعم حركة حماس وحزب الله، وهو ما ساعد إيران في إيجاد أذرع قوية في فلسطين، سورية، العراق، لبنان، اليمن، ودول الخليج. فعندما قام الحكام العرب برهن المصالح الوطنيَّة للمطالب الأجنبية، فإن إيران عملت على تشكيل الهويَّة الوطنيَّة على أسس الإسلام السِّياسيّ، وحينما حاولت الدُّوَل الغربية استغلال موارد إيران فإن الهويَّة الإسلاميَّة للشَّعب الإيراني ودفاعه عن بلاده ضدَّ الهيمنة الأجنبية

أصبحت السمَة المميزة في الصِّراع الغربي- الإيراني في بداية القرن الحادي والعشرين [15].

لقد وضعت إيران ثوابت ضمَّن إستراتيجية الأمن القومي، وهي: المحافظة على السِّيادة والنظام الإسلامي الإيراني، وتوسيع النفوذ الإيراني بما يحقِّق المصالح العُليا، ويدعم الشَّعوب المضطهدة، والدفاع عن الطموحات النووية السِّلمية الإيرانية، وضمان أن لا تكون دُوَل الجوار قاعدة تخدم المصالح الأميركية، لذلك تطلعت إيران إلى رسم إستراتيجية جديدة للأمن القومي في الخليج العربي إذ ترى إيران أن مسألة الأمن هي مسؤولية الدُّوَل الواقعة على شواطئه، وأن أيّ ترتيبات أمنيَّة في المنطقة يجب أن تشمل إيران، وضرورة أبعاد القوى الأجنبية عن مجال قضايا الأمن في الخليج، كون القوَّات الأميركية والأطلسية تمارس عمليات ابتلاع للمنطقة على مقربة من مناطق النفوذ الإيرانية، إذ تعتقد طهران أن دُوَل الإقليم هي المعنية في رسم السِّياسات المدروسة بضمان الأمن الجَمَاعي، لهذا ترفض إيران سياسة القوَّة الأميركية، وهي تحاول أن تكون البديل القوي الّذي يملا الفراغ بعيداً عن الوجود الغربي [16].

وضعت إيران ثوابت ضمَّن إستراتيجية الأمن القومي، وهي: المحافظة على السِّيادة والنظام الإسلامي الإيراني، وتوسيع النفوذ الإيراني بما يحقّق المصالح العُليا، ويدعم الشَّعوب المضطهدة

وقد واجهت إيران تغيُّرات النظام الإقليمي بعد احتلال العراق عام 2003، من خلال إستراتيجية طويلة المدى عرفت باسم «**20 سنة رؤية وطنيَّة**» أو «**إيران 2025**»، والّتي صادق عليها المرشد الأعلى للثَّورة الإسلاميَّة «علي خامنئي» في تشرين الثاني/نوفمبر 2003، وحدَّدت الوثيقة تحويل إيران إلى دولة مُتقدِّمة عبرَ حيازة الموقع الإقتصادي والعلمي والتقني الأول في جنوب غرب آسيا، وتحقيق مكانة القوَّة المركزية في الشَّرق الأوسط، وجنوب غرب آسيا، وأن تكون صاحبة دور مؤثر في العلاقات الدَّوْلية [17]. لذلك استخدم الملك الأردني «عبد الله الثاني بن الحسين» مُصطلح «**الهلال الشيعي**» أثناء زيارته للولايات المتَّحدة في كانون الأول/ديسمبر 2004، عبرَ فيه عن تخوفه من وصول حكومة عراقية متعاونة مع إيران، ونظام حزب البعث في دمشق لإنشاء هلال يكون تحت نفوذ الشيعة يمتد إلى لبنان.

واجهت إيران تغيُّرات النظام الإقليمي بعد احتلال العراق عام 2003

وأصبح العراق مسرحاً للتنافس الأميركي- الإيراني والخليجي- الإيراني، إذ تمكَّنت الولايات المتَّحدة من فرض هيمنتها على الأراضي العراقية، لذلك بدأت إيران تبحث عن وسائل كفيلة لتشكل قوَّة ردع ضدَّ التوسُّع الأميركي، إذ تنظر إيران إلى العراق من خلال الروابط الجغرافية والدِّينيَّة التي تؤسِّس للعلاقات الثنائية من زاويتين، هما: الزاوية الإقتصادية الّتي تقوم على ضرورة تطوير العلاقات الإيرانية – العراقية التجارية والإقتصادية، والزاوية السِّياسيَّة والأمنيَّة حيث ترى طهران أن بغداد باتت منطقة تضارب للمصالح بين الدُّوَل الكُبْرَى بحكم الواقع الجيواستراتيجي

(15) Kenneth M. Pollack, Securing the Gulf, magazine "Foreign affairs", Council on Foreign Relations, New York, Vol. 82. no. 4, July – August, 2003, P. 8.

(16) رياض الراوي، البرنامج النووي الإيراني وأثـره على منطقة الشّرق الأوسـط، الأوائـل للنشر والتوزيع، عمّان، 2006، ص108.

(17) شام داوود الغنجة، العامل المذهبي ودوره في توجيه السِّياسة الخارجية الإيرانية تُجَاه العراق 2003 – 2013، مركز الكتاب الأكاديمي، عمّان، 2016، ص29.

العراقي المتميز، وعليه بدأت إيران تدعم الفصائل المقاومة ضدَّ الاحتلال، كما دعمت بناء عملية سياسيَّة تضمُّ كل الأطراف العراقية، لذلك تعزَّزت العلاقات البينية بشكل مضطرد على الصعيدين الإقتصادي والسِّياسيّ[18]. وذهبت تقديرات السِّياسة الإيرانية إلى توسيع قائمة الأهداف الخارجية، وبناء شبكة من العلاقات مع أطراف مختلفة في المنطقة، وتوسيع نفوذها ومحاولة تكريسه عبرَ الانغماس في الدفاع عن شؤون الدُّوَل الضعيفة من خلال تَشكيل ودعم تنظيمات عقائدية مسلّحة من دُوَل المنطقة بما يتماشى مع تطلُّعاتها لتأكيد وجودها الإقليمي، وتبوء المكانة الدَّوْلية الّتي تسعى إليها، وترى إيران أن الاحتلال الأميركي أرسى نظام الطائفة في العراق، وأن التنوع الأثني يمثل معطى لاستقرار طويل الأمد، وأن عراقاً مستقلاً فيه استقرار وحكومة تشاركية هي أهداف تخدم كلٌّ من العراق وإيران لضمان الأمن الإقليمي، ويضع حدِّ للتدخُّل العسكري الأميركي.

وترى إيران أن الاحتلال الأميركي أرسى نظام الطائفة في العراق

لذلك فإن الولايات المتَّحدة وبدعم من اللّوبي الصَّهيوني وجدت من الضروري مواجهة إيران عبرَ استغلال الملف النووي والتهديد بالقوَّة العسكرية، إذ سعى الرئيس الأميركي السابق «جورج دبليو. بوش» **(George W. Bush)** عام 2007، إلى تشكيل تحالف مُناهض لإيران يضمُّ أعضاء في مجلس التعاون الخليجي ومصر والأردن، ومنع إيران من استخدام أغلاق مضيق هرمز الإستراتيجي، ونشر منظومة الدرع الصاروخي في تركيا، فضلاً عن وعود الرئيس الأميركي «باراك أوباما» لرئيس الوزراء الإسرائيلي «بنيامين نتانياهو» **(Benjamin Netanya-hu)** خلال زيارته إلى واشنطن في آذار/مارس ٢٠١٢، بتزويد القوَّات الإسرائيليَّة بالوسائل اللازمة لتنفيذ هجمات ضدَّ المواقع النووية الإيرانية على شكل طائرات.

الولايات المتَّحدة وبدعم من اللّوبي الصَّهيوني وجدت من الضروري مواجهة إيران عبرَ استغلال الملف النووي والتهديد بالقوَّة العسكرية

وأصبح التنافس الإيراني- الخليجي في العراق واضحاً حيث تضمَّن البيان الختامي لقمَّة مجلس التعاون الخليجي الثالثة والثلاثون في كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٢، اتهام إيران بالتدخُّل في سياسة دُوَل الخليج العربيَّة من خلال التحريض على الاحتجاجات، لذلك أشار المتحدث باسم وزارة الخارجية الإيرانية «رامين مهمان پرست» قائلاً: «**تنصل دُوَل المنطقة من مسؤولية المشكلات الداخلية هي أحدى وسائل للهروب من الواقع**»[19].

وتورعت الولايات المتَّحدة عن استعمال القوَّة العسكرية ضدَّ إيران، لأنَّ الحرب ستكون باهظة وغير متكافئة وغير منتظمة حيث تعتمد إيران على قصف إسرائيل وغلق مضيق هرمز، وتحريك خلاياها في العراق، سورية، اليمن، ولبنان، وسوف تستخدم القوَّة الصاروخية لضرب الأهداف الأميركية، ومهاجمة المنشأة الساحلية البحرية، ممَّا يؤدي خسائر في البُنية النَّفطية والإقتصادية في المنطقة، إذ يهدِّد الإيرانيون بعمليات رشق بالصواريخ حيث يقيمون تدريبات واستعراضات عسكرية في الخليج من أجل التلويح بقدراتهم الصاروخية، كما وسعت إيران من مجالات

(18) نظام بركات وآخرون، مشاريع التغيير في المنطقة العربيَّة ومستقبلها، مركز دراسات الشَّرق الأوسط، عمّان، 2012، ص404 – 406.

(19) جاسم يونس الحريري، التنافس الإقليمي والدَّوْلي في العراق وانعكاساته على علاقاته الخارجية بعد الاحتلال الأميركي، دار الجنان للنشر والتوزيع، عمّان، 2016، ص75.

العمل والتأثير في التنافس ضدَّ الولايات المتَّحدة الّذي أمتد إلى المراكز الحيوية في الشَّرق الأوسط وشمال إفريقيا وآسيا الوسطى والجنوبية[20].

لكن التغيُّرات الإقليميَّة في الشَّرق الأوسط، خاصة تمدُّد الإرهاب والفوضى الّتي عصفت في سورية والعراق واليمن بوجود «**داعش**» عام 2014، دفعت إيران إلى تقديم الدّعم العسكري واللّوجستي للقوّات السورية والعراقية والحوثيين في اليمن، وحينما وجدت الرياض أن الدَّور الإيراني توسَّع شكَّلت ما يُسمَّى «**التحالف العربي**» تحت ذريعة إرجاع الشَّرعية في اليمن في آذار/مارس 2015، لكن المجتمع الدَّوْلي وجد الظروف مواتية حيث توصلت إيران والدُّوَل الدائمة العضوية في مجلس الأمن وألمانيا إلى اتِّفاق باسم «**خطَّة العمل الشاملة المشتركة**» في تموز/يوليو 2015، وتضمَّن رفع العقوبات الّتي فرضتها أوروبا والولايات المتَّحدة على إيران، وفرض قيود على البرنامج النووي الإيراني طويلة المدى مع استمرار تخصيب اليورانيوم بنسبة (67,3) بالمئة، وخفض عدد أجهزة الطرد المركزي بمقدار الثلثين، والتخلص من (98) بالمئة من اليورانيوم الإيراني المخصب مع عدم تصدير الوقود الذري في السنوات المقبلة[21]، وعدم بناء مفاعلات تعمل بالماء الثقيل، وعدم نقل المعدات من منشأة نووية إلى أخرى لمدة (15) عاما، مقابل ذلك يتمُّ الإفراج عن أرصدة وأصول إيران المجمدة، ورفع الحظر عن الطيران الإيراني، وعن البنك المركزي والشركات النَّفطية والمؤسَّسات والشخصيات، وفتح باب التعاون مع إيران في مجالات الطَّاقة والتِكْنُولُوجيا، وقد وصفت إسرائيل هذا الاتِّفاق بـ«الخطأ الإستراتيجي» **(strategic error)**[22].

ودفعت الولايات المتَّحدة كلٌّ من المملكة العربيَّة السعودية، مصر، والإمارات العربيَّة المتَّحدة، وحركات المعارضة الوطنيَّة والمدنية في المنطقة بما فيها إيران إلى تشكيل «**محور الاعتدال العربي**» أو «محور التضامن العربي» **(Arab Soli-darity Axis)** في كانون الأول/ديسمبر 2015، ضدَّ «محور المُمانعة» **(axis of resistance)** الّذي يضمُّ سورية، إيران، قطر، حركة حماس، وحزب الله في المنطقة، كما شكَّلت السعودية «**التحالف الإسلامي العسكري لمحاربة الإرهاب**» في كانون الأول/ديسمبر 2015[23]، وترى إيران أن التحركات السعودية موجهة ضدَّ حلفاء طهران، بهدف زج محور المقاومة والدفاع عن إسرائيل، وقد كانت المقاربة الأميركية تُجَاه العلاقات العراقية – الإيرانية متأثرة بالمواقف الخليجية، خاصة موقف السعودية الّذي ينطلق من أسس طائفية ضيقة قائمة على ديمومة حالة عدم الاستقرار الأمني.

وترى إيران أن التحركات السعودية موجهة ضدَّ حلفاء طهران، بهدف زج محور المقاومة والدفاع عن إسرائيل

وجاء التصعيد الملحوظ في خطاب الرئيس الأميركي السابق «دونالد ترامب» ضدَّ إيران عام 2017، الّتي عدها دولة راعية للإرهاب في المنطقة، ثمَّ أعلن انسحاب الولايات المتَّحدة من الاتِّفاق النووي، وفرض عقوبات سياسيَّة وإقتصادية، وقدر ربط الرئيس الأميركي «دونالد ترامب» بين الملف النووي وبين

(20) للمزيد يُنظر: عبادة محمد التامر، سياسة الولايات المتَّحدة وإدارة الأزمـات الدَّوْلية (إيـران، العراق، سورية، لبنان إنموذجاً)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السِّياسات، الدوحة، 2015، ص122.

(21) Michele Gerli, Beyond Nuclear Ambiguity. The Iranian Nuclear Crisis and the Joint Comprehensive Plan of Action, Firenze University Press, Italy, 2019, P. 68 – 70.

(22) Alan M. Dershowitz, Defending Israel: The Story of My Relationship with My Most Challenging Client, All Points Books, New York, 2019, P. 35.

(23) مـصـطـفـى بـكـري، خاشقجي أم المملكة: الحقيقة الغائبة، سما للنشر والتوزيع، الكويت، 2019، ص163.

تطوُّر الأوضاع في الخليج والشَّرق الأوسط، قائلاً: «**إن هذا النظام غذى العنف الطائفي في العراق، والحروب الأهلية.. في اليمن وسورية... وأن الاتِّفاق النووي أعطى للنظام وفرة مالية ...مكنت الحكومة من استخدامها في تمويل الإرهاب... وأن اتِّفاق إيران كان يفترض أن يسهمُّ في تعزيز السِّلم والأمن الإقليمي والدَّوْلي.. وبينما تتمسُّك الولايات المتَّحدة بالتزاماتها بموجب الاتِّفاق، فإن النظام الإيراني مستمر في تغذية الصِّراعات الإرهـاب والاضطراب والفوضى في كل الشَّرق الأوسط**»[24].

(24) Transcript of Trump Speech on Iran Nuclear Deal, Office of the Press Secretary, Washington DC, October 13, 2017, P. 5.

وأصبح التعامل الأميركي أكثر صرامة فيما يتعلق بالعقوبات الإقتصادية والمالية والمصرفية الّتي تتعلق بالحرس الثوري وبعض كبار المسؤولين الإيرانيين، والّتي وصلت ذروتها في بغداد باغتيال مهندس الإستراتيجية الإيرانية الجنرال «قاسم سليماني»، ونائب رئيس هيئة الحشد الشعبي في العراق «جمال جعفر آل إبراهيم» المُلقب «أبو مهدي المهندس» في كانون الثاني/يناير 2020، وعلى الرغم من الانتقادات للولايات المتَّحدة حول الطريقة والمكان والهدف الّذي اختارته، وعدم تطابقه مع قواعد القانون الدَّوْلي، لكن وزير الخارجية الأميركي «مايك بومبيو» **(Michael Pompeo)** علق قائلاً: «**أنها تأتي في إطار إستراتيجية أوسع لردع التحدِّيات من قبل أعداء الولايات المتَّحدة... وأنه استهدف لأنه كان يُعدُّ لهجوم وشيك على الممتلكات الأميركية**»[25]، ممَّا يعكس قلق الولايات المتَّحدة وخشيتها من استمرار إيران بالتوسَّع في استراتيجيتها، ومن أهم مظاهر تطوُّر الصِّراع بين الولايات المتَّحدة وإيران على السَّاحة العراقية تصويت مجلس النواب العراقي على قرار لإنهاء الوجود العسكري في العراق، وإنهاء العمل بالاتفاقية الأمنيَّة مع قوَّات التحالف الدَّوْلي ضدَّ «**داعش**»، والزام القوَّات الأجنبية بالانسحاب من العراق.

(25) Humeyra Pamuk and Jonathan Landay, Pompeo says Soleimani killing part of new strategy to deter U.S. foes, Reuters News, Washington DC, January 14, 2020, P. 6.

وتمكن رئيس الوزراء العراقي «مصطفى الكاظمي» من جمع الطرفين المتناقضين السعودي والإيراني على طاولة مفاوضات واحدة في مؤتمر قمَّة بغداد لدُّوَل الجوار في آب/أغسطس 2021، بمشاركة الدُّوَل دائمة العضوية في مجلس الأمن الدَّوْلي وممثلين عن الاتِّحاد الأوروبي ودُوَل العشرين بصفة مراقبين، بغية الخروج بتفاهمات منطقية تبعد العراق عن الصِّراعات، حيث أشار المتحدث باسم مؤتمر القمَّة «نزار الخير الله» بأن المؤتمر ليس لمساعدة العراق بل هو للتعاون والشراكة، وهذا شيء مهم لبناء مصالح مشتركة توجه الحكومة ينصب حول بناء الاستقرار والشراكة الاستثمارية وجلب رؤوس الأموال إلى العراق، وهي محاولة موضوعية بهدف إعادة الثقة بالدَّور العراقي المرتكز على سياسة التوازن أو حامل الميزان الإستراتيجي، وقدرة بغداد على أن لا تكون منطلقاً للاعتداء على جيرانها.

العلاقات العراقية – الإيرانية ترتبط بمجموعة من المُتغيِّرات السِّياسيَّة، الأمنيَّة، الدّيموغرافية، والاقتصادية

يتَّضح بأن العلاقات العراقية – الإيرانية ترتبط بمجموعة من المُتغيِّرات السِّياسيَّة، الأمنيَّة، الدّيموغرافية، والاقتصادي، حيث تحركت إيران لتحقيق المصالح العُليا

بوصفها دولة محاطة في بيئة إقليميَّة قلقة، وبيئة عالمية غير متوازنة، كما أنَّ الأزمة العراقية هي أزمة مركبة إقليميَّة ودولية، ليس لانخراط القطب الأميركي فحسب، بل لكونها اختباراً للنظام الدَّوْلي المُتعدِّد الأقطاب، وأن إيران لا ترى العراق مساحة آمنة بعد الانسحاب الأميركي، لأنَّ إدارة الرئيس الأميركي «جو بايدن» لا تختلف عن غيرها من الإدارات الأميركية في التعامل مع القضايا الإستراتيجية، وتدرك إيران أن النفوذ الأميركي لا يزال قائماً بتوجُّهات غير عسكرية بعد الانسحاب، وأن التنافس الإستراتيجي مع إيران سوف يستمر في التكاثف، إذ إعادة واشنطن علاقاتها مع العراق من خلال الاستمرار الدبلوماسي، الاستشاري، العسكري، وبرامج تدريب القوَّات العراقية، ولعلَّ تلك التطوُّرات وغيرها عكست تأزم العلاقة الأميركية – الإيرانية إلى حدٍّ لا يخلو من مخاطر الانزلاق في مواجهة ثنائية يكون العراق ساحة لها مهما كان حجمها وشكلها وطبيعتها.

التغيُّرات الّتي صاحبت موجة التغيير في المنطقة العربيَّة كانت ذات تأثير مباشر على مراكز توزيع القِوى العالمية

المبحث الثاني

العراق بين الغايات الدَّوْلية المتضاربة وحماية المصالح العُليا

إنَّ العراق يمثِّل ركيزة إستراتيجية للقوى الدَّوْلية التقليدية والصاعدة، إذ عملت الولايات المتَّحدة منذُ تفجير برجَي التِّجارة العالمية على احتلال العراق، وهدم العديد من البُنى المؤسَّسية، وتدمير الكثير من الثوابت الإستراتيجية في خطوة لإعادة هيكلة النظام العراقي وفق المفاهيم البراغماتية الأميركية الّتي جعلت من العراق ساحة لتصفير العلاقات الغربية مع القوى الآسيوية المُناهضة للهيمنة الأحادية، حيث انتشار التَّشدُّد والإرهاب الّذي بسطَ نفوذه على مناطقة شاسعة من العراق، وفي المقابل فإن التغيُّرات الّتي صاحبت موجة التغيير في المنطقة العربيَّة كانت ذات تأثير مباشر على مراكز توزيع القوى العالمية، إذ تدخَّلت روسيا والصين في العديد من الملفات العراقية، وهي خطَوة لتأكيد تراجع الدَّور المنفرد للقيادة الأميركية، وظهور التنافس العلني بين الأقطاب الدَّوْلية وبين البحث عن المصالح الوطنيَّة العراقية. وبناء عليه، سوف نقسِّم هذا المبحث على مطلبين، هما: المطلب الأول، الانسحاب التكتيكي في الإستراتيجية الأميركية المرنة. والمطلب الثاني، التحركات الروسية – الصينية إزاء العراق.

المطلب الأول: الانسحاب التكتيكي في الإستراتيجية الأميركية المرنة

حينما تمكَّنت القوَّات الأنجلو- أميركية من احتلال بغداد في 9 نيسان/أبريل 2003، تمَّ تكليف الجنرال «جي غارنر» **(Jay Garner)** بإدارة الشؤون العراقية، وشرعن مجلس الأمن الدَّوْلي وجود القوَّات على الأراضي العراقية بأنَّه احتلال بالقرار المرقَّم (1483) في 22 أيار/مايو 2003، لذلك أعلنت قوَّات الاحتلال عن تشكيل سلطة التحالف المؤقتة بقيادة الحاكم المدني «بول بريمر» **(Paul**

.(Bremer

وجرى تغييب واسع لقوى الأمن بعد تفكيكها، وتدمير ملايين المعدات العسكرية وجعلها خارج المنظومة الردعية العراقية بموجب قرار سلطة الاحتلال المرقَّم (2) في أيار/مايو 2003، ورافق ذلك فوضى أمنيَّة وانتشار موجات من القتل والتهجير، وفساد إداري، وانهيار ونهب مُبرمَج للمؤسَّسات جرت تحت مرأى قوّات الاحتلال خلافاً للقانون الدَّوْلي، وطبقاً لنظريَّة «**الفوضى الخلاقة**»[26]، واستشرافاً لمستقبل تبنى هيكلته وفق مدرسة «**المحافظين الجُدُد**»، لأن حلِّ وزارة الدفاع خلق فراغاً في الحياة الأمنيَّة والإجتماعيَّة، كما تمَّت صياغة دستور أصبح العراق بسببه غريباً عن ذاته، وبعيداً عن محيطه. وجرت عملية انتقال إقتصادي مفاجئ بتحويل الإقتصاد الّذي تقوده الدَّولة المركزية إلى اقتصاد حرّ يعتمد آليات السُّوق وفق نظرية «**العلاج بالصدمة**» من دون النظر إلى المُعوِّقات الداخلية والخارجية، فقد لعبت «**الوكالة الأميركية للتنمية الدَّوْلية المستقلَّة**» دور في احتكار مشاريع إعادة إعمار العراق، وتوزيع العقود، وتخصيص قطاعات معيَّنة إلى الشركات الأميركية مثل شركة «هاليبرتون» ((**Halliburton**.

(26)Peter W. Galbraith, The End Of Iraq: How American Incompetence Created Awar Without End, Simon and Schuster Press, New York,2006 , P. 119.

تمَّت صياغة دستور أصبح العراق بسببه غريباً عن ذاته، وبعيداً عن محيطه

وحدَّد تقرير وزارتي الخارجية والدفاع المقدم إلى الرئيس الأميركي «جورج دبليو. بوش» في كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٣، الوجود العسكري المستقبلي في العراق لقضايا جوهرية، هي: أنْ تسهمُّ الولايات المتَّحدة بشكل مباشر في تحديد معالم النظام السِّياسيّ المستقبلي في العراق بما يضمن وجود أصدقاء في مراكز مهمَّة. وعدم التسرع في سحب القوّات من المدن والقصبات والتمركز في مواقع بعيدة عنها لكي لا تكون أهدافاً سهلة. والابقاء على الوجود العسكري في العراق يضمن النفوذ الأمريكي. وربط العراق بشبكة من العلاقات القائمة على اتفاقيات دولية تشمل الجوانب النَّفطية والتجارية الأمنيَّة والدفاعية وانشاء قواعد عسكرية دائمة. وتوسيع السفارة الأميركية وجعلها الحكومة الخفية للعراق[27].

وابتدعت الولايات المتَّحدة سياسة المُحاصصة الطائفية، واتَّخذت خطوات نحو تفكيك الهياكل الإدارية، وتشكيل مجلس الحكم على أساس طائفي- عرقي

(27) ضاري رشيد الياسين، «مستقبل الوجود العسكري الأميركي في العراق»، احتلال العراق وتداعياته عربياً وإقليمياً ودولياً، بإشراف أحمد يوسف أحمد وآخرون، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية الّتي نظمها مركز دراسات الوحدة العربيَّة، مركز دراسات الوحدة العربيَّة، بيروت، 2004، ص280.

وابتدعت الولايات المتَّحدة سياسة المُحاصصة الطائفية، واتَّخذت خطوات نحو تفكيك الهياكل الإدارية، وتشكيل مجلس الحكم على أساس طائفي- عرقي، إذ أدَّى إلى زيادة الاحتقان الطبقي، كما قدم نائب وزير الدفاع الأميركي «بول وولفويتز»(**Paul Wolfowitz**) مشروعاً إلى البنتاغون لإعادة بناء الجيش العراقي باسم «**المشروع الأمني لمكافحة الإرهاب**» بغية انقاذ الجنود الأميركيين ممّا يُوصَف بـ«**العمليات الإرهابية**»، وعدم الدَّفع بهم إلاَّ في المهام الأمنيَّة القصوى، وبسبب انتشار العنف الطائفي عام 2006، بدأ الترويج بقوَّة لمخطَّط التقسيم على اعتباره السبيل إلى عزل الفصائل المُتناحرة[28]، لذلك فرضت الحكومة العراقية ما يُسمَّى «**خطَّة فرض القانون**» وتشكيل ما يُسمَّى «**مجالس الصحوات**» عام 2007، ووسط

(28) ديفيد ريستون، «بغداد على طريق التقسيم الطائفي»: الجحيم الأميركي في العراق، التخبط الأيديولوجي الأميركي والمقاومة والحرب الأهلية في العراق، بإشراف مجموعة مؤلفين، الجزء الثالث، ترجمة: مها سلمان سعود، النايا للدراسات والنشر، الرياض، 2007، ص256.

تفكيك الهويَّة الوطنيَّة وتنامي الهويات الجانبية، وفشل الإدارة الأميركية في تحقيق النصر صوَّت مجلس الشيوخ الأميركي على مشروع قرار لتقسيم العراق عام 2007، قدَّمه رئيس لجنة العلاقات الخارجيَّة بمجلس الشيوخ «جوزيف بايدن» **(Joseph Biden)**، ورئيس مجلس العلاقات الخارجيَّة بواشنطن «ليزلي جليب» **(Leslie Gelb)**.

إن إرباك النُخَب السياسيَّة العراقية خلال مدة الاحتلال، جعل المواطن لا يشعر بهويَّته الوطنيَّة الواحدة ما اضطره إلى الركون إلى المكوِّنات الجزئية، وتحت وطأة السيولة السياسيَّة الجارفة انتعش الانتماءين الطائفي والمناطقي، وباتت الهويات الفرعية طاغية على الهويَّة الوطنيَّة، فأنقسم السياسيون داخل الحكومة وأجهزة الدَّولة العراقية تحت مسميات طائفيَّة وعرقيَّة، وحدث نزوح مثير نحو الانتماء العشائري. لكن القيادات العراقية الوطنيَّة وجدت من الضروري أن تتفق الأطراف العربيَّة والكردية والسنية والشيعية على صيغة موحدة لإعادة بناء العراق، لأنَّ الدَّولة هي التجسيد القانوني والناظم لوحدة الوطن عن طريق ثلاثة أساليب، هي: **الأول**، بناء جيش له مكانة إقليميَّة من حيث تسريع وتيرة التسليح والتجهيز بالمعدات الحديثة، إذ أبرمت عدَّة صفقات تسليح، وبناء منظومة جوية توازي مثيلاتها في دُوَل الجوار. و**الثاني**، إعادة بناء علاقة العراق مع دُوَل الجوار الإقليمي وحسم الملفات الّتي تعكر صفو التفاهمات. و**الثالث**، زيادة الزخم الحكومي والجماهيري على القوَّات الأميركية للخروج من العراق على اعتباره دولة مستقلة ذات سيادة.

إن إرباك النُخَب السياسيَّة العراقية خلال مدة الاحتلال، جعل المواطن لا يشعر بهويَّته الوطنيَّة الواحدة ما اضطره إلى الركون إلى المكوِّنات الجزئية

لذلك تحركت الولايات المتَّحدة عبرَ تجاهين، هما: **الأول**، هيكلة أضخم سفارة في العالم على الأراضي العراقية بكَلفة تصل إلى (600) مليون دولار يعمل فيها أكثر من (4000) موظفاً، وقد وضعت الإدارة الأميركية لهذه السفارة ميزانية تفوُّق ميزانية دولة نامية، وهي أكبر موازنة لسفارة في التاريخ الدبلوماسي، وتُعدُّ إدارة مُتقدِّمة أو بيت أبيض مصغر خارج الحدود الأميركية، وهي أشبه بدولة قائمة بذاتها إلى جانب الدَّولة العراقية تديرها وتمسُّك بقراراتها، لأنَّها تضم المجمع الصِّناعي العسكري «**البنتاغون والشركات المُتعدِّدة الجنسيات**»، وقد بدأت السفارة بتوسيع برامجها حيث أنشأت مكاتب استشارية وغرفة عمليات خاصة. ولعلَّ جوهر القوَّة العسكرية الأميركية في مطلع العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين يقوم على تقوية عناصر القوَّة من خلال استثمار تناقضات البيئة الدَّوْلية، وتعزيز فجوة الإمكانات العسكرية مع القوى المُنافسة بغية عدم السَّماح للقوى الصاعدة باحتلال مراتب دولية تفوُّق المكانة الأميركية، والاعتماد على الحروبَ الرقمية والمعلومات الاستخباراتية، وأن وجود سفارة بهذا الكم من الدبلوماسيين[29] والموظفين، والمساحة المترامية الأطراف، وعشرات الشركات الأمنيَّة المتعاقدة على حمايتها، والمزودة بالأسلحة المتطوِّرة والتِكْنُولُوجيا العالية يحتم اعتبار الانسحاب صورياً

(29) عبد علي كاظم المعموري، أميركا من الهزيمة الإستراتيجية إلى المناورة التكتيكية، مجلة «حمورابي»، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية، بغداد، السنة الأولى، العدد 1، كانون الثاني/يناير، 2012، ص10.

واستعمال السفارة لعمليات استخباراتية، وهذا يعني استمرار الاحتلال حيث ينتقل شكلياً بتغيير المسميات، ولا يستطيع الاصطلاح اللّغوي أن يخفف من صورة الحضور الاستعماري الأميركي في العراق بشكل غير مباشر.

أمَّا الاتِّجاه الثاني، **يتضمَّن عقد الاتِّفاقية الأمنيَّة العراقية – الأميركية عام 2008، واشتملت على الكثير من المواد الّتي تحسب للولايات المتَّحدة ضدَّ العراق، أهمُّها: إن المادة (3) تشير بأن** «يلتزم أفراد قوّات الولايات المتَّحدة وأفراد العنصر المدني بواجب احترام القوانين»، **ومن المُمكن أن تحترم القوّات الأميركية القوانين لكنها غير ملزمة. كما أشارت الفقرة (5) المادة (4) بأن** «يحتفظ الطرفان بحق الدفاع الشَّرعي عن النفس داخل العراق كما هو معرف في القانون الدَّوْلي النافذ»؛ **بمعنى أن من حقّ القوّات الأميركية أن تقوم بعمليات استباقية أو وقائية ضدَّ أيّ جهة معارضة للوجود الأميركي تحت ذريعة الدفاع الشَّرعي. ثمَّ أكدت المادة (10) بأن** «لقوّات الولايات المتَّحدة أن تختار المتعاقدين، وأن تبرم عقوداً بموجب القانون الأميركي لشراء المواد والخدمات في العراق، ويشمل ذلك خدمات أعمال البناء والتشييد»، **ممَّا يدّل بأن الجانب الأميركي يمتلك صلاحية مُطلقة في اختيار شركات ربما تكون مرفوضة من الجانب العراقي مثل الشركات الإسرائيليَّة وهو نوع من التطبيع غير الظاهر. وقد أعطت المادة (12) الولاية القضائية على القوّات الأميركية للولايات المتَّحدة حصراً، وباتت قواتها محصنة من القوانين العراقية، خاصة مقاضاة العسكريين والمدنيين الأميركيين سواء من حملة الجنسية الأميركية أم غيرها**[30].

عقد الاتِّفاقية الأمنيَّة العراقية – الأميركية عام 2008، واشتملت على الكثير من المواد الّتي تحسب للولايات المتَّحدة ضدَّ العراق

(30) خيري عبد الرازق جاسم وعادل حمزة عثمان وستار جبار الجابري، الاتِّفاقية العراقية – الأميركية: تحليل ونقد، مركز العراق للدراسات، بغداد، 2009، ص21 – 24.

وإعفاء القوّات الأميركية من الضرائب، إذ نصت المادة (16) بأن «لا تُفرض أية ضرائب أو رسوم أو جبايات، على السُّلع والخدمات الّتي يتمُّ شراؤها في العراق من قِبَل قوّات الولايات المتَّحدة أو بالنيابة عنها لأغراض الاستخدام الرسمي». **فضلاً عن تهميش السِّيادة العراقية في القضايا الأمنيَّة ذات الحساسية، إذ أكدت الفقرة (5) المادة (19) بأن** «يخضع البريد المرسل عن طريق خدمات البريد العسكرية إلى تصديق سلطات الولايات المتَّحدة، ويُعفى من التفتيش والبحث والمصادرة من جانب السُّلطات العراقية»، **وأشارت الفقرة (2) المادة (27) أن** «يوافق الطرفان على الاستمرار في تعاونهما الوثيق في تعزيز وإدامة المؤسَّسات العسكرية والأمنيَّة والمؤسَّسات السِّياسيَّة الديمقراطية في العراق، بما في ذلك – وفق ما قد يتفقان عليه – التعاون في تدريب وتجهيز وتسليح قوّات الأمن العراقية، من أجل مكافحة الإرهاب المحلي والدَّوْلي والجماعات الخارجة عن القانون، بناء على طلب من الحكومة العراقية»[31].

أصبح العراق قاعدة لانطلاق العمليات الأميركية ضدَّ دُوَل الجوار بذريعة مكافحة الإرهاب

(31) فؤاد قاسم الأمير، آراء وملاحظات حول الاتِّفاقية الأمنيَّة المقترحة بين العراق والولايات المتَّحدة، الغد، بغداد، 2008، ص234.

وبهذا أصبح العراق قاعدة لانطلاق العمليات الأميركية ضدَّ دُوَل الجوار بذريعة مكافحة الإرهاب، وهذه الاتِّفاقية أعطت للولايات المتَّحدة القدرة على الالتفاف

على أحكام القانون الدَّوْلي المتضمَّن تحمل المسؤولية القانونية والأخلاقية عن النتائج التخريبية والاجرامية الناجمة عن احتلال العراق، والتهرب من مطالبة الضحايا والمتضررين، وإخراج العراق من دائرة المواجهة العربيَّة – الإسرائيليَّة.

أمَّا اتِّفاق الإطار الإستراتيجي لعلاقة صداقة وتعاون بين جمهورية العراق والولايات المتَّحدة الأميركية عام 2008، تضمَّنت الديباجة المادة (1) «إذ تؤكدان الرغبة الصادقة لبلديهما في إقامة علاقة تعاون وصداقة طويلة الأمد استناداً إلى مبدأ المساواة في السِّيادة والحقوق والمبادئ الواردة في ميثاق الأمم المتَّحدة والمصالح المشتركة لكليهما»، **لكن عقد هذه الاتِّفاقية جرى في ظروف استثنائية حيث لا تزال القوَّات الأميركية متواجدة على الأراضي العراقية؛ بمعنى أن السِّيادة العراقية حينها منتهكة بحكم الاحتلال. كما أشارت أغلب مواد الاتِّفاقية خاصة القسم الثاني المادة (1) أن** «تستند علاقة الصداقة والتعاون إلى الاحترام المتبادل، والمبادئ والمعايير المعترف بها للقانون الدَّوْلي، وإلى تلبية الالتزامات الدولية، ومبدأ عدم التدخُّل في الشؤون الداخلية، ورفض استخدام العنف لتسوية الخلافات»، **لكن التحركات العملية في الأساس لدّعم النظام السِّياسي وحماية المؤسَّسات الدستورية من المخاطر الداخلية والخارجية يتطلب تدخُّلاً مباشراً من قِبَل القوَّات الأميركية**[32].

أنَّ النماذج الإقتصادية الجديدة مطلع العقد الثاني من القرن العشرين خلقت حالة من التنافس الدَّوْلي بين الصين وروسيا

(32) فراس محمد أحمد الجحيشي، التوازنات الإستراتيجية الجديدة في ضوء بيئة أمنيَّة مُتغيِّرة، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عـمّـان، 2015، ص240، 241.

وقد أكَّد القسم الخامس على بناء اقتصاد مزدهر ومتنوع ومتنام في العراق، ومندمج في النظام الإقتصادي العالمي ومؤسَّساته، إلاَّ أنَّ النماذج الإقتصادية الجديدة مطلع العقد الثاني من القرن العشرين خلقت حالة من التنافس الدَّوْلي بين الصين وروسيا، من جهة، وبين الولايات المتَّحدة والدُّوَل الغربية، من جهة أخرى، لذلك فأن العراق سيكون ساحة للتنازع الإقتصادي بين الأقطاب الدَّوْلية الصاعدة في سلم الأولويات الإقتصادية للبحث عن موارد اقتصادية أو منافذ تصديرية أو أسواق استهلاكية، وبهذا ستكون اتِّفاقية الإطار الإستراتيجي أداة للولايات المتَّحدة لمواجهة التطُّلعات السِّياسيَّة الّتي تتقاطع مع المصالح الأميركية أو التحكم بمفاصل العملية السِّياسيَّة، فضلاً عن التحدِّيات الّتي ستواجه الحكومة العراقية والحرج في حماية مجتمعها ومواطنيها من مخاطر الاندماج مع دولة تحتل المرتبة الأولى في درجة التقدُّم والانفتاح، مقابل دولة ما زالت تتكأ على ركام الحروب والإرهاب والأزمات.

وقد اسهمت الولايات المتَّحدة عن طريق سياسة "الفوضى الخلاقة" (Creative chaos) في خلق حالة من الإرباك الأمني نتيجة الاستخدام المفرط للقوَّة

وقد اسهمت الولايات المتَّحدة عن طريق سياسة «الفوضى الخلاقة» (Creative chaos) في خلق حالة من الإرباك الأمني نتيجة الاستخدام المفرط للقوَّة، إذ ساعدت في دخول قِوى ومجاميع مسلحة إلى العراق، وتعزَّز وجود المجاميع الخارجة عن القانون بسبب التدخُّل الإقليمي والدَّوْلي في الشؤون العراقية كونه منطقة صراع لكافة القِوى الطامعة والمعادية، حيث تلاقي الأهداف بين القِوى

المعادية والإرهاب على تدمير العراق، ناهيك عن تداخل الملف الأمني بين القوّات الأميركية الّتي تسيطر على المجالات الجوية وبين القوّات العراقية غير المكتملة من الناحية التنظيمية والتجهيزية والتسليحية، لذلك تمكن تنظيم «داعش» من السَّيطرة على أربعة محافظات عراقية عام 2014، ونتيجة للجرائم الإرهابية الّتي ارتكبها التنظيم من تهجير وقتل وسلب وجراء الضغط الدَّوْلي **شكل العالم الغربي** ما يُسمَّى «**التحالف الدَّوْلي**» لمكافحة «**داعش**» **بقيادة أميركية** في أيلول/سبتمبر 2014، وعلى الطرف الآخر لم تقف الجهات الوطنيَّة والدِّينيَّة العراقية عن حدود التحركات الغربية، إذ بموجب فتوى من المرجع الشيعي السيد «علي السيستاني» تشكلت فصائل باسم «**الحشد الشعبي**» للردع والقضاء على تنظيم «**داعش**» في حزيران/يونيو 2015، وقد توسُّع التعاون بين روسيا، إيران، سورية، والعراق، من خلال «**مركز التنسيق المعلوماتي**» أو «**غرفة عمليات بغداد**» الرباعية ضدَّ الإرهاب في تشرين الأول/أكتوبر 2015[33]، كما تشكلت العديد من الفصائل الّتي أسهمت في دعم الجيش العراقي من أجل تحرير المناطقة الخاضعة لسَّيطرة «**داعش**»، **وقد تعرضت هذه الفصائل إلى استهداف متكرر من قِبَل القوّات الأميركية تحت ذريعة الأخطاء الحربية.**

وبعد أن تمكن العراق من القضاء على "داعش" بدأت موجة من المطالبات الجماهيرية في تشرين الأول/أكتوبر 2019

(33) نضال حمادة، المرجع السابق، ص17.

وبعد أن تمكن العراق من القضاء على «**داعش**» بدأت موجة من المطالبات الجماهيرية في تشرين الأول/أكتوبر 2019، حظيت بتأييد المرجعيات الدِّينيَّة والجهات الوطنيَّة للقضاء على الفساد المستشري في النظام السِّياسي، ولم يتمكن رئيس الوزراء «عادل عبد المهدي» من تحقيق وعود الإصلاح، وتحت الضغط الشعبي ومقتل العديد من المتظاهرين، والخوف من انزلاق الدَّولة نحو الحرب الأهلية قدم استقالته في كانون الأول/ديسمبر 2019، وهنا بدأ الصِّراع الأميركي-الإيراني يأخذ الأبعاد العلنية، إذ أعلن الرئيس «دونالد ترامب» عن القيام بعملية اغتيال في بغداد استهدفت قائد فيلق القدس الإيراني الجنرال «قاسم سليماني»، ونائب رئيس هيئة الحشد الشعبي «جمال آل إبراهيم» في كانون الثاني/يناير 2020[34]، **لذلك صدق البرلمان العراقي في جلسة استثنائية بحضور رئيس حكومة تصريف الأعمال «عادل عبد المهدي» على قرار يلزم الحكومة بالعمل على إنهاء وجود أيّ قوّات أجنبية في العراق، ونتيجة للتطوُّرات المتلاحقة تمَّ تكليف السيد «مصطفى الكاظمي» رئيساً للوزراء العراقي لإدارة شؤون الدَّولة، وإجراء الانتخابات المبكرة في تشرين الأول/أكتوبر 2021. وتمكن رئيس الوزراء من إعادة بناء علاقات العراق مع العالم الخارجي حيث عقد مؤتمر قمَّة بغداد لدُوَل الجوار في آب/أغسطس 2021، بمشاركة الدُّوَل دائمة العضوية في مجلس الأمن الدَّوْلي وممثلين عن الاتِّحاد الأوروبي ودُوَل العشرين بصفة مراقبين.**

(34) عبد الرحيم عبد الحفيظ محبوب، الـدَّور الـسـعـودي في مواجهة النفوذين الإيراني والتركي في المنطقة، أي- كتب، لندن، 2020، ص197.

أن الولايات المتَّحدة لا يُمكن أن تخرج من العراق بشكل نهائي، إذ تجد دائماً المنافذ للبقاء

يتَّضح أن الولايات المتَّحدة لا يُمكن أن تخرج من العراق بشكل نهائي، إذ تجد

دائماً المنافذ للبقاء سواء تحت عنوان مكافحة الإرهاب، أم حرب استنزاف ترمي إلى تدمير القوى المعارضة، أم بطلب من بعض الأطراف المشاركين في العملية السِّياسيَّة خاصَة في ظلّ ضعف المنظومة الأمنية العراقية، لذلك فأن صانع القرار السِّياسيّ العراقي يعتقد بأهميَّة أن يكون العراق عنصراً للتوازن الإقليمي والدَّوْلي.

المطلب الثاني: التحركات الروسية – الصينية إزاء العراق

أولاً: الإستراتيجية الروسية تُجَاه العراق

أدركت روسيا والصين ضرورة مساندة الحلفاء، والبحث عن الأصدقاء الجدد، وتشكيل خريطة من العلاقات الّتي تخدم المصالح الروسية – الصينية داخل منطقة الشَّرق الأوسط، خاصة روسيا الّتي أخذت على عاتقها إعادة رسم الخريطة الإقليميَّة وفق تحالفات ثنائية تراعي المُتغيِّرات الدَّوْلية، ولضمان استمرارية حلفائها عمدت إلى تزويدهم بالأسلحة اللازمة، والعمل على زحزحة القوى الغربية المناوئة للوجود الرّوسي في المنطقة، وكانت روسيا وألمانيا وفرنسا في مقدِّمة الدُّوَل الرافضة للاحتلال الأميركي للعراق، إذ عارضت روسيا مشروع القرار الأميركي الّذي يهدف إلى إعطاء الولايات المتَّحدة الشَّرعية الدَّوْلية في استخدام القوَّة ضدَّ النظام العراقي تحت مظَّلة منظَّمة الأمم المتَّحدة، كما أشار الرئيس الرّوسي «فلاديمير بوتين» بأن تستأنف لجنة التفتيش الدَّوْلية البحث عن أسلحة الدمار الشامل في العراق ومن ثمَّ تعلن توصياتها النهائية، وحذر وزير الخارجية الرّوسي «يفغيني بريماكوف» **(Yevgeny Primakov)** الولايات المتَّحدة من مغبة فرض الهيمنة والنفوذ، ومن تداعيات السِّياسة الأميركية الخاطئة تُجَاه العراقي[35].

(35) Robert Freedman, Russia Iran and The Nuclear Question The Putin Record, Strategic Studies Institute press, London, 2006, P. 37.

وكانت روسيا وألمانيا وفرنسا في مقدّمة الدُّوَل الرافضة للاحتلال الأميركي للعراق، إذ عارضت روسيا مشروع القرار الأميركي

وعملت السِّياسة الروسية بعد احتلال العراق عام 2003، وفق بمبدأ التجاهل النسبي واستثمار البدائل الدبلوماسية لإعادة تنشيط الاتِّفاقيات العراقية – الروسية، والحصول على عقود نفطية جديدة، وحينما سعت الحكومة العراقية إلى بناء المنظومة الإقتصادية والعسكرية المستقلة عن التدخُّلات الأميركية لم تجد سوى البديل الرّوسي، إذ تمَّ إعادة عمل اللّجنة العراقية – الروسية المشتركة للتعاون التجاري والإقتصادي والعلمي– التقني في شباط/فبراير ٢٠٠٨، كما قام رئيس الوزراء العراقي السابق «نوري المالكي» بزيارة موسكو في نيسان/أبريل ٢٠٠٩، مع وفد ضم وزراء الخارجية والدفاع والكهرباء، وممثل عن وزارة النفط، وعدد من الخبراء والمستشارين، حيث تمَّ الاتِّفاق على تنشيط التعاون الثاني في مختلف المجالات[36].

وأكدت وزارة الخارجية الروسية على مجموعة من الإجراءات الّتي ينبغي أن تطبق في الأزمة العراقية

(36) تسفي ماغين، روسيا في الشَّرق الأوسط: سياسة في امتحان، باحث للدراسات الفلسطينية والإستراتيجية، بيروت، 2013، ص61.

وأكدت وزارة الخارجية الروسية على مجموعة من الإجراءات الّتي ينبغي أن

تطبق في الأزمة العراقية، أهمُّها: التأكيد على استعادة السِّيادة العراقية الكاملة من خلال الاتِّفاق مع الولايات المتَّحدة، وعن طريق منظَّمة الأمم المتَّحدة والمنظمات والوكالة الإقليميَّة والدَّوْلية المتخصصة. وعقد مؤتمر دولي موسَّع يضمُّ كافة أطراف الأزمة العراقية، ودُوَل الجوار، والدُّوَل ذات التأثير المباشر. وضرورة سيطرة القوَّات المسلّحة على الأوضاع الأمنيَّة الهجينة في العراق، إذ ترى روسيا أن العراق أصبح يواجه العناصر الإرهابية والمواقف الطائفية الّتي عزَّزت من مخاطر التفكُّك. كما دعت إلى إيجاد البدائل العملية الّتي من شأنها تقليص درجة التوتُّر بين الساسة العراقيين، وأعلنت موسكو عن استعدادها للمساهمة بنشاط في مسار تسوية سياسيَّة تقوم على أساس الوفاق الوطني والحوار والشَّرعية بين مختلف الأطياف العراقية. وتقديم الدّعم للنهوض بالواقع الإقتصادي حيث اسقطت روسيا حوالى (8) مليار دولار من ديونها على العراق[37].

(37) بيداء محمود أحمد، العراق في الإستراتيجية الروسية، مجلة «المستنصرية للدراسات العربيَّة والدَّوْلية»، مركز المستنصرية للدراسات العربيَّة والدَّوْلية، الجامعة المستنصرية، بغداد، العدد 25، تموز/يوليو، 2008، ص24.

وحينما تمكن تنظيم "داعش" من السَّيطرة على المحافظات العراقية والسورية عام 2014، أعلنت روسيا ضمن إستراتيجية مكافحة الإرهاب الشاملة عن تقديم الدّعم الواسع النطاق

وتطوَّرت الزيارات بين المسؤولين الروس والعراقيين، إذ قام وزير الخارجية الرّوسي «سيرغي لافـروف» **(Sergey Lavrov)** بزيارة بغداد في أيار/مايو 2011، للتباحث حول سبل تطوير العلاقات الثنائية، والتشاور حول مسارات الأزمة السورية، وخلال زيارة رئيس الوزراء العراقي «نوري المالكي» إلى موسكو في تشرين الأول/أكتوبر 2012، عقد صفقة تسليح بقيمة (4.2) مليارات دولار، شملت (30) مروحية قتالية من طراز «إماي 28 أناي» **(Emmy 28 Anna)**، و(42) قاذفة صواريخ متنقلة[38]، وكانت لجنة النزاهة البرلمانية العراقية أرسلت طلباً إلى رئيس الحكومة دعته إلى إيقاف الصفقة بعد اكتشافها حالات فساد.

(38) David Kilcullen, Blood Year: The Unraveling of Western Counterterrorism, Oxford University Press, London, 2016, P. 280.

وحينما تمكن تنظيم «**داعش**» من السَّيطرة على المحافظات العراقية والسورية عام 2014، أعلنت روسيا ضمن إستراتيجية مكافحة الإرهاب الشاملة عن تقديم الدّعم الواسع النطاق بغية منع تشكيل دُوَل تسيطر عليها الجماعات المتطرِّفة، ويسودها التمييز العرقي أو الدِّيني، إذ ترى روسيا أن الجماعات الإرهابية المقاتلة في سورية والعراق هي امتداد عقائدي وتنظيمي وحزبي للمعارضة القوقازية خاصة الجماعات الشيشانية، فخلال زيارة وزير الخارجية «سيرغي لافروف» إلى بغداد في شباط/فبراير ٢٠١٤، أكَّد المبعوث الخاص للرئيس الرّوسي «ميخائيل بوغدانوف» **(Mikhail Bogdanov)** على بحث العلاقات الثنائية لمختلف القضايا، والتركيز على التوصل إلى حلول سياسيَّة للأزمة السورية، وبحث سبل مكافحة الإرهاب وتجفيف منابعه، وخلال اللقاء أشار رئيس الوزراء «نوري المالكي» على ضرورة تنمية التعاون بين الدولتين بما فيه التعاون لدحر الإرهاب، مشدداً على حاجة العراق إلى الأسلحة الروسية لمعالجة الجماعات الإرهابية وملاحقتها، وتبادل المعلومات الأمنيَّة بخصومها، كما اتفق الجانبان على ضرورة مواصلة التشاور في القضايا المُتَغَيّرة، وتسريع اتِّفاقيات التسليح لدّعم القوَّات العراقية في محاربة

الإرهاب[39]. وخلال مكالمة هاتفية بين الرئيس الرّوسي «فلاديمير بوتين» ورئيس الوزراء العراقي «نوري المالكي» في حزيران/يونيو 2014، أعلن عن الدّعم الرّوسي التام لجهود الحكومة العراقية الهادفة إلى تحرير الأراضي سريعاً من الإرهابيين، وأن روسيا مستعدة لتزويد العراق بالصواريخ بعيدة المدى، والأسلحة الثقيلة في إطار صفقات التسليح الموقعة بين الجانبين، كما أرسل الرئيس الرّوسي رسالة إلى رئيس جمهورية العراق «فؤاد معصوم» في آب/أغسطس 2014، أبدى فيها دعمه للعراق في مكافحة الإرهاب.

(39) أحمد الحسبان، الجلبي ونجم الاوفـر حظاً في خلافة المالكي، والازمة العراقية على اعتاب التدويل، صحيفة الأسبوع العربي، بيروت، حزيران/يونيو، 2014.

روسيا فرضت حزمة من العقوبات ضدَّ المنظمات والحركات الإرهابية، ومحاصرة أنشطتها، وتشمل الجوانب المالية والإدارية والإجتماعية والأيديولوجية

وخلال مؤتمر صحفي مشترك بين وزير الخارجية العراقي «هوشيار زيباري» مع نظيره الرّوسي «سيرغي لافروف» أكَّد أن روسيا فرضت حزمة من العقوبات ضدَّ المنظمات والحركات الإرهابية، ومحاصرة أنشطتها، وتشمل الجوانب المالية والإدارية والإجتماعية والأيديولوجية، ودعا إلى استنكار ظاهرة الإرهاب، وإلى التضامن الدَّوْلي في مواجهة أيديولوجية العنف والتطرُّف الّتي تغذيها، وأن روسيا تواصل بحزم وشدة الكفاح لمواجهة العدو الشرس الّذي لا يعرف الحدود. وعندما دعا الرئيس الفرنسي السابق «فرانسوا أولاند» (**Fran-cois Hollande**) لعقد مؤتمر باريس حول أمن واستقرار العراق في 15 أيلول/ سبتمبر 2014، كانت روسيا والصين من أوائل الدُّوَل المشاركة الّتي تعهدت بدعم بغداد في حربها ضدَّ تنظيم «**داعش**» بكافة الوسائل الضرورية، كما أكَّد المشاركون بأن «**داعش**» يُعدُّ خطراً يهدِّد العراق والمجتمع الدَّوْلي، وأدانوا الفظائع والجرائم الجَمَاعية الّتي يرتكبها التنظيم بحقّ المدنيين على اعتبارها جرائم ضدَّ الإنسانية، وأكدوا على تمسكهم بوحدة العراق وسلامة أراضيه وسيادته، وقدم المؤتمرون الدّعم لحكومة رئيس الوزراء العراقي السابق «حيدر العبادي» الذي تسلم السُّلطة في أيلول/سبتمبر 2014، من أجل توطيد سيادة القانون، وتطبيق سياسيَّة تعزيز وحدة الصف الوطني، وتحقيق التمثيل العادل لجميع المكوِّنات في المؤسَّسات الاتِّحادية، والمساواة بين جميع المواطنين، وأشار الشركاء الدوليون إلى استعدادهم لمساعدة العراق في جهوده لإعادة البناء بغية تحقيق تنمية عادلة لجميع المناطق[40].

عقدت قمَّة تاريخية رفيعة المستوى في مجلس الأمن الدَّوْلي لإصدار القرار المرقَّم (2178) في 24 أيلول/سبتمبر 2014

(40) جاسم يونس الحريري، الدَّور الخليجي في العراق دراسـة حالة أحداث الموصل 2014، دار الجنان للنشر والتوزيع، عـمّـان، 2016، ص180.

لذلك عقدت قمَّة تاريخية رفيعة المستوى في مجلس الأمن الدَّوْلي لإصدار القرار المرقَّم (٢١٧٨) في ٢٤ أيلول/سبتمبر ٢٠١٤، حضرها أعضاء المجلس وعدد من كبار مسؤولي الدُّوَل الأعضاء الأخرى في منظَّمة الأمم المتَّحدة، وتمحورت القمة حول موضوع تزايد ظاهرة المقاتلين الإرهابيين الأجانب في جميع أنحاء العالم، وتبنى سياسة جديدة وإطاراً قانونياً للعمل الدَّوْلي للرد على هذا التهديد، بما في ذلك اتخاذ تدابير لمنع الإرهابين من دخول أو عبور أراضيها وتطبيق تشريعات تؤدي إلى ملاحقتهم أمام القضاء، وأثناء هذه القمة أكَّد وزير الخارجية الرّوسي

«سيرغي لافروف» أنَّ التنظيمات الإرهابية تعرض مستقبل الدُّوَل للخطر، الأمر الّذي يتبين من أمثلة ليبيا وسورية والعراق[41].

(41)Andrew Radin and Clint Reach, Russian Views of the International Order, Rand Corporation, California, 2017, P. 48.

وعملت الولايات المتَّحدة على تشكيل وقيادة ما يُسمَّى «**التحالف الدَّوْلي**» في أيلول/سبتمبر 2014، الّذي يضمُّ حوالى (83) دولة اتحدوا لتأكيد هزيمة «**داعش**» المحققة، وخلال اجتماع وزاري في بروكسل في كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٤، جدَّدت دُوَل التحالف التزامها بالعمل في إطار إستراتيجية مشتركة ومُتعدِّدة الأشكال، وطويلة الأمد لإضعاف «**داعش**»، وإلحاق الهزيمة به. وأكَّد الرئيس الرّوسي «فلاديمير بوتين» أن القوّات الروسية مستمرة في محاربة التنظيمات الإرهابية في سورية والعراق خاصة تنظيم «**داعش**» وجبهة «**النصرة**»، لأن روسيا عانت من التنظيمات الإرهابية، لا سيّما في القوقاز والشيشان، لكن الرئيس الرّوسي شكك في أهداف وغايات التحالف الدَّوْلي الغربي، وأشار بأنها غير واضحة لروسيا، كون الولايات المتَّحدة تميِّز بين الفصائل الإرهابية الّتي تعود إلى أيديولوجيَّة واحدة، وأن التمييز يكون على أساس القرب والبعد أو على أساس تنفيذ المصالح الأميركية[42].

شهد العراق في هذه المرحلة أزمات أمنيَّة واقتصادية وسياسيَّة، وشحه في الموارد المالية، ونقص في مخزون الدَّولة

(42) نوار جليل هاشم وحيدر علي حسين وأمجد زين العابدين طعمة، الاقتراب الكبير: روسيا في الشَّرق الأوسط، دار الخليج للنشر والتوزيع، عمّان، 2020، ص168.

وقد شهد العراق في هذه المرحلة أزمات أمنيَّة واقتصادية وسياسيَّة، وشحه في الموارد المالية، ونقص في مخزون الدَّولة، إذ كانت تلك المرحلة اختباراً فعلياً لحكومة رئيس الوزراء «حيدر العبادي» الّذي كان بأمس الحاجة إلى المساعدات الإقليميَّة والدَّوْلية، وأن الأوضاع الحرجة في العراق تفرض البحث عن وسائل مُتعدِّدة، وبديلة للحصول على السِّلاح للنيل من العصابات الإرهابية، واستعادة الأراضي المحتلة، لذلك طلب رئيس الوزراء العراقي المساعدة من روسيا لشراء الأسلحة الروسية، وتفعيل صفقات السِّلاح بعد أن بدأ الشك يشوب الأوساط السِّياسيَّة العراقية إزاء جدية الولايات المتَّحدة في تسليح الجيش العراقي، وكان موضوع السِّلاح والتعاون العسكري والتقني محور اهتمام زيارة رئيس الوزراء العراقي «حيدر العبادي» إلى موسكو في أيار/مايو 2015[43]، وسرعان ما حدثَّ تقارب بين بغداد وموسكو نتيجة للتحدِّيات الإرهابية الّتي يعاني منها العراق، وتأثير الأزمة السورية على المدن العراقية القريبة من الحدود، الأمر الّذي كان له ارتدادات إيجابية، إذ شكلت روسيا بالتعاون مع إيران، سورية، والعراق «**غرفة عمليات بغداد**» الرباعية ضدَّ الإرهاب في تشرين الأول/أكتوبر 2015. وهذا التحالف يهدف إلى تبادل المعلومات الاستخباراتية بين وزارات الدفاع الروسية، والأجهزة الأمنيَّة لهذه الدُّوَل، والاستعانة بالطيران الرّوسي لتوجيه ضربات مباشرة ضدَّ مقرات وعناصر تنظيم «**داعش**» المتواجدين على الأراضي العراقية والسورية.

شكلت روسيا بالتعاون مع إيران، سورية، والعراق "غرفة عمليات بغداد" الرباعية ضدَّ الإرهاب

(43) محمود سالم السامرائي، إستراتيجية روسيا الاتِّحادية الصاعدة: نهاية القطبية الأحادية، شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمّان، 2018، ص212.

وقد جهزت وزارة الدفاع الروسية وزارة الدفاع العراقية مروحيات هليكوبتر من طراز «صَيّادُ اللَيل» أو «ميل مي- 28» **(Mill Me – 28)**، وأسلحة وتقنيات عسكرية

متطوِّرة، ومدرعات وأسلحة قنص، وتقنيات الرؤية الليلية والمتوسطة وغيرها، كما تضمَّنت الزيارة التركيز على الاستثمارات الروسية في العراق، والتعاون الثنائي على السَّاحة الدَّوْلية. وأعلنت وزارة الدفاع العراقية عن كفاءة وجودة الطائرات الروسية المستخدمة من طراز «سوخوي» **(Sukhoi)** الّتي أسهمت في تحرير مناطق كبيرة في العراق من سيطرة تنظيم «**داعش**»، ووفقاً لعمليات الهيئة الفدرالية الروسية للتعاون العسكري والتقني فإن روسيا ثاني أكبر مصدر للأسلحة إلى الجيش العراقي بعد الولايات المتَّحدة.

وأعلن وزير الخارجية «سيرغي لافروف» عن ثبات موقف روسيا من استقلال العراق ووحدة أراضيه وسيادته، وكان هذا خلال الاجتماع مع رئيس الوزراء العراقي «حيدر العبادي» على هامش الدورة السبعين للجمعية العامة للأمم المتَّحدة في تشرين الأول/أكتوبر 2015، لذلك أعرب رئيس الوزراء العراقي عن الامتنان لموقف روسيا الميداني المتضامن مع العراق وشعبه، مشدِّداً على حرص بغداد على مواصلة وتعزيز التعاون مع موسكو حتى بعد القضاء على تنظيم «**داعش**»، إذ أكَّد رئيس الوزراء العراقي السابق «عادل عبد المهدي» في نيسان/أبريل 2019، على أن العراق ينظر بتقدير إلى الدَّور الرّوسي في تعزيز الأمن والاستقرار في المنطقة، مشيراً إلى اعتزاز العراق بالعلاقات الإستراتيجية مع روسيا، ويتطلع إلى الاستفادة من القدرات الروسية في المجالات الطاقوية، الإقتصادية، الصِّناعيَّة، الزراعية والعسكرية.

وبمناسبة تسلُّم رئيس الوزراء العراقي «مصطفى الكاظمي» السُّلطة نقل السفير الرّوسي في بغداد «ماكسيم ماكسيموف» **(Maxim Maximov)** في أيار/مايو 2020، تهنئة من الرئيس الرّوسي «فلاديمير بوتين»، ورئيس الوزراء «ميخائيل ميشوستين» **(Michael Mishustin)**، والّتي تضمّنت الدعوة لزيارة روسيا، وتأكيد دعم العراق في مجلس الأمن الدَّوْلي، وخلال لقاء المبعوث الخاص للرئيس الرّوسي «ألكسندر لافرنتييف» **(Alexander Lavrentiev)** مع رئيس الوزراء العراقي «مصطفى الكاظمي» في تشرين الأول/أكتوبر 2020، أكَّد أن روسيا واحدة من الدُّوَل الكُبْرَى الّتي تشكل المعادلة السِّياسيَّة الدَّوْلية، وبحث العلاقات الثنائية بين بغداد وموسكو، وتعزيز التعاون على مختلف الصعد، خاصة مكافحة الإرهاب ومحاربة تنظيم «**داعش**»، والتعاون على المستويين الإقليمي والدَّوْلي في مجال تسهيل عودة النازحين واللاجئين، والحيلولة دون عودة وانتشار الأفكار المتطرِّفة. وحينما تعرض رئيس الوزراء العراقي «مصطفى الكاظمي» إلى عملية اغتيال في تشرين الثاني/نوفمبر 2021، أعلنت المتحدثة باسم وزارة الخارجية الروسية «ماريا زاخاروفا» **(Maria Zakharova)**، أن روسيا تدين بشدة هذا الهجوم الإرهابي الوقح، الّذي يهدف إلى زعزعة الأمن والاستقرار في العراق الصديق، وتدعو القوى السِّياسيَّة الرائدة إلى تشكيل حكومة تعتمد على دعم جميع الأحزاب السِّيَاسيَّة والجماعات العرقية والطائفية في العراق.

يتَّضح إنَّ الطموحات الروسية في بناء العلاقات مع العراق لم تقتصر على

المكاسب العسكرية والسِّياسيَّة فحسب، بل تسعى إلى تأسيس شراكة إستراتيجية اقتصادية، إذ يقدر حجم التبادل التجاري واستثمارات الشركات الروسية في العراق بمليارات الدولارات، ومن منطلق أن العراق دولة طاقوية وذات موقع جغرافي فأن روسيا تدرك أن التحرك إزاء العراق يحقِّق أهداف مرحلية ومستقبلية، إذ يمكن لروسيا أن تسيطر على المنطقة الممتدة من آسيا الوسطى إلى الشواطئ الشَّرقية للبحر الأبيض المتوسط، وفي المقابل، فإن العراق يدرك أهميَّة التوجُّه صوب القوى العالمية، والاستفادة من العودة الروسية للسَّاحة الدَّوْلية منَ أجل استعادة الاستقرار الداخلي، وتطوير الملاكات العسكرية، وإقامة تعاون استخباري مُتعدِّد الأطراف. كما إن التدخُّل الرّوسي جاء نتيجة لحاجة النظام العالمي إلى توازن قطبي على مستوى القرارات الدَّوْلية في مجلس الأمن الدَّوْلي، وهذا التدخُّل أوقف رسم خريطة الشَّرق الأوسط على وفق رؤية تختلف عن مصلحة الشَّعوب، لكن يجب أن يكون لدى صناع القرار العراقي توازن في التعامل مع الأقطاب من أجل إكمال الأسس التنظيمية للعلاقات الثنائية، وتعزيز العلاقات مع الحلفاء الاستراتيجيين الأقوياء.

إنَّ الطموحات الروسية في بناء العلاقات مع العراق لم تقتصر على المكاسب العسكرية والسِّياسيَّة فحسب، بل تسعى إلى تأسيس شراكة إستراتيجية اقتصادية

ثانياً: الإستراتيجية الصينية تُجَاه العراق

إنَّ الصين عملت على إلغاء المفاهيم الأيديولوجيَّة والمصادمات المباشرة في التعاملات الخارجية، مقابل تطوير الجوانب الإقتصادية بغية خلق منظومة إقتصادية آسيوية متكاملة، لهذا امتنعت عن التصويت في مجلس الأمن الدَّوْلي على أيّ قرار يجيز الحرب الأميركية على العراق انطلاقاً من مبدأ عدم استخدام القوَّة العسكرية في العلاقات الدَّوْلية، وبعد أن أصبح الاحتلال أمراً واقعاً دعت إلى إعادة القضية العراقية إلى منظَّمة الأمم المتَّحدة، وإعادة السِّيادة للعراقيين وتشجيع العملية السِّياسيَّة، وتقديم المساعدات المادية والفنية، ودعوة المسؤولين العراقيين لزيارة الصين، إذ قام الرئيس العراقي السابق «جلال الطالباني» بزيارة بكين في حزيران/يونيو 2007، وتمَّ التوقيع على اتفاقيات تضمَّنت تعزيز التعاون الدبلوماسي الثنائي، وإلغاء الصين لديونها الحكومية والبالغة (8.5) مليار دولار، وتخفيض ديون الشركات الصينية الخاصَّة، وتسهيل عملية تنفيذ العقود النَّفطية، وتعزيز التعاون في المجالين الإقتصادي والفني، وتوفير برامج تدريبية للكوادر الوظيفية العراقية، واعقب عملية التوقيع انشاء آلية للتشاور السِّياسيّ بين الطرفين[44].

دعت الصين إلى إعادة القضية العراقية إلى منظَّمة الأمم المتَّحدة، وإعادة السِّيادة للعراقيين وتشجيع العملية السِّياسيَّة

وخلال زيارة رئيس الوزراء العراقي السابق «نوري المالكي» إلى بكين في تموز/ يوليو ٢٠١١، التقى رئيس الحكومة الصينية «ون جيا باو» **(Wen Jiabao)** الّذي أكَّد على إقامة علاقات طويلة الأجل ومستقرة في مجال النفط والغاز، مثل حقل الأحدب وحلفايا والرميلة، وتوسيع التعاون في استكشاف وتكرير النفط وتجارة

(44) Jon B. Alterman and John W. Garver, The Vital Triangle: China, the United States, and the Middle East, The CSIS Press, Washington DC, 2008, P. 32.

المعدات، وتقديم المساعدات لإعادة بناء الإقتصاد، والتنفيذ الجاد لاتّفاقيات الإعفاء من الديون، والمشاركة بنشاط لإعادة البنية التحتية، عبرَ توقيع اتفاقيتين للتعاون الإقتصادي وتدريب الأفراد، وطَرح العراق إمكانية إقامة صندوق لإعادة الأعمار، وتقديم قروض منخفضة الفائدة في المواصلات[45].

وصلت الصين إلى مرحلة امتلاك القدرة على تبني الإستراتيجية الإقليميَّة والدَّوْلية بغية الحفاظ على مكانتها في سلم القِوى الصاعدة

لقد وصلت الصين إلى مرحلة امتلاك القدرة على تبني الإستراتيجية الإقليميَّة والدَّوْلية بغية الحفاظ على مكانتها في سلم القوى الصاعدة، إذ كانت العضو المؤسِّس في منظَّمة شانغهاي للتعاون «أس سيَ أو» **(SCO)**، ومنتدى التعاون الإقتصادي لدُّوَل آسيا والمحيط الهادئ «ابيك» **(APEC)**، ورابطة دُوَل جنوب شرق آسيا «أسيان» **(ASEAN)**، والمنتدى الإقتصادي الأوروبي- الآسيوي، و»حوار التعاون الآسيوي» **(ACD)**، و»مؤتمر التفاعل وتدابير بناء الثقة في آسيا» **(CICA)**، ومنتدى التعاون «العربي- الصيني» **(CACF)**، ومنتدى التعاون الصيني- الإفريقي «فوكاك» **(FOCAC)**، و»التعاون الإقتصادي الإقليمي لآسيا الوسطى» ((CAREC[46]، والحوار الإستراتيجي بين جمهورية الصين الشعبية ومجلس التعاون لدُّوَل الخليج العربيَّة، ومجموعة دُوَل «البريكس» **BRICS**)). وخلال اجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني في تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٣، جرى التأكيد على تشكيل نظام «الإقتصاد المنفتح» **(open economy)**، ويشمل إقامة أجهزة مالية للتنمية، وبناء شبكات الإيصال والاتصال الّتي تربط الصين مع الدُّوَل الإقليميَّة، وبناء الحزام الإقتصادي الّذي يمر به طريق الحرير وطريق الحرير البحري، وتجسدت عبرَ دبلوماسيَّة نشطة في زيارة رئيس مجلس الدَّولة الصيني «ليَ كه تشيانغ» **(Li Keqiang)** إلى دُوَل جنوب شرقي آسيا بغية تبني إستراتيجية الحزام الإقتصادي لطريق الحرير، وبنك الاستثمار الآسيوي اللبنية التحتية، والتعاون المالي المُتعدِّد الأطراف، ودفع التبادلات الإقتصادية، وإقامة المناطق الحرة في مختلف أنحاء آسيا، وهي محاولة لدمج إستراتيجية «الحزام والطريق» مع الاستراتيجيات الإقتصادية للأقاليم المختلفة خاصة مبادرة الرئيس الرّوسي «فلاديمير بوتين» في تشكيل «الاتِّحاد الإقتصادي الأورو- آسيوي»[47].

إنَّ الصين تعدُّ العراق امتداداً طبيعياً لمبادرة الحزام نظراً لأهميته الإستراتيجية والجيوبوليتيكية، كونه يمثل الجسر الجغرافي الرابط بين قارتي آسيا وأوروبا

إنَّ الصين تعدُّ العراق امتداداً طبيعياً لمبادرة الحزام نظراً لأهميته الإستراتيجية والجيوبوليتيكية، كونه يمثل الجسر الجغرافي الرابط بين قارتي آسيا وأوروبا، ومنطقة الهلال الخصب، لكن تحاشي مبادرة الحزام من الاعتماد على العراق ناتجة من الحرب المفتوحة على الإرهاب المؤثرة على الاستقرار الأمني، وتشتت السُّلطة الّتي كانت السبب في انتشار الفساد الإداري، وجهل العراق بالمعايير العالمية للنقل، وتراجع البُنى التحتية بفعل الحروب الّتي خاضها، والعقوبات الدَّوْلية الّتي عطلت

(45) Steve A. Yetiv and Katerina Oskarsson, Challenged Hegemony: The United States, China, and Russia in the Persian Gulf, Stanford University Press, California, 2018, P. 23.

(46) علي بشار اغـوان وآخـرون، مطارحات النظام الدَّوْلي والقوى الـكُـبْـرَى: تـأمـلات فـي المسَرح الجيوسياسي العالمي الجديد، شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمّان، 2021، ص328 – 332.

(47) جانغ يون لينغ، الحزام والطريق: تحوُّلات الدبلوماسيَّة الصينية في القرن الـــ21، ترجمة: آيـة محمد كمال، دار صفصاف للنشر والتوزيع والدراسات، القاهرة، 2017، ص369.

من فرص التكامل الإقليمي، إذ إن المبادرة تمول من مصارف أهمُّها البنك الآسيوي للاستثمار في البنية التحتية، وليس من الحكومة الصينية.

لذا قام رئيس الوزراء العراقي السابق «حيدر العبادي» بزيارة بكين في كانون الأول/ديسمبر 2015، إذ تعهد العراق بدعم وحدة الصين وتعزيز موقفها من القضايا المتعلقة بمقاطعة «شينجيانغ» **(Xinjiang)**، ومكافحة التنظيمات الجهادية المتطرِّفة في المقاطعات الغربية، ودعم توجُّه الصين لبناء نظام عالمي يقوم على الاستقرار وحفظ السِّلم الدَّوْلي، بينما تعهد الرئيس الصيني «شي جين بينغ» **(Xi Jinping)** بدعم وحدة العراق واستقلاله، ومساعدة الحكومة العراقية لمكافحة تنظيم «**داعش**» الإرهابي من خلال تسليح الجيش العراقي بمنظومة صواريخ وأسلحة ومعدات تعزِّز جهوده الحربية، ودعم بناء منظومة صناعات عسكرية وتبادل المعلومات الاستخباراتية، وتطوير القدرات القتالية للجيش العراقي في مكافحة الإرهاب وتحقيق الأمن والاستقرار الداخلي دعماً لاستقلالية القرار السِّياسيّ العراقي، وتوسيع آفاق التعاون الإقتصادي، والتكْنُولُوجي، والعسكري، والدبلوماسي، والنفطي. وأصبحت الصين أكبر شريك تَجاري مع العراق على الرغم من أن الميزان التجاري بين البلدين يشير لصالح الصين [48].

تعهد الرئيس الصيني "شي جين بينغ" (Xi Jinping) بدعم وحدة العراق واستقلاله، ومساعدة الحكومة العراقية لمكافحة تنظيم "داعش" الإرهابي

(48) محمود سالم السامرائي، المرجع السابق، ص212 – 216.

كما قام رئيس الوزراء العراقي السابق «عادل عبد المهدي» بزيارة بكين في أيلول/سبتمبر 2019، إذ وقَّع ثماني اتفاقيات ومذكرات تفاهم شملت عقوداً لإنشاءً محطات كهربائية جديدة، وخمس مدن صناعية مشتركة، وإنجاز مشاريع في مجال الاتصالات، وإعادة إعمار البنى التحتية، والإنفاق الائتماني المالي، ومذكرات لإعادة الإعمار الإقتصادي، والتعاون الثقافي والفني وتطوير البُنى التحتية للمواصلات والاتصالات والسكن والطَّاقة والمجاري[49]، بهدف إحياء مشروع البُنى التحتية الّذي تبناه رئيس الوزراء السابق «نوري المالكي»، حيث يسمح للحكومة بالتعاقد مع الشركات العالمية خارج إطار الموازنة العامة عن طريق الدفع الآجل مقابل فوائد لا تتعدى الـ(8) في المئة لكن البرلمان رفضه آنذاك.

(49) T Hamid Al – Bayati, Donald Trump's New World Order: U.S. Credibility, Reputation, and Integrity, Rowman & Littlefield Press, London, 2020, P. 198.

إلاَّ أن بعض الجهات السِّياسيَّة العراقية عارضت هذه الاتِّفاقيات بذريعة أن التمويل في ظلّ العجز الإقتصادي والمديونية وأحادية الإقتصاد تضع العراق في مكانة حرجة، لأنَّ القروض الصينية تكون بشروط تعسفية تفرض الحجز حين التعثر من السداد. كما أنَّ موقف الصين من قضايا الطَّاقة مُتغيِّر، إذ تمتلك الحرية في اختيار المنتجين الدوليين، وتدرك المخاوف الدَّوْلية من التغيير المناخي، والتحرك العالمي نحو الطاقات المُتجدِّدة بعيداً عن الوقود الأحفوري. كما إن الصين لم تبد أيّ سياسة تدّل على رغبتها في تحدي الهيمنة الأميركية في العراق، لأن الحفاظ على وجود عسكري

بعض الجهات السّياسيَّة العراقية عارضت هذه الاتِّفاقيات بذريعة أن التمويل في ظلّ العجز الإقتصادي والمديونية وأحادية الإقتصاد تضع العراق في مكانة حرجة

صيني في العراق يزيد من انتشار القوّات الأميركية في المناطقة الجيواستراتيجية الشديدة الحساسية بالنسبة للصين خاصة شرق آسيا. فضلاً عن الخلافات بين الحكومة المركزية في بغداد وحكومة إقليم كوردستان وبعض المحافظات بخصوص الاستثمار الأجنبي ووجود الشركات الأجنبية، ناهيك عن التحدِّيات الإرهابية الّتي تؤثر على الاستقرار الأمني، ممَّا يعرقل اندفاع الشركات الاستثمارية الصينية إزاء العراق.

يتَّضح أن التنافس الأميركي- الصيني في العراق قد يأخذ مساحة واقعية بفعل تقدُّم الاقتصاد الصيني، لكن رؤية السِّياسة الخارجية العراقية غير موحدة إزاء الأقطاب العالمية، وذلك بفعل تناقض الفواعل السِّياسيَّة الداخلية، فبعض الأطراف ترى ضرورة تعدَّد العلاقات العراقية مع روسيا والصين لتعزيز استقلالية القرار السِّياسيّ، والبعض الآخر يرى ضرورة بقاء العراق ضمن المنظومة الغربية للقوى الكُبْرَى خاصة الولايات المتَّحدة، لذلك يحتاج صانع القَرار العراقي إلى اكتشاف خيارات المساعدة والدّعم لإعادة هيكلة النظام السِّياسيّ والاقتصادي وإعادة المكانة العراقية في المنظومة الدَّوْلية.

أن التنافس الأميركي- الصيني في العراق قد يأخذ مساحة واقعية بفعل تقدُّم الاقتصاد الصيني

الخاتمة

إنَّ الفواعل الدَّوْلية والمُتغيِّرات الإقليميَّة للدُّوَل المجاورة للعراق أثرت بشكل مباشر على الاستقرار السِّياسيّ والأمني الّذي يرتبط بشكل مبدئي بالاستقرار الإقتصادي والإجتماعي، ممَّا خلق حالة من عدم الترابط الوطني بين القوى السِّياسيَّة العراقية الّتي لم تحسم انتمائها الخارجي سواء مع القوى الغربية أم القوى الآسيوية الصاعدة، وهو ما يعرض مصالح العراق القومية إلى خطر التفكُّك، كما أنَّ ضبط محاور العلاقات المستقبلية في ضوء الخلل الناجم من معالجة الأزمات الإقليميَّة وسط انشغال الطرف الأميركي في إدارة ملفات المنطقة مع روسيا والصين، جعل من هذه المعالجة أقرب في توزيع أو تقاسم الأدوار والنفوذ والمصالح من دون حساب تكلفة التداعيات السِّلبية على الواقع العراقي.

الاستنتاجات

1- يمتلك العراق مُقوِّمات جيواقتصادية تمثل حجر الزاوية في الاستراتيجيات الإقليميَّة والدَّوْلية حيث يقع ضمن منطقة التصادم بين القوى المتنافسة على الهيمنة العالمية، فالموقع الجغرافي للعراق مثل عمقاً لتحقيق مصالح الدُّوَل الصِّناعيَّة الكُبْرَى، إذ يسيطر على حركة التِّجارة وأساطيل نقل النفط، لذلك تحركت الحكومات العراقية لإيجاد بدائل على المستوى الدَّوْلي مثل مشروع طريق الحرير أو الحزام، لكن التناحرات السِّياسيَّة، والبحث عن المصالح الفئوية حالة دون وضع العراق على الطريق الصواب.

2- يبقّى هاجس المحافظة على الأمن الإقليمي هو المحرك الأساسي للدُّوَل

المجاورة للعراق، لا سيّما تركيا ودُوَل مجلس التعاون الخليجي، في رسم سياستها الداخلية والخارجية، والّتي تزامنت مع تنامي ظاهرة الإرهاب والجماعات المتطرِّفة في المنطقة، وتبقّى إيران الدَّولة غير الضعيفة الّتي تتطلع بقوَّة لإقامة نظام أمني جديد في المنطقة بعيداً عن النفوذ والتواجد الغربي في دُوَل الخليج العربي.

3- فشل الإستراتيجية الأميركية في العراق عزَّز من فرضية تراجع الدَّور الأميركي على المستوى العالمي، إذ لم تتمكن الولايات المتَّحدة من حسم الملف العراقي سياسياً وعسكرياً، وأصبحت الأطراف الإقليميَّة والدَّوْلية جزءاً من تسوية الأزمة العراقية، فقد طوَّرت دُوَل الخليج العربي وتركيا وإيران وروسيا والصين الكثير من الوسائل الضرورية تتلاءم مع إمكانية خروج القوَّات الأميركية من العراق عام 2021.

التوصيات

1- جعل العراق نقطة للتوازن بين القوى الإقليميَّة والأقطاب الدَّوْلية من خلال سياسة خارجية تراعي المصالح الوطنَيَّة، وعدم قبول استخدام الأراضي العراقية منطلقاً للهجمات ضدَّ أيّ دولة.

2- هيكلة العلاقات الخارجية للعراق وفق مبدأ احترام السِّيادة الوطنيَّة، وعدم التدخُّل في الشؤون الداخلية لأيّ دولة مقابل عدم تدخُّل العراق في شؤون الدُّوَل الأخرى، وايجاد علاقات قائمة على التعاون.

قائمة المصادر

أولاً: الكتب العربيَّة

1. الأمير، فؤاد قاسم، آراء وملاحظات حول الاتِّفاقية الأمنيَّة المقترحة بين العراق والولايات المتَّحدة، الغد، بغداد، 2008.
2. أحمد يوسف أحمد وآخرون، احتلال العراق وتداعياته عربياً وإقليمياً ودولياً، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية الّتي نظمها مركز دراسات الوحدة العربيَّة، مركز دراسات الوحدة العربيَّة، بيروت، 2004.
3. اغوان، علي بشار وآخرون، مطارحات النظام الدَّوْلي والقوى الكُبْرَى: تأملات في المسرح الجيوسياسي العالمي الجديد، شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمّان، 2021.
4. أوغلو، أحمد داوود، العمق الإستراتيجي: موقع تركيا ودورها في السَّاحة الدَّوْلية، ترجمة: محمد جابر ثلجي وطارق عبد الجليل، الطّبعة الثانية، الدَّار العربيَّة للعلوم ناشرون، بيروت، 2011.
5. بركات، نظام وآخرون، مشاريع التغيير في المنطقة العربيَّة ومستقبلها، مركز دراسات الشَّرق الأوسط، عمّان، 2012.

6. بكري، مصطفى، خاشقجي أم المملكة: الحقيقة الغائبة، سما للنشر والتوزيع، الكويت، 2019.

7. التامر، عبادة محمد، سياسة الولايات المتَّحدة وإدارة الأزمات الدَّوْلية (إيران، العراق، سورية، لبنان إنموذجاً)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السِّياسات، الدوحة، 2015.

8. جاسم، خيري عبد الرازق وعثمان، عادل حمزة والجابري، ستار جبار، الاتِّفاقية العراقية – الأميركية: تحليل ونقد، مركز العراق للدراسات، بغداد، 2009.

9. الجحيشي، فراس محمد أحمد، التوازنات الإستراتيجية الجديدة في ضوء بيئة أمنيَّة مُتغيِّرة، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمّان، 2015.

10. الحريري، جاسم يونس، التنافس الإقليمي والدَّوْلي في العراق وانعكاساته على علاقاته الخارجية بعد الاحتلال الأميركي، دار الجنان للنشر والتوزيع، عمّان، 2016.

11. الحريري، جاسم يونس، الدَّور الخليجي في العراق دراسة حالة أحداث الموصل 2014، دار الجنان للنشر والتوزيع، عمّان، 2016.

12. الحسيني، موسى، الطائفية في الوطن العربي: أسبابها ومظاهرها (العراق إنموذجاً)، شمس للنشر والإعلام، القاهرة، 2017.

13. حمادة، نضال، خفايا وأسرار داعش (من عمامة أسامة بن لادن إلى قبعة صدام حسين)، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، 2015.

14. الراوي، رياض، البرنامج النووي الإيراني وأثره على منطقة الشَّرق الأوسط، الأوائل للنشر والتوزيع، عمّان، 2006.

15. السامرائي، محمود سالم، إستراتيجية روسيا الاتِّحادية الصاعدة: نهاية القطبية الأحادية، شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمّان، 2018.

16. صالح، محسن محمد والدنان، ربيع محمد ووهبة، وائل عبد الله، اليوميات الفلسطينية لسنة 2020، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، 2020.

17. الغنجة، شام داوود، العامل المذهبي ودوره في توجيه السِّياسة الخارجية الإيرانية تُجَاه العراق 2003 – 2013، مركز الكتاب الأكاديمي، عمّان، 2016.

18. محبوب، عبد الرحيم عبد الحفيظ، الدَّور السعودي في مواجهة النفوذين الإيراني والتركي في المنطقة، أي- كتب، لندن، 2020.

19. هاشم، نوار جليل وحسين، حيدر علي وطعمة، أمجد زين العابدين، الاقتراب الكبير: روسيا في الشَّرق الأوسط، دار الخليج للنشر والتوزيع، عمّان، 2020.

20. وهبان، أحمد محمد، السِّياسة الخارجية التركية تُجَاه منطقة الشَّرق الأوسط: صراع الهويَّة والبرجماتية والمبادئ الكمالية، الجمعية السعودية للعلوم السِّياسيَّة، الرياض، 2013.

ثانياً: الكتب المترجمة

21. آراس، بولنت وآخرون، التحوُّل التركي تُجَاه المنطقة العربيَّة، مركز دراسات الشَّرق الأوسط، عمّان، 2012.

22. لينغ، جانغ يون، الحزام والطريق: تحوُّلات الدبلوماسيَّة الصينية في القرن الـ21، ترجمة: آية محمد كمال، دار صفصاف للنشر والتوزيع والدراسات، القاهرة، 2017.

23. ماغين، تسفي، روسيا في الشَّرق الأوسط: سياسة في امتحان، باحث للدراسات الفلسطينية والإستراتيجية، بيروت، 2013.

24. مجموعة مؤلفين، الجحيم الأميركي في العراق، التخبط الأيديولوجي الأميركي والمقاومة والحرب الأهلية في العراق، الجزء الثالث، ترجمة: مها سلمان سعود، النايا للدراسات والنشر، الرياض، 2007.

ثالثاً: الكتب الأجنبية

25. Belete, Shimels Sisay , The Right to Liberty and Security versus Counter – Terrorism under international law, Publiqation Academic Publishing Press, Frankfurt, 2018.

26. Hale, William, Turkey, the US and Iraq: Middle East Issues, Saqi Press, London, 2007.

27. group of authors, Iraq: Selected Issues, International Monetary Fund Press, Washington DC, 2015.

28. Gerli, Michele, Beyond Nuclear Ambiguity. The Iranian Nuclear Crisis and the Joint Comprehensive Plan of Action, Firenze University Press, Italy, 2019.

29. Dershowitz, Alan M , .Defending Israel: The Story of My Relationship with My Most Challenging Client, All Points Books, New York, 2019.

رابعاً: الدوريات والتقارير الأجنبية

30. Kabalan, Marwan, The Al – Ula GCC Summit: An End to Gulf Rivalry or Just Another Truce?, magazine "Insight Turkey: Geopolitics in The Eastern Mediterranean", Ankara, Vol. 23, No. 1, Winter, 2021.

31. Stephen Larrabee and Gonul Tol, Turkey's Kurdish Challenge, magazine "Survival Global Politics and Strategy", Washington, Vol. 53, No. 4,

August, 2011.

32. Pollack, Kenneth M., Securing the Gulf, magazine "Foreign affairs", Council on Foreign Relations, New York, Vol. 82. no. 4, July – August, 2003.

33. Transcript of Trump Speech on Iran Nuclear Deal, Office of the Press Secretary, Washington DC, October 13, 2017.

34. Pamuk, Humeyra and Landay, Jonathan, Pompeo says Soleimani killing part of new strategy to deter U.S. foes, Reuters News, Washington DC, January 14, 2020.

35. Galbraith, Peter W., The End Of Iraq: How American Incompetence Created Awar Without End, Simon and Schuster Press, New York, 2006.

36. Freedman, Robert, Russia Iran and The Nuclear Question The Putin Record, Strategic Studies Institute press, London, 2006.

37. Kilcullen, David, Blood Year: The Unraveling of Western Counterterrorism, Oxford University Press, London, 2016.

38. Radin, Andrew and Reach, Clint, Russian Views of the International Order, Rand Corporation, California, 2017.

39. Alterman, Jon B. and Garver, John W. , The Vital Triangle: China, the United States, and the Middle East, The CSIS Press, Washington DC, 2008.

40. Yetiv, Steve A. and Oskarsson, Katerina , Challenged Hegemony: The United States, China, and Russia in the Persian Gulf, Stanford University Press, California, 2018.

41. Al – Bayati, T Hamid, Donald Trump's New World Order: U.S. Credibility, Reputation, and Integrity, Rowman & Littlefield Press, London, 2020

خامساً: الدوريات العربيَّة

42. أحمد، بيداء محمود، العراق في الإستراتيجية الروسية، مجلة «المستنصرية للدراسات العربيَّة والدَّوْلية»، مركز المستنصرية للدراسات العربيَّة والدَّوْلية، الجامعة المستنصرية، بغداد، العدد 25، تموز/يوليو، 2008.

43. أحمد، صافيناز محمد، المواقف العربيَّة من الأزمة العراقية، مجلة «السِّياسة الدَّوْلية»، مؤسَّسة الأهرام، القاهرة، السنة الخمسون، المجلَّد 49، العدد 198، تشرين الأول/أكتوبر، 2014.

44. الحريري، جاسم يونس، العراق ودُوَل الخليج (المُتغيِّرات والمستقبل)، مجلة «دراسات دولية»، مركز الدراسات الإستراتيجية والدَّوْلية، جامعة بغداد، بغداد،

العدد 33، نيسان/أبريل، 2007.

45. الحسبان، أحمد، الجلبي ونجم الاوفر حظاً في خلافة المالكي، والازمة العراقية على اعتاب التدويل، صحيفة الأسبوع العربي، بيروت، حزيران/يونيو، 2014.

46. العناني، خليل، كركوك... مدينة على حافة الانفجار، مجلة «السِّياسة الدَّوْلية»، مؤسَّسة الأهرام، القاهرة، السنة الثالثة والأربعون، المجلَّد 42، العدد 169، تموز/يوليو، 2007.

47. المعموري، عبد علي كاظم، أميركا من الهزيمة الإستراتيجية إلى المناورة التكتيكية، مجلة «حمورابي»، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية، بغداد، السنة الأولى، العدد 1، كانون الثاني/يناير، 2012.

القدرات الأمنية والعسكرية للمؤسسة العسكرية العراقية لمواجهة التحديات المحتملة بعد الانسحاب الأمريكي على ضوء التجربة الأفغانية وتداعياتها

*الفريق الركن حسن سلمان خليفة البيضاني
باحث من العراق

*مركز حـراب للدراسات الأمنية والاستراتيجية

ملخص :

تحاول الدراسة سبر أغوار القدرات العسكرية والأمنية العراقية في ظل التحديات القائمة والمحتملة خاصة بعد الانسحاب الأمريكي من العراق بعد تحديد معالم تلك القدرات ومواطن قوتها ونقاط ضعفها في ظل بيئة غير مستقرة ونظام سياسي قلق واقتصاد هش يعاني من نوبات التراجع والانكماش وواقع اجتماعي فرض نفسه بقوة على الحالة الأمنية والعسكرية الى الحد الذي باتت تلك القوة غير قادرة على فرض إرادة قوة الدولة, فضلا عن ما سيصاحب الانسحاب الأمريكي من العراق من نتائج قد لا تكون ظاهرة أو محسوبة بدقة ليس لكون الوجود الأمريكي قد أضاف خلال مدة تواجده عوامل قوة للمؤسسة العسكرية والأمنية العراقية ولكن لكون المغادر الأمريكي يريد أن يثبت للعراقيين وللجوار الإقليمي أن بقائه يشكل عامل أمن واستقرار أكبر بكثير من اجباره على المغادرة بضغط برلماني واستخدام مبرمج لوسائل القوة المتيسرة من فصائل المقاومة الرافضة لوجوده على الأراضي العراقية .

كل ما ذكر لا يمكن ان يبحث أو يقرا استراتيجيا بمعزل عن الحالة الأفغانية او انعكاسات المشهد الافغاني الذي نجم عن تداعياته ما يقطع الشك بان السنوات التي أمضاها الجيش الأمريكي في بناء القوة العسكرية والأمنية الأفغانية والتي تزيد على عدد سنوات تواجده في العراق قد ذهبت ادراج الرياح وان طالبان كانت الاقدر على ملء الفراغ الأمني والعسكري فضلا عن تبوؤها لمركز اتخاذ القرار السياسي بعد هزيمة حلفاء أمريكا . أن دراسة الحالة العراقية والقدرات المتاحة لمواجهة الاحتمالات القائمة والمحتملة يجب ان لا تهمل دوافع تلك التداعيات التي أدت الى ما حصل في أفغانستان رغم عدم تطابق الصورة كليا بين العراق وبين أفغانستان الا أن اللاعب الأمريكي والجوار الإقليمي والتداعيات السياسية المصاحبة لنتائج الانتخابات وما افرزته من مخرجات والتي اهتزت على اثرها مقومات قوة الدولة قد تؤدي الى ما يمكن ان يقارب او يتقارب من ناحية النتائج مما حصل في أفغانستان.

كلمات مفتاحية : المؤسسة العسكرية، الانسحاب الأمريكي، أفغانستان، تداعيات الانسحاب.

The Security and Military Capabilities of the Iraqi Military Establishment to Face Potential Challenges After the American Withdrawal In Light of the Afghan Experience and its Repercussions

Hassan Salman Khalifa Al-Baydani
Researcher From Iraq
Harab Center for Security and Strategic Studies

ABSTRACT

The study attempts to probe the depths of the Iraqi military and security capabilities in light of the existing and potential challenges, especially after the American withdrawal from Iraq, by identifying the features of those capabilities, their strengths and weaknesses in light of an unstable environment, an anxious political system, a fragile economy that suffers from bouts of decline and deflation, and a social reality that has imposed itself strongly on the security and military situation to the extent that this force has become unable to impose the will of the power of the state, as well as the consequences that will accompany the American withdrawal from Iraq that may not be apparent or calculated accurately, not because the American presence has added during its presence factors of strength to the Iraqi military and security establishment, but Because the American departure wants to prove to the Iraqis and the regional neighborhood that his stay constitutes a factor of security and stability that is much greater than forcing him to leave under parliamentary pressure and the programmed use of the means of force available by the resistance factions that reject his presence on Iraqi soil.

All of what was mentioned cannot be discussed or read strategically in isolation from the Afghan situation or the repercussions of the Afghan scene, which resulted from its repercussions, which leaves no doubt that the years spent by the American army in building the Afghan military and security forces, which exceed the number of years of its presence in Iraq, have gone unheeded and that The Taliban was the most capable of filling the security and military vacuum, as well as occupying the center of political decision-making after the defeat of America's allies. The study of the Iraqi situation and the capabilities available to confront the existing and potential possibilities should not neglect the motives of those reper-

cussions that led to what happened in Afghanistan, despite the mismatch of the picture completely between Iraq and Afghanistan, but the American player and the regional neighborhood and the political repercussions accompanying the election results and the outputs it produced, which shook as a result, the components of the state's strength may lead to what could be close or close in terms of results to what happened in Afghanistan.

KEY WORDS: the military establishment, the US withdrawal, Afghanistan, the repercussions of the withdrawal.

المقدمة

شكلت أحداث أفغانستان في النصف الأخير من صيف عام 2021 منعطفا خطيرا في طبيعة الحالة القائمة في منطقتي اسيا الوسطى والشرق الأوسط ومرد ذلك هو أن الكثير من دول تلك المنطقة قد اعتادت على ان تجد في الولايات المتحدة الامريكية بعضاً من متطلبات أمنها الداخلي والخارجي لابل ان العديد من تلك الدول منحت الولايات المتحدة الكثير من الامتيازات ارضا وجوا وبحرا نتيجة قناعتها بأنها تشكل العماد الأساس في امنها الإقليمي وانها أي الولايات المتحدة لن تتوانى في الدفاع عنها امام أي خطر داهم وهكذا نجد ان الغالبية العظمى من تلك الدول قد عقدت العديد من المعاهدات والاتفاقات وبروتوكولات التعاون العسكري معها معتقدة أنها ستوفي بالتزاماتها رغم ان العشرين عاما الأخيرة وخاصة مرحلة ما بعد الحرب الباردة اثبتت بما لا يقبل الشك ان الولايات المتحدة الامريكية غير وفية بالتزاماتها وانها تضع مصلحتها الوطنية العليا ومصلحة وأمن صنيعتها إسرائيل في مقدمة الأسبقيات خاصة في مجال استخدام القوة العسكرية .

مقومات القوة العسكرية والأمنية العراقية ولاسيما بعد سقوط النظام الشمولي اختلفت كثيرا عما كانت عليه حيث أنها تعاني من جملة من التحديات التي ما انفكت تؤثر بشكل او بأخر على الأداء القتالي لتلك القوات, ورغم ان هنالك الكثير من المقومات التي تجعل من القوة العسكرية العراقية والأمنية العراقية قادرة على المواجهة التحديات الا أنه وفي ذات الوقت نجد ان تلك التحديات تتعاظم بين الحين والأخر مخلفة جملة من المصاعب التي يصعب تجاوزها في ظل أوضاع سياسية غير مستقرة , مع اتساع نطاق تلك التحديات سواء بأشكالها الداخلية او تلك التي انحت منحىً خارجياً بسبب الجوار الإقليمي وتدخلاته بالشأن العراقي او نتيجة الوضع الدولي العام الذي يشهد هو الاخر حالة من اللاستقرار على مختلف الصعدة , يرافق كل ذلك صعود وخفوت للعلميات الإرهابية التي لاتزال تجد في الساحة العراقية وجارتها الساحة السورية المتنفس الأكثر اتساعا لنفث سمومها لاسيما حينما تكون الفرص مواتية لمثل هذا التصعيد الإرهابي .

منذ سقوط الموصل وعودة التحالف الدولي الى العراق بقيادة الولايات المتحدة الامريكية الى الأراضي العراقية بدعاوى محاربة الإرهاب فان كل ما استطاع العراق

الحصول عليه من هذا التحالف هو خلق أزمات داخلية وتشرذم وانشقاقات سياسية خاصة وان الولايات المتحدة الامريكية والتي تقود هذا التحالف تعمل بروح العداء للمكون الأكبر من الشعب العراقي لابل ان هذا العداء اخذ شكل المواجهة المباشرة حينما أقدمت هي على اغتيال الشهيد أبو مهدي المهندس ومعه الشهيد قاسم سليماني تحت ذريعة انهم يشكلون خطرا على الامن والسلام الدولي, في الوقت الذي تجد فيه هذه القوات الالاف من الأعذار لعدم المشاركة في عمليات مكافحة الإرهاب عندما يطلب الجانب العراقي ذلك, والامر بات أكثر تعقيدا بعد ان اصدر البرلمان العراقي على اثر ذلك قرار بانسحاب فوري وغير مشروط للقوات الامريكية, ثم جاءت انتكاسة كابل لتزيد المشهد قتامة حيث بات من الواضح ان لا التزام لدى الولايات المتحدة تجاه حلفائها عدا الكيان الصهيوني .

ترتسم في أذهان البعض صوراً ضبابية حول الوضع الأمني والعسكري في العراق بعد الانسحاب الأمريكي المرتقب نهاية عام 2021

ترتسم في أذهان البعض صوراً ضبابية حول الوضع الأمني والعسكري في العراق بعد الانسحاب الأمريكي المرتقب نهاية عام 2021 ورغم ان الدوائر الاستخبارية الامريكية ستعمل جاهدة من تصعيد المخاوف ومحاولة نفخ الروح مجددا في جسد التنظيمات الإرهابية وخاصة داعش وهذا ما تجلى في النشاط المحموم لداعش خلال الشهرين ايلول وتشرين الاول من عام 2021 الا ان قراءة واعية ومدروسة للواقع العراقي بجانبه الامني والعسكري ستمنحنا تصور اقل ضبابية وقتامة لاسيما اذا ما جرى التخطيط بشكل علمي ومدروس للبناء المؤسساتي الامني والعسكري في ظل معادلة الصراع الاقليمي مع التركيز على توفير متطلبات بناء القوة في ظل التهديدات والتحديدات المستقبلية .

هدف الدراسة : تهدف الدراسة الى الوصول الى فهم منطقي ومحدد للتحديات والمخاطر التي يمكن ان تعتري البناء المؤسساتي الأمني والعسكري العراقي على خلفية اقتراب موعد مغادرة القوات الامريكية للعراق وفق ما حدد لها نهاية هذا العام, كما تهدف الى تحديد معالم القوة العسكرية والأمنية العراقية وهل انها قادرة على مجابهة التحديات القائمة والمحتملة, أخذين بنظر الاعتبار طبيعة التهديدات الإرهابية التي تميزت في الفترة القصيرة الماضية بتصاعدها, يضاف الى ذلك محاولة الربط بين ما حصل في أفغانستان على اثر الانسحاب الأمريكي منها وبين ما قد يحصل فيما لو غادرت القوات الامريكية الأراضي العراقية, وماهي الاحتمالات المتوقعة لما بعد الانسحاب, في حين وجدنا من الضروري ان تكون هنالك قراءة مستقبلية للواقع الأمني والعسكري العراقي وتحديد متطلبات بناء القوة العسكرية والأمنية في ظل التهديدات والتحديات المستقبلية .

تهدف الدراسة الى الوصول الى فهم منطقي ومحدد للتحديات والمخاطر التي يمكن ان تعتري البناء المؤسساتي الأمني والعسكري العراقي

إشكالية الدراسة: رسم السياسات الأمنية غالبا ما يتطلب ان يمتلك القائمون على

تحديد تلك السياسات تصورات واضحة ومحددة وغير قابلة للتأويل لكل ما يمكن ان يحصل حينما تختلف الحالة المحتملة عن الحالة المستقبلية , وهكذا نجد ان إشكالية الدراسة تتمحور حول هل ان البناء المؤسساتي العسكري والأمني العراقي القائم الان بإمكانه ان يكون قادرا على تجاوز الحالة المستقبلية والمحتملة لمغادرة القوات الامريكية وهل ان الوضع القائم في أفغانستان الان يمكن ان يؤثر ولو بشكل غير مباشر على الأداء القتالي والأمني للقوات المسلحة العراقية عندما تفتقد تلك القوات أي دعم عسكري مقدم لها بالوقت الحاضر من قبل قوات التحالف عموما وعلى وجه الخصوص القوات الامريكية .

فرضية الدراسة: بنيت هذه الدراسة على فرضية التأثيرات المحتملة لمغادرة القوات الامريكية للعراق وهل ان لهذه العملية تأثيراً محتملاً على الأداء القتالي , مع افتراض ان الواقع العراقي قد يقترب بعض الشيء في العديد من ثوابته الأمنية والعسكرية من الحالة الأفغانية , وعليه هل يمكن ان نتوقع تكرار ذات السيناريو الذي حصل في كابل ام ان للعراق وقواته المسلحة خصوصية تختلف بها عن الجيش الافغاني المشكل على يد القوات الامريكية التي أسهمت هي الأخرى بتشكيل الجيش العراقي وجهاز مكافحة الإرهاب وحتى الشرطة الاتحادية .

محاور الدراسة

جرى تبويب الدراسة الى قسمين وفق العناوين الاتية:

القسم الأول: قراءة للواقع الأمني والعسكري العراقي في ظل التواجد الأمريكي :

- مقومات القوة العسكرية والأمنية العراقية .
- التحديات الأمنية والعسكرية القائمة والمحتملة .
- التهديدات الإرهابية بين الخفوت والتصاعد .
- ادوار ومهام القوات الامريكية بعد انسحاب عام 2011.
- تأثير المشهد الافغاني على الوضع الأمني والعسكري العراقي .

القسم الثاني : الاحتمالات لما بعد الانسحاب – قراءة مستقبلية للواقع الأمني والعسكري العراقي

- مستقبل البناء المؤسساتي الأمني والعسكري في ظل معادلة الصراع الإقليمي .
- متطلبات بناء القوة في ظل التهديدات والتحديات المستقبلية .

القسم الأول : قراءة للواقع الأمني والعسكري العراقي في ظل التواجد الأمريكي

مقومات القوة العسكرية والأمنية العراقية

هنالك صلة أساسية بين الجغرافية والحرب لذلك نجد ان كل موقع او مكان او بقعة او منطقة لها خصائصها الفريدة من السمات الجغرافية التي تتفاعل لتشكل بيئة مميزة فبيئة العمل العسكري هي بناء مكون من جميع عوامل المشهد الطبيعي والثقافي التي تصوغ وتحكم مراحل مد وجزر المعركة[1] وانطلاقاً من ذلك فان

(1). اللجنة الوطنية للسياسات السكانية – تحليل الوضع السكاني في العراق 2012 – بغداد ص[91]

الخصائص العسكرية والأمنية لا بد لها من ان تكون ذات صلة بتحديد مدى تأثير الخصائص الجيواستراتجيية للعراق على مجمل الوضع الأمني القائم، ومن هنا فان لكل مرحلة من المراحل خصائصها التي تختلف بها عن سابقاتها فالموضوع العسكري والأمني قبل السقوط (قبل تغيير النظام) والذي لا يزال يلقي بضلاله على مجمل الأوضاع العامة القائمة كانت له خصائصه في حين ان مرحلة ما بعد نيسان 2003 وحتى بدء تنفيذ خط فرض القانون هي الأخرى تميزت بخصائص مختلفة جذرياً ثم مرحلة ما بعد انسحاب القوات الامريكية من العراق وصولاً الى سقوط الموصل وتداعياتها وكذلك مرحلة معارك التحرير والتطهير, ثم المرحلة الأخيرة والمتمثلة بالتواجد الأمريكي وبوادر الانسحاب وفق قرار مجلس النواب العراقي ، أي ان الخصائص لا يمكن ان تكون ثابتة بشكل مطلق بل ان هنالك البعض منها قد يكون ثابتاً نسبياً الا ان الغالبية هي تتغير وهذا التغيير يرتبط ولكل مرحلة من مراحل سجله من العوامل.

مقومات القوة والضعف في القوات العسكرية والأمنية العراقية قبل عام 2003

المرحلة التي سبقت الانهيار النظام السابق واحتلال العراق تميزت باختلالات عامة ولدت الكثير من المعاقل التي أدت بدورها الى انهيار السريع للمنظومة العسكرية الأمنية هذه الاختلالات لم تكن وليدة عشية ما حصل في نيسان 2003 بل هي جملة التراكمات بدأت مع استلام البعث للسلطة في عام 1968 وصعود ظاهرة التحزب في المؤسسة الولاء للحزب (القائد) قبل الولاء للوطن مروراً بالتصفيات الجسدية المنظمة للقادة العسكريين ثم الحروب التي ابتدأت مع ايران ولم تنتهي الا بسقوط النظام على يد القوات الامريكية المحتلة وما رافق تلك الحروب من تداعيات أدت بنكوص عام في الخصائص الإيجابية وتردي وتراجع وإبراز الخصائص السلبية. وبالتأكيد فان عموم القوات المسلحة العراقية قد تأثرت في هذه المرحلة ونجم عن ذلك تراجع ملموس في الأداء القتالي والمنجز الأمني ويمكن اجمال خصائص هذه المرحلة بما يلي: [2] (مرحلة قبل سقوط النظام واحتلال العراق):

عموم القوات المسلحة العراقية قد تأثرت فهذه المرحلة ونجم عن ذلك تراجع ملموس في الأداء القتالي والمنجز الأمني

اولاً. دافعية القتال الهشة التي تميزت بها المؤسسة العسكرية والأمنية وعدم وصول الميل الى الاستمرار بالقتال في موقف الخطر الى مستوى القبول بالموت.

ثانياً. محتويات قلقة غير مستقرة لم تكف عناصرها الأساسية لتكوين قدر معقول من التوازن النفسي للمقاتلين وبث روح العَمل الجماعي والتحكم بسلوك المقاتلين ولم تتيسر في اطارها منحى باتجاه بروز القدرة في سلم القيادة على الحفاظ على شرف المهنية والاحترافية العسكرية، ولم تكن بين مكوناتها ماله علاقة بالوطنية او الوطن الذي يمثل الطرف الرسمي والاساسي في معادلة الدفاع والقتال كعناصر مهمة لتكوين المعنويات.

(2). سعد العبيدي – واد بطل – نهاية جيش وملحمة شعب , دار تموز للطباعة والنشر , دمشق , ط1, 2012 , ص123

ثالثاً. عدم القناعة بالقدرة على القتال او الدفاع وبقدرة الكيان العسكري والسياسي القائم على ادارة المعركة الدفاعية بعد أن وضعت كل مكونات القوات المسلحة العراقية والتشكيلات غير النظامية والتنظيم البعثي في دائرة القلق المغلوبة.

رابعاً. يضاف الى تلك الخصائص أخرى أدت الى تفاقم الحالة والانهيار السريع وهي: [3]

(3). انتوني كوردسمان واخـرون – العراق تحت الاحتلال – تدمير الدولة وتكريس الفوضى , مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت لبنان, ط1 ، 2008 , ص89

(1) قدم أسلحة الجيش العراقي وعدم قدرته على تجديد أسلحته منذ نهاية الحرب العراقية – الإيرانية بسبب غزو العراق للكويت وحرب عام 1991، وكذلك الحصار الاقتصادي الذي فرضه مجلس الأمن الدولي على العراق في تسعينيات القرن الماضي، مقارنة بالتفوق العسكري الأمريكي والهيمنة الجوية.

تعطيل منظومات القيادة والسيطرة العراقية وقطع خطوط الاتصال بين القيادة العسكرية العراقية والوحدات العسكرية في ميدان القتال

(2) التفوق التقني الهائل لصالح أمريكا في كل مجالات التسليح والتجهيز والتدريب.

(3) تعطيل منظومات القيادة والسيطرة العراقية وقطع خطوط الاتصال بين القيادة العسكرية العراقية والوحدات العسكرية في ميدان القتال، وهي بذلك افقدت عنصر التوجيه ووصول الأوامر والتوجيهات، الأمر الذي جعل الجيش العراقي تائهاً في ميدان القتال.

(4) تدني مستوى العناية والخدمة بالجندي العراقي واعتماد النظام الالزامي في التجنيد وطول مدة الخدمة العسكرية.

(5) استعمال الحرب النفسية من قوات التحالف كان له الأثر الكبير في ضعف روح المقاومة والصبر لدى الجيش العراقي.

(6) عدم وجود تأييد شعبي كبير لسياسة النظام السابق ورئيسه بسبب حكمه الدكتاتوري وانتهاج سياسة الخوف والطغيان في العراق، فالشعب أراد التخلص من هذا الحكم. ولهذا لم تصمد الجبهة الداخلية ولم يتمكن العراقيون من تنظيم مقاومة واسعة ومنظمة لقوات العدو الغازية.

من خلال ما تقدم يتضح أن الخصائص العسكرية والأمنية التي كانت سائدة قبل الاحتلال الأمريكي عام 2003 هي التي دفعت باتجاه الانهيار السريع والمفاجئ للقوات المسلحة العراقية وما نجم عن ذلك من انهيار تامة للمنظومة الأمنية وبالتالي اضمحلال مقومات الدولة وتلاشيها ولم تكن تلك الخصائص كما بينا سابقاً حالة امنية افرزتها ظروف العدوان الأمريكي بل هي نتائج لتراكمات متسلسلة من الإخفاقات والخلل البنيوي في عموم المؤسسات المنضوية تحت إدارة الدولة ومنها المؤسسة العسكرية:

أن الخصائص العسكرية والأمنية التي كانت سائدة قبل الاحتلال الأمريكي عام 2003 هي التي دفعت باتجاه الانهيار السريع والمفاجئ للقوات المسلحة العراقية

تأثير موقع الدولة الجغرافي على الوضع الأمني و العسكري

لا شك ان للجغرافيا تأثيرات كبيرة وحاسمة على طبيعة ومقومات بناء قوة الدولة

فالعامل الجغرافي ومنذ الازل كان عاملاً حاسماً في تحديد قوة وقدرة الدولة على الصمود [4]. و نجد ان من الضروري هنا التأكيد على ان الموقع الجغرافي لا يزال حاكماً في تأمين القدر الأكبر من القوة و المتانة للدولة. وفي كل الأحوال فأن هنالك صلة أساسية بين الجغرافيا و الوضع الأمني و العسكري وكذلك وبصورة حتمية بينهما وبين الحرب, لذلك نجد ان أي موقع او مكان او بقعة او منطقة لها خصائصها الفريدة في السمات الجغرافية التي تتفاعل لتشكيل بيئة مميزة، فبيئة العمل العسكري هي بناء مكون من جميع عوامل المشهد الطبيعي و الثقافي التي تصوغ وتتحكم بمراحل مد وجزر المعركة[5] .

ان الموقع الجغرافي لا يزال حاكماً في تأمين القدر الأكبر من القوة و المتانة للدولة.

غالباً ما تحدد الخصائص الجيوعسكرية و الأمنية و التي تمثل بحد ذاتها الجيواستراتجيية العسكرية باعتبارها عنصراً اساسياً في تحديد المهام والغايات الاستراتيجية للحرب وكذلك اعداد مسارح الحركات الحربية و طبيعة التحركات للقطعات العسكرية حيث من خلالها يتم متابعة سير العمليات الحربية و من هنا فأنها تحدد و بقدر تعلق الامر بالوضع الأمني و العسكري للعراق وعلى ضوء المعطيات القائمة او التي ستفرزها مرحلة ما بعد الانسحاب الأمريكي بما يأتي [6]:

1. شكل ونوع الاستراتيجية القومية او الوطنية او ما يطلق عليه البيئة الاستراتيجية للأمن الوطني أو القومي ووفق القدرات الوطنية المتاحة.
2. وضع الخطوط العريضة والاتجاهات والأهداف والمصالح القومية بما يضمن وحدة الأراضي العراقية ومنع أي توجه باتجاه الانفصال من أي طرف كان.
3. تحديد أماكن النزاع الفعلي او الوشيك او المحتمل سواء في ظل تصاعد العمليات الإرهابية او خفوتها.
4. بيان الإحساس بالخطر وتحديد مكامن الخطر سواء الداخلية منها او الخارجية وبما يومن بيئة جاذبة وامن مجتمعي فعال يبعد العراق عن شبح الهبوط الى قائمة الدول الفاشلة.
5. من خلال دراسة واقعية يمكن للقائمين على التخطيط الاستراتيجي (السوقي) في جانبه العسكري والأمني من امكانية تحديد مسبق للأعداء المحتملين واحتمالية نشوب الحرب والأماكن المحتملة للصراع او النزاع او حتى المعارك بمحتواها السوقي.
6. الشكل العام للمسالك القائمة والمحتملة فضلاً عن تحديد عدد المقتربات وطبيعة كل مقترب ومكامن الخطورة فيه على مجمل الوضع الأمني والعسكري وهذا الجانب لا يمكن ان يكتمل دون دراسة مفصلة وتحليل لساحات العمليات مع دول الجوار الإقليمي للعراق
7. بناء على ما تقدم يمكن التوصل الى تحديد محتمل للتجمعات الحربية والعسكرية للعدو القائم او المحتمل و كذلك الاتجاهات العامة لتحركاته
8. تحديد أسبقيات استخدام القوة الناعمة او الصلبة للدولة العراقية على

(4). معين حداد ، الجيوبوليتكيا ، قضايا الهوية و الانتماء بين الجغرافية و السياسة ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر , بيروت , ط1, 2006, ص 97

(5). اللجنة الوطنية للسياسات السكانية ، تحليل الوضع السكاني في العراق ، 2012 بغداد ص 91

(6). د. محسن عبد الصاحب المظفر ، المسرح البيئي العسكري ، شركة العارف للمطبوعات, بغداد ، ط1 , 2014 ص 43

ضوء المعطيات التي فرضها الموقع الجغرافي لها، وحسب أسبقية التهديد المحتمل.

في كل الأحوال فأن الخصائص الجيوعسكرية والأمنية هي التي تعطي القيادات العسكرية والأمنية في البلاد القدرة على تطويع ثوابت الجغرافية العسكرية مع الغايات العسكرية بغية اعداد الاستراتيجية العسكرية الشاملة و العليا للدولة كونها احد الاستراتيجيات التخصصية فيها، ونظراً لمفاهيم وقيم الحروب المعاصرة أضحت الحرب لا تقتصر على معارك الجيوش و مسارح العمليات فحسب بل تشمل جميع عناصر وخصائص الجيوعسكرية والأمنية و التي تتضمن[7]:

الخصائص الجيوعسكرية والأمنية هي التي تعطي القيادات العسكرية والأمنية في البلاد القدرة على تطويع ثوابت الجغرافية العسكرية

1. الطبوغرافيا ومدى علاقتها بالعمليات العسكرية.
2. الجو والفضاء ومقدار القوة المتيسرة للسيطرة عليها.
3. التنوع الديمغرافي للبلاد ومدى إسهاماته في مقومات الدولة.
4. التضاريس الأرضية بالمستويات التعبوية والعملياتية و مساهمتها في تأمين الدفاعات أو الاندفاعات عند خوض الحرب .
5. البنى التحتية والمنشأت ذات الطبيعة الخدمية الداخلة في التكوين الجغرافي للبلاد مثل السدود والجسور وغيرها والتي يطلق عليها في أحيان كثيرة تسمية (المفاصل الرخوة أو اللينة) و التي تستهدف عند اشتداد الضغط العملياتي من قبل العدو او من قبل قطعاتنا
6. شبكات وعقد المواصلات وأنظمة الطرق والسكك الحديد والموانئ والمطارات وشقق النزول والوديات التي تساعد على الاختباء.
7. الحالة المناخية والطقس ومدى تأثيرهما على العمليات العسكرية حسب المواسم.

(7). فرانسيس جالجانو ، الجغرافية العسكرية الحديثة ، مركز الامارات للدراسات و البحوث الاستراتيجية، أبو ظبي ، ط1 ،2010 , ص79

ثالثاً. موقع العراق الجغرافي وتأثيره على وضعه الأمني و العسكري :

أن تأثير عوامل الموقع و الشكل والمناخ و التكوين السكاني أثر بشكل أو بأخر على الوضع الأمني و العسكري العراقي من خلال ما يلي[8] :

1. حجم العراق الكبير نسبياً يحتاج الى قطعات كبيرة للدفاع عنه كما أنه و في حالة مهاجمته و من قبل دولة أخرى يحتاج الى قطعات متنوعة ذات اختصاصات متعددة.
2. تجبر الطبيعة الجغرافية العراقية المهاجم على العمل على الخطوط الخارجة و على المناورة من مسافات بعيدة في حين تمنح هذه الطبيعة المدافع إمكانية جيدة في ترتيباته الدفاعية عدا ما يتعلق منها بالحدود الإيرانية التي تتميز بسيطرة الجانب الإيراني على الغالبية العظمى من المناطق المرتفعة.
3. طبيعة المناخ غير المستقرة هي الأخرى تحتاج الى اعداد مسبق لمسارح

(8). جغرافية العراق العسكرية ، الكلية العسكرية ، جامعة الدفاع للدراسات العسكرية ، كراسة رسمية , 2014 , ص27

العمليات خاصة في المناطق الغربية حيث تسبب السيول غير المتوقعة وانعدام الرؤية بسبب العواصف الترابية، كذلك الحال في المناطق الجبلية ذات الطقس المتقلب. في حين تسبب الرياح الموسمية في المناطق الوسطى والجنوبية تصاعد غبار يؤدي الى شل العمليات العسكرية في اغلب الاحيان.

4. الواقع الديمغرافي فرض على العراق نوع من عدم التجانس و ولد الكثير من القلق وانعدام الثقة خاصة بعد سقوط النظام السابق عام2003 و بروز النزعة الطائفية و العراقية و العمل بمبدأ المحاصصة[9].

تجبر الطبيعة الجغرافية العراقية المهاجم على العمل على الخطوط الخارجة و على المناورة من مسافات بعيدة

رابعا: تحديات إدارة الأمن في المناطق المتنازع عليها

مثلت مشكلة (كركوك والمناطق المتنازع عليها الأخرى) بين الحكومة المركزية وحكومة إقليم كردستان بعد عام 2003 المشكلة الأكبر والأكثر تعقيدا نتيجة الاختلافات الكبيرة فيما بينهما سواء اكان ذلك يتعلق بالتسميات أو بالدلالات الجغرافية أو طرق المعالجة أو الحدود الإدارية المفترضة وحتى أساليب إدارة الملفات الأمنية فيها , لاسيما وان الدستور العراقي لعام 2005 لم يعترف بالمناطق المتنازع عليها باستثناء كركوك التي ورد ذكرها في (المادة 133 /ثانيا) و(المادة 140 /ثانيا) [10]من الدستور , وفي ظل ذلك الاختلاف تبنت بعثة الأمم المتحدة (يونامي) موضوع تسوية الداخلية المتنازع عليها من خلال تقرير ممثلها (دي مستورا) الصادر عام 2008 , اذ حدد هذا التقرير المناطق المتنازع عليها بغض النظر عن مدى المقبولية لهذا التحديد من قبل طرفي النزاع [11] .

في ذات الوقت الذي كان للأمريكان رؤيا مغايرة لما ذهب اليه (مستورا) حيث حاولوا بطرائق غير مباشرة تصعيد الموقف الكردي الرافض من خلال دعوة البنتاغون لتسليح الأكراد على حساب الجيش العراقي دون الرجوع لحكومة المركز وهذه واحدة من اكثر القضايا اثارة للفوضى الخلاقة التي حاول الاحتلال وبشتى الطرق زرعها في الداخل العراقي, وبذلك برزت العديد من التحديات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وكان اخطرها تحدي إدارة الامن في تلك المناطق وتداخل الصلاحيات الأمنية بين الحكومة الاتحادية وحكومة الإقليم , لاسيما بعد احتلال داعش للموصل في حزيران 2014 والمناطق المجاورة للإقليم وقيامه باحتلال اغلب المناطق المتنازع عليها[12] وتقدم مجاميع داعش باتجاه مدينة أربيل ومحاولة أحتلالها والتدخل الواسع النطاق للقوة الجوية الأميركة لمنع ذلك في الوقت الذي لم تقم تلك القوة ورغم الطلبات المتعددة لحكومة المركز بتامين اسناد جوي للقوات العراقية التي كانت تدافع في حينها عن بوابات بغداد الجنوبية الغربية(جرف الصخر) والشمالية الغربية (عامرية الفلوجة) وباقي المناطق المحيطة بحزام بغداد والتي تمكن داعش

وبذلك برزت العديد من التحديات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وكان اخطرها تحدي إدارة الامن

(9).ف ر حسن البيضاني تاريخ الجيش العراقي - الواقع الديمغرافي و اثره على بناء الجيش ، الدار العلمية للطباعة والنشر , بغداد ، ط1, 2021 , ص 238

(10) . دستور جمهورية العراق لسنة 2005

(11) . هادي حسين محسن , المناطق المتنازع عليها في كتابات الضباط والسياسيين البريطانيين , مجلة كلية الآداب , جامعة بغداد العدد 101 , لسنة 2012 , ص154

(12). د قاسم محمد عبد , جيوبولتك الامن الوطني العراقي (دراسة في التحديات) , مجلة دراسات دولية , جامعة النهرين , بغداد , العدد 38 , لسنة 2017, ص 217

من الوصول اليها .

لم يتوقف التحدي الأمني في كركوك والمناطق المتنازع عليها عند هذا الحد بل ان رئاسة الإقليم أعلنت بشكل رسمي نيتها للقيام باستفتاء للانفصال عن العراق وحدد يوم 25 أيلول 2017 للقيام بالاستفتاء دون الرجوع الى الحكومة المركزية ومجلس النواب الذي يشغل النواب الاكراد اكثر من 20 بالمائة من مقاعده وبالفعل جرى الاستفتاء ورافقه صمت امريكي ترقبا بالنتائج وجاء مطابقا وبنسبة مرتفعة جدا لرغبات القادة الاكراد بالانفصال , الا ان الحكومة المركزية رفضت ذلك جملة وتفصيلا , حينها بدا الاكراد وبعد هيمنتهم الكاملة على كركوك بعد الانسحاب القسري الذي حصل اثناء احتلال داعش للموصل واستيلاء الاكراد على قرابة أسلحة ومعدات ثلاثة فرق عسكرية عراقية , عندها لم تجد الحكومة المركزية بعد نجاحها في تحقيق الانتصارات على داعش حلاً لموضوعة إدارة الامن في كركوك والمناطق المتنازع عليها الا بزج تشكيلات الحشد الشعبي مصحوباً ببعض وحدات الجيش والتي تمكنت من استعادة كركوك خلال ساعات وأعادت فرض الأمن فيها من قبل الحكومية المركزية يوم 16 تشرين اول 2017 .

ان رئاسة الإقليم أعلنت بشكل رسمي نيتها للقيام باستفتاء للانفصال عن العراق

خامسا :تحديات موقع الجوار الجغرافي للعراق (الجوار الإقليمي) على الأمن الوطني

يقصد بهذه الخصائص السمات الجغرافية و المعطيات المكانية التي تميز الدولة وتحدد علاقاتها في محيطها الإقليمي مع دول الجوار، و يرتبط بهذه الخصائص عدد من المؤشرات هي عبارة عن نسب توضح مدى الضغوط الناجمة من الموقع المجاور، والتي يمكن ان تتعرض لها الدولة جراء خصائص ذلك الموقع، أي هي مقاييس نظرية تعطي للدولة دلالات بوجود تهديدات محتملة من دول الجوار ضد سيادة الدولة و كيانها الإقليمي[13] .

و يمكن اجمال هذه التحديات بما يلي[14] :

1. أن الدول المجاورة للعراق هي (6) دول و تختلف اطوال حدودها مع العراق لكن كمعدل عام فأن كل دولة من الدول يقابلها جزء محدد بنسبة مئوية من مساحة العراق مما يجعل التعامل أمنياً وعسكرياً مع تلك الدول يحتاج الى تعامل خاص على ضوء تلك المساحات.
2. العراق حدودياً يعتبر دولة حبيسة فمن مجموع اطوال حدوده مع دول الجوار والبالغة (3631 كم) في حين ان مجموع اطوال حدوده البحرية لا يتجاوز (58كم)
3. الفراغ السكاني في المناطق الحدودية اثر سلباً على طبيعة اعداد الدولة للحرب واعداد مسارح العمليات.
4. حجم السكان هو الاخر يميل الى دول الجوار خاصة تركيا وإيران.

(13). محمد محمود إبراهيم الديب ، الجغرافية السياسية(منظور معاصر) ، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة ،2001 ص141

(14). د قاسم محمد عبد، مصدر سبق ذكره ، ص209

5. ان العراق دولة شبه قارية حيث يشترك مع ست دول وهذا ما يجعل احتمال تعرضها للخطر أمر وارد.
6. طول الحدود عامل خطر يهدد أمن الدولة وخاصة اذا ما ترافق ذلك مع عدم وجود توافق سياسي مع دول الجوار.

التحديات الأمنية والعسكرية القائمة والمحتملة

قد تكون التحديات الأمنية والعسكرية هي الأكثر تأثيراً على بناء الدولة ومؤسساتها كما أنها تدخل ضمناً كسبب لتحديات ومخاطر أخرى منها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ورغم أن هذه التحديات تختلف من بلد الى اخر الا أنه لم يخل مجتمع من المجتمعات الى اليوم من مظاهر العنف سواء البارزة منها او تلك التي تكون في حالة السبات والكمون متخذه من ظروف الحياة الصعبة كمحفز، ولتتجمع خيوطها في وجدان وعقول أولئك الذين يخافون منها، ولتتغذى على الحقد الذي يأخذ طريقه الى قلب هؤلاء منتظرة اللحظة المناسبة لتأخذ مكانها على اديم الواقع في شكل انفجار عاصفة لا يبقى شيئاً، يتناسب مع مدى الكبت والاضطهاد الذي عانوه هؤلاء الناس في ظل الظروف التي كانت قائمة وقتها بسبب أوضاع سياسية واقتصادية واجتماعية وعقائدية جعلتهم يعيشون في غربة عن مجتمعاتهم. لكن الذي حدث في العراق بعد حرب الخليج الثالثة 2003 م عنف من نوع أخر غريب في توجهاته وممارسته وأهدافه يمكن ان يطلق عليه بـ(الإرهاب الوافد) الذي لم يتوانى عن استخدام ابشع وسائل القتل والتنكيل من اجل تخريب البلاد مؤسسات وافراد ،اجتماعيا وثقافيا ، سياسياً واقتصادياً ، مادياً ومعنوياً[15] .

التحديات الأمنية والعسكرية هي الأكثر تأثيراً على بناء الدولة ومؤسساتها

(15) مركز النهرين للدراسات الاستراتيجية ، التحديات الداخلية والخارجية للأمن الوطني العراقي، مجلس الامن القومي بغداد , كراس النهرين العدد 11, 8102, ص17

ان التحديات الأمنية والعسكرية غالبا ما تتصاعد بعد انتهاء تأثير نشوة النصر في أي مواجهة عسكرية وهذا ما حصل فعلا بعد الانتصار على داعش , لذلك فان القائمون على الملف الأمني والعسكري هم دائما أمام خيارين: وهما اما ان تحمل هذه التحديات دوافع ومقومات قوة تعطي للقائمين على الامن الجرع الكافية لإيجاد المعالجات الجذرية لما يمكن ان يحصل من الاحتمالات الواردة او انها ستتصاعد دونما أي طرح او استنباط لخطط او أفكار جديدة تتواءم او تتلائم مع المستجدات التي احدثتها معارك التحرير, فالوجه الجديد المحتمل لداعش او أي تنظيم إرهابي اخر والذي قد لا يكون في أي حال من الأحوال مطابق تماما لذات الوجه الذي قاتلته القوات الأمنية سابقا على مدى ثلاثة أعوام بل وجه اخر تحاول الجهات الراعية للإرهاب ان يكون اكثر صرامة واشد مكرا واقوى عزيمة لاسيما وان هنالك دوافع متعددة تضفي جميعها الى اعتماد إرهاب وافد ذو نمط مختلف ومغاير لما هو قائم , ومن اهم هذه الدوافع هو مبرر الانسحاب الأمريكي من العراق والايحاء بان هذا الانسحاب قد

ان التحديات الأمنية والعسكرية غالبا ما تتصاعد بعد انتهاء تأثير نشوة النصر في أي مواجهة عسكرية وهذا ما حصل فعلا بعد الانتصار على داعش

ولد ثغرة في الحالة الأمنية نجم عنها الوليد الإرهابي الجديد وكأنما تعاود الاحداث تكرارها بنفس السيناريو الذي تلا انسحاب القوات الامريكية من العراق في عام 2011 بعد توقيع اتفاقية الانسحاب وملحقها ، لذلك فان تحديد التحديات الأمنية قد لا تكون ذات فائدة تذكر ان لم تقترن بعمل ميداني غير تقليدي لا يمنع داعش او أي قوة معادية أخرى مجدداً من إمكانية التمدد (ليس المقصود هنا التمدد بمعناه التقليدي) بل ان يتمدد كفكر او ممارسات وصولاً الى العودة الى تطبيق مفردات إدارة التوحش التي طبقها التنظيم بحذافيرها بين الأعوام(2014 و 2019) وبلا شك **ان من يبحث عن أسلوب المواجهة لأي عدو عليه ان يعرف كيف يفكر ذلك العدو** ورغم ان العدو في الغالب قد يضمر ما يفكر به ويظهر ما هو مخالف، الا ان فضيلة التنظيمات المتطرفة الإرهابية وخاصة تلك التي تتخذ من الدين والمذهب غطاء لها لا تذهب باتجاه إخفاء ما تريد ان تفعله او تفكر فيه او تنوي فعله مستقبلاً للقيام به او تضعه كخطة لمراحل لاحقة قد لا تكون ضمن المستقبل المنظور وخير دليل على ذلك هو اعتماد داعش على مجموعة من الادبيات الاستراتيجية العسكرية التي تعتبرها بمثابة دليل عمل وتروج لها وتطالب مريديها وانصارها باعتمادها ودراستها وتطبيق مفردتها [16], لذلك فأننا نرى ان معرفة أفكار العدو هي التي تحدد والى حد كبير التحديات الأمنية والعسكرية التي يمكن ان نواجهها .

التحديات الأمنية والعسكرية قد تشمل مجموعة العمليات والأساليب الإرهابية التي تحصل في العراق والتي تتضمن العنف والتطرف

التحديات الأمنية والعسكرية قد تشمل مجموعة العمليات والأساليب الإرهابية التي تحصل في العراق والتي تتضمن العنف والتطرف والغلو والعدوان بكل اشكاله وصوره تجاه الافراد او التجمعات من المدنيين والمؤسسات والمنشأة التي تقوم بحماية امن البلاد واستقرارها من قبل افراد او مجموعات او منظومات او دول، ومهما كانت الدوافع والأسباب، وبما يؤدي الى التدمير والموت، او التخويف والترهيب، التهجير والتنفير من الأرض او الوطن وفق اعتبارات دينية او عراقية او مذهبية او فكرية او عقائدية او مهنية، وفي اطار منظم ومخطط له يستهدف امن الانسان الفرد وكرامته وواجباته ومستقبله وعمله[17] ويمكن اجمال تلك التحديات بما يلي: [18]

أولا. قدرة العدو المتجددة على القيام بعمليات إرهابية ذات صدى اعلامي.

ثانيا. الحدود لم تؤمن لحد الان بالطريقة التي تضمن الحد من الظاهرة تسلل العدو.

ثالثا. مستوى اداء القطعات في قتال المدن بالرغم من الخبرة المتراكمة لم ترتقي الى المستوى المطلوب.

رابعا. الجهد الاستخباري لا يزال مبعثراً وغير محكوم بقانون لتحديد فضاءات العمل الاستخباري.

خامسا. المحاصصة اثرت سلبياً على طبيعة منظومة البيانات القيادة والسيطرة في

(16) حسن البيضاني , ما بعد معارك التحرير – داعش بين ملاذات الصحراء والعودة الى العمليات الإرهابية في المدن , مجلة اغتراب (العدد الخامس) , مركز بلادي للدراسات الاستراتيجية , بغداد , 8102 , ص 62

(17)الحارث عبد الحميد حسن، الإرهاب والسلوك الإرهابي، مجلة العلوم النفسية، جامعة بغداد, العدد الأول, 6002, ص8

(18) حسن البيضاني، التحديات القائمة والمحتملة للأربع سنوات القادمة , بحث مقدم الى مركز حراب للدراسات الاستراتيجية , بغداد , 8102 , ص6

عموم القوات المسلحة.

سادسا. عدم استقرار منظومة القيادة والسيطرة على مستوى القوات المسلحة.

سابعا. ضعف عام في طبيعة وامكانيات القاعدة المادية الخاصة بالدعم اللوجستي.

ثامنا. غياب عام لترتيب التدريب وبمختلف المستويات.

تاسعا. التواجد غير المبرر لقوات الجيش داخل المدن.

عاشرا. عدم وضوح الرؤيا لدى القوات المسلحة حول المهام والواجبات المكلفة بها.

أن الإرهـاب فـي الـعـراق لـم يتأثر اطلاقا وعلى مر السنوات الثمانية عشر الماضية بالوجود الأمريكي وقوته

حادي عشر. استمرار العمل بنظام السيطرات وغيرها من الأساليب التي لم تعد تلائم الظروف الحالية

التهديدات الإرهابية بين الخفوت والتصاعد.

لا يمكن رسم صورة مستقبلية محددة لطبيعة التهديدات الإرهابية المحتملة بعد الانسحاب الأمريكي من العراق لسببين أساسيين

أولهما: أن الإرهاب في العراق لم يتأثر اطلاقا وعلى مر السنوات الثمانية عشر الماضية بالوجود الأمريكي وقوته حيث لم يشكل هذا الوجود أي عائق او معرقل لمنع العمليات الإرهابية لا بل نجد ان الحالة معكوسة تماما إذا أن وجود القوات الامريكية أسهم في الكثير من الحالات بإذكاء نيران الإرهاب وساعد على تصعيد قدرات تلك التنظيمات الإرهابية من خلال تدخل تلك القوات المباشر وغير المباشر لمنع الحشد الشعبي وتشكيلاته من القيام بعمليات إجهاضيه في العديد من مدن ومناطق المنطقة الغربية والشمالية الغربية .

ثانيهما: ان الإرهاب في العراق وكما أسلفنا هو إرهاب وافد يتغذى بالدرجة الأساس عقائديا على مخلفات الفكر الوهابي وفكر بن تيمية وما تبعهم من منظرين ودعاة ترهيب وعلماء تكفيريين , أي أن جذوة الإرهاب هي جذوة عقائدية يمكن تصعيدها دونما حاجة الى تحشيد قدرات ولكون بعض المدن العراقية تحولت الى ما يمكن ان نطلق عليها الملاذات الامنة لهذه التنظيمات الإرهابية عليه فان التنبؤ بما سيحصل لاحقا وبعد الانسحاب الأمريكي سيكون بمثابة رجم في الغيب خاصة وان السنوات التي تلت معارك التحرير اثبتت بان داعش وباقي التنظيمات الإرهابية قادرة على لملمة مجاميعها والقيام بعمليات من الصعب التنبؤ بحصولها وهذا ما حصل لمرات عديدة في وادي الجاي بكركوك وكذلك قضاء الطارمية التابع لبغداد والمقدادية في محافظة ديالى والقائم في الانبار وسواها من المناطق التي منحت الإرهاب فرصة للبقاء ومعاودة النشاط .

الإرهـاب في الـعـراق وكما أسلفنا هـو إرهـاب وافـد يتغذى بالدرجة الأسـاس عقائديا على مخلفات الفكر الوهابي

بناء على ما تقدم فان احتمالات التصعيد واردة و بنسبة اكبر بكثير من احتمالات

الخفوت ليس بسبب نية القطعات الامريكية الانسحاب بل أن جملة من العوامل هي التي تنذر بمثل هذا التصعيد من أهم تلك العوامل والمسببات ما يأتي :

1 . الأوضاع السياسية القلقة وغير المستقرة خاصة وان تداعيات إزاحة الحكومة السابقة ومجيء حكومة اقل اقتدارا على إدارة الملف الأمني قد سهل والى حد كبير من إمكانية التصعيد في العمليات الإرهابية .

2. التداعيات المصاحبة لاستغلال المحاصصة في القوات المسلحة وخاصة وزارة الدفاع والعمل باتجاه تبؤء الكثير من الضباط مناصب قيادية في قواطع ساخنة رغم أن لهم ميولاً وارتباطات باجندات تتناغم مع التنظيمات الإرهابية .

4. تعمل القيادة السياسية في الوقت الحاضر ممثلة بالحكومة التي جيء بها على أثر حراك تشرين على تحجيم دور الحشد الشعبي يرافق ذلك محاولات لبعثرة قدرات هذه القوة من خلال محاولات التقسيم التي تتعرض لها وذلك باستحداث حشود بمسميات جديدة غايتها الأساسية إطفاء جذوة الروح الجهادية والتحول الى عمل مؤسساتي ذو طبيعة بيروقراطية لا تتماشى مع أهم الأسس القائمة لمقاتلة الإرهاب والمتمثلة بمبدأ (لا تقاتل العقيدة الا بعقيدة مقابلة)

5. عدم التكافؤ بين قدرات ومقومات القوة في القوات المسلحة العراقية من جهة والعناصر الإرهابية من جهة أخرى ليس من الجانب المتعلق بالتسليح والتجهيز بل من الجانب الأهم في مثل هكذا مواجهات الا وهو إرادة القتال التي تكاد ان تكون في أسوء معدلاتها في القوات المسلحة عدا الحشد الشعبي بالوقت الحاضر في حين لايزال تنظيم داعش قادرا على زج عناصر قادرة على احداث تأثيرات ملموسة في ميادين القتال وتحقيق المفاجأة واستثمار المباغتة .

لاتـزال هنالك الكثير من المناطق فـي غـرب الـعـراق وشماله الغربي والشرقي يمكن ان تكون بمثابة مـلاذات أمـنـة للعناصر الإرهـابـيـة مما يمنحها القدرة على المواصلة والديمومة

6. لاتزال هنالك الكثير من المناطق في غرب العراق وشماله الغربي والشرقي يمكن ان تكون بمثابة ملاذات أمنة للعناصر الإرهابية مما يمنحها القدرة على المواصلة والديمومة من اجل استمرار عملياتها الإرهابية وهذا ما أكدته العمليات الإرهابية التي حصلت في اشهر مايس وحزيران وتموز واب وأيلول وتشرين الأول من عام 2021 حيث أسهمت تلك الحواضن والملاذات الأمنة في منح الإرهابيين فرصاً كبيرة لإنجاح عملياتهم الإرهابية .

<u>عوامل التردي الأمني في المرحلة السابقة</u> :

اذا ما أردنا أن نجابه الحقائق وبروح منفتحة وقابلة لتقبل النقد لابد لنا من تشخيص الاخطاء والعوامل التي ادت الى حالات النكوص الامني خلال المراحل السابقة فبلا هذا التشخيص لا يمكن التوصل الى حلول ناجحة بأماكنها ان تكون مسارات لمستقبل العمل الاستخباري خلال المرحلة القادمة .ومن أهم هذه العوامل :

أ. انعدام وحدة القيادة في مجال العمل الاستخباري رغم تطبيقه في المجال التعبوي والعملياتي بوجود قيادة العمليات المشتركة و قيادة عمليات بغداد

وباقي قيادات العمليات وهذا الامر ولد نوع من التشظي وانعدام تطبيق واحد من أهم مبادئ الحرب والمتمثل بتحشيد الجهد فالعمل التعبوي والعملياتي وكذلك الحال بالنسبة للعمل الاستخباري قد فقد والى حد كبير ميزة وحدة القيادة فمرجعية الأجهزة الاستخبارية وتعدد مراكز اتخاذ القرار أدت الى ان لا تتمكن تلك الأجهزة من العمل بالاتجاهات التي تخدم العملية الأمنية بل ان هنالك ضياع للفرص بسبب انعدام وحدة القيادة رغم وجود خلية الاستخبارات الوطنية التي لم ترتقي الى المستوى الذي يجعلها بوتقة لصهر المعلومات وإنتاج الاستخبارات بل بقيت مجرد محطة للتجميع والتمرير دون أن يكون لها الأثر المطلوب في تحديد الاحتمالات المستقبلية للواقع الأمني .

فالعمل التعبوي والعملياتي وكذلك الحال بالنسبة للعمل الاستخباري قد فقد والى حد كبير ميزة وحدة القيادة

ب. لا شك أن الأعمدة الثلاثة المكونة لمثلث المنظومة الأمنية في كل بلد و المتمثلة بالأمن (كإجراءات) والاستخبارات(كمعلومات) والعمليات(كتنفيذ) يتكامل في ما بينها من خلال التنسيق العالي المستوى وأن أي تلكؤ في عمل أحد تلك الاعمدة سنعكس سلباً على باقي الاعمدة وبالتالي فإن احتمال حصول خروقات امنية قائماً لا محالة , ان ما يحصل حالياً هو إنعدام التنسيق بالمستوى الذي يجعل عمل تلك الأعمدة متكاملاً وهذا الأمر يعود بالدرجة الأولى لطبيعة تكوين النظام الأمني العراقي والذي بني بصورة تكاد ان تكون غير مستقرة ولم يجري إيجاد مفاصل تنسيق بين تلك الاعمدة مما أفقد المنظومة الأمنية القدرة على التعامل مع المستجدات بل بقيت أسيرة (أحادية التفكير) دون أي تواصل بين أطرافها الحاكمة .

أن الأعمدة الثلاثة المكونة لمثلث المنظومة الأمنية في كل بلد و المتمثلة بالأمن (كإجراءات) والاستخبارات(كمعلومات) والعمليات(كتنفيذ) يتكامل في ما بينها من خلال التنسيق العالي المستوى

ج . ضياع مساحات العمل الذي يتوجب أن تعمل به الوكالات الاستخبارية فرغم كل المحاولات التي جرت لغرض اصدار قانون (التفويض الاستخباري) الذي سيمنح لكل جهاز او وكالة من الوكالات الاستخبارية مساحة العمل المحددة لها كما أنه سيحدد المساحات الرمادية التي سيتداخل بها عمل هذا الجهاز مع الجهاز الأخر وأسلوب التنسيق المطلوب , ان هذا الامر ولد الكثير من الإخفاقات فجميع الأجهزة تعمل الأن وكما تحدد مساحات عملها مما ولد الكثير من المعاضل ومن أهمها ضياع الجهد الاستخباري وانعدام التنسيق وخسارة بالجهود المبذولة و التبذير غير المبرر بالموارد .

د. فرضت الحالة القائمة وجود قيادات العمليات هذه القيادات التي اوجدتها الضرورات الأمنية القائمة آنذاك, وقد خلقت هذه القيادات حالة من الاستقلالية لدى تلك القيادات كما أن البعض منها وبحكم شخصية قائدها وقدرته على تجاوز سلسلة القيادة أصبحت تتعامل مع الأجهزة والوكالات الاستخبارية

بطريقة غير مهنية بل ان البعض منها (وهذا ما أدى في حينها الى سقوط الموصل) تنظر الى ما يرد من الوكالات الاستخبارية بعين الشك وعدم المصداقية وقد جرى تشخيص ذلك في تقرير اللجنة البرلمانية المشكلة لغرض دراسة أسباب سقوط الموصل . ان الإهمال المتعمد للمعلومات الأستخبارية أو التغاضي عنها والتعامل معها بطريقة لا تتناسب وحجم التهديد المطلوب أدى الى انهيار للعديد من تلك القيادات في حين استطاعت قيادات داعش من اختراق قيادات أخرى وتنفـــــــــــــيذ عمليات ذات تأثير معنوي وصدى اعلامي واسع.

هـ . من أكثر المعاضل التي عانت منها المنظومة الأمنية الاستخبارية بمختلف أجهزتها هي أن قيادات العمليات بدأت بالتوسع في طبيعة عملياتها تجاه العدو متجاوزة الحدود الجغرافية وحدود المسؤولية المحددة لها وهذا الامر ولد أعباء كبيرة على الأجهزة الاستخبارية خاصة في مجال التنسيق الاستخباري والتعامل مع المصادر البشرية, وقد أدى هذا الامر الى ضياع فرص كبيرة في إيقاف المد الداعشي حينها كما انه تسبب في خسائر لا مبرر لها دون تحقيق أي نتائج ميدانية تذكر .

و. من بديهيات العمل في مجال مكافحة الإرهاب ان الدورة التعبوية والعملياتية للعمليات تبدأ من الاستخبارات مروراً بالعمليات ومن ثم التحقيق ومن ثم القضاء وبعدها تعود الدورة للاستخبارات حيث تؤخذ المعلومات الواردة في مرحلتي التحقيق والقضاء للتعامل معها من اجل تفكيك الخلايا الإرهابية أو متابعة عناصر إرهابية او العمل على إيقاف عمليات إرهابية محتملة أن هذه المراحل الأربعة (الاستخبارات والعمليات والتحقيق والقضاء) يكمل بعضها البعض وأن أي اختلال في التواصل بين تلك المراحل ينعكس سلباً على الوضع الأمني والذي يحصل الأن أن هناك تنسيق بمقدار محدد بين الاستخبارات والعمليات إلا أنه نادراً ما يكون هنالك تنسيق بينها و بين التحقيق او القضاء مما يعطي للإرهابين فجوة كافية لغرض العبور منها دون ان تكون للمنظومة الأمنية القدرة على غلق تلك الفجوة ورغم كل المحاولات لخلق تكامل وتنسيق بين تلك المراحل إلا أنها لم تصل الى المستويات التي تحـــــــــــــد من قدرة العناصر الإرهابية لاختراقها .

من بديهيات العمل في مجال مكافحة الإرهاب ان الدورة التعبوية والعملياتية للعمليات تبدأ من الاستخبارات مروراً بالعمليات ومن ثم التحقيق ومن ثم القضاء

ز. يبقى العنصر البشري العامل الحاسم والمهم في المعركة الاستخبارية وان بناء عنصر استخبارات قادر على أداء يتناسب وطبيعة التهديدات الإرهابية يتطلب إمكانيات واسعة خاصة في مراحل التدريب والاعداد واستمرار التطوير , وهذا الجانب لا يزال ورغم كل المحاولات الحثيثة دون ادنى مستوى مطلوب كون الفرصة غير متاحة لهذا الغرض نتيجة طبيعة المواجهة المستمرة والحاجة الى العناصر البشرية في ميادين القتال , الا ان ذلك لا يعفِ من ان يعاد النظر

في طبيعة العملية التدريبية كما ان بناء قاعدة مادية للتدريب الاستخباري بات ضرورة ملحة لا يمكن النظر اليها على انها ليست من الضرورات في هذه المرحلة .

العنصر البشري العامل الحاسم والمهم في المعركة الاستخبارية وان بناء عنصر استخبارات قادر على أداء يتناسب وطبيعة التهديدات الإرهابية

ح. في ما يتعلق بأمن بغداد والمناطق المحيطة بها أن السبب الأكثر وضوحاً لحدوث الخروقات الأمنية في الفترة السابقة هو ان القيادة ولضرورات عملياتية كلفت بواجبات خارج الجهد التعبوي الاستخباري ولم تتمكن القيادة من التنسيق بين مهمتها الأساسية المتمثلة بالمحافظة على ما تحقق من امن على ضوء تطبيق خطة فرض القانون للأعوام من 2007 ولغاية2013 وبين مهمتها المضافة والمتمثلة بمقاتلة داعش ضمن قواطع الانبار وصلاح الدين وهكذا استطاع العدو من اختراق المنظومة الأمنية للعاصمة بغداد بعد ان وجد في انشغال القيادة في تنفيذ الواجبات المضافة اليها .

ط. من الأمور التي أدت الى ارتفاع وتيرة العمليات الإرهابية في عموم المناطق الغربية والشمالية الغربية والشمالية الشرقية خاصة اثناء معارك التحرير رغم انخفاضها الشديد بالوقت الحاضر في باقي المناطق هو فقدان وضعف التنسيق بين القاعدة الشعبية و الوكالات الاستخبارية العاملة في تلك المناطق فالمتحقق من نجاحات في الأعوام الأولى لخطة فرض القانون وكذلك ما اعقب معارك التحرير من نجاحات كانت الغالبية العظمى منها هي لدور المواطن في رفد الوكالات الاستخبارية بالمعلومات الا ان ضعف موارد الاستخبارات وانشغالها بالتصعيد الأمني الغير مسبوق الذي عانت منه بغداد والغالبية العظمى من مدن الوسط والجنوب نتيجة حراك تشرين وانشغال هذه الأجهزة فيها وضعف قدرتها على العمل الميداني لمتابعة فلول داعش او الاستفادة من المعلومات الواردة من المواطنين في رفد المنظومة الاستخبارية بالمعلومات أدى الى تراجع كبير في الأداء العملياتي والاستخباري .

أدوار ومهام القوات الأمريكية بعد انسحاب عام 2011

بعد مباحثات عسيرة استغرقت قرابة العام والنصف ابتداء من مطلع عام 2008 جرى توقيع الاتفاقية الأمنية العراق الامريكية والتي تُعد جزءاً أساسياً من الاتفاق الاستراتيجي بين الحكومتين العراقية والأمريكية والذي جرى التوقيع عليه في عام 2009 والذي تضمن أبواب عديدة من أهمها هو الاتفاقية الأمنية وقد صيغت الاتفاقية بما يضمن حقوق الطرفين الا ان التركيز جرى على المواد الرابعة (المهمات) والثالثة والعشرين (التنفيذ) والسابعة والعشرين (ردع المخاطر الأمنية) وقد حددت هذه المواد طبيعة الأدوار والمهام للقوات الامريكية بعد انسحابها من العراق يوم 31 كانون الأول 2011 وكما يأتي : [19]

المادة الرابعة: المهمات

1. تطلب حكومة العراق المساعدة المؤقتة من قوات الولايات المتحدة لمساندتها

(19). وزارة الخارجية العراقية , الاتفاقية الأمنية بين جمهورية العراق والولايات المتحدة الامريكية لسنة 2009 ص 4 و 7 و9

في جهودها من أجل الحفاظ على الأمن والاستقرار في العراق، بما في ذلك التعاون في القيام بعمليات ضد تنظيم القاعدة والمجموعات الإرهابية الأخرى والجماعات الخارجة عن القانون وبقايا النظام السابق.

2. تجرى جميع العمليات العسكرية التي يتم تنفيذها بموجب هذا الاتفاق بموافقة حكومة العراق. ويتم التنسيق الكامل بشأن هذه العمليات مع السلطات العراقية.وتشرف على تنسيق كل تلك العمليات العسكرية اللجنة المشتركة لتنسيق العمليات العسكرية (JMOCC) التي يتم تشكيلها بموجب هذا الاتفاق. وتُحال إلى اللجنة الوزارية المشتركة القضايا المتعلقة بالعمليات العسكرية المقترحة التي يتعذر على اللجنة المشتركة لتنسيق العمليات العسكرية البت بها.

3. تنفذ جميع تلك العمليات مع وجوب الاحترام الكامل للدستور العراقي والقوانين العراقية، ويكون تنفيذ هذه العمليات دون تجاوز لسيادة العراق ومصالحه الوطنية، حسبما تحددها الحكومة العراقية. إنّ من واجب قوات الولايات المتحدة احترام قوانين العراق وأعرافه وتقاليده والقانون الدولي النافذ.

. إنّ من واجب قوات الولايات المتحدة احترام قوانين العراق وأعرافه وتقاليده والقانون الدولي النافذ

4. يواصل الطرفان جهودهما للتعاون من أجل تعزيز قدرات العراق الأمنية، وفقاً لما قد يتفقان عليه، بما في ذلك التدريب والتجهيز والإسناد والإمداد وبناء وتحديث المنظومات اللوجستية بما في ذلك النقل والإيواء والتموين للقوات الأمنية العراقية.

5. يحتفظ الطرفان بحق الدفاع الشرعي عن النفس داخل العراق كما هو معرف في القانون الدولي النافذ.

المادة الثالثة والعشرون: التنفيذ

يُناط تنفيذ هذا الاتفاق وتسوية الخلافات الناجمة عن تفسيره وتطبيقه بالهيئات التالية:

1. تُشكل لجنة وزارية مشتركة يكون أعضاؤها أشخاصا على المستوى الوزاري يحددهم الطرفان. وتتولى اللجنة الوزارية المشتركة النظر والبت في القضايا الأساسية اللازمة لتفسير وتنفيذ هذا الاتفاق.

2. تتولى اللجنة الوزارية المشتركة تشكيل لجنة مشتركة لتنسيق العمليات العسكرية (JMOCC) تتألف من ممثلي كلا الطرفين. وتكون رئاسة اللجنة المشتركة لتنسيق العمليات العسكرية (JMOCC) مشتركة بين الطرفين.

3. تُشكل اللجنة الوزارية المشتركة أيضاً لجنة مشتركة تتألف من ممثلين يختارهم الطرفان ويرأسها بصورة مشتركة ممثل عن كل من الطرفين. وتتولى هذه اللجنة النظر والبت في كل القضايا المتعلقة بهذا الاتفاق التي لا تدخل في اختصاص اللجنة المشتركة لتنسيق العمليات العسكرية (JMOCC).

4. تُشكِّل اللجنة المشتركة المشكلة وفق الفقرة (3) من هذه المادة لجاناً فرعية

مشتركة في مختلف المجالات تتولى كل منها النظر في القضايا الناشئة عن الاتفاقية وفقاً لاختصاصاتها.

المادة السابعة والعشرون: ردع المخاطر الأمنية

من أجل تعزيز الأمن والاستقرار في العراق والاسهام في إرساء السلام والاستقرار الدوليين، يسعى الطرفان بفعالية من أجل تعزيز القدرات السياسية والعسكرية لجمهورية العراق وتمكين العراق من ردع المخاطر التي تهدد سيادته واستقلاله السياسي ووحدة أراضيه ونظامه الديمقراطي الاتحادي الدستوري. ويتفقان في هذا الصدد على:

يسعى الطرفان بفعالية من أجل تعزيز القدرات السياسية والعسكرية لجمهورية العراق وتمكين العراق من ردع المخاطر التي تهدد سيادته واستقلاله السياسي ووحدة أراضيه

1. عند نشوء أي خطر خارجي أو داخلي ضد العراق أو وقوع عدوان ما عليه، من شأنه انتهاك سيادته أو استقلاله السياسي أو وحدة أراضيه أو مياهه أو أجوائه، أو تهديد نظامه الديمقراطي أو مؤسساته المنتخبة، وبناء على طلب من حكومة العراق، يقوم الطرفان، بالشروع فوراً في مداولات استراتيجية، ووفقاً لما قد يتفقان عليه فيما بينهما، تتخذ الولايات المتحدة الإجراءات المناسبة، التي تشمل الإجراءات الدبلوماسية أو الاقتصادية أو العسكرية أو أي إجراءٍ آخر، لردع مثل هذا التهديد.

2. يوافق الطرفان على الاستمرار في تعاونهما الوثيق في تعزيز وإدامة المؤسسات العسكرية والأمنية والمؤسسات السياسية الديمقراطية في العراق، بما في ذلك -وفق ما قد يتفقان عليه- التعاون في تدريب وتجهيز وتسليح قوات الأمن العراقية، من أجل مكافحة الإرهاب المحلي والدولي والجماعات الخارجة عن القانون، بناء على طلب من الحكومة العراقية

3. لا يجوز استخدام أراضي ومياه وأجواء العراق ممراً أو منطلقاً لشنّ هجمات ضد بلدان أخرى

التواجد الأمريكي بعد سقوط الموصل

ما حصل من متغيرات جوهرية بعد حزيران عام 2014 وعودة القوات الامريكية تحت غطاء التحالف الدولي بحجة محاربة الإرهاب غير الصورة القائمة والمرتقبة لعمل تلك القوات , إلا أن الحقائق على الأرض اختلفت تماما عما هو معلن ومطلوب وفق ما جرى إعلانه من ان القوات الامريكية قادمة لمحاربة داعش في حين ان الدعم الأمريكي اقتصر على أمور ثانوية بضمنها محاولات متعددة ومتعثرة لضرب قواعد تموين داعش وأسناد جوي محدود بشروط مسبقة للقوات العراقية وخاصة جهاز مكافحة الإرهاب وامتناع كامل عن أي دعم اذا كان هنالك أي تواجد للحشد الشعبي في قواطع العمليات , رافق كل ذلك عشرات الاخطاء بالنيران التي أسموها صديقة غالبيتها استهدفت تشكيلات الحشد الشعبي وقسم منها الشرطة الاتحادية والجيش العراقي في حين لم تخطا تلك القوات في نيرانها

المعروف عنها دقتها مع جهاز مكافحة الإرهاب او مع البيشمركة .

وجد الامريكان انفسهم بعد العاشر من حزيران 2014 في وضع لا يحسدون عليه فقد كانت طلائع داعش تقارع بوابات بغداد وباتت السفارة الامريكية التي تتوسط الخضراء بمرمى المدفعية الداعشية , وان اقتحام أسوار بغداد سيعجل من وصول الدواعش الى مناطق قد تكون اكثر قرباً وتهديداً للسفارة حيث بإمكان هاونات 120 ملم التي امتلكت داعش منها العشرات بعد الانهيار الكبير للفرق العسكرية المدافعة عن الموصل والانبار وتكريت وكركوك وما حولها ، هذا ما كان يجب ان تفكر فيه الإدارة الامريكية وكان الخط الأحمر لاندفاع داعش يؤشر وبما لا يقبل الشك ان هكذا احتمالات واردة جداً الا ان الغريب في الامر ان ذلك لم يحصل ولم تحاول داعش المساس على الاطلاق بالسفارة الامريكية في الخضراء وفي كل ما حولها رغم ان المسافة بين (مزرعة ام نجم حيث انفتاح هاونات داعش ليله 12 /13 حزيران) لا تزيد على مدى هاوناتها التي اغتنمتها من الجيش العراقي المنسحب فالمسافة ليست اكثر من أربعة كيلومترات في حين ان مدى الهاونات يزيد على الستة كيلومترات , وهذه هي اول العلامات التي تؤشر وجود نوع من التنسيق او التوافق بين بعض العاملين في السفارة وبين قيادات داعش الميدانية .

اقتحام أسوار بغداد سيعجل من وصول الدواعش الى مناطق قد تكون اكثر قرباً وتهديداً للسفارة

الأمر الأخر الأكثر غرابة هو ان هنالك تواجد للأمريكان في جزء من مطار بغداد الدولي الى جوار مقر تابع لجهاز مكافحة الإرهاب مع وجود مطار عسكري يستخدم من قبل الامريكان عند الحاجة هذا المكان كان يبعد عن الدواعش مسافة لا تزيد عن عدة مئات من الأمتار بعد ان اندفعوا صوب أبو غريب وعامرية الفلوجة والرضوانية ومع ذلك لم يطلق الدواعش اطلاقة واحدة تجاه مكان تواجد الامريكان بل قاموا ولمرات عديدة باستهداف مطار بغداد الدولي الخاص بالمسافرين المدنيين .

ان هنالك تواجد للأمريكان في جزء من مطار بغداد الدولي الى جوار مقر تابع لجهاز مكافحة الإرهاب مع وجود مطار عسكري يستخدم من قبل الامريكان

بعد السقوط مباشرة دخل الامريكان في العراق كطرف بمعادلة مقاتلة داعش وارسلوا على الفور فريقاً استشارياً من مجموعة من الضباط المساعدة بالعمليات المشتركة التي كنت حينها امين سرها العام , الفريق الاستشاري الأمريكي جاء دون امتلاكه أي صلاحيات, كان شغله الشاغل فقط هو ان يستمع للحصول على المعلومات عن تطور الموقف ومعرفة الانهيارات الحاصلة وقد انشغل الفريق الأمريكي حينها بأمرين لا علاقة لها بآمن العراق وهما :

- افراد القنصلية التركية في الموصل الذين وقعوا تحت قبضة داعش فقد حاول معرفة ما حصل لها وأين هم وما هي المعلومات المتوفرة عنهم .
- العاملين في مستشفى تكريت من الأطباء والعاملين الأخرين من الجنسية الهندية والذين حوصروا داخل المستشفى والذين انقطعت اخبارهم لاحقاً.

في ذات الوقت الذي كانت القوات العراقية في حاله يرثى لها وبحاجة الى أي اسناد وخاصة اسناد جوي، وهنا ايضاً نود أن نبني مجموعة حقائق تبين مدى انحياز الامريكان الى الجهات التي أدت الى وصول الوضع بالعراق الى ما هو عليه يوم 10 حزيران 2014.

الأول: ان العمليات المشتركة طلبت من الفريق الاستشاري لعدة مرات معالجة السدة التي اقامتها داعش على نهر الفرات في الفلوجة والتي حولت مجرى الماء و أدت الى اغراق طريق بغداد - الانبار القديم كلياً مع غمر الالاف من الكيلومترات بحيث بات من الصعب على القطعات الحركة ضمن القاطع وحرم القطعات المدافعة عن ما تبقى من قاطع الانبار من أي دعم لوجستي ، إلا أن الأمريكان لم يقوموا باي رد فعل وبقيت السدة قائمة الى ان حصل ما هو غير متوقع حيث كان تنظيم داعش يهم بدفع شاحنات مفخخة باتجاه هدف ما وعند مرورها فوق تلك السدة انفجرت احدها صدفة وادت الى تدمير السدة بالكامل وبالتالي عادت الأمور الى طبيعتها وانحسر الماء وعادت الطرق تعمل مجدداً.

الثاني: كانت هنالك حاجة ماسة الى تقديم اسناد جوي قريب للقطعات، الا ان جميع تلك الطلبات التي تقدم الى الأمريكان ترفض تحت مختلف الذرائع، منها عدم اكتمال المعلومات والخشية من أخطاء النيران الصديقة، او صعوبة تحديد خط امان للإسناد الناري وغيرها من الحجج، الا انه وبمجرد ان اندفعت فلول داعش باتجاه أربيل حتى امتلأت السماء بعشرات الطائرات الأمريكية التي قدمت أفضل اسناد ناري لقوات البيشمركة وبالتالي تدمير الغالبية العظمى من قوات داعش المندفعة ومنع سقوط أربيل.

رفض الجانب الأمريكي تقديم أي اسناد أو معلومات استطلاعية او استخبارية الى القوة التي تقدمت من بغداد باتجاه معسكر سبايكر

الثالث: رفض الجانب الأمريكي تقديم أي اسناد أو معلومات استطلاعية او استخبارية الى القوة التي تقدمت من بغداد باتجاه معسكر سبايكر لغرض أدامة الأتصال وصولاً الى مصفى بيجي . ورغم ان القوة استطاعت تحقيق أهدافها الا انها تأخرت كثيراً في التنفيذ مما مكن داعش من ترصين قدراته داخل مدينة تكريت.

الرابع: لم تقدم القوات الامريكية وعلى مدى الشهور التي صمد فيها مقاتلو مصفى بيجي الدعم الجوي المطلوب بل ان الفريق الاستشاري لم يزود العمليات المشتركة باي معلومات عن تحركات العدو الداعشي حول المصفى رغم ان الامريكان حينها كانت لديهم الكثير من وسائط الاستطلاع والمراقبة من أقمار صناعية وطائرات مسيرة وطائرات استطلاع.

الخامس : حينما ارادت العمليات المشتركة القيام بعمل تعرضي مقابل لإيقاف اندفاع العدو تجاه بغداد اقتضت الخطة اشراك كتيبة دبابات على اقل تقدير مع القوة القائمة بالمهمة وحينما صدرت الاوامر لأشراك الدبابات تبين ان الغالبية العظمى من دبابات (برامز) المستلمة حديثا من قبل الجيش العراقي عاطلة تحت

ذريعة استخدامها كمنصات رمي وتعرضها الى الغبار والرمال وانعدام الحركة مما تسبب في حصول عطلات في قرابة 348 دبابة وناقلة اشخاص مدرعة من مجموع العقد الأمريكي وباقي الدبابات وناقلات الأشخاص وعجلات القتال المدرعة العاملة في الجيش العراقي وحينما طلبت العمليات المشتركة من الجانب الأمريكي تصليحها اعتذر الفريق الاستشاري بحجة انتهاء عقد الادامة مما يتطلب توقيع عقد جديد يتطلب تنفيذه من يوم توقيع العقد وحتى وصول المواد الاحتياطية ومفارز التصليح قرابة الستة اشهر, وعند السؤال عن المبالغ المطلوبة تبين بانها تعادل شراء ضعف عدد الدبابات المطلوب تصليحها اذا ما جرى الشراء والتعاقد مع روسيا او أي مصدر تسليح شرقي, مما اضطر القائمون على تنفيذ الواجب بالاستعانة بدبابات روسية عددها خمسة تركها الجيش قرب الاسحاقي وسيطر عليها مجموعة من أبناء فصائل المقاومة الإسلامية في (بلد) لتشارك في العملية

حاول الامريكان فرض ارادتهم على الحكومة العراقية في الكثير من الجوانب المتعلقة بتلك العمليات وقد اثرت تلك التدخلات كثيراً على سير عمليات التطهير

حال بدء العمليات في خريف 2014 حاول الامريكان فرض ارادتهم على الحكومة العراقية في الكثير من الجوانب المتعلقة بتلك العمليات وقد اثرت تلك التدخلات كثيراً على سير عمليات التطهير رغم ما كان يشاع بان القوات الامريكية قد قدمت الكثير من الاسناد خاصة الجوي لقطعاتنا القائمة بعمليات التحرير ولكي يكون هذا الامر في جوانبه الظاهرة صحيحاً فأنها بالفعل شاركت ولكن دون أي تأثير يذكر على سير العمليات , إلا أن هنالك الكثير مما يسجل ضد تلك القوات في طريقة دعمها للقوات العراقية او تدخلها في تفاصيل بعض الخطط لأغراض سياسية بحتة والذي أدى لاحقا الى حصول تلكؤ وتأخير في عمليات التحرير وهنا نود ان نبين بعض من تلك التدخلات.

أ- حاولت القوات الامريكية من خلال مستشاريها أن لا تجعل عمليات التحرير تسير وفق ما مخطط لها كتواريخ محددة بل فرضت تحديدات لبدء العمليات في قاطع الفلوجة كابتداء حصراً بعد ان رفضت المشاركة في تامين أي اسناد في عمليات تحرير تكريت وبيجي واصرت وبكل قوة على منع مشاركة تشكيلات الحشد الشعبي في تطهير المدينة لذلك حدد واجبها نزولا عند رغبة الأمريكان بالتطويق فقط , ولم تكتف بهذا الاجـراء بل حاولت وحال بدا تشكيلات الحشد الشعبي بالتطويق ان تَقوم بعملية تشويش كاملة على أجهزة اتصال تلك التشكيلات لمنعها من اكمال واجب التطويق وقد استمر هذا الاجراء ليومين متتالين الى أن تمكن خبراء الاتصالات في فصائل المقاومة الإسلامية والحشد الشعبي من إيجاد حلول لهذه التشويشات .

ب- بعد اكتمال تطهير مدينة تكريت كانت القوات الأمريكية تراقب المدينة ومداخلها ومخارجها عن كثب بواسطة وسائل استطلاع مختلفة كذلك الحال بالنسبة لمدينة بيجي ورغم اكتشافها لتحرك عجلات داعش المفخخة تجاه بيجي

وتكريت بعد اكمال الحشد الشعبي تطهيرها الا أنها لم تقم بإبلاغ العمليات المشتركة مما أدى الى سقوط الكثير من الشهداء خاصة من الحشد الشعبي وإعادة انتشار داعش في العديد من احياء المدينة

جـ- ما حصل بعد تحرير الفلوجة في بداية حزيران 2016 فبعد التحرير بأيام ساعدت القوات الامريكية بطريقة مباشرة او غير مباشرة مجاميع إرهابية على التحرك ليلاً من تل الحصيوات باتجاه المناطق الصحراوية المحاذية لكربلاء المقدسة بغية مهاجمتها , كانت اعداد العجلات تقارب الف عجلة الكثير منها كان يحمل رشاشات أحادية وثنائية ورباعية ثقيلة و هاونات محمولة مع عجلات تحمل عوائل للتمويه ، اريد لهذه العملية افشال النجاحات المتحققة وخاصة لتشكيلات الحشد الشعبي والتي منعت بأمر من الامريكان من المشاركة في عمليات تطهير احياء مدينة الفلوجة واقتصر واجبها على التطويق ومسك العقد المحيطة بالمدينة وتطهير مناطق السجر وتل الحصيوات وشهداء الصقلاوية والكرمة وغيرها، عملية التمويه من قبل الامريكان على هذا الرتل لو كان لها أن تنجح لعادت داعش مجدداً الى ما قبل عمليات التطهير وقبل خسارتها للفلوجة التي تعتبر معقلاً لها .

بعد تحرير الفلوجة في بداية حزيران 2016 فبعد التحرير بأيام ساعدت القوات الامريكية بطريقة مباشرة او غير مباشرة مجاميع إرهابية على التحرك ليلاً

د- عند المباشرة بالتقدم باتجاه الموصل تدخل الجانب الأمريكي وبشكل سافر في تحديد مسار العمليات ومن تلك التدخلات.

أولا. منع تشكيلات الحشد الشعبي من الاشتراك في عمليات تطهير الموصل.

ثانيا. إيقاف ومنع تطوير العمليات بواسطة تشكيلات الحشد الشعبي باتجاه تلعفر ومن ثم تحريرها حيث أدى ذلك الى تأخير تطهير تلعفر لمدة اكثرمن ثمانية اشهر.

ثالثا. اجبار العمليات المشتركة على أن يجري تطهير الجانب الأيسر قبل الجانب الأيمن من الموصل تماشياً مع رغبة قيادة البيشمركة وإقليم كردستان لحسابات تتعلق بالمناطق المتنازع عليها. وهذه الرغبة تسببت في ارباك كبير للخطط وادت الى أن تطول فترة التحرير لشهور, كون الجانب الايسر لا يحتوي على أي مراكز ثقل وبالتالي فان تطهيره لم يضعف قدرات العدو بل أن داعش رصنت مراكز الثقل الحيوية في الجانب الأيمن وأدى الأمر الى أن تضطر القطعات للقتال في ظروف مستحيلة ونجم عنها خسائراً بالأرواح هي اضعاف ما كان متوقعاً .

ورغم كل الإمكانيات التقنية المتوفرة لدى الجانب الأمريكي الا ان الأخطاء المرتكبة اثناء القصف الجوي تحت ذريعة أخطاء فنية او عدم دقة المعلومات أدت الى الكثير من الخسائر غير المبررة وخاصة لتشكيلات الحشد الشعبي

رابعا. اثناء عمليات التطهير وفي مختلف القواطع ورغم كل الإمكانيات التقنية المتوفرة لدى الجانب الأمريكي الا ان الأخطاء المرتكبة اثناء القصف الجوي تحت ذريعة أخطاء فنية او عدم دقة المعلومات أدت الى الكثير من الخسائر غير المبررة وخاصة لتشكيلات الحشد الشعبي التي كانت هي الأكثر استهدفاً من سواها.

تأثير المشهد الافغاني

لا شك ان صيف عام 2021 قد احدث إنعطافة جذرية في مجرى الاحداث على مستوى العالم حينما لم تستطع الولايات المتحدة الامريكية من حماية مؤيديها في أفغانستان وهي تشد الرحال بعيدا عن الأراضي الأفغانية بعد أن بات تنفيذ القرار الذي اتخذه ترامب في نهاية عام 2019 بالانسحاب من أفغانستان في حيز التطبيق حيث تراءى للجميع عودة شبح الانسحاب المهين للقوات الأمريكية من فيتنام في مطلع السبعينات بعد أن أصبحت تلك الحرب تمثل كارثة على عموم المجتمع الأمريكي, العراق لم يكن بمنأى عن تلك المتغيرات الحادة لاسيما وان هنالك بعض أوجه الشبه بين الحالتين العراقية والافغانية رغم الاختلاف الكبير وعدم التطابق في نطاق كثيرة ومن نقاط التشابه :

بات تنفيذ القرار الذي اتخذه ترامب في نهاية عام 2019 بالانسحاب من أفغانستان في حيز التطبيق

1. حالة انعدام الاستقرار السياسي والذي بدأت بوادره بالتصاعد من اسقاط حلفاء أمريكا لحكومة عادل عبد المهدي واحلال الكاظمي المقرب من الدوائر المخابراتية الامريكية كبديل عنه .
2. حالة الا استقرار الأمني العسكري بعد عودة داعش مجددا في حافات المدن منذرا بعودة قوية كتلك التي حصلت في حزيران 2014 .
3. فقدان المنظومة العسكرية والأمنية لمهنيتها وحيادتيها بعد ان عادت وبقوة المحاصصة لتلعب الدور الأساسي في ابعاد الغالبية العظمى من القيادات الأمنية والعسكرية خاصة في وزارة الدفاع وجهاز المخابرات الوطني العراقي.
4. التصعيد في اضطرابات الوضع الداخلي الناجمة عن احتماليات التزوير الواسعة النطاق التي رافقت انتخابات تشرين الأول 2021 والتي اعادت الأوضاع الأمنية الداخلية الى المربع الأول.
5. ما ولده حراك تشرين من تشظي وانقسام حاد في البنية الاجتماعية بعد أن افرز ذلك الحراك معسكرات تتقاسم ولاءاتها سفارات ودول اجنبية ودول إقليمية فضلاً عن محاولات هذا الحراك والقائمين عليه سرا من الإيحاء بشيطنة الحشد الشعبي وتحويل صورته من مدافع عن العراق وأمنه الى مجموعة قتلة ومهربين وذو ولاءات بعيدة عن الوطنية.

بالمقابل فان هنالك الكثير وكما أسلفنا من نقاط القوة التي يمكن من خلال توظيفها استبعاد تكرار سيناريو أفغانستان عراقيا ويمكن اجمال ذلك بما يأتي:

1. الطبيعة التكوينية للمجتمع العراقي الرافضة لحالات التداعي القسرية فالتجارب اثبتت أن المجتمع العراقي ورغم طبيعته التكوينية المبنية على أساس التنوع الديمغرافي الا أنه مجتمع قادر على خلق مناخات ملائمة لدرء الخطر والصمود واستعادة المبادأة وهذا ما شهدته احداث المائة عام الأخيرة من عمر دولة العراق الحديثة من عام 1921 وحتى عام 2021.
2. وجود صمامات الأمان المتمثلة بالدرجة الأساس بالمرجعية الدينية في النجف

الاشرف وباقي المرجعيات الدينية فضلاً عن دور القبيلة والعشيرة في البناء المجتمعي المتصدي لحالات التشظي او للوقوف بوجه المخاطر الخارجية وهذا ما ثبتته الأيام التي أعقبت سقوط الموصل.

3. وجود تشكيلات الحشد الشعبي بمختلف مسمياتها رغم كل المحاولات بتحجيم دورها إلا أنها قادرة على تغيير المعادلة ومنع أي تدهور أمني محتمل يحاكي ما حصل في أفغانستان.

وجود صمامات الأمان المتمثلة بالدرجة الأساس بالمرجعية الدينية في النجف الاشرف وباقي المرجعيات الدينية فضلاً عن دور القبيلة والعشيرة في البناء المجتمعي المتصدي

4. البنية الأمنية والعسكرية ورغم انها تعاني من الكثير إلا أنها قادرة على درء المخاطر اذا ما توفرت لها قيادات عسكرية وامنية ذات توجهات وطنية بعيدة عن التبعية للسفارات الأجنبية او الارتماء في أحضان المحتل.
5. طبيعة الشارع العراقي بمختلف اطيافه الرافض للتطرف والذي استطاع تجاوز محنة الأعوام 2003 – 2007 رغم كل المحاولات لجر البلاد نحو الحرب الطائفية.
6. وجود قواعد لفصائل المقاومة الإسلامية والتي مارست القتال في الساحة العراقية والسورية ولها باع طويل في مقارعة ومقاتلة التنظيمات الإرهابية ستكون حجر عثرة امام أي مخطط امريكي يحاول باي شكل من الاشكال الى إعادة رسم وتنفيذ السيناريو الافغاني في العراق.
7. الاقتصاد العراقي هو الأخر غير عاجز عن توفير قدر كاف من القدرات الاقتصادية الكافية لتامين متطلبات المواجهة اذا ما وصلت الأمور الى حد الاقتتال وتصاعد موجات العنف.

في الوقت ذاته يرى مراقبون أن الوضع في العراق يختلف كليا عن الوضع في أفغانستان من حيث الجغرافيا والتركيبة الاجتماعية، علاوة على أن الجيش العراقي يمتلك قدرات قتالية وبنى تحتية جيدة بخلاف أفغانستان، فيما يرى فريق آخر أن ما يحدث لا علاقة له بالجيوش والأمر يتعلق بمخططات وسيناريوهات وحروب دولية تدار بالوكالة، وأن أمريكا أعادت الأوضاع مجددا إلى نقطة الصفر بعد فشل مخططها في الشرق الأوسط وتسعى من جديد لاستغلال الإسلام السياسي ضد خصومها بمواجهة غير مباشرة.

يرى مراقبون أن الوضع في العراق يختلف كليا عن الوضع في أفغانستان من حيث الجغرافيا والتركيبة الاجتماعية

أن القدرات القتالية العراقية بمختلف مشاربها وخاصة تشكيلات الحشد الشعبي أثبتت جدارة كبيرة جدا في عملية تحرير المدن التي استولى عليها تنظيم «داعش»، في ثلاث مدن كبيرة في تكريت والموصل والأنبار فضلاً عن مناطق واسعة من ديالى وكركوك وبغداد، الأمر الذي يعني أن القدرات القتالية العراقية أصبحت اليوم لها باع طويل جدا في محاربة الإرهاب، علاوة على أن الجغرافيا واختلاف التضاريس بين العراق وأفغانستان يجعل تكرار السيناريو مستبعداً جداً.

يضاف الى ذلك ان مقتل قيادات مهمة في التنظيم مثل «أبو بكر البغدادي»،

كما تم قتل العديد من القيادات الأخرى أو ألقاء القبض عليها، الأمر الذي جعل التنظيم ينزوي في مناطق نائية، ولا يتمتع حاليا بالسيطرة على الأرض، بل يقوم باستغلال الظروف الأمنية والترهل الأمني في بعض المناطق الرخوة امنيا او تلك التي تمنحه قدر كافي من المناورة نتيجة ولاء بعض سكانها للفكر الداعشي ، لذلك نجد ان خارطة العمليات الإرهابية تكاد ان تكون محصورة بمناطق بذاتها دون توسع محتمل على أقل تقدير على المدى القريب كما أن طبيعة العمليات الإرهابية باتت متشابهة في اكثر من قاطع حيث الانقضاض على النقاط الواهنة والمتباعدة خاصة تلك الممسوكة من قبل الجيش أو الشرطة الاتحادية أو تعرضات وهجمات واسعة النطاق مخطط لها بصورة متقنة على المواضع الدفاعية الممسوكة من قبل تشكيلات الحشد الشعبي .

أن الجغرافيا واختلاف التضاريس بين العراق وأفغانستان يجعل تكرار السيناريو مستبعداً جداً

بالمقابل هنالك من يجد أن «مسألة عودة داعش إلى العراق باتت محتملة وأكثر واقعية، وهذا يرجع إلى أن وجود طالبان الآن في أفغانستان يكون بمثابة بيئة راعية ومساندة و حاضنة لباقي التنظيمات الإرهابية ، تلك البيئة سوف تبعث رسائل إلى الجهاديين وتفتح شهيتهم نحو دولة الإمارة أو الخلافة الجديدة في أفغانستان، والتي سيخرج من رحمها فيما بعد منظمات كثيرة، لعل اخطرها منظمة «خراسان» التي تم الإعلان عنها منذ فترة» والتي يراد منها التوسع والدخول في العمق العراقي والإيراني واستهداف الطائفة الشيعية ورغم ان هذا الأمر قد يكون محتملا إلا أن أدوات التنفيذ الداعشية بالوقت الحاضر تخلو تماما من مقومات النجاح لمثل هذا التوجه الذي يحتاج الى امدادات كبيرة بات من الصعب على داعش والقاعدة و النصرة وجميع التنظيمات الإرهابية الأخرى تأمينها مثل ما حصل في عام 2014 لاختلاف الكثير من المعطيات الجيواستراتجيية المتحكمة بالحالة الإقليمية لاسيما وان الإدارة الامريكية قد أدارت ضهرها عن ان تكون مجددا بمثابة المساند والراعي لبناء تنظيمات إرهابية مماثلة لما عملت على بنائها خلال عقد السبعينات وهي القاعدة ومن بعدها طالبان .

عودة طالبان للسيطرة على أفغانستان تعني عودة المشروع الأمريكي إلى المربع الأول

رغم ذلك فان عودة طالبان للسيطرة على أفغانستان تعني عودة المشروع الأمريكي إلى المربع الأول، وهو ما يعني أن الإدارة الأمريكية فشلت تماما في مشروعها بمنطقة الشرق الأوسط تحديدا في كل من سوريا والعراق، بسبب وجود حلفاء لسوريا وعلى رأسهم الحليف الروسي والإيراني، لذا أرادت واشنطن أن تعود إلى نقطة البداية والاعتماد من جديد على الإسلام السياسي كأداة وحامل للفكر الجهادي، وأن تكون أفغانستان منطلقا ضد تلك الدول التي أفشلت المشروع الأمريكي، وبطبيعة الحال هي دول لها جوار مع أفغانستان (روسيا الاتحادية، إيران، الصين)، وبالتالي اليوم الوضع مقلق جدا لدول جوار أفغانستان.

القسم الثاني: الاحتمالات لما بعد الانسحاب - قراءة مستقبلية للواقع الأمني والعسكري العراقي

الاستراتيجيات الأمنية والعسكرية

أن الاستراتيجيات الامنية و العسكرية لا تبنى من العدم بل تستند بالدرجة الأساس على معطيات تحدد ماهية هذه الاستراتيجيات وغاياتها النهائية و من هذا المنطلق فإن القوات المسلحة العراقية و رغم ما حصل من تطور في بنائها و أدائها المهني إلا أنها بحاجة الى اعداد مستوى الذي يمكن ان تكون فيه قادرة على القيام بمهامها الوطنية و تخلق احساساً بالردع الضمني إزاء التهديدات الداخلية و الخارجية، و هي على هذا الأساس تتطلب إعادة بناء يضمن لها أداء واجباتها بأعلى مستوى تماشياً مع الاستراتيجيات الأمنية و العسكرية الموضوعة و لا يمكن أن نصل الى هذا المستوى دون توفير المرتكزات الأساسية الاتية[20] :

1. التحديد الواضح لمفهوم المؤسسة العسكرية.
2. تثبيت مبادئ عمل المؤسسة العسكرية.
3. تأهيل القيادات وهيئات الركن في مستوى أداء قيادة حقيقية.
4. اعداد نظام معركة القوات المسلحة.
5. تحديد سياسة التسليح والتجهيز.
6. تحديد نهج التدريب والإعداد.
7. تبني استراتيجية عسكرية واضحة وأعداد المناخ المناسب لعملها

(20). محمود احمد عزت البياتي ، بناء دولة العراق الفرص الضائعة ،بيت الحكمة ، بغداد ، ط1, 2013 ، ص166.

اولاً. العناصر المؤثرة على بناء الاستراتيجية الأمنية والعسكرية:

من خلال قراءة موضوعية التحديات التي تواجه العراق و التطلعات التي يطمح اليها يمكن تلخيص العناصر التي تقوض أمنه الوطني بما يلي[21] :

1. الارهاب واشاعة ثقافة العنف التي قد تؤدي الى سلوك منهج التطهير العرقي والطائفي والتهجير القسري وغيرها من مظاهر العنف.
2. الفساد المالي والاداري بكل انواعه فضلاً عن الجريمة المنظمة. علما أن شيوع وتقبل ثقافة تجاوز القانون من خلال ممارسات الفساد المالي والاداري سيغرق البلاد في دوامات الازمات ومنهجية اطفاء الحرائق، ناهيك عن عدم القدرة على تحصين الدار اصلا من الحريق.
3. سهولة استحواذ المواطنين على السلاح بأنواعه وحرية استخدامه. وهنا من الضروري أن ينتبه الجميع الى أن احتكار الدولة للسلاح هو من ابجديات الدول السليمة المتعافية.
4. البطالة والبطالة المقنعة.
5. مشكلة التصحر وتضييق الخناق على مصادر المياه وخطورة ذلك على الأمن الصحي والزراعي والبيئي.
6. استمرار انتشار الالغام ومخلفات الحروب السابقة.

(21). المصدر نفسه، ص167

7. تدهور أسعار النفط عالمية والاعتماد المفرط على النفط.

ثانياً. الاستراتيجيات العامة المكملة للاستراتيجيات الأمنية و العسكرية ما بعد داعش .

يجب على الدولة العراقية أن تسعى لبناء استراتيجية واضحة لمشروع إعادة بناء الدولة العراقية في مرحلة ما بعد داعش من خلال[22]:

1. مواجهة تحديات مشروع الدولة المركزية والفيدرالية، من خلال إعادة ترسيخ فكرة اللامركزية في إدارة الدولة العراقية عبر برنامج واضح، ومجابهة خطاب «الانفصال» الذي سوف تحاول بعض الجماعات الاجتماعية والعرقية إثارته في مرحلة ما بعد داعش.
2. السعي إلى بناء وإعادة تأهيل (الإنسان) الذي عاش مرحلة السيطرة من قبل داعش من خلال إعادة ترسيخ قيم المواطنة وإعادة توفير الواجبات الأساس التي يجب أن تقوم بها الدولة، وإعادة الروح الى عقد اجتماعي بين الحاكم والمحكوم.
3. توظيف كل إمكانيات الدولة العراقية في إعادة بناء المدن المحررة، وإعادة النازحين إلى مدنهم بعد توفير الخدمات الأساسية، والبنى التحتية.
4. استخدام العقوبات الصارمة لكل من يروج خطاب الكراهية والتحريض على العنف والتطرف، وإنشاء مؤسسات متخصصة في مكافحة الإرهاب بكافة أجياله، وخصوصاً أن الجيل القاعدي أو الداعشي يعيش مراحل تطور سريعة في إدارة التوحش.
5. إعادة النظر في البناء السياسي العراقي الذي تقام عليه بعد التغيير، وخصوصاً في إمكانية إجراء التعديلات الدستورية المطلوبة لأنشاء نظام يكون أكثر استقرارا، سواء كان ذلك من خلال دراسة النظام السياسي البرلماني أو التعديلات الدستورية المطلوبة

إعادة توظيف قدرات الحشد الشعبي في الأجهزة الوطنية العراقية من خلال إعادة هيكلة المؤسسات الأمنية والقطاع العسكري في العراق

6. اتباع سياسة تعليمية تربوية واضحة في ترسيخ القيم الوطنية وتشجيع على استثمار الطاقات الشابة في مشاريع مفيدة لهذا البلد.
7. العمل على إعادة توظيف قدرات الحشد الشعبي في الأجهزة الوطنية العراقية من خلال إعادة هيكلة المؤسسات الأمنية والقطاع العسكري في العراق.
8. حل الإشكاليات التقليدية بين المركز والاقليم بما يضمن أقل أنواع النزاع. وإعادة ترتيب طبيعة التعامل الخارجي العراقي مع دول المنطقة والعالم بما يخدم المصلحة الوطنية العراقية.
9. توفير بيئة الاندماج الاجتماعي بين العوائل التي استقرت خارج مناطقها ولا ترغب بالعودة من أجل صناعة مجتمع متماسك.
10. ترسيخ خطاب التسامح الفكري والسلام ورفض ثقافة العنف من خلال المؤسسة الدينية ومعاقبة كل الأصوات الشاذة التي تسهم في توظيف التوتر

(22). ياسر عبد الحسين ، العراق العقدة الاستراتيجية المستعصية ، متاهات الداخل و حروب الخارج ، أوراق بحثية , المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق , بغداد , 2016, ص 26

والعنف.

11. العمل على ترصين الحدود الخارجية للعراق من خلال استخدام الوسائل الحديثة لحماية الحدود العراقية، والوسائل التكنلوجية في الاستراتيجية الأمنية.

ومن خلال تحليل موضوعي للمشاكل والتحديات التي تواجه العراق، يمكن تشخيص بعض الحلول الممكن تطبيقها لتحقيق الأمن الوطني وهي [23]:

1. العمل على بناء قدرات أجهزة الدولة المعنية بمواجهة حالات الطوارئ والكوارث الإنسانية ورفع مستوى جاهزيتها.
2. الاستثمار بالبنى التحتية لإنشاء أنظمة اتصال تسمح بتبادل المعلومات والتواصل بين أجهزة الدولة المعنية بعناصر الأمن الوطني.
3. توحيد معاني وتعاريف ورؤية عناصر الأمن الوطني بين مؤسسات الدولة وتوزيع المهام بشكل واضح وإيجاد ألية تضمن عدم تقاطع عمل مؤسسات الدولة فيما بينها.
4. تحديد لبنات بناء اسس حوار حقيقي بين مكونات المجتمع العراقي وتقوية نسيجه وفق مبادئ تضمن الحريات وتمنع التجاوزات.
5. رفع معايير اختيار عناصر الاجهزة الامنية مع التركيز على الكفاءة دون الالتفات الى المعايير التي لا تجدي نفعا من الناحية العملية.
6. تجديد آليات الممارسات الأمنية واعتماد قوانين تسمح بتوظيف التكنولوجيا الحديثة والتركيز على البعد المخابراتي والوقائي.
7. اشاعة روح وثقافة الادارة الرشيدة. وأخذ الأبعاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأمنية والثقافية بنظر الاعتبار في جميع تشريعات وسياسات الحكومة.
8. التعجيل بإصدار قوانين اساسية مثل قانون النفط والغاز، أو قانون الاحزاب أو قانون حرية الصحافة وغيرها.
9. تحديد المستلزمات الحقيقية لإنجاح الاستثمار ومعالجة اسباب تلكؤه.
10. تنويع مصادر الدخل الوطني واستغلال جميع الموارد على اختلاف مصادرها لتحقيق اعلى دخل ممكن بعيدة عن مورد النفط.

العمل على ترصين الحدود الخارجية للعراق من خلال استخدام الوسائل الحديثة

أن تقوم الاستراتيجية الكفيلة ببناء منظومة أمن وطني عراقي ناجحة على أسس مدروسة وبرنامج قد يحتاج الى عقد او عقدين من الزمن لتنفيذه

وهنا لابد من أن تقوم الاستراتيجية الكفيلة ببناء منظومة أمن وطني عراقي ناجحة على أسس مدروسة وبرنامج قد يحتاج الى عقد او عقدين من الزمن لتنفيذه، وأن يتم تنفيذها على مراحل محددة بحيث تضمن برامجها ومشاريعها بناء الانسان العراقي وفقا لطموحاته وقدراته ورؤاه. هذا البناء لا يمكن أن يتم أو أن يعطي نتائج ايجابية مضمونة من دون الاستثمار في بناء البنى التحتية الأساسية والانسانية. وينبغي أن نأخذ الجوانب

(23)لقمان عبد الرحيم الفيلي ، بناء العراق - الواقع والعلاقات الخارجية وحلم الديمقراطية , مركز الرافدين للحوار , بيروت , ط1 , 2019 , ص 87

الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بنظر الاعتبار في كل مرحلة من مراحل البناء، مع الاهتمام بأليات المراجعة والتدقيق والادارة الرشيدة، وبذل الجهود للحصول على قبول الأطراف المعنية من أجل ادامة نجاح المراحل التي يتم انجازها، فبتحقيق وترسيخ الأمن وبناء الانسان تتمكن الشعوب من بناء مجتمعاتها والنهوض بأممها.

متطلبات بناء القوة في ظل التهديدات والتحديات العسكرية

استراتيجيات العمل العسكرية والأمنية:

حفلت المؤسسات العاملة في مجال الأمن الوطني العراقي بعد عام2003 بالكثير من المتغيرات وتكاد حالة الاستقرار هي الحالة السائدة والمبرر لذلك هو بالدرجة الأساس الاحتلال الأمريكي الذي لم يكن يدرك طبيعة المجتمع العراقي وماهي الأدوار التي على الأمن الوطني ومؤسساته الاضطلاع بها ومن هنا بدأت تتعاظم المعضلات التي عانى منها الأمن الوطني الى الحد الذي ازدادت و أتسعت دوائر الامن وعناصره دون أدنى انخفاض أو تراجع سوى في العمليات الإرهابية المنفذة او في التهديدات القائمة والمحتملة، بالعودة الى المرحلة التي أعقبت الاحتلال الأمريكي وعلى وجه التحديد عام 2007 وضعت أول استراتيجية أمنية و عسكرية للأمن الوطني العراقي وقد أُريد بهذه الاستراتيجية أن تكون فاعلة للمرحلة محددة من عام 2007 وحتى عام 2010 وقد تضمنت تلك الاستراتيجية الخطوط التالية[24]:

بـدأت تتعاظم المعضلات التي عانى منها الأمن الوطني الى الحد الذي ازدادت و أتسعت دوائر الامن وعناصره

(24). علي عبد العزيز الياسري، الامن القومي العراقي – الابعاد الفكرية والسياسية لاستراتيجية الامن القومي في العراق , مجلس الامن الوطني , بغداد , ط1, 2010 , ص 256

اولاً. البيئة الاستراتيجية العراقية مع تحديد للروية الوطنية العراقية.

1. تحديد المصالح الوطنية.
2. تحديد المصالح الأمنية.
3. تحديد المصالح الاقتصادية.
4. تحديد المصالح الاجتماعية.
5. التهديدات القائمة والمحتملة.
6. الوسائل الاستراتيجية للتنفيذ.

أن مفهوم الاستراتيجية العسكرية و الأمنية والذي جرى إيضاحه سابقاً يمكن ان يفهم منه مفهوم أخر يُعد الجزء الحيوي والاهم في الاستراتيجية العليا للبلاد وهو مفهوم استراتيجية الامن الداخلي والذي يشكل الثقل الأساس في بناء المنظومة الأمنية على الصعيد الداخلي حيث تعرف (بأنها الخطط والمناهج والمحرمات الأمنية التي تقوم بها السلطات الأمنية التي تتبنى مسؤولية وعلى أرض معينة وشعب معين يتوخى منها (صيانة الأمن الداخلي والقضاء على مصادر الجريمة ومكافحة الإرهاب واتخاذ الاجراءات القانونية مرتكبيها، وخلق بيئة اجتماعية أمنة لتحقيق الهدف أسمى وهو حماية أرواح الناس والممتلكات العامة

بأنها الخطط والمناهج والمحرمات الأمنية التي تقوم بها السلطات الأمنية التي تتبنى مسؤولية وعلى أرض معينة

والخاصة وضمان سلامتها من أي خطر يهددها[25]

وهذه الاستراتيجية والتي تتضمن المفاعيل التي تخلق بيئة أمنة وأمن مجتمعي لا تتأتى من فراغ بل هي حصيلة تفاعل مجموعة من العوامل والدوافع وتسمية بالدرجة الأساس على مجموعة أسس هي[26]:

1. تحليل بيئة العمل الأمني الداخلية والخارجية والوقوف على ما فيها من نقاط القوة والضعف.
2. تحديد واضح ودقيق للظواهر السلبية والجرائم وتشخيص أسبابها واتخاذ الإجراءات الكفيلة لمعالجتها وتنفيذ الاجراءات القانونية بحق مرتكبيها.
3. تحديد واضح ودقيق للأهداف.
4. تنمية ودعم القدرة على الأداء.
5. المراجعة المستمرة على الأداء، وتحديد الانحرافات وتحليل أسبابها، وسبل معالجتها.
6. تحديد المهام والمسؤوليات والصلاحيات للوظائف المختلفة لتحقيق النتائج المرجوة منها.
7. تفعيل جهود المواطنين بما يضمن التنسيق المهم والترابط بين الفعاليات والاستغلال الأمثل لكل الإمكانيات.

اما أليات بناء هذه الاستراتيجية فهي [27]:

1. السعي لأحداث تغييرات في السياسة الأمنية وتطوير أسلوب العمل.
2. ترسيخ الشراكة بين الجهات المعنية (المواطن – رجل الأمن – المتهم – القضاء)
3. توضيح دور المؤسسات الأمنية وتشخيص المشاكل الرئيسية التي تعاني منها وخاصة في مجال ترشيد الهياكل التنظيمية وتنمية الموارد البشرية ورسم السياسة المالية والإدارية وتطبيق مبادى الحكم الرشيد والمساءلة.
4. اختيار الأهداف القريبة والبعيدة مع الأخذ بنظر الأعتبار ان يكون الهدف واقعيا ويمكن تحقيقه وقياسه وأنه لا يتعارض مع الأهداف الأخرى.
5. تهيئة الموارد البشرية والمادية والمستلزمات الأخرى لتنفيذ الاستراتيجية.
6. تحديد سقف زمني لتنفيذ كل مفردة من مفردات الاستراتيجية.
7. توزيع المسؤوليات على ضوء مفردات الاستراتيجية.
8. الاهتمام بوضع خطط بديلة للمفاصل المهمة بما يضمن الاستجابة لأية متغيرات أو تحديات تواجه عمليات التنفيذ.
9. اصدار تقارير دورية وسنوية وتقارير إحصائية تبين مسارات النجاح او الفشل.

(25). قانون وزارة الداخلية رقم (183) لسنة 1980

(26). عباس علوان حسين الفرطوسي ، استراتيجية الامن الداخلي للعراق ومقوماتها ، وزارة الداخلية ، مكتب المفتش العام, ط1, 2012 ص18

(27). المصدر نفسه ص20

رابعاً. العوامل المؤثرة على استراتيجيات العمل العسكرية و الأمنية (المعوقات والمحددات):

1. عدم وضوح مفردات قوة ووحدة الدولة قبل وبعد التغيير، فقد أسس النظام البعثي لهذا الهاجس، وجاء بعده دستور العام 2005، ليتعاطى مع مواضيع لها الأثر السلبي نفسه كموضوع الأقاليم وصلاحيات الفدراليات غير الواضحة والتي تترك اثراً وفراغاً سلبياً في ثقافة المواطن السياسية.
2. ظهور تشريعات ومفاهيم وضيفيه وفنية لإدارة وبناء الدولة بشكل يسيء لتطلعات المواطن في بناء ثقافة وطنية موحدة وجامعة للشعب كالمحاصصة والديمقراطية، التوافقية، والوقف السني والشيعي والمسيحي... الخ.
3. حل وتنظيم مؤسسات القوات المسلحة والمؤسسات الأمنية والاستخبارية الأخرى، والتي تركت فجوة كبيرة في سياسات بناء ثقافة سياسية وطنية تؤمن وتؤسس لفهم موحد لموضوع وممارسات الأمن وأدواته الخاصة بهذه الأجهزة.
4. ثقافة السوق المفتوحة على النظام الرأسمالي الدولي التي ولدت ثقافة الاستهلاك غير المنظم للشعب العراقي والتي أثارت في النهاية سياسات حماية الإنتاج الوطني.
5. غياب الهوية المحددة للعراق وتجاذب أطراف العملية السياسية في كسب ود ورضا القوى الإقليمية على وفق ثوابت ضيقة غير جامعة للشعب العراقي.

الإنتقالة السريعة، والبالغة الخطورة والتعقيد بين حقبة الحكم الشمولي الدكتاتوري والتحول الى حالة المجتمع المدني والانفتاح الحضاري والسياسي

6. سعي بعض أطراف العملية السياسية في العراق وبسبب أنماط ارتباطها وتأثيرها بالولايات المتحدة الأمريكية أو بعض القوى الإقليمية الى تحقيق مصالح لا تتوافق مع ثوابت جمعت بين العراق ومنطقته تعود لقرون مضت، وعلى البعدين: القومي والإسلامي معا.
7. الدور المعقد والمتناقض للدول المجاورة للعراق (العربية وغير العربية)، والتي اساءت بشكل مباشر لعملية بناء الدولة، وبناء ثقافة سياسية وطنية موحدة عن طريق العمل على تفكيك أواصر وثقافة الارتباط الوطني لمكونات الشعب.
8. الإنتقالة السريعة، والبالغة الخطورة والتعقيد بين حقبة الحكم الشمولي الدكتاتوري والتحول الى حالة المجتمع المدني والانفتاح الحضاري والسياسي والاقتصادي في ظل بيئة هشة للاستقطاب الطائفي والعرقي في مجتمع يتسم أصلا بالتعددية المركبة في كل أجزائه ومكوناته.
9. طول المدة التي حكم بها حزب البعث، والتي انعكس أثرها السلبي لتطبيع الذهن العراقي في الخضوع للدولة الاستخباراتية لتي ستواجه طباعها وادواتها كل مسالك بناء دولة تعددية وثقافية مبنية على حرية الرأي والتعبير وكانت مقدمتها فوضى كبيرة وانفلات واضح في استخدام المفهوم غير الواضح

للحرية والأمن.

10. حالة تشويه المفاهيم والقيم الاصيلة التي يحترمها ويقدسها المجتمع العراقي من النظام السابق مما ادخل المجتمع في فوضى جديدة وخطرة لتمييز وتحديد معايير ومرتكزات القيم والمبادئ التي يجب أن تبنى عليها الدولة وتتحول الى ثقافة وطنية للمجتمع فيها[28].

(28). د. قحطان كأضم الخفاجي، مستقبل الدور الإقليمي للعراق في ظل الاحتلال الأمريكي ، مجلة قضايا سياسية , جامعة النهرين , بغداد , العدد 15, 2009 , ص 83

خامساً. البيئة الإقليمية وأثرها على بناء استراتيجيات عمل الأمن الوطني العراقي

بقدر تعلق الأمر بتأثير البيئة الإقليمية، فإن أي جهد لإعادة البناء لا يمكن فيه تجاوز حدود وفاعلية دور دول الجوار الإقليمي، فحتى أعوام العشرينات والثلاثينيات، وقبل ظهور التلفزيون والانترنيت ككان للتطورات الإقليمية والدولية تأثيرا مهما في العراقيين ازاء السياسة البريطاني [29]، أما في الوقت الحاضر فأن الوضع اختلف جذرياً في مدى تأثير الحوار الإقليمي على الاستراتيجيات الأمنية و العسكرية و عليه يجب أن تكون القوى المسئولة عن الوضع الاستراتيجية يتكون من العناصر الاساسية الأتية[30] :

بقدر تعلق الأمر بتأثير البيئة الإقليمية، فإن أي جهد لإعادة البناء لا يمكن فيه تجاوز حدود وفاعلية دور دول الجوار الإقليمي

(29). توبي روش ، اختراع العراق ، نقلا عن جريدة الصباح البغدادية ، العدد الصادر بتاريخ 27 أيلول 2006

(30). علي عبد العزيز الياسري ، الامن القومي العراقي ، مصدر سبق ذكره , ص98

1. الموقف الذي تسعى الاستراتيجية الى مواجهته مما يساعد على تحديد الأهداف والموارد اللازمة لذلك.
2. الأهداف المتوخاة مع تحديد نظام من الأولويات يبدأ من الأهداف المرحلية أو الوسطية الى الأهداف النهائية. الموارد والإمكانات المتوفرة لاستخدامها في تحقيق الأهداف.
3. الوسائل والأدوات التي يتم ترجيحها والتنسيق بينهما لتحقيق أهم التناقضات وتعظيم القدرات.
4. الخطط الفرعية التي عن طريقها تتميز الاستراتيجية بالمرونة في مواجهة ما يطرأ من احداث، أو المراحل التي يمكن التوقف عندها للمتابعة والعودة للسير في الطريق الاستراتيجي الرئيسي.

وتعد الوسيلة العسكرية الوسيلة الأبرز في تنفيذ الاستراتيجية

سادساً. الوسائل المتحكمة بتطبيق الاستراتيجيات الأمنية والعسكرية:

أ. الوسائل العسكرية: أن طبيعة الدور الذي تضطلع به القوة العسكرية والمهام الموكلة اليها والنتائج المترتبة على أي عمل تقوم به جعلها أهم وأكبر الوسائل بالنسبة للدول، إذ أن فشل القوة الاقتصادية قد يودي للفقر، في حين فشل القوة العسكرية يؤدي للموت. وتعد الوسيلة العسكرية الوسيلة الأبرز في تنفيذ الاستراتيجية في الوقت الحاضر خاصة فيما يتعلق بالمكانة الدولية، فمنذ ظهور النظام الدولي في العصر الحديث سعت الدول العظمى للحفاظ دائما للسيطرة على المكانة الدولية، وظلت القوة العسكرية والنجاح في استخدامها الوسيلة الرئيسية في كسب الدولة للمكانة والاعتراف بها بوصفها دولة عظمى[31].

(31). رتشارد نيدليبو- لما تحارب الأمم – دراسة في ماضي الحروب ومستقبلها , المجلس الأعلى للثقافة والفنون والاداب , الكويت , سلسلة المعرفة , ص53

ب. الوسائل الاستخباراتية: تعني جمع المعلومات الخاصة بقدرات الأطراف وخططها وعلاقتها بمصالح الدول، على غرار ما تقوم به عادة أجهزة الاستخبارات المستخدمة لوسائل لاستطلاع والتنصت والتجسس، أي ما يعرف بالنشاطات السرية والتي تصل في بعض الدول الى أن تعتمد الاغتيال والحماية والاختطاف والتهريب، أو تخدم نشاطات أو جماعات أو عقد صفقات أمنية، كما اتسعت نشاطات هذه الأجهزة لتدخل مجالات عمل جديدة كالاقتصاد والتكنولوجية[32].

ت. وسائل تقانة المعلومات: تعرف بأنها أدوات ووسائل تستخدمها لجمع المعلومات وتصنيفها وتحليلها وتوزيعها، أي أنها عبارة عن الوثائق والأخبار التي يتم الحصول عليها من المصادر المختلفة[33].

ث. وسائل جيوبولوتيكية: تعني توظيف مميزات الدولة المكانية الموقع والمساحة والحدود والممرات المائية، و ما لهذه المميزات من أهمية استراتيجية تستطيع الدولة توظيفها لتحقيق الأهداف[34].

ج. الشعب: ويعبر عنه بالسكان ويعد رافداً مهماً وعاملا لافتاً في إدارة شؤون الدولة واقتصادها وقد يمارس نظام القيم والثقافية السائدة فيه والإرادة الوطنية. ويعد عامل قوة مؤثرة في تحقيق الأهداف[35].

الاولوية تكون للقوات البرية في وزارة الدفاع بضمنها مكافحة الإرهاب وقوات وزارة الداخلية الشرطة الاتحادية وقوات الحدود

نظرة استشرافية مستقبلية للواقع الأمني والعسكري العراقي لما بعد الانسحاب

للوصول الى الأداء الأمني والعسكري المطلوب بعد الانسحاب الكامل للقوات الأمريكية وقوات التحالف يتوجب تنسيق كل الوسائل المتيسرة والاستثمار الأمثل للموارد المتاحة كافة للوصول الى التطبيق الصحيح لاستراتيجيات العمل وصولا الى تحقيق الغايات المحددة ولهذا الغرض فان الاستراتيجية تضع الملامح الرئيسية لسياسات الامن والدفاع والاستقرار الداخلي والسياسات الخارجية والاقتصادية والإدارية والثقافية والاجتماعية وأمن المعلومات والاتصالات والأمن السبراييني والطاقة والمياه جميعها يجب أن تتعاضد وتتكامل من أجل تحقيق الأهداف الاستراتيجية[36].

ثامناً. أن الوسائل المطلوب تطبيقها ضمن استراتيجية العمل تتضمن ما يلي[37]:

1. سياسة الامن والدفاع

أ. اصلاح مؤسسات الامن والدفاع والتشكيلات القتالية: الاولوية تكون للقوات البرية في وزارة الدفاع بضمنها مكافحة الإرهاب وقوات وزارة الداخلية الشرطة الاتحادية وقوات الحدود وافواج الطوارئ والمديريات ذات العلاقة في الوزارتين فضلاً عن منظومة القيادة والسيطرة الوطنية. هذه القوات تضطلع حالياً بواجب حماية ارض العراق واهله من الهجمات الإرهابية التي تفاقمت لتصبح تهديداً عسكرياً وزادت خطورتها لامتلاكها عمق عملياتي واستراتيجي في سوريا مما يستلزم تهيئة الدعم المالي اللازم وقد اظهرت المواجهات في عامي 2014و 2015 الحاجة الى:

(32). خليل حسين ، القوة وأثرها في الاحـلاف الدولية وصراعاتها- مجلة الدفاع الوطني, جامعة البكر للدراسات العسكرية العليا , بغداد , العدد الثاني عشر , خريف 1988, ص 11

(33). مظفر عبد مطر التميمي- السياسة الأمنية الامريكية تجاه النظام الإقليمي بعد 11 أيلول, أطروحة دكتوراه , جامعة بغداد, كلية العلوم السياسية , غ م , 2013, ص 71

(34). خليل حسين ، القوة وأثرها في الاحلاف الدولية , مصدر سبق ذكره , ص12

(35). جيمس انـدرسـون ، صنع السياسة العامة ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، الدوحة, ط1, 1998 , ص12

(36). مجلس الامـن الوطني ، استراتيجي الامـن الوطني العراقي للأعوام من 2007 وحتى عام 2011 ، ص14

(37). المصدر نفسه , ص 15

(1) مراجعة هيكليتها وتجهيزها وتدريبها لتتمكن من القيام بواجبات الدفاع وتحرير المدن والمناطق المحتلة وبما يضمن مهنيتها واحترافيتها وفعالية عالية لتحقيق أهدافها والاستخدام الأمثل للموارد المتيسرة وبناء ثقة المواطن بها.

مراجعة استراتيجية مكافحة الإرهاب وفق التغيرات في المحيطين الإقليمي والدولي وتنامي القدرات العسكرية لتنظيم "داعش" الإرهابي

(2) تفعيل منظومة اعداد القادة وإصلاح المنظومات الخاصة بالتدريب والتأهيل والتجهيز والادامة والتخطيط وأساليب التعامل مع المدنيين والالتزام بحقوق الانسان.

(3) وضع وتنفيذ خطة مكافحة الفساد الإداري والمالي.

(4) مراجعة سياسة التسليح والتجهيز.

(5) تحسين منظومة القيادة والسيطرة.

(6) الإسراع بإقرار القوانين ذات الصلة بعملها.

(7) رعاية منتسبي القطاع الأمني وتحسين مستواهم المعيشي.

(8) مراجعة استراتيجية مكافحة الإرهاب وفق التغيرات في المحيطين الإقليمي والدولي وتنامي القدرات العسكرية لتنظيم «داعش» الإرهابي واستيلائه على المناطق المحاذية للعراق في سوريا وزيادة عديد قوات مكافحة الإرهاب وتشكيلات النخبة مع التركيز على الابعاد غير الأمنية الكفيلة بحرمانه من بيئة مساعدة وحشد دعم الدول الصديقة والدعم الدولي عموما وبأوسع نطاق ممكن.

(9) المساهمة الفعالة في تنفيذ استراتيجية الأمم المتحدة لمكافحة الإرهاب على المستوى الوطني.

(10) أن يكون تسليح وتجهيز القوات العسكرية متوافقا مع خطط التنمية الوطنية وفقا لاستراتيجية الدفاع والتسليح.

(11) بناء قوات عالية المهنية والتدريب مع الوحدات المتخصصة وكذلك قوات برية مدربة تدريبا عاليا ومجهزة بأحدث أنواع الأسلحة والمعدات والتقنيات الحربية تمتلك قابلية الحركة السريعة بإنذار قصير وقادرة على خوض المعارك الدفاعية والهجومات وعمليات مكافحة الإرهاب وفرض الأمن والاستقرار.

(12) بناء قوة جوية فعالة وطيران جيش ودفاع كفوء مجهز بأحدث الطائرات والمعدات والتقنيات لحماية سماء العراق والأهداف الحيوية من التهديدات الجوية المعادية.

(13) بناء قوة بحرية حديثة قادرة على حماية مياهنا الإقليمية.

ب. اصلاح وتطوير القطاع الاستخباري: تأتي أهميته للحصول على المعلومات الاستخباراتية بمختلف مستوياتها لمعرفة حجم التهديدات والمخاطر على الأمن الوطني وما يتطلب من اتخاذ قرارات استراتيجية لمواجهتها بما فيها الحرب على الإرهاب ويتحقق هذا من خلال: -

(1) مراجعة تنظيم المجتمع الاستخباري، بما يضمن التخصص والتنسيق

والتعاون والتكامل وفق القوانين المعتمدة والمنظمة للعمل الاستخباري.

(2) رفع كفاءة الأجهزة الاستخبارية من خلال تطوير منظومة تأهيل وتدريب تشمل انشاء منظومة اعداد الكوادر القيادية والتدريب على احترام حقوق الانسان.

بناء قدرات مكافحة التجسس، وقدرات استطلاع ومراقبة واختراق أصول أو امتدادات المنظمات الإرهابية والجهات المعادية خارج العراق

(3) خضوع (المجتمع) الاستخباري للرقابة الخاصة على أنشطته ونفقاته وبما يضمن الحفاظ على الأمن الوطني.

(4) بناء قدرات مكافحة التجسس، وقدرات استطلاع ومراقبة واختراق أصول أو امتدادات المنظمات الإرهابية والجهات المعادية خارج العراق. (رفع القدرة في الحصول على المعلومات الاستخبارية ومكافحة واحباط الاختراقات المعادية).

(5) تسريع استكمال منظومات الاستطلاع والمراقبة التقنية واستخبارات الإشارة.

(6) زيادة التنسيق والتعاون مع أجهزة استخبارات الدول الحليفة والصديقة والمنظمات الدولية وخاصة في مجال مكافحة الإرهاب والجريمة المنظمة.

ت. اصلاح وتطوير قطاع الأمن الداخلي

(1) تبسيط إجراءات الخدمات الأمنية واستكمال استخدام تقنية المعلومات والاتصالات.

(2) رفع كفاءة أجهزة مكافحة الجريمة المنظمة بصورها كافة.

(3) عقد اتفاقيات دولية ثنائية لتسليم المطلوبين قضائيا واسترجاع الأموال العراقية المهربة.

(4) مراجعة الهياكل التنظيمية لقوى الأمن الداخلي.

(5) تحديد الجهات التحقيقية وجهة انفاذ القانون في وزارة الداخلية ومعايير الضبط القائمين بالتحقيق الجنائي وتطويره وحماية حقوق الانسان.

وضع استراتيجية وطنية لحصر السلاح بيد أجهزة الدولة الأمنية ومكافحة الاتجار بالأسلحة الصغيرة والخفيفة

(6) تطوير منظومات التدريب والتأهيل واعداد العاملين.

(7) انشاء واستكمال مشاريع البطاقة الوطنية المراقبة الالكترونية في المدن والحدود تقنيات كشف ومكافحة المتفجرات تطوير المنافذ الحدودية.

(8) تطوير دور السلطات المحلية في تعزيز الأمن.

(9) تعزيز دور المواطنين في تحقيق الأمن: -وضع أليات لتعاون المواطن المباشر مع السلطات الأمنية، والتنسيق مع المؤسسات الدينية ومنظمات المجتمع المدني والمواطنين لتوحيد الكلمة والتعاون مع الأجهزة الأمنية ضد الإرهاب والجريمة.

(10) وضع استراتيجية وطنية لحصر السلاح بيد أجهزة الدولة الأمنية ومكافحة الاتجار بالأسلحة الصغيرة والخفيفة وبالتعاون مع الدول والمنظمات الدولية

والاستفادة من جهودها.

(11) الإسراع بتنفيذ الاستراتيجية الوطنية لشؤون الألغام (عام 2014 – 2018) وتخصيص الموارد اللازمة لتنفيذها.

(12) استكمال قدرات منع دخول وتداول أسلحة الدمار الشامل والموارد المحظورة ذات العلاقة وفق التزامات العراق الدولية وبالاستفادة والتعاون مع الدول الحليفة والمنظمات الدولية.

تعزيز تجربة الحشد الشعبي وتعضيد مشاركة أبناء المحافظات في حماية امنها

(13) وضع استراتيجية وطنية للحد من اخطار الكوارث تتناسب مع تحديات الكوارث بأنواعها في العراق استرشادا بالاستراتيجية العربية للحد من أخطار الكوارث وتامين التخصيصات المالية اللازمة لذلك.

(14) تعزيز تجربة الحشد الشعبي وتعضيد مشاركة أبناء المحافظات في حماية امنها، وهي تعزيز مشاركة أبناء المحافظات في حفظ أمنها من خلال تشكيل قوات تكون جزءاً من منظومة القوات المسلحة الوطنية وبقيادة القائد العام للقوات المسلحة وفق ما جاء بقانون هيئة الحشد الشعبي الرقم 41 لسنة2018 ([38])، على أن يضم الحشد الشعبي أطياف الشعب كافة وخاصة أبناء العشائر التي قاتلت الإرهاب.

(38). قانون هيئة الحشد الشعبي المرقم 41 لسنة 2018.

الخاتمة

لا يمكن لأي دراسة تحاول سبر أغوار المستقبل أن تكون متكاملة وتمنح القارئ تصوراً كاملاً عما سيحصل خاصة اذا تعلق الأمر بموازين القوى في بيئة إقليمية ذات طبيعة هشة وقلقة والتي بتوسطها العراق, ان ما حصل في أفغانستان جعل الكثير ممن يستقرؤون الاحداث مستقبلا وفق الأطر العلمية المبنية على المدخلات والمخرجات يجدون انفسهم في وضع حرج خاصة وان تأثيرات هذا الخروج المهين للقوات الأمريكية قد القى بضلاله على عموم المنطقة ومنها العراق, ورغم اختلاف المعطيات والثوابت بين العراق وأفغانستان ألا أن صياغة تصور متكامل عن ما سيحصل امر في غاية الصعوبة لذلك جرى التركيز خلال الدراسة على تبيان ما على العراق عمله تلافيا لأي احتمال بأن يعاد السيناريو الافغاني مجددا خاصة وأن الانسحاب الأمريكي على الأبواب .

المصادر والمراجع

الوثاق الرسمية

1. دستور العراق لعام 2005
2. قانون وزارة الداخلية الرقم 183 لسنة 1980
3. قانون هيئة الحشد الشعبي الرقم 41 لسنة 2018
4. اللجنة الوطنية للسياسات السكانية، تحليل الوضع السكاني في العراق، 2012 بغداد
5. مجلس الامن الوطني، استراتيجي الامن الوطني العراقي للأعوام من 2007 الى 2011
6. الاتفاقية الأمنية بين جمهورية العراق والولايات المتحدة الامريكية لسنة 2009 , وزارة الخارجية

الكتب العربية والمترجمة

1. سعد العبيدي – واد بطل –نهاية جيش وملحمة شعب ,دار تموز للطباعة والنشر , دمشق , ط1 , 2012

2. انتوني كوردسمان واخرون – العراق تحت الاحتلال – تدمير الدولة وتكريس الفوضى , مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت , ط1 , 2008

3. معين حداد، الجيوبوليتكيا، قضايا الهوية و الانتماء بين الجغرافية و السياسة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر, بيروت ، ط, 1 2006

4. د. محسن عبد الصاحب المظفر، المسرح البيئي العسكري، شركة العارف للمطبوعات, بغداد ، ط1, 2014

5. فرانسيس جالجانو، الجغرافية العسكرية الحديثة، مركز الامارات للدراسات و البحوث الاستراتيجية، أبو ظبي ، ط1 ،2010

6. جغرافية العراق العسكرية، الكلية العسكرية، جامعة الدفاع للدراسات العسكرية، كراسة رسمية لعام 2014

7 . ف ر حسن البيضاني , تاريخ الجيش العراقي - الواقع الديمغرافي و اثره على بناء الجيش ، المكتبة العلمية , بغداد , ط1, 2021

8. محمد محمود إبراهيم الديب، الجغرافية السياسية(منظور معاصر) ، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة, ط1 ،2001 .

9 . محمود احمد عزت البياتي، بناء دولة العراق الفرص الضائعة، بيت الحكمة ، بغداد ، ط1, 2013 .

10. ياسر عبد الحسين، العراق العقدة الاستراتيجية المستعصية، متاهات الداخل و حروب الخارج, أوراق بحثية , المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق , بغداد , 2016

11. لقمان عبد الرحيم الفيلي، بناء العراق- الواقع والعلاقات الخارجية وحلم الديمقراطية , مركز الرافدين للحوار , بيروت , ط1, 2019 .

12. علي عبد العزيز الياسري، الامن القومي العراقي- الابعاد الفكرية والسياسية لاستراتيجية الامن القومي في العراق, مجلس الامن الوطني , بغداد , ط1, 2010

13. عباس علوان حسين الفرطوسي، استراتيجية الامن الداخلي للعراق ومقوماتها، وزارة الداخلية، مكتب المفتش العام , بغداد , ط 1, 2012 .

14. رتشارد نيدليبو- لما تحارب الأمم – دراسة الحرب في الماضي والمستقبل, المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت, سلسة المعرفة , 2013

15. جيمس اندرسون، صنع السياسة العامة، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الدوحة , ط1 , 1998 .

16 . مركز النهرين للدراسات الاستراتيجية , التحديات الداخلية والخارجية للأمن الوطني العراقي , مجلس الامن القومي , كراس النهرين العدد 11, 2018

الدراسات والبحوث المنشورة

1. هادي حسين محسن , المناطق المتنازع عليها في كتابات الضباط والسياسيين البريطانيين , مجلة كلية الآداب , جامعة بغداد , العدد 101 , لسنة 2012 ,

2. د قاسم محمد عبد , جيوبولتك الامن الوطني العراقي (دراسة في التحديات) , مجلة دراسات دولية , جامعة النهرين , العدد 38 , لسنة 2017

3. ف ر حسن البيضاني , ما بعد معارك التحرير- داعش ما بين ملاذات الصحراء والعودة الى العمليات الإرهابية في المدن , مجلة اغتراب , مركز بلادي للدراسات الاستراتيجية , بغداد , العدد الخامس , 2018

4. الحارث عبد الحميد حسن , الإرهاب والسلوك الإرهابي , مجلة العلوم النفسية , جامعة بغداد , العدد الأول , 2006

5. د. قحطان كأضم الخفاجي، مستقبل الدور الإقليمي للعراق في ضل الاحتلال الأمريكي ، مجلة قضايا سياسية العدد 15 جامعة النهرين 2009

6. توبي روش ، اختراع العراق ، نقلا عن جريدة الصباح البغدادية ، بتاريخ 27 أيلول 2006

7. خليل حسين ، القوة وأثرها في الاحلاف الدولية وصراعاتها- مجلة الدفاع

الوطني, جامعة البكر للدراسات العسكرية العليا , بغداد , العدد الثاني عشر , خريف 1988

8. مظفر عبد مطر التميمي- السياسة الأمنية الامريكية تجاه النظام الإقليمي بعد 11 أيلول, أطروحة دكتوراه, جامعة بغداد , غ م, كلية العلوم السياسية , 2013

9. ف ر حسن البيضاني , التحديات القائمة والمحتملة للأربع سنوات القادمة , بحث مقدم الى مركز حراب للدراسات الاستراتيجية , بغداد , 2018 .

بحوث حمورابي

- أطر المعالجة الإعلامية لتقارير المراسلين في الفضائيات العربية ازاء التظاهرات في العراق..... .....
أ.م.د. شريف سعيد حميد السعدي و م.م.أحمد نايف مرزوق الزيدي
- عودة الحرب الباردة ..... د. أحمد بوخريص
- الاتحاد الأوروبي والحد من انتشار أسلحة الدمار الشامل: البرنامج النووي الإيراني إنموذجا ..... شهد حسن علي
- الحرب السيبرانية: دراسة في استراتيجية الهجمات السيبرانية بين الولايات المتحدة الامريكية وإيران..... أ.م.د. كرار عباس متعب فرج
- ظاهرة الارهاب في منطقة الشرق الاوسط بعد عام 2011 سوريا واليمن- انموذجا- ..... م.د.اسيل حمزة
- واقع الديمقراطية التوافقية في مملكة بلجيكا الدروس المستفادة..... .....م.د. حيدر عبد جساس
- الحديث النبوي في الفكر الاسلامي: قراءة في الآثار السياسية لعملية التدوين ..... م.د نزار محمد جوده
- مسلمو تركستان الشرقية(الايغور) والعلاقة مع السلطات الصينية. دراسة في اليات الاندماج والاستيعاب..... د. علاء عبد الرزاق مطلك الفهد

أطر المعالجة الإعلامية لتقارير المراسلين في الفضائيات العربية ازاء التظاهرات في العراق

*جامعة بغداد/ كلية الاعلام

Shareefalsaadi@gmail.com

**جامعة بغداد/ كلية الاعلام

*أ.م.د.شريف سعيد حميد السعدي
باحث من العراق

* *م.م.أحمد نايف مرزوق الزيدي
باحث من العراق

ملخص :

يأتي هذا البحث في وقت شهد فيه العراق احداثا ادت تصاعد وتيرة الاحتجاجات والتظاهرات الشعبية، وأطر متباينة تتعلق بالمعالجات الاعلامية في القنوات الفضائية العربية، وهذا ما جعل الساحة الاعلامية مأزومة تعج بالأحداث واهم مستجدات الاصعدة الامنية والسياسية والانسانية والاقتصادية وغيرها من جانب، ومنطقة خصبة لاهتمام وسائل الاعلام (الفضائيات العربية) وتغطياتها الاخبارية لاهم الاحداث ومستجداتها من جانب اخر.وطبقا لما تقدم فان مشكلة البحث تكمن في المعالجة الاعلامية التي اعتمدتها الفضائيات العربية لأحداث ازمة تظاهرات تشرين في العراق، وطبيعة تغطياتها الاخبارية المرتبطة باجندات سياسية محلية واقليمية ودولية لها اهدافها واتجاهاتها الخاصة ما انعكس على عملية تأطير وقولبة اخبار الازمة بمحددات واتجاهات بعينها يجري عكسها للجمهور في محاولة لتشكيل معارفه واتجاهاته إزاء الازمة واطرافها بما يتوافق واتجاهات التغطيات الاخبارية في القنوات الفضائية العربية، الامر الذي انتج ارتباكا وغموضا في فهم وتفسير احداث الازمة وإطرافها وقواها الفاعلة على الصعيدين الداخلي والخارجي. وقد عزز الباحثان مشكلة بحثهما بتساؤل رئيس وهو: « كيف عالجت القنوات الفضائية العربية تقارير المراسلين ازاء الازمات المحلية(تظاهرات تشرين 2019) في العراق؟ » وقد تفرع هذا التساؤل الى مجوعة تساؤلات فرعية. سعى الباحثان الى تحقيق جملة أهداف توزعت على الجانب التحليلي وعن طريق تطبيق المنهج المسحي بشقيه الوصفي والتحليلي، إذ يعد هذا البحث ضمن دائرة البحوث الوصفية من حيث النوع، فكانت من اهم تلك الاهداف هي:

1. التعرف على كيفية معالجة القنوات الفضائية العربية للازمة تظاهرات تشرين 9102 في العراق.
2. الكشف عن ابرز القضايا التي تناولتها التقارير الاخبارية ازاء ازمة تظاهرات تشرين.

3. تحديد ابرز اليات التأطير الاخباري للازمة تظاهرات تشرين المتعلقة بالشأن المحلي العراقي.
4. معرفة عناصر الابراز التي استخدمتها الفضائيات العربية في معالجة التقارير الاخبارية التي تناولت ازمة تظاهرات تشرين.

وقد خلص البحث الى جملة من النتائج كان منها:

1. ان نوع المعالجة لمضامين التقارير الاخبارية عن التظاهرات تمثلت باستعراض فكرة موضوع التقرير عن ازمة التظاهرات والاسباب التي ادت الى تفاقمها،في حين ان نوع المعلجة في قناة العربية الحدث تمثل بإعطاء المراسل الحلول والمعالجات والمقترحات لحل ازمة التظاهرات.
2. ركـزت قناة الميادين في تسمية اطـراف الازمـة على تسمية «الطرف الثالث»،لارتباط تلك التسمية بعمليات القنص التي طالت المتظاهرين،في حين ان قناة العربية الحدث ركزت على تسمية (حكومة المليشات) و(المليشات الموالية للخارج).
3. ركزت قناتي الميادين والعربية الحدث على الاطار الامني في تغطياتها الاخبارية لأحـداث التظاهرات، وذلك لارتباط التظاهرات بعمليات المواجهات مع القوات الامنية وكذلك تحركات المتظاهرين باتجاه المنطقة الخضراء.
4. تمثلت اطر الصراع في قناة الميادين بالدرجة الاساس بـ»حرق الممتلكات العامة والخاصة ومقرات الاحزاب»، في حين تمثلت في قناة العربية الحدث بـ»المحاصصة السياسية» و»اغتيالات الناشطين».

rameworks for media handling of correspondents' reports on Arab satellite channels about the demonstrations in Iraq

Prof. Dr. Sharif Saeed Hamid Al Saadi
Eng. Ahmed Nayef Marzouq Al-Zaidi
University of Baghdad/ College of Mass Communication

ABSTRACT

This research comes at a time when Iraq witnessed events that led to the escalation of the pace of popular protests and demonstrations, and different frameworks related to media treatments on Arab satellite channels, and this made the media arena a crisis full of events

and the most important developments in the security, political, humanitarian, economic and other aspects, and a fertile area for media attention (Arab satellite channels) and its news coverage of the most important events and their developments on another side.

According to the foregoing, the research problem lies in the media treatment adopted by Arab satellite channels for the events of the October demonstrations crisis in Iraq, and the nature of their news coverage related to local, regional and international political agendas that have their own goals and trends, which is reflected in the process of framing and modeling the crisis news with specific determinants and trends being reflected to the public in an attempt to establish his knowledge and trends regarding the crisis and its involved parties in line with the trends of news coverage on Arab satellite channels, which caused in confusion and ambiguity in understanding and interpreting the events of the crisis and its involved parties and its effective forces at the local and foreign levels.

The researcher reinforced his research problem with a major question, which is: "How did the Arab satellite channels handle the reports of correspondents about the local crises (the October 2019 demonstrations) in Iraq?" This question has been divided into a group of sub-questions.

The research sought to achieve a set of goals that were distributed on the analytical side and through the application of the survey method upon descriptive and analytical approaches, as this research is lies within the descriptive researches, then the most recognized goals are as follow:-

1- Identify how Arab satellite channels have dealt with the crisis, the October 2019 demonstrations in Iraq.

2- Disclosure of the most prominent issues covered in news reports regarding the October demonstrations crisis.

3- Determine the most prominent news-framing mechanisms for the crisis, the October demonstrations, related to Iraqi domestic affa irs.

As well as the highlights that Arab satellite channels used to deal with news reports about the crisis of the October demonstrations.

The research concluded with a number of results, including:

1- Al-Mayadeen and Al-Arabiya Al-Hadath channels focused on

the security framework in their news coverage regarding demonstrations events, as the demonstrations being linked to the operations of confrontations with the security forces, as well as the movements of the demonstrators towards the Green Zone.

2- The frameworks of the conflict in Al-Mayadeen channel were mainly represented by "burning public and private property and party headquarters," while Al-Arabiya Al-Hadath channel was represented by "political quotas" and "assassinations of activists."

المقدمة

إن دور وسائل الاعلام بشكل عام والقنوات الفضائية بشكل خاص لا يقتصر على امداد وتوصيل المعلومات وتغطية الاحداث للجمهور، بل يمتد الى تقديم التفسيرات والمعان الخاصة بالأحداث بحسب ما يتوافق والسياسة الاعلامية لكل منها، اذ تتنافس القنوات الفضائية العربية في اطار سعيها للتأثير في الرأي العام لتعديل او تغيير او ترسيخ قناعاته وتصوراته على وفق ورؤى وفلسفة لأجندات اعلامية يقف وراءها القائمون على الفضائيات تلك، لنقل الاحداث والوقائع من مكان الحدث، للتأثير بالجمهور في القضايا والموضوعات التي تناقشها سواء أكان في اطار نشرات الاخبار (التغطيات) أم التقارير الاخبارية، وغيرها من فنون اذاعية وتلفزيونية أخرى لا يبتعد جوهرها عن تقديم المضمون بقالب او اطار محدد بعينه ضمن سياقات خاصة وتوقيتات محددة .

تغطيات ازمة تظاهرات تشرين في العراق عبر نافذة الفضائيات العربية (الميادين والعربية الحدث) نقطة تحول اعلامية

ومن هنا باتت تغطيات ازمة تظاهرات تشرين في العراق عبر نافذة الفضائيات العربية (الميادين والعربية الحدث) نقطة تحول اعلامية تم تناولها بحسب اتجاهات كل قناة وطبيعة اجندتها والأهداف التي تصبو الى تحقيقها عبر توظيفها لآليات التقديم الفنية والتحريرية التي تراها مناسبة في خدمة تأطير واقعة ما او حدث معين ضمن دائرة النقل الحي والتسجيلي للتظاهرات.

ومن اجل الاحاطة بمتغيرات البحث فقد أشتمل البحث على ثلاثة مباحث، تناول المبحث الاول منها، منهجية البحث إذ تضمن مشكلة البحث وما انطوت عليه من تساؤل رئيس، فضلا عن أهمية البحث واهدافه ، نوع منهجه، وتحديد مجالاته على صعيد الدراسة التحليلية .

اما المبحث الثاني فقد تناول المعالجة الاعلامية للأزمة التظاهرات وتأطير الاحـداث ، وفي المبحث الثالث تناول نتائج الدراسة التحليلية ، فضلا عن الاستنتاجات والتوصيات.

المبحث الاول

الاطار المنهجي للبحث

أولاً / أهمية البحث :

تكتسب البحوث العلمية أهميتها من عناصر، بعضها يرتبط بالمجتمع الذي يفترض أن تسهم في حل مشكلاته فضلاً عن ما يمكن أن تمثله من إضافة مهمة إلى المعرفة في ميدان العلم والمجال التخصصي الذي تنتمي إليه [1].

(1) محمد الهاجري ، أصول وطرائق البحث الاجتماعي ، عمان ، 1992 ، ص87 .

وتأتي أهمية البحث من أهمية الموضوع الذي يتصدى له، والذي يتمثل في ضرورة تحديد معايير واضحة ودقيقة للمعالجة الاعلامية في القنوات الفضائية العربية، لاسيّما في ظل التنافس بين الوسائل الاعلامية لتغطية أخبار وأحداث العالم، فضلاً عن تأثرها بايدلوجيات مختلفة تنعكس على تغطيتها الاعلامية للازمات المحلية العراقية من جهة وطرق معالجتها لتلك الازمات من جهة اخرى،اذ انها تعتمد عنصر الإثارة تارة والتركيز الاعلامي على مشكلة تقع ضمن دائرة اهتمامها تارة اخرى ،والجاذبية في الأسلوب والإخراج واستعمال اساليب الابراز في تاطيرها لتلك الازمات، خصوصاً موضوعات الازمات المحلية في العراق تحديدا باعتباره منطقة حدث ساخن ومتداول ومتجدد باستمرار بما يمتلكه من وزن وتأثير في المجتمع.

ثانياً / مشكلة البحث : تعد مشكلة البحث في البحوث الاعلامية من الموضوعات التي تخص اتخاذ القرارات، او محاولة وصف وسائل الاعلام وتحليل تأثيرها على الجمهور،او محاولة فهم سلوك الجمهور [2]،اذ تمثل موضوعا يحيط به الغموض،او ظاهرة بحاجة الى تفسير،او قضية خلافية او موقف يتطلب اصلاحه وينجم عن ظروف البيئة الاجتماعية [3].

(2) روجر ويمر وجوزيف دوميـنيك،مدخل الى مناهج البحث الاعلامي،ترجمة صالح خليل ابو اصبع وفاروق منصور،بيروت،مركز دراسات الوحدة العربية،2013،ص29-30.

(3) سعد سلمان المشهداني،منهجية البحث العلمي،عمان،دار اسامة للنشر والتوزيع،2019،ص66.

ويمكن صياغة تساؤل رئيس للمشكلة البحثية وكالاتي:

كيف عالجت القنوات الفضائية العربية تقارير المراسلين ازاء الازمات المحلية(تظاهرات تشرين 2019) في العراق؟

ويتفرع عن هذا التساؤل الرئيس تساؤلات فرعية يمكن تحديدها بالاتي:

1- ما المساحة الزمنية التي خصصتها الفضائيات العربية لتقارير المراسلين التي عالجت الازمات المحلية (تظاهرات تشرين 2019) في العراق؟
2- ماهي ابرز القضايا التي تناولتها التقارير الاخبارية ازاء تظاهرات تشرين؟
3- ما هي ابرز اليات التأطير الاخباري للازمات المحلية المتعلقة بالشأن المحلي العراقي؟
4- ما عناصر الابراز التي استخدمتها الفضائيات العربية في معالجة التقارير الاخبارية التي تناولت تظاهرات تشرين؟

ثالثاً / أهداف البحث :

يسعى الباحثان في إطار المنهج والأساليب والأدوات البحثية المتاحة لديه إلى

تحقيق عدد من الأهداف العلمية الخاصة بموضوع البحث ومنها ما يأتي :

1- التعرف على كيفية معالجة القنوات الفضائية العربية للازمة تظاهرات تشرين 2019 في العراق.
2- الكشف عن ابرز القضايا التي تناولتها التقارير الاخبارية ازاء ازمة تظاهرات تشرين.
3- تحديد ابرز اليات التأطير الاخباري للازمة تظاهرات تشرين المتعلقة بالشأن المحلي العراقي.
4- معرفة عناصر الابراز التي استخدمتها الفضائيات العربية في معالجة التقارير الاخبارية التي تناولت ازمة تظاهرات تشرين.

رابعاً / نوع البحث ومنهجه :

يُعدُ المنهج العلمي أسلوبا للتفكير والعمل، يعتمده الباحث لتنظيم أفكاره وتحليلها وعرضها، ومن ثم الوصول إلى نتائج وحقائق معقولة حول الظاهرة (موضوع الدراسة)، ويكون ذلك عبر مراحل متسلسلة ومترابطة تؤدي كل منها إلى المرحلة التالية وحسب طبيعة وخصائص المشكلة أو الظاهرة، لذا فأن تحديد الأسلوب أو المنهج العلمي الذي يستخدمه ويطبقه الباحث لدراسة ظاهرة أو مشكلة معينة يرتبط بموضوع ومحتوى الظاهرة المدروسة.[4]

هذا البحث ينتمي إلى البحوث الوصفية من حيث النوع، إذ تهتم هذه النوعية من البحوث بدراسة الاوضاع الراهنة للظواهر او حاضرها من حيث خصائصها، اشكالها، والعوامل المؤثرة في ذلك، باعتبارها الطريق او مجموعة من الطرق التي يتمكن الباحثون عن طريقها وصف الظواهر العلمية والظروف المحيطة بها في بيئتها والمجال الذي تنتمي اليه، وتصور العلاقة بينها وبين الظواهر الاخرى المؤثرة والمتأثرة فيها، كما تصور شكل العلاقة بين متغيراتها باستخدام اساليب وادوات البحث العلمي التي تلائم الاهداف التي يسعى الباحثون الى تحقيقها.[5]

وبما انه قد جاء موضوع هذا البحث ضمن البحوث الوصفية إذ تستهدف وصف ورصد ومتابعة دقيقة للحدث او الظاهرة (محل البحث)، بطريقة كمية أو كيفية في مدة زمنية معينة او عدة اوقات للوصول الى نتائج وتعميمات تساعد في فهم الواقع، ورسم صورة متكاملة عنه تتميز بالدقة والواقعية.[6]

فقد اعتمد الباحثان وفي اطار المنهج المعتمد في هذا البحث، على المنهج المسحي بشقيه الوصفي والتحليلي، حيث يهدف المسح الوصفي الى تصوير وتوثيق الاوضاع والاتجاهات الحالية، اي انه يشرح ما موجود في الظاهرة (محل البحث)، فيما يهدف المسح التحليلي الى وصف وتفسير اسباب وجود مواقف محددة وشرحها، وهو يسمح بقياس العلاقة بين متغيرين او اكثر واختبار الاسئلة البحثية وفروض البحث.[7]

(4) ربحي مصطفى عليان، البحث العلمي، أسسه، مناهجه، وأساليبه، إجراءاته، مصدر سابق، ص35.

(5) مصطفى حميد الطائي، خير ميلاد ابو بكر، مناهج البحث العلمي وتطبيقاتها في الاعـلام والعلوم السياسية، الاسكندرية ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، 2007، ص95.

(6) ربحي مصطفى عليان، عثمان محمد غنيم، مناهج واساليب البحث العلمي، النظرية والتطبيق، عمان ، دار الصفاء للنشر والتوزيع ،2000،ص43.

(7) روجر ويمر، جوزيف دومينيك، مدخل الى مناهج البحث الاعلامي، ترجمة صالح ابـو اصبع، فـاروق منصور، بيروت ، مركز دراسـات الوحدة العربية ، 2013، ص328.

خامساً / مجالات البحث :

تمثل مجتمع البحث في المجالات الآتية :

1. المجال المكاني: أختار الباحثان قناتين فضائيتين عربيتين هما قناة الميادين الفضائية وقناة العربية الحدث.
2. المجال الزماني: أقتصر البحث من الناحية الزمانية على المعالجة الاعلامية لتقارير المراسلين في الفضائيات العربية ازاء الازمات المحلية خلال المدة المحصورة بين (10/1/ 2019ولغاية 2019/12/31).

سادساً : عينة البحث :

تمثلت عينة البحث بالتقارير الاخبارية في قناة الميادين والتي بلغ عددها (155) والتقارير الاخبارية في قناة العربية الحدث والتي بلغ عددها (333).

بعد ان قام الباحث ببناء تصنيف بعدي وتحديد المحاور الرئيسة المكونة لوحدات التحليل والتي تم حصرها بـفئات رئيسة وفرعية تمثل تحليل مضمون تقارير المراسلين في الفضائيات العربية ازاء الازمات المحلية المتمثلة بالتظاهرات.

المبحث الثاني

المعالجة الاعلامية لأزمة التظاهرات وتأطير الاحداث

أولا.المعالجة الإعلامية لغة واصطلاحا

المعالجة لغة: وردت كلمة المعالجة في المعاجم اللغوية بـ «قياس العبارات والجمل وفقاً لأسلوب تركيب الكلام العربي، ثم نجري الاصلاح الذي ينقح الجمل من خللها اللغوي ويأتي بمعان ظاهرة فصيحة»؛ و»عالج الشيء معالجة وعلاجاً زاوله، وعالج المريض معالجة وعلاجاً عاناه والمعالج، المداوي»؛ أما في اللغة الانكليزية يستخدم أكثر من لفظ للدلالة على لفظ المعالجة ومنها لفظة "handle" التي تشير إلى طريقة تناول المواضيع والتعامل معها؛ وكذلك تستخدم كلمة "Treat-ment" التي تدل على المعالجة بمفهومها السهل؛ كما أشارت الأدبيات إلى إنها تعني «الاتّصال بين طرفين بقصد إيصال معنى أو قضية أو فكرة للعلم بها أو اتخاذ موقف اتجاهها» ؛ كما تأتي المعالجة بمعنى «الممارسة إذ تقول عالج أي مارس العمل وعمل به وزاوله وكل شيء زاولته ومارسته قد عالجته»[8].

كلمة المعالجة في المعاجم اللغوية بـ "قياس العبارات والجمل وفقاً لأسلوب تركيب الكلام العربي

(8)أبن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير، محمد احمد حسب الله وآخرون، المجلد الأول، القاهرة، دار المعارف، ب س، ص3066.

المعالجة الإعلامية اصطلاحا

كثرت تعريفات المعالجة الإعلامية وتنوعت باختلاف وجهات نظر الباحثين في مجال الاتصال والإعلام،اذ انها ترتبط في كثير من الاحيان بأحكام المحررين على طبيعة الاحداث ومستوى الأزمات ،وتعرف المعالجة الإعلامية بأنها « إعادة صياغة

المواد الإتصالية وإمكانية الحذف والإضافة عليها سواء بشكل مباشر أو غير مباشر مما يعطي الفرصة لإمكانية التلوين والتحيز « [9] .

عملية انتقاء المعلومات وإعادة صياغتها،وفق معايير عديدة أهمها السياسة الإعلامية للمؤسسة الإعلامية

كما انها :»عملية انتقاء المعلومات وإعادة صياغتها،وفق معايير عديدة أهمها السياسة الإعلامية للمؤسسة الإعلامية واعتباراتها المهنية والأخلاقية،وطبيعة جو الإتصال وحدود الحريات الإعلامية في التعامل مع القضايا الحساسة، ومدى احترافية الإعلاميين،والكيفية التي تصاغ في الاخبار والتقارير واختيار العناوين والمكان الذي يحتله في البناء الإخباري وطريقة إخراجه [10].

وتعرف المعالجة الإعلامية ايضا بانها «إعادة صياغة المواد الاتّصالية وإمكانية الحذف والإضافة عليها سواء أكانت بشكل مباشر أم غير مباشر مما يعطي الفرصة لإمكانية التلوين والتحيز»[11].

وتعرف المعالجة الإعلامية ايضا بانها "إعادة صياغة المواد الاتّصالية وإمكانية الحذف والإضافة عليها

ويعرفها باحث آخر بأنها « عملية يقوم بها القائمون بالإتصال في الوسيلة الإعلامية المرئية بإعادة تنظيم المحتوى الإخباري ووضعه في شكل صحفي مناسب لكي يعرف من خلال التلفاز » [12].

ثانيا. المعنى اللغوي للتظاهر: التظاهر يعني التعاون واستظهر به: إستعانَ به [13]، وتظاهر القوم: تعاونوا، وفيه قيل « تظاهر الناس تظاهرة «, وظاهر يظاهر – مظاهرة: عاونه, والظهارة من الثوب: نقيض البطانة [14] ، والتظاهر تعني أيضا: الادعاء بغير الحقيقة[15] . وتظاهر يتظاهر تظاهراً: الناس ساروا مجتمعين لإعلان رضاهم أو سخطهم من أمر ما. والمظاهرة مصدر ظاهر وجمعها مظاهرات: مسيرة جماعية للإعلان عن تأييد أو معارضة [16] .

ثالثا ..المعنى الاصطلاحي للتظاهر: عرف مشروع «قانون حرية التعبير عن الرأي» التظاهر السلمي بأنه: (تجمع عدد غير محدود من المواطنين للتعبير عن أرائهم أو المطالبة بحقوقهم التي كفلها القانون التي تنظم وتسير في الطرق (الساحات العامة) [17].

ويعرف التظاهر السلمي بأنه اعتراض على أمر ما وطلب اصلاحه او تغييره وفي الغالب يكون أمرا سياسيا نتيجة الحرمان او التمايز

وقد عرّف القضاء التظاهر بأنه (اجتماع عدة أشخاص في الطريق العام للتعبير عن إرادة جماعية أو مشاعر مشتركة، فأن كأن الاجتماع ثابتاً سمي تجمعاً وأن كأن متنقلاً سمي موكباً ويطلق على المظاهرة في حالة الحركة صفة المسيرة) [18].

ويعرف التظاهر السلمي بأنه اعتراض على أمر ما وطلب اصلاحه او تغييره وفي الغالب يكون أمرا سياسيا نتيجة الحرمان او التمايز او انتهاك خطير لحق او لعدة حقوق من حقوق الانسان،ويأخذ شكل المسيرات او التجمعات المطالبة بهذه الحقوق ويجب ان يكون سلميا ومحميا من قوى الامن الداخلي الحكومي،لكونه

(9) خالد مجد الدين محمد ، صناعة الأخبار في عصر المعلوماتية : دليل إنتاج النشرات التلفزيونية ، القاهرة ، دار الأمين ، 2005 ، ص268 .

(10) عظيم كامل الجميلي،ثناء إسماعيل العاني،صناعة الأخبار الصحفية والتلفزيونية،عمان،دار صفاء للنشر والتوزيع،2012،ص134.

(11) خالد مجد الدين محمد، صناعة الأخبار في عصر المعلوماتية: دليل إنتاج النشرات التلفزيونية، مصدر سابق، ص268.

(12) إسماعيل علوان عبيد , المعالجة الإخبارية في القنوات التلفزيونية الفضائية العراقية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد – كلية الاعلام ، 2009 ، ص75.

(13) 191) محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار الكتاب، بلا سنة طبع, ص407.

(14) علي بن الحسن الهنائي, المنجد في اللغة والإعـلام، الطبعة 30, دار المشرق العربي، بيروت، 1986م، ص482.

(15) المعجم العربي الأساسي, تأليف جماعة من كبار اللغويين العرب, من دون ذكر مكان الطبع, 1989م، ص811.

(16) المصدر السابق ص812.

(17) المادة (الأولـى / خامساً) من مشروع قانون حرية التعبير عن الرأي والاجتماع والتظاهر السلمي.

ممارسة شرعية للتعبير عن حرية الرأي [19] .

وتعد التظاهرات السلمية مظهرا ديمقراطيا للتعبير عن اتجاهات الفرد الداخلية عن طريق الرأي العام،اذ يتخذ الفرد منها اسلوبا او وسيلة للتعبير عن رضائه او عدم رضائه،بشأن قضية ما تهم اغلبية الشعب او فئة من فئاته،اذ تهدف التظاهرات الى اشعار الحكومة بوجهات نظر منظمي هذه التظاهرات[20] .

خامسا..المسؤولية الاعلامية في معالجة قضايا التظاهرات

تعد القنوات الفضائية مرآة المجتمع، ويتجسد دور الاعلاميين في انعكاس ما يرونه الى المجتمع، ويتضمن ذلك قضايا حقوق الانسان، اذ ان الاعلاميين لديهم التزام اخلاقي لتعزيز ثقافة حقوق الانسان المتعلقة بحق التظاهر السلمي،كما ان المسؤولية الاعلامية تهدف الى تذكير الاعلامي بأن الرسائل الاعلامية عبارة عن خدمة للصالح العام،وليست سلعة لمن يدفع الثمن،كذلك ضرورة ادراك الاعلامي لمسؤولياته التي تنبع من الثقة الكبيرة التي يوليها الجمهور لوسائل الاعلام [21].

ويتجسد دور الاعلاميين في انعكاس ما يرونه الى المجتمع، ويتضمن ذلك قضايا حقوق الانسان

ويتعين ان يقدم الاعلام المعلومات بخصوص حقوق الانسان المرتبطة بقضايا التظاهرات بما يسهم في الارتقاء بمستوى وعي المواطن حتى تصبح جزء من سلوكياته العامة والعمل على فضحه لانتهاكات حقوق الانسان التي تحصل اثناء التظاهرات،وكذلك رصد ما تقترفه الحكومات والمجموعات المندسة من اعتداءات وتجاوزات تجاه مواطنيها،كما ان الاعلامي يتحمل مسؤولية الوقوف بوجه كل الممارسات التي يراد بها الانتقاص من حرية الفكر والتعبير والمساواة في حماية القانون والعمل على بناء مجتمع مدني لمواجهة كل مظاهر التعسف والاضطهاد[22].

ويتمثل التأثير الواضح للقنوات الفضائية في تعزيز الاراء المؤيدة للتظاهر السلمي عن طريق اعادة تنشيط تلك الاراء وفقا لأجندة الوسيلة الاعلامية، اذ انها تزود المناصرين لفكرة التظاهر السلمي بالاراء المعززة للاختلاف والتبرير الذي يحتاجونه للحفاظ على مقفهم،مثلما انها فعالة في اظهار المواقف الكامنة للناس اي تنشيطها،والاهم هو ان القنوات الفضائية تقوم بتهيئة اذهان الجمهور للمناقشة وتبرز فعاليتها في بناء قضايا محددة لدى الجمهور[23] .

ويتمثل التأثير الواضح للقنوات الفضائية في تعزيز الاراء المؤيدة للتظاهر السلمي عن طريق اعادة تنشيط تلك الاراء وفقا لأجندة الوسيلة الاعلامية

تُمارس السُلطات العراقية واحزاب موالية لها عمليات تضييق كبيرة وواسعة على وسائل الإعلام والصحفيين العاملين في بغداد، بدءاً من قطع الإنترنت إلى إغلاق مكاتب بعض القنوات إلى تهديد الصحفيين الميدانيين، وفي سابقة جديدة تماما، قامت هيئة الإعلام والاتصالات بغلق وإنذار 17 مؤسسة إعلامية بسبب تغطيتها للاحتجاجات القائمة

(18) د. محمد سيد أحمد، (حدود حرية المواطن في التظاهر في مصر والنظام الفرنسي وفي بعض المواثيق الدولية)، مجلة الحقوق، العدد الأول, 2008م, ص 241

(19) صبحي المحمصاني، أركان حقوق الإنسان:بحث مقارن في الشريعة الاسلامية والقوانين الحديثة، دار العلم للملايين،بيروت،1979،ص171.

(20) عبد الكريم علي الدبيسي،الرأي العام: عوامل تكوينه وطرق قياسه،دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة،عمان،2011،ص119.

(21) د.حسين دبي الزويني،زهراء عصام كبة،حقوق الانسان والاعلام بين تكاملية المعايير وانتقائية المضامين،دار اسامة للنشر،عمان،2015،ص118.

(22) احمد العاني،الاعلام وحقوق الانسان،مجلة «حقوقنا»،وزارة حقوق الانسان،العدد (3)،تشرين الثاني 2007،ص24.

(23) د.صالح خليل ابو اصبع،الاتصال الجماهيري،دار الشروق،عمان،1998،ص184.

في العراق. فقد تم غلق مكاتب قنوات العربية الحدث، دجلة، الرشيد، NRT، الشرقية، الفلوجة، هنا بغداد والحرة. كما تم ابلاغ إنذار الى قنوات السومرية، آسيا، رووداو، سكاي نيوز عربية، اور، لتصحيح مسار خطابها[24] .

ويمكن تشبيه انقطاع خدمة الإنترنت في تظاهرات تشرين بفترة الإعلام الموجه في حرب 2003، اي ان الحكومة تجبرنا على متابعة القنوات الموجهة، التي تنقل معلومات غير موثوقة ومضللة لحقيقة ما يحدث في الشارع العراقي، كما ان انقطاع الإنترنت وحجب التغطية الإعلامية خرق للدستور العراقي الذي يكفل حرية التعبير عن الرأي، وحريات الصحافة والإعلام والنشر والتظاهر السلمي بمادته المرقمة 38 [25].

و كانت تغطية القنوات التلفزيونية لأحداث التظاهرات ضعيفة في بدايتها، اذ اكتفت ثلاث محطات فقط بنقل الأخبار العاجلة وبعض الصور لساحات التظاهر. في حين لم تهتم القنوات التابعة للسلطة مثل شبكة الإعلام العراقي وقنوات الأحزاب الدينية بالتغطية،وهذا ما دفع بالمتلقي العراقي إلى الاعتماد بشكل كلي على متابعة الأحداث عبر فيسبوك من خلال ما نشره المتظاهرون أنفسهم، فضلاً عن الجهود الفردية لبعض الصحافيين المستقلين الذي كانوا في ساحات التظاهر،اما إعلام المواطن والاستخدام الكبير لمواقع التواصل الاجتماعي فقد لعبا دوراً واضحاً في نقل الأحداث والاعتراض على ممارسات الحكومة. ما جعل المتظاهر يؤدي مهام الإعلامي في التغطية المباشرة ونقل الصورة من أرض الحدث. وهذا ساعد بعض وسائل الإعلام العراقية والإقليمية على تجميع الصور الصغيرة المتقطعة التي نشرها المتظاهرون، ثم استخدامها في التحليل الإعلامي وبثها للمتلقي [26].

كانت تغطية القنوات التلفزيونية لأحداث التظاهرات ضعيفة في بدايتها

(24) مصطفى سعدون، الحكومة العراقية تضيق على وسائل الإعلام وشركات البث التي تغطي الإحتجاجات، متاح على الرابط: https//:www.al-monitor.com/pulse/ar/originals/11/2019/iraq-protests-media.html، استرجع بتاريخ: 25/7/2020

(25) سهى عودة، الإعلام العراقي بين التغطية «البيغائية» للسلطة وقمع الفضائيات، متاح على الرابط: https//:www.independentarabia.com/node ،استرجع بتاريخ 25/7/2020.

(26)سهى عودة، الإعلام العراقي بين التغطية «البيغائية» للسلطة وقمع الفضائيات، متاح على الرابط: https//:www.independentarabia.com/node ،استرجع بتاريخ 25/7/2020.

المبحث الثالث

الدراسة التحليلية

رابعا.. الأطر الإخبارية التي تبرزها تقارير المراسلين عن التظاهرات

أ- **قناة الميادين:** بالنظر الى جدول (1) يتبين لنا ان فئة (الاطار الأمني) جاءت بالمرتبة الأولى،اذ بلغ عددها (30) تكرارا من مجموع(155) تكرارا وبنسبة (19.35%)،تلتها بالمرتبة الثانية فئة (أطر المسؤولية)،اذ بلغ عددها (18) تكرارا وبنسبة (11.61%)،في حين جاءت فئة (أطر التهدئة) بالمرتبة الثالثة،اذ بلغ عددها (17) تكرارا وبنسبة (10.96%) , وجاءت باقي الفئات بحسب التكرارات ونسبها المئوية ومرتبتها وكما في جدول (1) وللمزيد ... ينظر الى الجدول المذكور.

ب- **قناة العربية الحدث:** جاءت فئة (الاطار الامني) بالمرتبة الاولى،اذ بلغ عددها (50) تكرارا من مجموع (333) وبنسبة (15.01%)،تلتها بالمرتبة الثانية فئة (أطر الصراع)،اذ بلغ عددها (35) تكرارا وبنسبة (10.51%)،في حين جاءت بالمرتبة الثالثة فئة (أطر الاحتجاج)،اذ بلغ عددها (31) تكرارا وبنسبة (9.30%)، وجاءت باقي الفئات بحسب التكرارات ونسبها المئوية ومرتبتها وكما في جدول (1) وللمزيد ... ينظر الى الجدول المذكور .

جدول (1)

يبين الأطر الأخبارية التي تبرزها تقارير المراسلين عن التظاهرات في قناتي الميادين والحدث

ت	الأطر الأخبارية التي تبرزها تقارير المراسلين عن التظاهرات	قناة الميادين		قناة الحدث		المجموع الكلي	
		التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية
1	أطر الصراع	15	9.67	35	10.51	60	12.29
2	أطر التهدئة	17	10.96	22	6.60	29	5.94
3	أطر المسؤولية	18	11.61	22	6.60	35	7.17
4	الأطر الاقتصادية	6	3.87	22	6.60	28	5.73
5	أطر الدعم والأسناد	4	2.58	15	4.50	19	3.89
6	أطر الأحتجاج	15	9.67	31	9.30	38	7.78
11	الأطار الأمني	30	19.35	50	15.01	90	18.44
12	الأطر القانونية	5	3.22	16	4.80	21	4.30
13	أطر الاهتمام الإنساني	8	5.16	23	6.90	39	7.99
14	أطر المطالب	4	2.58	20	6	29	5.94
15	أطر الحلول	5	3.22	14	4.20	19	3.89
	المجموع	155	100%	333	100%	488	100%

1. أطر الصراع

أ- **قناة الميادين:** بالنظر الى جدول (2) يتبين لنا ان فئة (حرق الممتلكات العامة والخاصة ومقرات الاحزاب) جاءت بالمرتبة الاولى،اذ بلغ عددها (7) تكرارات من مجموع (15) تكرارا وبنسبة (46.66%) ،تلتها بالمرتبة الثانية فئتا (الصراع حول شخصية رئيس الوزراء) و(الصراع السياسي بين الكتل على المناصب)،في حين جاءت باقي الفئات بحسب التكرارات ونسبها المئوية ومرتبتها وكما في الجدول ... المزيد ينظر جدول (2) .

ت	أطر الصراع التي تبرزها تقارير المراسلين عن التظاهرات	قناة الميادين		قناة الحدث		المجموع الكلي	
		التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية
1	التصويب المباشر لخصوم امريكا عبر التظاهرات المطلبية	1	6.66	5	14.28	6	12
2	اغتيالات الناشطين	1	6.66	6	17.14	7	14
3	الصراع السياسي بين الكتل على المناصب	4	26.66	5	14.28	9	18
4	المحاصصة السياسية	صفر	صفر	6	17.14	6	12
5	الصراع حول شخصية رئيس الوزراء	4	26.66	5	14.28	9	18
6	حرق مقرات الأحزاب	صفر	صفر	5	14.28	5	10
7	ازدياد اعداد الشهداء والجرحى	1	6.66	4	11.42	5	10
11	التذكير ببطش المليشات	صفر	صفر	2	5.71	2	4
	المجموع	15	100%	35	100%	50	100%

جدول (2)

يبين أطر الصراع التي تبرزها تقارير المراسلين عن التظاهرات في قناتي الميادين والحدث

ب- **قناة العربية الحدث:** جاءت فئة (المحاصصة السياسية)و(اغتيالات الناشطين) بالمرتبة الاولى،اذ بلغ عددهما (6) تكرار لكل منهما وبنسبة (17.14%) ،تلتها بالمرتبة الثانية الفئات (التصويب المباشر لخصوم امريكا عبر التظاهرات المطلبية - الصراع السياسي بين الكتل على المناصب - الصراع حول شخصية رئيس الوزراء - حرق مقرات الأحزاب)،اذ بلغ عددهما (5) تكرارات لكل منهما وبنسبة(14.28%)،في حين جاءت باقي الفئات بحسب التكرارات ونسبها المئوية ومرتبتها كما في جدول ... المزيد ينظر جدول (2) .

2.أطر التهدئة

القوى السياسية في العراق تسارع الخطى لايجاد حل للازمة التي فرضتها التظاهرات الاحتجاجية

أ- قناة الميادين: بالنظر الى جدول (3) يتبين لنا جاءت فئة (استقالة الحكومة «رئيس الـوزراء») بالمرتبة الاولـى،اذ بلغ عددها (4) تكرارات وبنسبة (23.52%) كما في عنوان الـــ(CG) للتقرير الاخباري الاتي: «المطالب السياسية باستقالة رئيس الوزراء»،تلتها بالمرتبة الثانية فئة (بيانات من بعض الجهات بشأن سلمية التظاهرات)،اذ بلغ عددها (3) تكرارات وبنسبة (17.64%)،في حين جاءت باقي الفئات بحسب التكرارات ونسبها المئوية ومرتبتها كما في جدول ... المزيد ينظر جدول (3) .

ب- مشاكل الشباب العاطلين عن العمل وتعيين الخريجين) و (مبادرات سياسية لحلحلة الأزمة) المرتبة الاولى،اذ بلغ عددها (3) تكرارات وبنسبة (13.63%) كما في عنوان الـ(CG) للتقرير الاخباري الاتي: «القوى السياسية في العراق تسارع الخطى لايجاد حل للازمة التي فرضتها التظاهرات الاحتجاجية»، في حين جاءت باقي الفئات بحسب التكرارات ونسبها المئوية ومرتبتها كما في جدول ... المزيد ينظر جدول (3) .

جدول (3)

يبين أطر التهدئة التي تبرزها تقارير المراسلين عن التظاهرات في قناتي الميادين والحدث

ت	أطر التهدئة	قناة الميادين		قناة الحدث		المجموع الكلي	
		التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية
1	تقديم تعهدات من الحكومة والبرلمان لحل مشاكل الشباب العاطلين عن العمل وتعيين الخريجين	صفر	صفر	3	13.63	3	7.69
2	حل مجالس المحافظات	1	5.88	2	9.09	3	7.69
3	تقديم الفاسدين الى القضاء	1	5.88	2	9.09	3	7.69
4	أستقالة الحكومة (رئيس الوزراء)	4	23.52	2	9.09	6	15.38
5	تعهدات من رئيس البرلمان ونوابه الى المتظاهرين	1	5.88	2	9.09	3	7.69
6	مبادرات سياسية لحلحلة الأزمة	2	11.76	3	13.63	5	12.82
7	مبادرات الأمم المتحدة وممثلتها في العراق	صفر	صفر	2	9.09	2	5.21
8	الدعوة الى انتخابات مبكرة	2	11.76	2	9.09	4	10.25
9	دعوات لعدم حرق مؤسسات الدولة	1	5.88	صفر	صفر	1	2.56
	المجموع	17	100%	22	100%	39	100%

3. أطر المسؤولية

أ- **قناة الميادين:** بالنظر الى جدول (4) يتبين لنا ان فئة (الكتل السياسية من تتحمل ايجاد شخصية لرئاسة الوزراء) جاءت بالمرتبة الاولى،اذ بلغ عددها (4) تكرارات من مجموع (18) تكرارا وبنسبة (22.22%) ،تلتها بالمرتبة الثانية الفئات (رفض جميع المرشحين لمنصب رئيس الوزراء - المندسين في التظاهرات - تحذيرات من وجود أطراف تحاول استغلال التظاهرات)،اذ بلغ عددها (3) تكرارات لكل منهما وبنسبة (16.66%)،في حين جاءت باقي الفئات بحسب التكرارات ونسبها المئوية ومرتبتها كما في جدول ... المزيد ينظر جدول (4) .

جدول (4) يبين أطر المسؤولية التى تبرزها تقارير المراسلين عن التظاهرات

ت	أطر المسؤولية	قناة الميادين		قناة الحدث		المجموع الكلي	
		التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية
1	فساد الحكومات المتتالية	صفر	صفر	4	18.18	4	10
2	المحاصصة بين الكتل والاحزاب	صفر	صفر	2	9.09	2	5
3	نقص الحلول والمعالجات المقدمة	صفر	صفر	1	4.54	1	2.5
4	رفض جميع المرشحين لمنصب رئيس الوزراء	3	16.66	2	9.09	5	12.5
5	انهيار الاتفاقيات مع رئيس الجمهورية	2	11.11	2	9.09	4	10
6	التحذيرات من الفوضى	صفر	صفر	1	4.54	1	2.5
7	التحذيرات من التدخلات الخارجية في التظاهرات	1	5.55	صفر	صفر	1	2.5
8	خطب رئيس الحكومة والبرلمان بشأن المتظاهرين	1	5.55	2	9.09	3	7.5
9	عدم وجود قيادة واضحة للمتظاهرين	1	5.55	1	4.54	2	5

ب- **قناة العربية الحدث**: احتلت فئة (فساد الحكومات المتتالية) المرتبة الاولى،اذ بلغ عددها (4) تكرارات من مجموع (18.18%) وبنسبة (18.18%) ،تلتها بالمرتبة الثانية الفئات (المحاصصة بين الكتل والاحزاب - رفض جميع المرشحين لمنصب رئيس الوزراء - .....)،اذ بلغ عددها (2) تكرار وبنسبة (9.09%)، في حين جاءت جاءت باقي الفئات بحسب التكرارات ونسبها المئوية ومرتبتها كما في جدول ... المزيد ينظر جدول (4) .

4. الأطر الاقتصادية

أ- **قناة الميادين**: بالنظر للجدول (5) يتبين ان فئة (الهجمات المتكررة على البنك المركزي) جاءت بالمرتبة الاولى،اذ بلغ عددها (3) تكرارات لكل منهما وبنسبة (50%) ،تلتها بالمرتبة الثانية فئة (اغلاق الطريق الدولي من قبل المتظاهرين)،اذ بلغ عددها (2) تكرار وبنسبة (33.33%) في حين جاءت باقي الفئات بحسب التكرارات ونسبها المئوية ومرتبتها كما في جدول ... المزيد ينظر جدول (5).

ت	أطر المسؤولية	قناة الميادين		قناة الحدث		المجموع الكلي	
		التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية
1	اغلاق الطريق الدولي من قبل المتظاهرين	2	33.33	4	18.18	6	21.42
2	اغلاق المحال التجارية	صفر	صفر	1	4.54	1	3.57
3	غلق المصافي والحقول النفطية في جنوب العراق	صفر	صفر	3	13.63	3	10.71
4	تعطيل ميناء أم قصر في البصرة	1	16.66	1	4.54	2	7.14
5	الهجمات المتكررة على البنك المركزي	3	50	5	22.72	8	28.57
6	دعوات المتظاهرين الى مقاطعة البضائع الايرانية	صفر	صفر	8	36.36	8	28.57
	المجموع	6	100%	22	100%	28	100%

جدول (5)

يبين الأطر الاقتصادية التي تبرزها تقارير المراسلين عن التظاهرات في قناتي الميادين والحدث

ب- **قناة العربية الحدث:** احتلت فئة (دعوات المتظاهرين الى مقاطعة البضائع الايرانية) المرتبة الاولى،اذ بلغ عددها (8) تكرارات من مجموع (22) تكرارا وبنسبة (36.36%) ،تلتها بالمرتبة الثانية فئة (الهجمات المتكررة على البنك المركزي)،اذ بلغ عددها (5) تكرارات وبنسبة (22.72%)،في حين جاءت فئة (اغلاق الطريق الدولي من قبل المتظاهرين) بالمرتبة الثالثة،اذ بلغ عددها (4) تكرارات وبنسبة (18.18%)، وجاءت باقي الفئات بحسب التكرارات ونسبها المئوية ومرتبتها كما في الجدول ... المزيد ينظر جدول (5)

5. أطر الدعم والاسناد

جدول (6)

يبين أطر الدعم والاسناد التي تبرزها تقارير المراسلين عن التظاهرات في قناتي الميادين والحدث

ت	أطر الدعم والاسناد	قناة الميادين		قناة الحدث		المجموع الكلي	
		التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية
1	الدعم الخارجي والدولي للتظاهرات (الامم المتحدة)	1	25	2	13.33	3	15.78
2	الدعم الداخلي من بعض الاطراف	صفر	صفر	1	6.66	1	5.26
3	الدعم المادي	صفر	صفر	1	6.66	1	5.26
4	الدعم الشعبي	صفر	صفر	1	6.66	1	5.26
5	الدعم العشائري	صفر	صفر	2	13.33	2	10.52
6	الدعم الطلابي	1	25	1	6.66	2	10.52
7	الدعم الحكومي	صفر	صفر	2	13.33	2	10.52
11	دعم بعض الكتل السياسية للمتظاهرين	صفر	صفر	2	13.33	2	10.52
	المجموع	4	100%	15	100%	19	100%

أ- **قناة الميادين:** بالنظر للجدول (6) يتبين لنا ان الفئات (الدعم الخارجي والدولي للتظاهرات - الدعم الطلابي - دعم المرجعية الدينية للمتظاهرين - دعم قيادات الحشد الشعبي لمطالب المتظاهرين) جاءت بالمرتبة الاولى،اذ بلغ عددها

تكرار واحد لكل منهما وبنسبة (25%) ،اما الفئات (الدعم الداخلي من بعض الاطراف - الدعم المادي - الدعم الشعبي - الدعم العشائري - الدعم الحكومي - دعم منظمات المجتمع المدني- دعم بعض الكتل السياسية للمتظاهرين) فهي لم تسجل أي تكرار او نسبة يمكن الاشارة اليها.

ب- **قناة العربية الحدث**: احتلت الفئات (الدعم الخارجي والدولي للتظاهرات - الدعم العشائري - الدعم الحكومي - دعم بعض الكتل السياسية للمتظاهرين) المرتبة الاولى،اذ بلغ عددها (2) تكرار لكل منهما وبنسبة (13.33%) ،تلتها بالمرتبة الثانية الفئات (الدعم الداخلي من بعض الاطراف - الدعم المادي - الدعم الشعبي - الدعم الطلابي - دعم منظمات المجتمع المدني - دعم المرجعية الدينية للمتظاهرين - دعم قيادات الحشد الشعبي لمطالب المتظاهرين)،اذ بلغ عددها تكرار واحد لكل منهما وبنسبة (6.66%).

6. أطر الاحتجاج

أ- **قناة الميادين**: بالنظر الى الجدول (7) يتبين ان فئة (قطع الشوارع والجسور وحرق الاطـارات) جاءت بالمرتبة الاولـى،اذ بلغ عددها (6) تكرارات من مجموع (15) تكرارا وبنسبة (40%) ،تلتها بالمرتبة الثانية الفئات (تصريحات القواعد الشعبية وشيوخ العشائر المساندة للتظاهرات والمتظاهرين - تزايد اعداد المتظاهرين وتوسع رقعة التظاهرات - اطلاق الشعارات)،اذ بلغ عددهم (2) تكرار لكل منهم وبنسبة (13.33%)،في حين ان الفئات (رفض الحلول والمقترحات - رفض الوساطات - اغلاق المؤسسات الحكومية والمدارس والجامعات) جاءت بالمرتبة الاخيرة،اذ بلغ عددهم تكرار واحد لكل منهم وبنسبة (6.66%) .

ب- **قناة العربية الحدث**: احتلت فئة (رفض الحلول والمقترحات) المرتبة الاولى،اذ بلغ عددها (5) تكرارات من مجموع (31) تكرارا وبنسبة (16.12%) ،تلتها بالمرتبة الثانية فئة (تصريحات القواعد الشعبية وشيوخ العشائر المساندة للتظاهرات والمتظاهرين)،اذ بلغ عددها (4) تكرارات وبنسبة (12.90%)،في حين جاءت باقي الفئات بحسب التكرارات ونسبها المئوية ومرتبتها كما في الجدول ... المزيد ينظر جدول (7) .

جدول (7)

يبين أطر الاحتجاج التي تبرزها تقارير المراسلين عن التظاهرات في قناتي الميادين والحدث

ت	أطر الاحتجاج	قناة الميادين		قناة الحدث		المجموع الكلي	
		التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية
1	تصريحات القواعد الشعبية وشيوخ العشائر المساندة للتظاهرات والمتظاهرين	2	13.33	4	12.90	6	13.04
2	رفض الحلول والمقترحات	1	6.66	5	16.12	6	13.04
3	رفض الوساطات	1	6.66	2	6.45	3	6.52
4	رفض المطالب والشروط	صفر	صفر	3	9.67	3	6.52
5	قطع الشوارع والجسور وحرق الاطارات	6	40	3	9.67	9	19.56
6	تزايد اعداد المتظاهرين وتوسع رقعة التظاهرات	2	13.33	3	9.67	5	10.86
7	اطلاق الشعارات	2	13.33	3	9.67	5	10.86
8	احتفالات المتظاهرين في مواقع التظاهر	صفر	صفر	2	6.45	2	4.34
	المجموع	15	100%	31	100%	46	100%

7. أطر التشكيك

أ- **قناة الميادين**: بالنظر الى جدول (8) يتبين ان فئة (وجود جماعات مندسة تقوم بحرف التظاهرات من خلال التجاوز على المال العام) جاءت بالمرتبة الاولى،اذ بلغ عددها (3) تكرارات وبنسبة (75%) ، تلتها بالمرتبة الثانية فئة

(التشكيك بمواقف البرلمان)،اذ بلغ عددها تكرار واحد وبنسبة (25%)،اما الفئات (استخدام العبارات والكلمات التي يجري عن طريقها اضعاف جميع المبادرات والحلول - التشكيك بمواقف الحكومة - التشكيك بمواقف المتظاهرين) فهي لم تسجل أي تكرار او نسبة مئوية يمكن الاشارة اليها.

ب- **قناة العربية الحدث**: احتلت فئة (التشكيك بمواقف البرلمان) المرتبة الاولى،اذ بلغ عددها (7) تكرارات وبنسبة (35%) ،تلتها بالمرتبة الثانية فئة (التشكيك بمواقف الحكومة)،اذ بلغ عددها (6) تكرارات وبنسبة (30%)،في حين جاءت باقي الفئات بحسب التكرارات ونسبها المئوية ومرتبتها كما في الجدول ... المزيد ينظر جدول (8) .

جدول (8)

يبين أطر التشكيك التي تبرزها تقارير المراسلين عن التظاهرات في قناتي الميادين والحدث

ت	أطر التشكيك	قناة الميادين		قناة العربية الحدث		المجموع الكلي	
		التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية
1	استخدام العبارات والكلمات التي يجري عن طريقها اضعاف جميع المبادرات والحلول	صفر	صفر	5	25	5	20.83
2	التشكيك بمواقف الحكومة	صفر	صفر	6	30	6	25
3	التشكيك بمواقف المتظاهرين	صفر	صفر	2	10	2	8.33
4	التشكيك بمواقف البرلمان	1	25	7	35	8	33.33
5	وجود جماعات مندسة تقوم بحرف التظاهرات من خلال التجاوز على المال العام	3	75	صفر	صفر	3	12.5
	المجموع	4	100%	20	100%	24	100%

8. أطر الاستبعاد و الاستغفال

أ- **قناة الميادين**: بالنظر للجدول (9) يتبين ان فئة (استضافة المتظاهرين واغفال الجانب الحكومي والتشريعي والقضائي) جاءت بالمرتبة الاولى، اذ بلغ عددها (5) تكرارات وبنسبة (50%)،تلتها بالمرتبة الثانية فئة (استضافة الشخصيات الموالية لجهات حكومية وعدم التعرض لجهات اخرى)، اذ بلغ عددها (3) تكرارات وبنسبة (30%)، في حين جاءت باقي الفئات بحسب التكرارات ونسبها المئوية ومرتبتها كما في الجدول ... المزيد ينظر جدول (9)

جدول (9)

يبين أطر الاستبعاد و الاستغفال التي تبرزها تقارير المراسلين عن التظاهرات في قناتي الميادين والحدث

ت	أطر الاستبعاد و الاستغفال	قناة الميادين		قناة الحدث		المجموع الكلي	
		التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية
1	أخذ وجهة نظر واحدة في التقرير	2	20	2	22.22	4	21.05
2	استضافة الشخصيات الموالية لجهات حكومية وعدم التعرض لجهات اخرى	3	30	2	22.22	5	26.31
3	استضافة المتظاهرين واغفال الجانب الحكومي والتشريعي والقضائي	5	50	3	33.33	8	42.10
4	غياب التوازن في تناول موضوع التقرير للأحداث عبر الأجتزاء والانحياز لجهة دون اخرى	صفر	صفر	2	22.22	2	10.52
	المجموع	10	100%	9	100%	19	100%

ب- **قناة العربية الحدث**: جاءت فئة (استضافة المتظاهرين واغفال الجانب الحكومي والتشريعي والقضائي) بالمرتبة الاولى،اذ بلغ عددها (3) تكرارات وبنسبة (33.33%)،تلتها بالمرتبة الثانية الفئات (غياب التوازن في تناول موضوع التقرير للأحداث عبر الأجتزاء والانحياز لجهة دون اخرى - أخذ

وجهة نظر واحدة في التقرير - استضافة الشخصيات الموالية لجهات حكومية وعدم التعرض لجهات اخرى)،اذ بلغ عددها (2) تكرار وبنسبة (22.22%).

9. أطر التلميحات الاجتماعية

أ- **قناة الميادين**: بالنظر للجدول (10) يتبين لنا ان فئة (استخدام الاقتباسات) التي تتعلق بخطب المرجعية وخطابات الشخصيات للوقائع الحكومية جاءت بالمرتبة الاولى،اذ بلغ عددها (7) تكرارات وبنسبة (50%) ،تلتها بالمرتبة الثانية فئة (استخدام الاستعارات في التقرير(،اذ بلغ عددها (3) تكرارات وبنسبة (21.42%)،في حين جاءت باقي الفئات بحسب التكرارات ونسبها المئوية ومرتبتها كما في الجدول ... المزيد ينظر جدول (10) .

جدول (10)

يبين أطر التلميحات الاجتماعية التي تبرزها تقارير المراسلين عن التظاهرات في قناتي الميادين والحدث

ت	أطر التلميحات الاجتماعية	قناة الميادين		قناة الحدث		المجموع الكلي	
		التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية
1	استخدام الامثلة والحكم	2	14.28	1	7.69	3	11.11
2	استخدام الاستعارات في التقرير	3	21.42	2	15.38	5	18.51
3	استخدام الاقتباسات	7	50	3	23.07	10	37.03
4	استخدام الوقائع التاريخية في التقرير	2	14.28	1	7.69	3	11.11
5	استخدام البيانات الاحصائية والاشكال والرسومات	صفر	صفر	2	15.38	2	7.40
6	التذكير بويلات الامهات الثكالى بأبنائهم من جرحى وشهداء	صفر	صفر	4	30.76	4	14.81
	المجموع	14	100%	13	100%	27	100%

ب- **قناة العربية الحدث**: احتلت فئة (التذكير بويلات الامهات الثكالى بأبنائهم من جرحى وشهداء(المرتبة الاولى،اذ بلغ عددها (4) تكرارات وبنسبة (30.76%) ،تلتها بالمرتبة الثانية فئة (استخدام الاقتباسات)،اذ بلغ عددها (3) تكرارات

وبنسبة (23.07%)،في حين جاءت باقي الفئات بحسب التكرارات ونسبها المئوية ومرتبتها كما في الجدول ... المزيد ينظر جدول (10) .

10. أطر التسميات

أ- قناة الميادين: احتلت فئة (جبل احد) المرتبة الاولى،اذ بلغ عددها (2) تكرار بنسبة (40%) ،تلتها بالمرتبة الثانية الفئات (الطرف الثالث – مجموعات مندسة – القبعات الزرق)،اذ بلغ عددها تكرار واحد لكل منهما وبنسبة (20%)،اما الفئات (الفاسدون – المليشات الموالية لايران – الجوكرية – المخربين – قوات مكافحة الشغب – عميل – ذيل – اتباع السفارات – حكومة المليشات)،فهي لم تسجل أي تكرار او نسبة مئوية يمكن الاشارة اليها.

جدول (11)

يبين أطر التسميات التي تبرزها تقارير المراسلين عن التظاهرات في قناتي الميادين والحدث

ت	أطر التسميات	قناة الميادين		قناة الحدث		المجموع الكلي	
		التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية
1	الفاسدون	صفر	صفر	3	14.28	3	11.53
2	المليشات الموالية لإيران	صفر	صفر	1	4.76	1	3.84
3	الجوكرية	صفر	صفر	2	9.52	2	7.69
4	الطرف الثالث (القناصين)	1	20	1	4.76	2	7.69
5	مجموعات مندسة	1	20	2	9.52	3	11.53
6	المخربين	صفر	صفر	1	4.76	1	3.84
12	القبعات الزرق	1	20	1	4.76	2	7.69
13	جبل أحد (المطعم التركي)	2	40	1	4.76	3	11.53
المجموع		5	100%	21	100%	26	

ب- قناة العربية الحدث: جاءت فئتا (الفاسدون – حكومة المليشات) بالمرتبة الاولى،اذ بلغ عددها (3) تكرارات وبنسبة (14.28%) ،تلتها بالمرتبة الثانية

الفئات (الجوكرية - مجموعات مندسة – ذيل - قوات مكافحة الشغب)،اذ بلغ عددها (2) تكرار لكل منهما وبنسبة (9.52%)،في حين ان الفئات (المليشات الموالية لإيران - الطرف الثالث – المخربين – عميل -جبل أحد -القبعات الزرق - اتباع السفارات) جاءت بالمرتبة الثالثة،اذ بلغ عددها تكرار واحد لكل منهما وبنسبة (4.76%).

11. الاطار الامني

جدول (12)

يبين الاطار الامني التي تبرزها تقارير المراسلين عن التظاهرات في قناتي الميادين والحدث

ت	الاطار الامني	قناة الميادين		قناة الحدث		المجموع الكلي	
		التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية
1	تحجيم وصد القوات الامنية للمتظاهرين الذين يحاولون اقتحام المنطقة الخضراء	4	13.33	10	20	14	17.5
2	ضرب القنابل المسيلة للدموع من قبل القوات الأمنية	2	6.66	8	16	10	12.5
3	وضع الكتل والحواجز الكونكريتية من قبل القوات الامنية بهدف عدم تقدم المتظاهرين	3	10	5	10	8	10
4	تجمع المتظاهرين وقنصهم من قبل القوات الامنية	3	10	3	6	6	7.5
5	فرض حظر على المتظاهرين	1	3.33	4	8	5	6.25
10	التصعيد الأمني (سقوط صواريخ – استخدام الحجارة – الملتوف) من قبل المتظاهرين واعدام صبي في ساحة الوثبة	5	16.66	6	12	11	13.75
	المجموع	30	100%	50	100%	80	100%

أ- **قناة الميادين**: بالنظر للجدول (12) يتبين لنا ان الفئات (تحذيرات من استغلال الظروف من قبل داعش - التصعيد الأمني - الاجراءات الامنية ومنع المتظاهرين من العبور) جاءت بالمرتبة الاولى،اذ بلغ عددها (5) تكرارات لكل منهما وبنسبة (16.66%) ،تلتهما بالمرتبة الثانية فئة (تحجيم وصد القوات الامنية للمتظاهرين الذين يحاولون اقتحام المنطقة الخضراء)،اذ بلغ عددها (4) تكرارات وبنسبة (13.33%)،في حين جاءت باقي الفئات بحسب التكرارات ونسبها المئوية ومرتبتها كما في الجدول ... المزيد ينظر جدول (12) .

ب- **قناة العربية الحدث**: احتلت فئة (تحجيم وصد القوات الامنية للمتظاهرين الذين يحاولون اقتحام المنطقة الخضراء) المرتبة الاولى،اذ بلغ عددها (10) تكرارات وبنسبة (20%) ،تلتها بالمرتبة الثانية فئة (ضرب القنابل المسيلة للدموع من قبل القوات الامنية)،اذ بلغ عددها (8) تكرارات وبنسبة (16%)،في حين جاءت باقي الفئات بحسب التكرارات ونسبها المئوية ومرتبتها كما في الجدول ... المزيد ينظر جدول (12) .

12. الاطر القانونية

أ- **قناة الميادين**: بالنظر للجدول (13) يتبين ان فئتا (لجان التعديلات الدستورية - الخروقات الدستورية واستمرار حكومة تصريف الاعمال) احتلت المرتبة الاولى،اذ بلغ عددهما (2) تكرار لكل منهما وبنسبة (40%) ،تلتها بالمرتبة الثانية فئة (تقديم الفاسدين للقضاء العراقي وعدم ملاحقة الفاسدين)،اذ بلغ عددها تكرار واحد وبنسبة (20%).

ب- **قناة العربية الحدث**: جاءت فئة (تقديم الفاسدين للقضاء العراقي وعدم ملاحقة الفاسدين) بالمرتبة الاولى،اذ بلغ عددها (5) تكرارات وبنسبة (31.25%) ،تلتها بالمرتبة الثانية فئتا (تقديم بعض المتظاهرين الى القضاء نتيجة حرق الممتلكات العامة - لجان التعديلات الدستورية)،اذ بلغ عددهما (4) تكرارات لكل منهما وبنسبة (25%)،في حين جاءت فئة (الخروقات الدستورية واستمرار حكومة تصريف الاعمال) بالمرتبة الاخيرة،اذ بلغ عددها (3) تكرارات وبنسبة (18.75%).

جدول (13)

يبين الاطر القانونية التي تبرزها تقارير المراسلين عن التظاهرات في قناتي الميادين والعربية الحدث

ت	أطر التسميات	قناة الميادين		قناة العربية الحدث		المجموع الكلي	
		التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية
1	تقديم الفاسدين للقضاء العراقي وعدم ملاحقة الفاسدين	1	20	5	31.25	6	28.57
2	تقديم بعض المتظاهرين الى القضاء نتيجة حرق الممتلكات العامة	صفر	صفر	4	25	4	19.04
3	لجان التعديلات الدستورية	2	40	4	25	6	28.57
4	الخروقات الدستورية واستمرار حكومة تصريف الاعمال	2	40	3	18.75	5	23.80
	المجموع	5	100%	16	100%	21	100%

13. أطر الاهتمام الانساني

أ- **قناة الميادين**: بالنظر للجدول (14) يتبين لنا ان فئة (مساندة فئات وطبقات وشرائح المجتمع للمتظاهرين) جاءت بالمرتبة الاولى،اذ بلغ عددها (4) تكرارات وبنسبة (50%) ،تلتها بالمرتبة الثانية فئتا (تقديم المساعدات المجتمعية للمتظاهرين - تقديم قصص من داخل ساحات الاعتصام ذات طابع انساني)،اذ بلغ عددها (2) تكرار وبنسبة (25%)،في حين ان فئة (التكتك) لم تسجل أي تكرار او نسبة مئوية يمكن الاشارة اليها.

ب- **قناة العربية الحدث**: جاءت فئة (التكتك) بالمرتبة الاولى،اذ بلغ عددها (8) تكرارات وبنسبة (34.78%) ،تلتها بالمرتبة الثانية فئة (تقديم قصص من داخل ساحات الاعتصام ذات طابع انساني)،اذ بلغ عددها (7) تكرارات وبنسبة (30.43%)،في حين جاءت فئة (تقديم المساعدات المجتمعية للمتظاهرين) بالمرتبة الثالثة،اذ بلغ عددها (5) تكرارات وبنسبة (21.73%)،تلتها بالمرتبة

الاخيرة فئة (مساندة فئات وطبقات وشرائح المجتمع للمتظاهرين)،اذ بلغ عددها (3) تكرارات وبنسبة (13.04%).

جدول (14)

يبين أطر الاهتمام الانساني التي تبرزها تقارير المراسلين عن التظاهرات في قناتي الميادين والحدث

ت	أطر الاهتمام الانساني	قناة الميادين		قناة العربية الحدث		المجموع الكلي	
		التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية
1	مساندة فئات وطبقات وشرائح المجتمع للمتظاهرين	4	50	3	13.04	7	22.58
2	تقديم المساعدات المجتمعية للمتظاهرين	2	25	5	21.73	7	22.58
3	تقديم قصص من داخل ساحات الاعتصام ذات طابع انساني	2	25	7	30.43	9	29.03
4	التكتك	صفر	صفر	8	34.78	8	25.80
	المجموع	8	100%	23	100%	31	100%

14. أطر المطالب

أ- **قناة الميادين**: بالنظر للجدول (15) يتبين لنا ان فئة (مطالب المتظاهرين بتغيير النظام السياسي) جاءت بالمرتبة الاولـى،اذ بلغ عددها (2) تكرار وبنسبة (50%) ،تلتها بالمرتبة الثانية فئتا (المطالبة السياسية لاستقالة رئيس الوزراء - مطالبة صياغة النظام السياسي)،اذ بلغ عددهما تكرار واحد لكل منهما وبنسبة (25%)،في حين ان فئتا (مطالب ودعوات الكشف عن المندسين - ارتفاع سقف المطالب من قبل المتظاهرين) لم تسجل أي تكرار او نسبة مئوية يمكن الاشارة البها.

ب- **قناة العربية الحدث**: احتلت فئة (ارتفاع سقف المطالب من قبل المتظاهرين) المرتبة الاولى،اذ بلغ عددها (6) تكرارات وبنسبة (30%) ،تلتها بالمرتبة الثانية فئة (مطالب ودعوات الكشف عن المندسين)،اذ بلغ عددها (5) تكرارات وبنسبة (25%)،في حين جاءت باقي الفئات بحسب التكرارات ونسبها المئوية ومرتبتها كما في الجدول ... المزيد ينظر جدول (15) .

جدول (15)

يبين أطر المطالب التي تبرزها تقارير المراسلين عن التظاهرات في قناتي الميادين والحدث

ت	أطر المطالب	قناة الميادين		قناة الحدث		المجموع الكلي	
		التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية
1	مطالب ودعوات الكشف عن المندسين	صفر	صفر	5	25	5	20.83
2	المطالبة السياسية لاستقالة رئيس الوزراء	1	25	3	15	4	16.66
3	مطالبة صياغة النظام السياسي	1	25	4	20	5	20.83
4	ارتفاع سقف المطالب من قبل المتظاهرين	صفر	صفر	6	30	6	25
5	مطالب المتظاهرين بتغيير النظام السياسي	2	50	2	10	4	16.66
	المجموع	4	100%	20	100%	24	100%

15. أطر الحلول

أ- **قناة الميادين**: بالنظر للجدول (16) يتبين لنا ان فئتا (دعوات تعديل الدستور وقانون الانتخابات - اقرار حزمة الاصلاحات) احتلت المرتبة الاولى،اذ بلغ عددهما (2) تكرار لكل منهما وبنسبة (40%) ،تلتها بالمرتبة الثانية فئة (الحراك السياسي لإيجاد حلول للأزمة)،اذ بلغ عددها تكرار واحد وبنسبة (20%).

ب- **قناة العربية الحدث**: احتلت فئة (الحراك السياسي لإيجاد حلول للأزمة) المرتبة الاولى،اذ بلغ عددها (6) تكرارات وبنسبة (42.85%) ،تلتها بالمرتبة الثانية فئة (دعوات تعديل الدستور وقانون الانتخابات)،اذ بلغ عددها (5) تكرارات وبنسبة (35.71%)،في حين جاءت فئة (اقرار حزمة الاصلاحات) بالمرتبة الاخيرة،اذ بلغ عددها (3) تكرارات وبنسبة (21.42%).

جدول (16)

يبين أطر الحلول التي تبرزها تقارير المراسلين عن التظاهرات في قناتي الميادين والحدث

ت	أطر الحلول	قناة الميادين		قناة الحدث		المجموع الكلي	
		التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية
1	الحراك السياسي لإيجاد حلول للأزمة	1	20	6	42.85	7	36.84
2	دعوات تعديل الدستور وقانون الانتخابات	2	40	5	35.71	7	36.84
3	اقرار حزمة الاصلاحات	2	40	3	21.42	5	26.31
	المجموع	5	100%	14	100%	19	100%

الخاتمة والاستنتاجات

1. ركزت قناتي الميادين والعربية الحدث على الاطار الامني في تغطياتها الاخبارية لأحداث التظاهرات،وذلك لارتباط التظاهرات بعمليات المواجهات مع القوات الامنية وكذلك تحركات المتظاهرين باتجاه المنطقة الخضراء.
2. تمثلت اطر الصراع في قناة الميادين بالدرجة الاساس بـ»حرق الممتلكات العامة والخاصة ومقرات الاحزاب»، في حين تمثلت في قناة العربية الحدث بـ»المحاصصة السياسية» و»اغتيالات الناشطين».
3. تمثلت أطر التهدئة في قناة الميادين بالدرجة الاساس بـ»استقالة الحكومة» المتمثلة بشخصية رئيس الوزراء،في حين انها تمثلت في قناة العربية الحدث بـ»تقديم تعهدات من الحكومة والبرلمان لحل مشاكل الشباب العاطلين عن العمل وتعيين الخريجين»،وهذا جزء من عمليات التصعيد لادامة زخم التظاهرات التي اعتمدت بالدرجة الاساس على شريحة الشباب.
4. تمثل اطار المسؤولية في قناة الميادين بـ»الكتل السياسية من تتحمل ايجاد شخصية لرئاسة الوزراء)في حين ان قناة العربية الحدث ركزت في اطار المسؤولية على «فساد الحكومات المتتالية».
5. تمثلت الاطر الاقتصادية في قناة الميادين بـ»الهجمات المتكررة على البنك المركزي»،في حين انها تمثلت في قناة العربية الحدث بـ»دعوات المتظاهرين الى مقاطعة البضائع الايرانية».

المصادر والمراجع

1. أبن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير، محمد احمد حسب الله وآخرون، المجلد الأول، القاهرة، دار المعارف، ب س.
2. احمد العاني،الاعلام وحقوق الانسان،مجلة «حقوقنا»،وزارة حقوق الانسان،العدد (3)،تشرين الثاني 2007.
3. إسماعيل علوان عبيد , المعالجة الإخبارية في القنوات التلفزيونية الفضائية العراقية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد – كلية الاعلام ، 2009 .
4. أندريه هوريو, القانون الدستوري والمؤسسات السياسية, الجزء الأول, ترجمة علي مقلد وشفيق حداد وعبد الحسن سعد, الأهلية للنشر والتوزيع, بيروت, 1974.
5. جعفر عبد السادة بهير الدراجي، (التوازن بين السلطة والحرية في الأنظمة السياسية (دراسة مقارنة))، دكتوراه, جامعة بغداد ,كلية القانون, 2006م.
6. حسين دبي الزويني،زهراء عصام كبة،حقوق الانسان والاعلام بين تكاملية المعايير وانتقائية المضامين،دار اسامة للنشر،عمان،2015.
7. خالد مجد الدين محمد ، صناعة الأخبار في عصر المعلوماتية : دليل إنتاج النشرات التلفزيونية ، القاهرة ، دار الأمين ، 2005 .
8. خضر خضر، مدخل إلى الحريات العامة وحقوق الإنسان، الطبعة الثانية، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، 2004م.
9. د. ماجد راغب الحلو, القانون الدستوري, دار المطبوعات الجامعية, الإسكندرية, 1986م.
10. د. محمد سيد أحمد، (حدود حرية المواطن في التظاهر في مصر والنظام الفرنسي وفي بعض المواثيق الدولية)، مجلة الحقوق، العدد الأول, 2008م.
11. ربحي مصطفى عليان، عثمان محمد غنيم، مناهج واساليب البحث العلمي، النظرية والتطبيق، عمان ، دار الصفاء للنشر والتوزيع ،2000.
12. روجر ويمر وجوزيف دومينيك،مدخل الى مناهج البحث الاعلامي،ترجمة صالح خليل ابو اصبع وفاروق منصور،بيروت،مركز دراسات الوحدة العربية،2013.
13. روجر ويمر، جوزيف دومينيك، مدخل الى مناهج البحث الاعلامي، ترجمة صالح ابو اصبع، فاروق منصور، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 2013.
14. سعاد الشرقاوي, نسبية الحريات العامة وانعكاساتها على التنظيم القانوني, دار النهضة العربية , القاهرة, 1979م.
15. سعد سلمان المشهداني،منهجية البحث العلمي،عمان،دار اسامة للنشر والتوزيع،2019.
16. سهى عودة،الإعلام العراقي بين التغطية «الببغائية» للسلطة وقمع الفضائيات،متاح على الرابط: https://www.independentarabia.com/node،استرجع بتاريخ

.2020/7/25

17. صالح خليل ابو اصبع،الاتصال الجماهيري،دار الشروق،عمان،1998.
18. صبحي المحمصاني، أركان حقوق الإنسان:بحث مقارن في الشريعة الاسلامية والقوانين الحديثة، دار العلم للملايين،بيروت،1979.
19. عبد الكريم علي الدبيسي،الرأي العام: عوامل تكوينه وطرق قياسه،دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة،عمان،2011.
20. عظيم كامل الجميلي،ثناء إسماعيل العاني،صناعة الأخبار الصحفية والتلفزيونية،عمان،دار صفاء للنشر والتوزيع،2012.
21. علي بن الحسن الهنائي, المنجد في اللغة والإعلام، الطبعة 30, دار المشرق العربي، بيروت، 1986م.
22. عيسى بيرم، حقوق الإنسان والحريات العامة، مقارنة بين النص والواقع، دار المنهل اللبناني، الطبعة الأولى، 2011م.
23. المادة (الأولى / خامساً) من مشروع قانون حرية التعبير عن الرأي والاجتماع والتظاهر السلمي.
24. محمد الهاجري ، أصول وطرائق البحث الاجتماعي ، عمان ، 1992 .
25. محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار الكتاب، بلا سنة طبع.
26. محمد سيد أحمد، (حدود حرية المواطن في التظاهر في مصر والنظام الفرنسي وفي بعض المواثيق الدولية)، مجلة الحقوق، العدد الأول, 2008م.
27. محمود عبد الله الخوالدة،حسين علي العموش،علم النفس السياسي والاعلامي،دار الحامد للنشر والتوزيع،عمان،2008.
28. مصطفى حميد الطائي، خير ميلاد ابو بكر، مناهج البحث العلمي وتطبيقاتها في الاعلام والعلوم السياسية، الاسكندرية ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، 2007.
29. مصطفى سعدون،الحكومة العراقية تضيق على وسائل الإعلام وشركات البث التي تغطي الإحتجاجات، متاح على الرابط: https://www.al-monitor.com/iraq-protests-media.html/11/pulse/ar/originals/2019،استرجع بتاريخ: .2020/7/25
30. مصطفى كاظم،مظاهرات العراق: ما أسبابها ولماذا اتسع نطاقها؟،متاح على الرابط: https://www.bbc.com/arabic/middleeast-49962859،استرجع بتاريخ: 2020/7/22
31. المعجم العربي الأساسي, تأليف جماعة من كبار اللغويين العرب, من دون ذكر مكان الطبع, 1989م.

عودة الحرب الباردة

د. أحمد بوخريص*
باحث من المغرب

*عضو بالمركز المغربي للدبلوماسية الموازية وحوار الحضارات المملكة المغربية
atlas.atlas.ma@gmail.com

ملخص :

عقب تفكك الاتحاد السوفييتي، وتحوّل العلاقة بين الولايات المتحدة وروسيا إلى ما يشبه الشراكة الاستراتيجية، في عهد الرئيس الروسي السابق بوريس يلتسين، ساد اعتقادٌ بانتهاء زمن الحرب الباردة بين البلدين بطي صفحة الاتحاد، في خطٍ متوازٍ مع تفاهمات أمريكية روسية منذ عهد يلتسن، إلا أنه خلال الأعوام الـ 12 الماضية، وتحديداً منذ خطاب بوتين الشهير بمؤتمر ميونخ، ومروراً بالعديد من التطورات الفاصلة التي ليست أولها الأزمة الأوكرانية، ولا آخرها صراع النفوذ في الشرق الأوسط أو أمريكا اللاتينية، عادت أجواء الحرب الباردة، لتغلّف العلاقة بين البلدين من جديد، وهي العلاقة التي يصبغها تنافس استراتيجي ساخن على المستويات كافة.

كلمات مفتاحية : الحرب الباردة - روسيا - الولايات المتحدة الأمريكية - أوكرانيا - سوريا – الناتو.

The return of the Cold War

Ahmed Boukhriss

researcher from Morocco

Member of the Moroccan Center for Parallel Diplomacy and Dialogue of Civilizations, Kingdom of Morocco

ABSTRACT

Following the breakup of the Soviet Union, and change of the relationship between the United States and Russia into a kind of strategic partnership throughout the period former Russian President Boris Yeltsin, it was believed that the Cold War era between the two

countries in the same time was finished at all with the US-Russian understandings since Yeltsin era but During the last 12 years, and especially since Putin's famous speech at the Munich Conference, and through many decisive developments, is not represents the first issue of which Ukrainian crisis, the conflict in the Middle East or Latin America, return Cold War atmosphere rekindled the relationship between the two countries again. The relationship that makes them even hot strategic competition at all levels.

KEY WORDS: Cold War - Russia - United States of America-Ukraine - Syria - NATO

مقدمـــــــــــة:

الحرب الباردة هو مصطلح يستخدم لوصف حالة الصراع والتوتر والتنافس التي كانت توجد بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي وحلفائهما، من فترة منتصف الأربعينيات حتى أوائل التسعينيات، حيث اقتربت الحرب الباردة من نهايتها أواخر الثمانينيات وبداية التسعينيات، وبوصول الرئيس الأمريكي رونالد ريغان إلى السلطة ضاعفت الولايات المتحدة ضغوطها السياسية والعسكرية والاقتصادية على الاتحاد السوفييتي، وفي النصف الثاني من الثمانينيات، قدّم القائد الجديد للإتحاد السوفييتي ميخائيل غورباتشوف مبادرتي بيريستوريكا - إصلاحات اقتصادية، – وغلاسنوت – مبادرة اتباع سياسات أكثر شفافية وصراحة، لينهار الاتحاد السوفييتي عام 1991 تاركاً الولايات المتحدة القوة العظمى الوحيدة في عالم أحادي القطب. لكن يبدو أن هذه الحرب بدأت تعاود الظهور في الكثير من المحطات: أوكرانيا، سوريا، كوريا الشمالية.... [1]فما هي تجليات الحرب الباردة الجديدة ،في ضوء التحولات الدولية الراهنة؟

(1) الـــمـــدى:عـــدد:3904 بـتـاريـخ:2017/04/16.-www.alm-ladapaper.net-يـعـقـوب يوسف جبر:**عودة الحرب الباردة:** الموقع: -

يبدو أنه صراع على النفوذ في سياق تقاسم العالم وفق ميزان القوى الجديد،

فما هي تجليات الحرب الباردة الجديدة في ضوء التحولات الدولية الراهنة؟

للإجابة على ذلك، ارتأيت تقسيم البحث إلى ثلاثة محاور رئيسية:

1: الأزمة الأوكرانيـــة:

أولا : توصيف الأزمة.

ثانيا : تداعيات الأزمة على العلاقات الأوروبية- الروسية.

2: الأزمة السوريـــة:

أولا : الأزمة السورية بين الشرق والغرب.

ثانيا: الحرب السورية :حرب بالوكالة.

3 :حلف الناتو والوضع الجديد:

أولا- التحديات الأمنية الجديدة لحلف الناتو.

ثانيا: حلف الناتو و روسيا.

خاتمـــة

1: الأزمة الأوكرانية:

أولا : توصيف الأزمة:

استحوذ الصراع في أوكرانيا على اهتمام كبير من منظور أنه يشير إلى عودة الحرب الباردة، وعودة انقسام العالم إلى قطبين، خصوصا وأن روسيا قد ضمت شبه جزيرة القرم[2]، وتعمل على تفكيك أوكرانيا للسيطرة على شرقها، واندفعت أميركا لاتخاذ عقوبات اقتصادية ضدها، وإذا كانت روسيا تظهر وحيدة في هذا الصراع فإن أميركا في تآلف مع أوروبا لدعم «الحكم الجديد» في أوكرانيا، ووقف الإعتداءات الروسية على هذا البلد، هل هي بالتالي عودة للحرب الباردة؟ أم هو صراع على النفوذ في سياق تقاسم العالم وفق ميزان القوى الجديد؟

لابدَ من الإشارة إلى أن روسيا تمارس سياسة القضم والضم والتفكيك من أجل السيطرة في أوكرانيا، حيث ضمت شبه جزيرة القرم، وها هي تدفع شرق أوكرانيا للاستقلال، أو تطالب بأن يعطى استقلالية في إطار دولة فدرالية.

«لاشك في أهمية القرم حيث يشكل القاعدة الأساسية للبحرية الروسية، التي لا يمكن الاستغناء عنها، خصوصا وأن روسيا تسعى لتوسيع وجودها البحري في العالم من البحر المتوسط إلى أميركا اللاتينية»، ولا شك في أهمية القرم حيث تشكل القاعدة الأساسية للبحرية الروسية، التي لا يمكن الاستغناء عنها، خصوصا وأن روسيا تسعى لتوسيع وجودها البحري في العالم من البحر المتوسط حيث لها قاعدة بحرية «صغيرة» في طرطوس السورية، وتطرح إقامة قاعدة أخرى في قبرص وثالثة في مصر، وصولا إلى فيتنام وحتى تايلند، إلى أميركا اللاتينية (فنزويلا).[3]

وأن روسيا تسعى لتوسيع وجودها البحري في العالم من البحر المتوسط إلى أميركا اللاتينية

ينظر المحللون في الغرب إلى أن سيطرة القوات الروسية على منطقة شبه جزيرة القرم، التي تنتمي إلى الجمهورية الأوكرانية، انتهاكاً صارخاً للقانون الدولي، ولكل المعاهدات التي وقعتها روسيا بالذات في هذا الصدد.. إنه عودة إلى منطق الحرب الباردة، وقعه الرئيس «فلاديمير بوتين»، الذي لا يزال يدغدغه الحنين إلى الماضي السوفياتي، علماً أن فلاديمير بوتين نسي أنّ الاتحاد السوفياتي انتهى وأن الحرب الباردة صارت جزءا من الماضي في اليوم الذي سقط فيه جدار برلين في نوفمبر 1989، ويبدو أنّ بوتين يرفض أخذ العلم بذلك ويظنّ أنه في الإمكان تكرار اجتياحات بودابست 1956 وبراغ 1968 في كييف سنة 2013.. فقد سيطر آلاف الجنود الروس على المناطق الإستراتيجية في شبه جزيرة القرم، وأحكمت موسكو سيطرتها على شبه جزيرة القرم، بعد عملية واسعة لنزع سلاح وحدات الجيش الأوكراني المرابطة فيها، إذ حاصرت مواقع عسكرية أوكرانية محدودة، وتمتلك روسيا قاعدة ضخمة في جزيرة القرم، حيث يتمركز فيها قرابة 20.000 جندي روسي.

أعلنت أوكرانيا أنها استدعت قوات الإحتياط ووضعت جيشها في حالة تأهب قصوى

(2) تعتبر شبه جزيرة القرم قنبلة متفجرة في العلاقات بين الشرق والغرب، فمن الناحية التاريخية، قامت باريس ولندن بإعلان الحرب على روسيا، ومساندة الإمبراطورية العثمانية في عام 1854. وفي عام 1954، تم إعطاء شبه جزيرة القرم إلى الجمهورية الأوكرانية التي كانت جزءا لا يتجزأ من الاتحاد السوفياتي. وفي عام 1994، أكد الاتفاق الموقع بين واشنطن، ولندن، وكييف، وموسكو، على نزع السلاح النووي الذي كان بحوزة الجمهورية الأوكرانية، وضمان وحدة أراضيها.

(3)- سلامة كيلة - كاتب فلسطيني: عن عودة الحرب الباردة- موقع:الجزيرة:.www.aljazeera.net:- 2014/4/25 الساعة 16:13 - مكة المكرمة- الموافق 1435/6/26 هـ.

وليس الكرملين بحاجة إلى مثل هذه القوات لكي يغزو أوكرانيا، وهو لن يتوانى في سوق الذرائع لهذا الغزو من قبيل، حماية «الروس» الذين يعيشون في أوكرانيا منذ العقود السوفياتية الغابرة، و حماية المصالح القومية الروسية».. وكان بإمكان الرئيس بوتين أن يدافع عن الأوكرانيين من أصل روسي الذين يقطنون في شرق أوكرانيا، والذين انتابهم الخوف من جراء اتخاذ البرلمان الأوكراني قرار إلغاء اللغة الروسية من بين اللغات المحلية المعترف بها في أوكرانيا، وعن المصالح الروسية، بفتح حوار مباشر مع السلطات الأوكرانية الجديدة في كييف، وحثها على إيجاد تسوية مرضية بين روسيا والاتحاد الأوروبي، لكن شيئاً من هذا القبيل لم يحصل، لأن الرئيس بوتين غير مستعد للتفاوض بشأن أوكرانيا، لأنها من وجهة نظره هي الحديقة الخلفية لروسيا[4]، ويجب أن يطبق عليها سياسة السيادة المحدودة التي كان يطبقها الزعيم الراحل - «ليونيد بريجنيف» -على دول أوروبا الشرقية أيام الحقبة السوفياتية وعصر الحرب الباردة، ويعتقد الرئيس بوتين أن روسيا ستفقد أوكرانيا، إذا اختارت الحكومة الأوكرانية الجديدة توقيع شراكة مع الاتحاد الأوروبي، بدلا من الاتفاق الجمركي الذي يريد الكرملين فرضه عليها.

في ظل هذا التصعيد العسكري[5]، أعلنت أوكرانيا أنها استدعت قوات الإحتياط ووضعت جيشها في حالة تأهب قصوى، واعتبر رئيس الوزراء الأوكراني «أرسينيياتسينيوك» أن موافقة مجلس الإتحاد الروسي على إرسال قوات إلى أوكرانيا «إعلان حرب» على كييف، مضيفاً: «إذا أراد بوتين أن يكون الرئيس الذي سيبدأ حرباً بين دولتين جارتين وصديقتين، هما أوكرانيا وروسيا، فكاد يبلغ هدفه، إذ نحن على «شفير كارثة».

ومن وجهة نظر الدول الغربية، تعتبر شبه جزيرة القرم مسألة ثانوية في ظل تمتع روسيا باتفاقية مع أوكرانيا تضمن لها مصالحها، وبذلك أصبحت شبه جزيرة القرم رهينة استراتيجية، لكن ما تقوم به روسيا بوتين هي حرب من أجل زعزعة استقرار أوكرانيا للحيلولة دون إبرامها اتفاقية مالية مع الدول الغربية، ففي المجال الخارجي القريب لروسيا، السيادة لأوكرانيا يجب أن تكون محدودة، لأن بوتين يعتبر أن الدول الغربية عدوة لروسيا.[6]

وفي هذه الوضعية العالمية تصبح أهمية القرم أعلى، فهي المركز لكل هذا النشاط البحري، كما أن أوكرانيا مهمة لروسيا لأنها طريق الوصول إلى أوروبا، وضمن ذلك تأتي أهمية أنابيب الغاز الضرورية لروسيا، لكن كذلك لأوروبا وهي «جزء تاريخي» لا يمكن الإستغناء عنه لتطور روسيا ذاته، وما يساعد على ذلك وجود جالية روسية كبيرة،فضلاً عن ميل الشرق لروسيا، عكس الغرب الذي يميل للإرتباط بأوروبا.

تفرض روسيا بالتالي مصالحها بالقوة على أوكرانيا، وتعمل على إجهاض تطلعات الشعب الأوكراني الذي يرى غالبيته ، أن مستقبله مرتبط بأوروبا، رغم أن هذا الطموح يبدو وهماً ،لأن أوروبا لا تفعل سوى النهب كما مارست في أوروبا الشرقية ،التي لم يصبح وضعها أفضل بعد الإنضمام إلى الإتحاد الأوروبي أو

(4)-لـم يكن أحـد يتوقع أن يؤدي رفض الرئيس الأوكراني المخلوع فيكتور يانوكوفيتش التوقيع على اتفاق الشراكة التجارية بين أوكرانيا والاتحاد الأوروبـي -بفعل الضغوط الروسية إلى مواجهة عالمية- عالية الأفق بين روسيا الطامحة إلى استعادة نفوذها السابق في الجمهوريات السوفياتية السابقة -خـاصـة أوكـرانيـا- وبين الولايات المتحدة الأمريكية؛ التي حاولت باستمرار استغلال الثورات الأوكرانية لمحاصرة روسيا وعرقلة مشروعها الأوراسي الروسي لصالح المشروع الأوراسـي الأطلسي، وقد تطور الصراع بين الطرفين بشكل مطرد، وتراجعت محاولات التقارب السابقة لصالح التصعيد العسكري من خلال تكثيف المناورات، وبعث سباق التسلح من جديد، وشهد هذا الصراع تغير عقيدة الجيش الروسي، وتلاشي فكرة أوراسـيـا الأوروبـيـة، واقتناع الأمريكان بعدم جدوى التقارب مع روسيا، وأدى استمرار هذه الأزمة إلى التأثير في المجتمع العالمي، ومختلف القرارات الدولية.....محمد الأمين مقراويالوغليسي....مجلة البيان - دراسة: جيوبوليتيكا أوكرانيا: قراءة في الصراع العالمي بين الغرب وروسـيـا..... /www.albayane.co.uk 1مارس 2018.

(5)--تعتبر روسـيـا أوكـرانـيـا بلدا استراتيجيا لروسيا مـن الناحية العسكرية باعتباره بلدا عازلا بينها وبين دول حلف الناتو، واحتلالها لشرق أوكرانيا هو تمهيد لخوض أي حرب برية ضد الناتو على الأرض الأوكرانية، التي تعتبر في النهاية خط الدفاع الأول بالنسبة لروسيا، والأرض التي ستسهم في الحفاظ على سلامة العمق الروسي، أما من الناحية البحرية، فهي موطن أسطول البحر الأسـود الـروسـي، المرابض في مدينة سيفاستوبول التي يسميها الـروس مدينة «المجد الروسي»؛ لهذا ضمت جزيرة القرم. ولم يقف ضم القرم بالقوة عند هذا الهدف، بل إن لروسيا ثلاثة أهـداف أخرى من ضم القرم الأوكراني، هي، أولاً: جعل القرم وسيلة لتحجيم أي دور جورجي ضدها، وتسهيل مهمة تحقيق أي انتصار عسكري في أي حرب مستقبلية ضد جورجيا، والثاني هو العودة إلى البحر الأبيض المتوسط، الثالث: منع انضمام أوكرانيا وجورجيا إلى حلف الناتو؛ بالتالي فالقرم في

الشراكة مع أوروبا[7]، وهو الوضع الذي سيفرض حتما التمرد على أوروبا، واتخاذ طريق مغاير، لكن ليس من خيار سوى تجريب هذا الوهم، لأن الشعب لم يتوصل إلى خيار بديل، ككل شعوب أوروبا الشرقية.

إن المشكلة الأسوأ هي أن مطامح الشعب الأوكراني ستخضع للتقاسم العالمي الذي يجري الآن بين الإمبرياليات، كما كان في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، حيث أن الوضع العالمي الراهن يشجّع روسيا على التمادي، والسعي لفرض شروطها، التي ستُقبل في الأخير، ففي أوروبا نجد ألمانيا تقيم «علاقة متينة» مع روسيا، وهي معنية باستمرار هذه العلاقة التي تخدم مصالح شركاتها، وألمانيا هي المركز المؤثر في أوروبا، ربما تحاول فرنسا العمل على تحقيق شيء آخر نتيجة مصالحها في أوكرانيا، لكنها لن تستطيع مقاومة الموقف الألماني، وهذا يفتح الباب على المفاوضات والبحث عن «حلٍّ مقبول».

تعتبر شبه جزيرة القرم مسألة ثانوية في ظل تمتع روسيا باتفاقية مع أوكرانيا تضمن لها مصالحها

ورغم حماس أميركا لـ»فرض عقوبات اقتصادية» على روسيا، والتهديد «الفارغ» الذي كان يتكرر من قبل باراك أوباما، فإن أميركا ليست في وارد تصعيد الصراع ضد روسيا، على العكس نجد في إطار الوضع العالمي الراهن أنها تريد «علاقة وثيقة» مع روسيا[8]، ولهذا سوف تعمل على التوصل إلى حل مرضٍ، و-هو ما تريده روسيا-، أي أن يبقى القرم بيد روسيا، وتصبح أوكرانيا فدرالية بين شرق وغرب، وتتشكل حكومة تميل إلى «الحياد»، أو إلى تحقيق التوازن في علاقاتها بين أوروبا وروسيا، وبالتالي تكون جسر وصل، وليس سد قطيعة، ولا شك أن هذا لا يلبي طموحات القسم الأعظم من الشعب، ويؤسس لدولة هشة ومسيطر عليها من كل من روسيا وأوروبا، دون أن يتحقق ما يطالب به الشعب من تغيير في الوضع الإقتصادي لتحسين معيشته بعد الإنهيارالإقتصادي الذي باتت تعيشه، والذي فرض حدوث أكثر من ثورة.

إذا كانت روسيا قد باتت دولة رأسمالية (وهي بالتالي إمبريالية بالطبع)، وأصبح اقتصادها متشابكا في إطار النمط الرأسمالي، وبالتالي فإنها تتأثر بكل مشاكله، وبكل الآليات الإقتصادية التي تحكمه، فقد غدت تريد أسواقا، وسيطرة على مواقع استراتيجية ككل الإمبرياليات، هذه النظرة هي التي تحكم علاقتها بأوكرانيا، وربما باتت تفكّر في إلتهامها.

لقد ظهرت نزعة «الندم» على تفكيك الإتحاد السوفياتي في خضم البحث عن «السوق الواسعة»، والمراكز الإستراتيجية ،أي البحث عن التوسع الإمبريالي، لكن تشابكها الإقتصادي في إطار النمط الرأسمالي، يفرض عليها كذلك «اللعب ضمن الحدود الممكنة»، ولا شك أنها تعرف هذه الحدود التي تميل لمصلحتها.[9]

فألمانيا ليست وحدها بحاجة إلى روسيا ، بل إن أميركا كذلك هي بحاجة لها، وهذا الأمر يوضّح المدى الذي يجري فيه التحوّل في ميزان القوى العالمي، وفي إعادة ترتيب العالم وفق وضع القوى الإمبريالية ذاتها.

الخريطة الخارجية لروسيا هو الضامن لاستقرار جنوب روسيا، وهو المؤثر على سياساتها الخارجية خاصة على الـدول المطلة على البحر الأسـود كتركيا ورومانيا وبلغاريا وجورجيا. محمد الأمين مقراويالوغليسي.... مجلة البيان - دراسة: جيوبوليتيكا أوكرانيا: قراءة في الصراع العالمي بين الغرب وروسيا..... /-www.albaya-ne.co.uk 1مارس 2018.

(6)08.2014/03//www.al-sharq.com-

توفيق المديني:الحرب الروسية وتداعيات الأزمة الأوكرانية -الموقع: بوابة الشرق الإلكترونية -

--(7)Moscou a exercé d'énormes pressions sur son voisin. Le conseiller économique du Kremlin, Sergueï Glaziev, avait fait miroiter une coopération économique se chiffrant en «dizaines de milliards de dollars», si Kiev renonçait à s'associer à l'UE.....«comprendre la crise en Ukraine« ...ROLAND GAURON....LE FIGARO.fr.. 02/12/2013-www.lefidaro.fr

(8)-- بالنسبة للولايات المتحدة الأميركية تمتاز أوكرانيا بأهمية حيوية وجيوسياسية وجيواستراتيجية خاصة تبدأ - بمحاصرة منطقة النفوذ الروسي، وكذلك فإن موانئ أوكرانيا مهمة للحلف الأطلسي وبوارجه عند دخولها البحر الأسود،كما أن النفوذ الأمريكي في أوكرانيا يعني نزيفًا مستمرًّا لخاصرة روسيا ووسيلة ضغط عليها لعدم عرقلة مشاريع أمريكا في المنطقة وبخاصة الشرق الأوسط، ومنطقة اوراسيا ذات الأهمية التاريخية والجيوسياسية على الساحة الدولية.

(9) - سـلامـة كـيـلـة - كاتب فلسطيني: عن عودة الحرب الباردة- مـوقـع:الـجـزيـرة:.www.aljazeera.net:- 2014/4/25 الساعة 16:13 - مكة المكرمة- الموافق 1435/6/26 هـ.

وإذا كانت أميركا هي القوة المضادة للإتحاد السوفياتي زمن الحرب الباردة، في تكافؤ ظاهر كان لا يسمح بهزيمة طرف لطرف آخر، لهذا تعايشا في ظل سياسة «التعايش السلمي» التي بدأت مع «خروتشوف» واستمرت مع «بريجينيف» حتى انهيار الإتحاد السوفياتي، وإذ أرادت أن تقلب الوضع العالمي لمصلحتها النهائية بعد عام 1991، عن طريق فرض ذاتها كقوة عالمية وحيدة، مهيمنة ومسيطرة، ومحتكرة، فقد ظهر عليها «العياء» بعد أن حاولت تجاوز أزماتها من خلال السيطرة على العالم طيلة عقدي التسعينيات وما بعده، حيث لم تفض السيطرة الواسعة التي قامت بها، ونشر قواتها في مناطق واسعة من العالم، إلى منع الأزمة الاقتصادية من الإنفجار.

المشكلة الأسوأ هي أن مطامح الشعب الأوكراني ستخضع للتقاسم العالمي الذي يجري الآن بين الإمبرياليات

هذه الأزمة هي التي قادت لنجاح «باراك أوباما» لأنه كان يطرح سياسة التركيز على حل الأزمة الاقتصادية من الداخل، وهي التي أوصلته بعد سنتين من حكمه إلى أنْ لا حل للأزمة المالية، ومن ثم يجب إدارتها والتكيف معها فقط.

وقد أظهرت الأزمة أنه يجب تقليص ميزانية الجيش وعدده، وتقليص الدور العسكري في العالم، وهذه النتيجة فرضت بالضرورة إعادة تموضع أميركا عالميا من خلال تحديد الأخطار وبناء التحالفات على أسس جديدة.

فقد ظهر واضحا عجزها عن خوض الحروب العديدة، ونشر قواتها في العالم، وباتت قدرتها على تقديم «المساعدات» الإقتصادية أضعف، وهو الأمر الذي جعل «باراك أوباما» يصدر بداية سنة 2012 الإستراتيجية الدفاعية الجديدة، التي ركزت على آسيا والمحيط الهادئ، بعد استنتاج مفاده أن الصين باتت هي الخطر الرئيسي. «أميركا ليست في وضع الهجوم، بل في وضع التراجع... وهذا ما سمح لروسيا بأن تحاول التقدم، وأن تتشدد في أوكرانيا، وأن تطمح للتقدم في «الشرق الأوسط» والتوسع في مناطق كثيرة من العالم»،ولهذا جرى السعي لإعادة بناء التحالفات على ضوء ذلك، الأمر الذي جعل الحاجة إلى روسيا أمرا لا بد منه، من جهة لكسر كل إمكانية لتحالف روسي صيني، ومن جهة ثانية لفرض الحصار حول الصين.

هذه الأزمة هي التي قادت لنجاح "باراك أوباما" لأنه كان يطرح سياسة التركيز على حل الأزمة الاقتصادية من الداخل

ولأن لروسيا مطامح، بعد أن عملت أميركا على عزلها وتهميشها منذ انهيار الإتحاد السوفياتي إلى سنة 2010، فقد بات على أميركا أن تتنازل لها في مناطق عديدة تريدها.. و كانت سوريا المكان الأول الذي قررت أميركا أن تدعم السيطرة الروسية عليه، وربما تقبل بتوسعها في الشرق الأوسط غير النفطي (أي دول منطقة الخليج).[10]

لقد كان وضع أوكرانيا مريحا لروسيا، -حيث كان يسيطر- «يانوكوفيش»-،إن الثورة التي حدثت هي التي أوجدت الإشكالية الراهنة، حيث سعت بعض بلدان أوروبا لإستغلالها من أجل «سحب» أوكرانيا وإخضاعها، بينما تصرفت روسيا كقوة إمبريالية من خلال السيطرة على القرم، والدفع نحو تفكيك أوكرانيا، ولأن أميركا

(10).-يشرح هذا الإرث المتمثل في -التحالف الغربي والمسألة الشرقية، والحرب الباردة و«الأخوة السوفياتية»، ووحدة الأراضي والقيادة الأمريكية للنظام الدولي الجديد-خطورة الأزمة الحالية، التي تتجاوز أوكرانيا من الآن فصاعدا، في ظل انبثاق المسألة الروسية، أي طبيعة العلاقة بين الغرب وموسكو، فمن الناحية التاريخية تمت بلورة المسألة الروسية في إطار المحفل الأوروبي، ضمن سياق شبكة من الاتفاقيات المتعددة التي كانت تستهدف إقامة توازن القوى باسم الحضارة المشتركة، كما أن المسألة الروسية تمت معالجتها من قبل الدوائر المعنية بالحرب الباردة في الولايات المتحدة الأمريكية، أما من الجانب الروسي، فبعد انهيار الاتحاد السوفياتي، وكوارث عقد التسعينيات من القرن الماضي التي عرفتها روسيا في عهد الرئيس الراحل بوريس يلتسين، استخلص الرئيس الحالي فلاديمير بوتين، الدروس من المراحل الإمبراطورية والسوفياتية التي مرت بها روسيا، لكي يعيد انتهاج سياسة خارجية تقوم على أساس استعادة روسيا كقوة عظمى على المسرح العالمي، وقد نجح بوتين في هذه السياسة.....- توفيق المديني:**الحرب الروسية وتداعيات الأزمة الأوكرانية.**

و»ألمانيا» كذلك تريدان التحالف مع روسيا فإن الأمور سوف تسير نحو التفاهم، وفق المنظور الروسي.[11]

ثانيا: تداعيات الأزمة على العلاقات الأوربية- الروسية:

إن العلاقات بين الإتحاد الأوربي وروسيا خلال العقدين الأخيرين، قد مرت بفترات صعود وهبوط وأزمات حادة، أثرت على الشراكة فيما بينهما مما طرح في كل الأحيان الولايات المتحدة الأمريكية كشريك استراتيجي قوي للإتحاد الأوربي، فقد أعلن الإتحاد الأوربي مرارًا عن تقييمات حادة ونقدية لجوانب كثيرة في السياسة الداخلية والخارجية الروسية، ونتيجة للإرتباط الأوربي بالسياسات الأمريكية في المنطقة، فقد أدى ذلك من ناحية إلى توتر العلاقات الأوربية الروسية، ومن ناحية أخرى إلى ربط صنع القرار في الدول الأوربية بالولايات المتحدة الأمريكية،[12] وهذا الوضع كان شديد الوضوح في ظل الأزمة الأوكرانية، ويلاحظ أيضًا أن روسيا في علاقتها بدول الإتحاد الأوربي تتبع استراتيجية تقوم على مجموعة من الإعتبارات والركائز منها:

- الواقعية: تتجسد هذه السمة في سعي القيادة السياسية الروسية إلى بناء سياسة برجماتية، عن طريق الإبتعاد عن الحجج الأيديولوجية، التي كانت تميز التحرك الدبلوماسي والسياسي السوفيتي في الماضي القريب، وإحلال محلها مبررات سياسية واقتصادية أكثر وضوحًا وتعبيرًا عن تطلعات روسيا المستقبلية، ومن هنا سعت روسيا إلى إقامة علاقات سياسية واقتصادية وتجارية واسعة مع الاتحاد الأوربي.[13]

المنافسة: وهي هدف جديد على السياسة الروسية، ولأجله أجاز الدستور الروسي الجديد هدف المنافسة على الأسواق العالمية محل المواجهة الأيديولوجية

-الديناميكية: وتظهر ديناميكية أو فاعلية الإستراتيجية الروسية من خلال ما يضمن بصورة جدية، عدم العودة إلى الوراء منذ تواري عصر الأيديولوجيات المتصارعة على الساحة الدولية أو غياب الأيديولوجيا الشيوعية، حيث ظهر «فلاديمير بوتين» في نظر الغرب كحام للخط الاستراتيجي الجديد الذي انتهجته روسيا في عصر العولمة وحرية الأسواق، مع الإصرار على وحدة تراب الاتحاد الروسي وعدم التفريط فيها، واتباع مختلف الوسائل، بما فيها القوة العسكرية، لتأكيد هذه الوحدة، كما في الموقف من تمرد «الشيشان».

- المنافسة: وهي هدف جديد على السياسة الروسية، ولأجله أجاز الدستور الروسي الجديد هدف المنافسة على الأسواق العالمية محل المواجهة الأيديولوجية، لكن تحقيق هذا الهدف لا يخلو من الصعوبات، التي سرعان ما انعكست على الإستراتيجية الروسية، من خلال إعادة ترتيب الأولويات، الذي انعكس في خطط الإصلاحات.

- حرية الحركة: وتتجسد في أن تفكك الاتحاد السوفياتي وظهور نظام دولي جديد لم يصاحبهما فرض شروط على روسيا، أو على مصالحها أو على حرية حركتها أو عناصر قوتها، فوضعها الجديد لم يجعلها، على الأقل، مجبرة على الانصياع

(11)-- سلامة كيلة - كاتب فلسطيني: عن عودة الحرب الباردة- موقع:الجزيرة:.www.aljazeera.net:- 2014/4/25 الساعة 16:13 - مكة المكرمة- الموافق 1435/6/26 هـ.

(12)La crise ukrainienne pourrait bien ouvrir un nouveau chapitre dans le domaine de la sécurité euro-atlantique. Elle a constitué une surprise pour plus d'un observateur, et de nombreux responsables et hommes politiques occidentaux ont parlé ouvertement d'un changement dans le paysage de la sécurité européenne, et estimé que cette crise crée de nouvelles réalités en matière de sécurité pour le vingt et unième siècle et exige, tout à la fois, une réaction significative de la part de l'OTAN.

(13)- إبراهيم منشاوي: مستقبل العلاقات الأوروبية – الروسية في ضوء أزمة القرم-موقع :المركز العربي للبحوث والدراسات
- بتاريخ :الأحد 11ماي 2014.
http://www.acrseg.org/5839

لموقف الدول الكبرى، سواء داخل مجلس الأمن ضمن منظمة الأمم المتحدة، أو خارجه ضمن توجهات النظام الدولي الجديد، الأمر الذي مكنها من القدرة على التحرك والتحدي والمعارضة لأي نمط جديد في العلاقات الدولية، وبما يتفق مع مصالحها.

ويمكننا القول: إن أهم هدف تسعى إليه روسيا الإتحادية هو إعادة هيبتها والحفاظ على أمنها وسيادتها من أي خطر يحيط بها، وهو أمر يدفعها إلى تعزيز وضعها العسكري في المناطق الحدودية، لذلك تعتبر روسيا أن قضية انضمام «جورجيا» و»أوكرانيا»، وحتى «أذربيجان»، إلى حلف شمال الأطلسي، تشكل خطرًا كبيرًا على أمنها القومي واستقرارها وإمكانية حركتها وتوجهاتها، سواء على المحيط القريب منها، دول الاتحاد السوفيتي السابق، أو على المحيط الأبعد، مثل الصين أو إيران أو غيرهما من الدول، ويضاف إليها مسألة نشر الدروع الصاروخية الأمريكية في بعض دول الاتحاد السوفيتي (سابقًا)، وتجاهل كل الدعوات الروسية لحل هذه المسألة بطريقة تزيلشكوكها من أنها هي المستهدفة من هذا المشروع.[14]

ولذلك إبان الأزمة الأوكرانية، تعرضت العلاقات الأوربية الروسية لمزيد من التوتر نتيجة للتوجس الموجود بين الطرفين[15]، وقد توحدت ردود الفعل الدولية مع الإتحاد الأوربي بالإدانة والرفض لما حدث من قبل روسيا، ووصفت عملية ضم القرم بأنها غير شرعية ولا تتفق مع القانون الدولي، وقد سارع كل من الإتحاد الأوربي والولايات المتحدة الأمريكية إلى فرض مجموعة من العقوبات على روسيا، بهدف الضغط السياسي عليها واستبعاد الخيار العسكري، ويمكننا رصد مؤشرات التوتر في العلاقات الأوربية-الروسية على النحو التالي:

الأول: طرد روسيا من مجموعة دول الثماني وذلك ردًا على قيامها بضم شبه جزيرة القرم، ويشار إلى أن مجموعة دول الثماني تضم الدول الصناعية الكبرى في العالم، فهي تتكون من الولايات المتحدة الأمريكية واليابان وألمانيا وروسيا الاتحادية وإيطاليا والمملكة المتحدة وفرنسا وكندا.

الثاني: تهديد الإتحاد الأوربي بتعليق مفاوضاته مع روسيا لتحرير تأشيرات الدخول للمواطنين الروس.

الثالث: إعلان المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل أن ضم القرم يتعارض مع القانون الدولي، وبالتالي رفضها الإعتراف بوضع القرم الجديد.

الرابع: تعليق بريطانيا تعاونها العسكري مع روسيا، حيث ألغت تدريبات بحرية بمشاركة فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك مشاريع لزيارة سفن حربية بريطانية إلى روسيا.

الخامس: فرض الإتحاد الأوربي عقوبات على 33 مسؤولاً روسيًا من بينهم رجال أعمال، إلى جانب التلويح بإعادة النظر في بعض الصفقات بين روسيا وبعض الدول الأوربية، كما هددت دول الإتحاد الأوربي بفرض عقوبات اقتصادية ضد روسيا.

(14) -- إبراهيم منشاوي: مستقبل العلاقات الأوروبية – الروسية في ضوء أزمة القرم-موقع :المركز العربي للبحوث والدراسات
- بتاريخ :الأحـد 11مـاي 2014.
http://www.acrseg.org/5839

(15) Depuis le début de l’année 2014, les relations entre l’Union européenne et la Fédération de Russie se sont largement détériorées dans un contexte de tensions et de sanctions réciproques liées à la crise politique en Ukraine et à la rébellion séparatiste armée dans ce pays.

السادس: إعلان حلف شمال الأطلنطي تعزيز دفاعاته في شرق أوربا، كما قامت كل من فرنسا وبريطانيا بنشر مقاتلات لتعزيز الدوريات الجوية لحلف شمال الأطلنطي فوق منطقة البلطيق، كما نشرت بريطانيا وفرنسا كذلك طائرات الاستطلاع «أواكس» للقيام بدوريات في أجواء «بولندا» و»رمانيا.»

السابع: كما يسعى الإتحاد الأوربي والولايات المتحدة الأمريكية إلى توسيع العقوبات ضد روسيا في حالة عدم خروجها من شبه جزيرة القرم.[16]

2:الأزمة السورية:

أولا: الأزمة السورية بين الشرق والغرب:

مع اندلاع الأزمة السورية عام 2011 ودخول روسيا بشكل مباشر في أتون هذه الأزمة، ظهرت بوادر حرب باردة جديدة بين موسكو وواشنطن، تختلف عن الحرب الباردة التي كانت بين الإتحاد السوفيتي السابق وأمريكا والتي استمرت لأكثر من أربعين عاماً، منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية عام 1945 وحتى انهيار الإتحاد السوفيتي مطلع تسعينات القرن الماضي. [17]

وتجدر الإشارة إلى أن السياسة الخارجية للإتحاد السوفيتي طيلة الحرب الباردة الأولى، كانت مبنية على التلويح بإمكانية استخدام القوة العسكرية ضد أيْ دولة أو تحالف يهدد مصالحه في أيْ منطقة من العالم، ولكن بعد انهيار الإتحاد تبدلت سياسة روسيا لتصبح توفيقية ما بين القوة العسكرية والعمل الدبلوماسي، وكانت هذه السياسة تهدف في الأساس إلى إعادة التوازن في القوى ومواجهة النفوذ الغربي لاسيّما الأمريكي في العالم.

أمّا السياسة الخارجية الأمريكية في تلك الفترة فكانت مبنية على عاملين أساسيين؛ الأول: إحراز التفوق العسكري على باقي القوى في العالم والإستفادة من الفرص الدبلوماسية المتاحة لتشكيل تحالفات مع دول أخرى لاسيّما الأوروبية، والثاني: توظيف إمكانات بعض البلدان لتحقيق أهداف عسكرية عن طريق شن «حروب بالوكالة» في العديد من مناطق العالم لاسيّما في الشرق الأوسط.[18]

وتميّزت هذه الحقبة ببروز أحداث في غاية الأهمية، كان لها الأثر المباشر على نمط العلاقات بين الطرفين، فانطلاقاً من أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، أصبح العالم يعيش مرحلة جديدة تختلف كلّياً عن المراحل السابقة، ما دفع أمريكا لإكمال سياستها الرامية إلى السيطرة على العالم، مع ما يستوجب ذلك من أفعال وقائية وحروب استباقية تندرج في هذا السياق.

وهكذا، ظلّت العلاقات الأميركية - الروسية خلال العقدين الأخيرين بين مدّ وجزر، إذ سعت واشنطن إلى الحفاظ على تفوّقها العسكري عن طريق تحديث قواتها وتسليحها والسعي إلى عدم ظهور قطب آخر ينافسها على الساحة الدولية.

وشهدت العلاقات الأميركية-الروسية توجهاً جديداً نتيجة التحوّل الذي طرأ على نوعية القيادة في كلا الطرفين، فضلاً عن رواسب الحرب الباردة وتداعياتها التي أثّرت في نظرة البلدين أحدهما اتجاه الآخر، ومن الواضح بأن توجهات القيادتين

(16)-- إبراهيم منشاوي: **مستقبل العلاقات الأوروبية – الروسية في ضوء أزمة القرم**-موقع :المركز العربي للبحوث والدراسات
- بتاريخ :الأحـد 11مـاي 2014.
http://www.acrseg.org/5839

(17) Il semblerait que le conflit syrien soit devenu le **théâtre d'un affrontement périphérique entre Washington et Moscou**. Les récentes actualités ne nous contrediront pas, le ton qui monte effectivement entre les deux grands n'est pas sans nous rappeler un air de guerre froide, notamment au travers d'accusations mutuelles de bombardements sur l'armée syrienne ou sur des convois humanitaire. Le fait est que **les intérêts russes et américains sont divergents**. Si les deux grands combattent théoriquement ensemble l'Etat islamique par raidsaériens dans une coalition internationale, ils adoptent des stratégies différentes quant au traitement du conflit syrien en lui-même

(18):-www.alwaght.com:
الحرب الباردة الجديدة بين أمريكا وروسيا في خضم الأزمة السوريةموقع: الوقت:
بتاريخ:الإثنين 1محرم 1438/ الموافق ل:3 أكتوبر2016.

قد اصطدمت في ما بينها ولم تلتق إلاّ في نقط قليلة ونادرة، فكان التنافس والتوتر السمة المميزة للعلاقة بينهما، الأمَر الذي دفع أطرافاً أخرى إلى الإستفادة من هذا الشكل في العلاقة، لاسيّما الإتحاد الأوروبي[19] ، وتهدف كلا السياستين «الروسية والأمريكية» إلى تحقيق مكاسب كبيرة بأقل التكاليف، ولذلك برز منحى جديد لدى الطرفين يهدف إلى الإبتعاد عن التوتر مع الطرف الآخر من ناحية، ويهيئ الأرضية للتنسيق معه لتحقيق مكاسب مشتركة في مختلف المجالات من ناحية أخرى، وقد اتخذ هذا المنحى أشكالاً مختلفة يمكن الإشارة إليها على النحو التالي:

الأول: التفاهم الشامل؛ وأبرز مثال على ذلك التوصل إلى معاهدة تقضي بالحد من انتشار الأسلحة النووية ومنظومات الدروع الصاروخية، وأخرى تنص على الإجراءات الرامية إلى الحد من الأسلحة الإستراتيجية الهجومية، فضلاً عن التدابير الرامية إلى تطوير التجارة وغيرها من العلاقات الاقتصادية.[20]

الثاني: التعاون الضمني؛ وهو يعني قيام أحد الطرفين «الروسي أو الأمريكي» بإجراء معين في منطقة ما، فيما يقوم الطرف الآخر بدعمه أو التغاضي عنه وعدم إبداء أي ردّ فعل اتجاهه في هذا المجال، وأبرز مثال على ذلك ما حصل عام 1991 عندما هاجمت القوات الأمريكية وقوات الدول الحليفة لها القوات العراقية لإخراجها من الكويت.

الثالث: التعاون النسبي أو الهش؛ وأبرز مثال على ذلك ما يحصل في الوقت الحاضر بين روسيا وأمريكا في المنطقة، وهو ناجم عن الشعور السلبي لأحد الطرفين تجاه الآخر، وانعدام الثقة بين الجانبين، ويمكن القول بإنَ انهيار الهدنة مؤخراً في سوريا قد نجم عن هذا الإحساس، لشعور أمريكا بأن الهدنة تمنح روسيا الفرصة لأخذ زمام المبادرة في التوصل إلى تسوية سلمية للأزمة السورية، في حين تعتقد روسيا إنَ أمريكا هي التي أفشلت هذه الهدنة لأنها تصب في نهاية المطاف في صالح حكومة الرئيس السوري بشار الأسد المدعوم من موسكو والذي تطالب واشنطن بإزاحته عن السلطة.

وتجدر الإشارة إلى أن واشنطن تنظر لحكومة الأسد على أنها تمثل حجر عثرة في طريقها لإضعاف محور المقاومة، الذي يتصدى للمشروع الصهيوأمريكي في المنطقة، كما تعتقد إنَ الدعم الروسي لسوريا في ضرب مقرات ومواقع الجماعات الإرهابية في هذا البلد، يرجح ميزان القوى لصالح موسكو في المنطقة، ولهذا عمدت أمريكا إلى الضغط على حكومة الأسد عن طريق دعم أكراد سوريا لإقامة منطقة حكم ذاتي في شمال هذا البلاد من جانب، وتوظيف ورقة «داعش» للتدخل في الشأن السوري بحجة محاربة الإرهاب من جانب آخر.

ومِمَا لا شكّ فيه، أنَّ المصالح الإستراتيجيّة لكل من أمريكا وروسيا تتقاطع في بعض المجالات، وتختلف في مجالات أخرى، لكن القاسم المشترك بينهما أنَّ القوتين حريصتان جدّاً على أن يكون لهما نفوذ قوي في سوريا، ذات الموقع المميّز والإستراتيجي، بهدف تعزيز مركزيهما الإقليميين، وتحويل موازين القوى لصالح

(19)**La guerre en Syrie apparaît comme un prétexte à l'affrontement indirect des Etats-Unis et la Russie**, avec pour ambition commune de s'imposer comme la puissance dominante. Les récentes actualités nous en apportent la preuve ; si la Guerre Froide avait semblé prendre fin avec l'effondrement de l'URSS dans les années 1990, elle n'avait en réalité connu qu'un essoufflement relatif, que les ambitions empiriques de Vladimir Poutine et le conflit en Syrie n'ont pas tardé à raviver.

(20):-www.alwaght.com
الحرب الباردة الجديدة بين أمريكا وروسيا في خضم الأزمة السوريةموقع: الوقت:
بتاريخ:الإثنين 1محرم 1438/ الموافق ل:3 أكتوبر2016

كل منهما.

إذن فالأزمة السورية باتت مرتبطة بمسألة الصراع الأميركي- الروسي في المنطقة، مع ما يرافق ذلك من تقارب وتباعد وتناقض وتشابك بسبب كثرة المتغيّرات المؤثّرة في هذا الصراع، مما يعني أنّ نظام الهيمنة الأميركية بدأ يصطدم بعراقيل أساسية وقد يصل إلى طريق مسدود، بمعنى آخر إنَّ الباب قد فُتح لانبثاق نظام دولي ثنائي القطبية تمثّل بدخول روسيا بقوة من البوابة السورية، ومحاولتها للحفاظ على مصالحها الحيويّة والإستراتيجية في الشرق الأوسط، تماشياً مع الأحداث والتطورات الأخرى في مختلف بقاع العالم.[21]

لم تعد الأزمة السورية مسألة سورية بحتة، فقد أخذت أبعادها الأوسع حين استخدمت روسيا والصين حقّ النقض (الفيتو) في مجلس الأمن في الأمم المتحدة ، بهدف إحباط تمرير قرار عربي يحظى بدعم غربي يدعو الرئيس بشار الأسد إلى التنحي، فجأة، لم يعد النقاش يدور حول الصراع الداخلي على السلطة في سورية، بل بدلاً من ذلك، أشارت كلّ من موسكو وبكين من خلال استخدام حقّ الفيتو، أنهما تملكان أيضاً مصالح في الشرق الأوسط، وأنهما عازمتان على حمايتها، لم تعد المنطقة بعد الآن محمية غربية حصرية تقع تحت هيمنة الولايات المتحدة وحلفائها.

تملك روسيا مصالح منذ عقود طويلة في الشرق الأوسط، وفي سورية بالتحديد، ولا توافق الصين التي تعَدّ مستورداً أساسياً للنفط الإيراني، على العقوبات الغربية التي فُرضت على طهران، كما أنها غير راضية عن محاولات الولايات المتحدة الحفاظ على نفوذها في منطقة آسيا والمحيط الهادي، ويلوح في الأفق إمكان إعادة إحياء حرب باردة. [22]

كانت الأزمة السورية منذ البداية شأناً داخلياً ودولياً على حدّ سواء، فعلى المستوى الداخلي، هدفت الاحتجاجات إلى الإطاحة بالنظام، تماماً كما حصل في تونس ومصر وليبيا واليمن، وارتكب كلا الطرفين خطأ، أي الحكومة والمعارضة ..يكمن خطأ المعارضة في اللجوء إلى السلاح حتى تحوّلت إلى تنظيم عسكري، على شكل «الجيش السوري الحر» المؤلّف من بعض الفارين من قوات الأمن، فضلاً عن مقاتلين أحرار وإسلاميين متشدّدين،كما أنها شنّت هجمات كرّ وفرّ على أهداف حكومية وشخصيات، وتتألف قيادة المعارضة المنفية من عدد من المجموعات المشتتة والمتخاصمة أحياناً، أهمّها «المجلس الوطني» السوري، وداخل هذا المجلس، تُعد جماعة «الإخوان المسلمين» العنصر الأكثر تنظيماً وتمويلاً في المعارضة، وتبدو هذه الجماعة متعطشة الى الثأر...

أما المستوى الثاني من التنافس، فيجري على الساحة الدولية، حيث تتحدى روسيا والصين بدعم من القوى الناشئة الأخرى مثل الهند والبرازيل هيمنة أميركا في الشرق الأوسط، وبدا غضب واشنطن من هذا التحدي واضحاً حين وصفت وزيرة الخارجية الأميركية «هيلاري كلينتون» الفيتو الروسي والصيني بـ «المهزلة»،

(21):-www.alwaght.com:**الحرب الباردة الجديدة بين أمريكا وروسيا في خضم الأزمة السورية**موقع: الوقت: بتاريخ :الإثنين 1محرم 1438/ الموافق ل:3 أكتوبر2016-

(22) -:-باتريك سيل :كاتب بريطاني مختص في شؤون الشرق الأوسط:**الأزمة السورية والحرب الباردة الجديدة...**
الموقع:الخبر اليقين:www. syrianownews .com-
بتاريخ:الجمعة 10فبراير2012.

وصعّدت الأزمة بدعوتها إلى تشكيل ائتلاف دولي بغية دعم المعارضة السورية ، كما شجّعت على تشكيل مجموعة «أصدقاء سورية» بهدف نقل الأموال والأسلحة إلى خصوم النظام السوري، وفي قلب هذا الحراك الدولي، هناك محاولة جدية من الولايات المتحدة وحلفائها للإطاحة بالنظامين الحاكمين في كلّ من إيران وسورية، إذ تكمن «جريمة»إيران في رفض الخضوع للهيمنة الأميركية في منطقة الخليج الغنية بالنفط، وفي التحدي الذي يبدو أنها تفرضه من خلال برنامجها النووي على احتكار إسرائيل للأسلحة النووية في المنطقة، في الوقت نفسه، نجحت كلّ من إيران وسورية ، وهما شريكان على مرّ العقود الثلاثة الماضية، في تقويض هيمنة إسرائيل العسكرية، فشكّلا في السنوات الأخيرة العقبة الأكبر في وجه الهيمنة الإقليمية الأميركية-الإسرائيلية.[23]

واعتبرت إسرائيل على مدى سنوات، أنّ برنامج إيران النووي يشكّل خطراً «وجودياً» عليها وخطراً على العالم برمته، مهدّدة مراراً بمهاجمتها، وأدّت تصريحاتها النارية إلى ممارسة الضغوط، أو على حدّ تعبير البعض إلى ابتزاز الولايات المتحدة والإتحاد الأوروبي ودفعهما إلى فرض عقوبات أدت الى شل صادرات إيران النفطية، وأثرت على ودائع بنكها المركزي،غير أنّ المسألة الحقيقية تتعلّق بالهيمنة الإقليمية، ولا يشكل برنامج إيران النووي خطراً على إسرائيل، إذ تملك إسرائيل بفضل ترسانتها النووية الكبيرة وسائل كثيرة تخوّلها ردع أي هجوم محتمل، ولا ترغب إيران في المخاطرة بالدخول في نزاع نووي، مع مخاطره التدميرية عليها، إلا أنّ حصولها على القدرة النووية، حتى لو لم تتوصل الى صنع قنبلة، سوف يحدّ من حرية إسرائيل في التصرف، لا سيما حريتها في ضرب الدول المجاورة عندما يحلو لها.

وتقوم استراتيجية إسرائيل الحالية على حمل الولايات المتحدّة على شلّ إيران بالنيابة عنها، تماماً كما دفع المحافظون الجدد الولايات المتحدة إلى شنّ حرب على العراق وهو البلد الذي اعتبرت إسرائيل أنه يمثل خطراً عليها.

كما واجهت الولايات المتحدة تبعات خطيرة في المنطقة مثل الحرب الكارثية التي شنتها في العراق، ونزاعها المفتوح في أفغانستان والعداء العنيف الذي تواجهه في المنطقة، لا سيما في باكستان واليمن والقرن الأفريقي، كما أنها تسعى إلى الحفاظ على نفوذها في الخليج الغني بالنفط، ويظنّ بعض الصقور في واشنطن أنّ الإطاحة بنظام «الملالي» في طهران سيضع الولايات المتحدة وحليفتها إسرائيل في المقدمة.

وسمحت دول الخليج لنفسها بالإنجرار إلى هذا النزاع بسبب قلقها من إيران، وحذت حذو الولايات المتحدة وإسرائيل في هجومها على دمشق وطهران، لكن بعد أن أدركت متأخرة أنّ اندلاع حرب إقليمية سيشكّل كارثة عليها، وبرزت إشارات على أنها تعيد التفكير في الموضوع، حيث أعلن وزير الدولة القطري للشؤون الخارجية خالد العطية في مؤتمر حول الأمن في مدينة ميونيخ، أنّ شن هجوم على

(23):- باتريك سيل :كاتب بريطاني مختص في شؤون الشرق الأوسط:**الأزمة السورية والحرب الباردة الجديدة...**
الموقع:الخبر اليقين:www.syrianownews-com.
بتاريخ:الجمعة 10فبراير2012.

إيران ليس حلاً، وأنّ تشديد الحظر سيزيد السيناريو سوءاً، وأنه يجب اللجوء إلى الحوار».[24]

ثانيا:الحرب السورية :حرب بالوكالة:

مع وصول الصواريخ المضادة للدبابات الأمريكية الصنع إلى الجماعات السورية المعارضة المسلحة، ومع قصف المقاتلات الروسية لهؤلاء المسلحين أنفسهم بالتوازي مع تزويدها لنظام بشار الأسد بأنظمة صواريخ مضادة للطائرات، يبدو من السهل للغاية أن نصف المعركة في سورية بأنها حرب بالوكالة[25]، ولكن هذه العبارة تُرمى أحيانًا بللامبالاة، وترافق مع بعض الخرافات والأساطير الخطيرة.

أولاً، وصف المستنقع السوري بحرب الوكالة يعني أن الصراع يتركز أساسًا حول خطوط الصدع والإنشقاقات الكبيرة في المنطقة، خاصة الخلاف بين السنة والشيعة، والمملكة العربية السعودية وإيران، ثانيًا، تشير عبارة حرب الوكالة إلى أن حل الصراع يقبع بصورة رئيسية بأيدي الأطراف الخارجية الذين يجب عليهم طرح ومناقشة خلافاتهم على الطاولة، وثالثًا، تشير هذه العبارة إلى أن الصراع هو عبارة عن مراهنة عالية المخاطر تنطوي على مسائل وجودية مما يجعل التنازل عن الصراع أمرًا شبه مستحيل.

وفقًا للدروس المستفادة من تاريخ حروب الوكالة الماضية، فإن الإفتراضات الثلاثة السابقة هي خاطئة، وبغية وضع حد للقتال والإقتتال في سورية، ينبغي على جميع الأطراف المعنية فهم حقيقة حرب الوكالة؛ فهذه الحروب لا تخمد بأعجوبة من تلقاء ذاتها دون طرح مبادرات تعتمد نهج التوجه من القاعدة نحو الأعلى، بهدف تحقيق سلام بين المقاتلين المحليين، أو قد يساعد التحول الجوهري في ميزان الصراع على السلطة على أرض الواقع، على إيجاد نهاية لهذه الحروب.[26]

مصطلح «حرب الوكالة» يستحضر إلى الأذهان صورًا من الحرب الباردة، عندما كانت القوى الخارجية، وبالتحديد الولايات المتحدة والإتحاد السوفياتي، وأيضًا القوى الإقليمية، يعاملون المقاتلين المحليين كبيادق على رقعة الشطرنج الجيوسياسية، وفي سبعينيات وثمانينيات القرن المنصرم، أصبحت عدة من حروب العصابات في أمريكا اللاتينية، صراعات بحكم الأمر الواقع ما بين الإتحاد السوفيتي والولايات المتحدة، وذات الأمر ينطبق على الحروب في أنغولا وتشاد وفيتنام.

في ذاك الوقت، لم يكن من المتصور أن تنخرط واشنطن وموسكو بحرب تقليدية، وكذلك اليوم من الصعب أن نتصور أن تدخل الولايات المتحدة وروسيا بحرب بينهما، وعلى أرض الواقع، حروب الوكالة هي الحل الأنسب عندما تكون تكاليف الحرب التقليدية ما بين الدول مرتفعة للغاية.

تميل صراعات الوكالة أيضًا لأن تنشب في الدول الضعيفة أو الفاشلة، التي تتميز بحدودها السهلة الإختراق، حيث تفتقر هذه الدول الهشة إلى القوة اللازمة لإخماد التمرد من دون دعم خارجي، وبالمقابل لا يستطيع المتمردون مجابهة الأنظمة الضعيفة بدون إمداد بالأسلحة من الخارج، أو ملاذات آمنة يتم تأسيسها

(24)-:- باتريك سيل :كاتب بريطاني مختص في شؤون الشرق الأوسط:**الأزمة السورية والحرب الباردة الجديدة...**
الموقع:الخبر اليقين:www.syrianownews.com-
بتاريخ:الجمعة 10فبراير2012.

(25) Pour la première fois depuis la disparition de l'Union soviétique et du camp communiste, les Etats-Unis et la Russie se retrouvent impliqués dans un conflit armé par personne interposée. La guerre en Syrie est une guerre par -procuration entre l'Amérique qui restait la seule grande puissance après la chute de l'URSS et la Russie de Poutine qui rêve de retrouver son statut d'égale des Etats-Unis.
Au-delà de l'élimination de Daech, les interventions occidentales et russes visent des objectifs opposés. Les premières cherchent certes à venir à bout de l'Etat islamique mais elles devraient aussi soulager les forces modérées, armées par les Etats-Unis et quelques Européens, qui se battent contre Assad depuis le soulèvement populaire de 2011.
Les secondes ont au contraire pour but, sous prétexte de lutter contre le terrorisme, d'affaiblir les forces opposées à Assad et de renforcer un régime dont les Occidentaux souhaitent la chute……
La guerre en Syrie: une guerre par procuration entre les Etats-Unis et la Russie……..DANIEL VERNET.

(26):- ليونيل بيتر:أكاديمي وباحث بجامعة:يال الأمريكية ومحاضر بالأكاديمية العسكرية في معهد الحرب الحديثة:

عبر الحدود، والحروب الأهلية في «نيكاراغوا» و«أفغانستان» في ثمانينيات القرن الماضي تعد مثالاً واضحًا على ذلك.

بسبب هذه الديناميات، تميل الأفكار لتصوير حروب الوكالة على أنها صراعات طويلة الأمد، لا تلاقي زخمها المستمر جرّاء المظالم المحلية، بل تبعًا لرغبات القوى الكبرى، ولكن هذا الإفتراض قد ينعكس تمامًا؛ ففي الواقع، الجهات الفاعلة المحلية في العديد من حروب الوكالة، هي التي تتلاعب بالقوى الخارجية الداعمة لها، وليس العكس، حيث يعدّل الثوار رسائلهم لتتماشى مع الثقل الإقليمي، مما يؤدي لخلق نوع من حرب المزايدة بين الفصائل المتمردة.

حتى خلال الحرب الباردة، بالكاد استطاعت الولايات المتحدة والإتحاد السوفييتي فك طلاسم الميول الأيديولوجية المختلفة لعملائهما في دول العالم الثالث[27]، لأن تلك الميول تتحول وتتغير بسرعة وسهولة؛ فعندما حجبت واشنطن المساعدات عن «نيكاراغوا» و«كوبا»، على سبيل المثال، عززت «ماناغوا» و«هافانا» علاقتهما مع الإتحاد السوفييتي، وبعد أن أوقفت موسكو المساعدات الممنوحة «للصومال»، باشرت «مقديشو» بتبني المعتقدات الرأسمالية الغربية، وكما يقول منظّر العلاقات الدولية «جون لويس جاديس «في كتابه «الآن نعرف» الصادر في عام 1997، «الجماعات المتمردة والأنظمة في تلك الحقبة، تعلمت كيفية التعامل مع الأمريكيين والروس عن طريق استعمال أساليب المداهنة والإطراء، التعهد بالتضامن، التظاهر باللامبالاة، التهديد بالإنشقاق، أو حتى إثارة شبح الإنهيار وتصوير النتائج الكارثية التي قد تنجم عن ذلك».

الشيء ذاته ينطبق على الصراع السوري اليوم، فالأسد، من الجانب الأول، عمد إلى تصوير النظام السوري باعتباره حصنًا علمانيًا ضد التعصب السني، مما ساعده على استقطاب الدعم العسكري من روسيا وإيران، وبعد إصابة جيشه بسلسلة من النكسات العسكرية في عام 2012، عمد الأسد، على سبيل المثال لا الحصر، إلى تضخيم التهديد الجهادي لتحفيز روسيا وإيران لإرسال المزيد من الأسلحة والأموال وجنود المشاة، ولكن في الواقع، هذه الأسلحة كانت في طريقها أيضًا لقتل المسيحيين، الأكراد، والجهات الفاعلة المحلية الأخرى.[28]

بالمثل، فإن الثوار السوريين، استطاعوا تأمين التدفق المستمر للأموال والأسلحة وغيرها من المساعدات من دول الخليج، ومن إعادة تركيب صراعهم ليتناسب مع الطروحات الأكبر للصراعات الطائفية في المنطقة؛ فالأعضاء السابقون لحزب البعث والمتمردون العلمانيون الآخرون أطلقوا لحاهم، وأظهروا حسن نواياهم الإسلامية على مقاطع اليوتيوب، بغية المزايدة على أقرانهم من الثوار الآخرين.

سواء أطلقنا عليها اسم حرب بالوكالة أم لا، لا بد لنا من الإعتراف بأن الجزء الأكبر من الحرب في سورية لا يتعلق بتوازن القوى في المنطقة، فمعظم المقاتلين، عدا أعضاء تنظيم داعش، يحاربون لتحقيق أهداف شخصية وضيقة؛ فعلى سبيل المثال، ووفقًا لدراسة حديثة، أجراها الباحثان «فيرا ميرونوفا» «وسام ويت»،

: **كيف تعمل حروب الوكالة ،وما هو مستقبلها في سوريا؟**الموقع :ن بـــوســـت:-www.noonpost.org. بتاريخ:8 دجنبر2015.

(27)- كانت الحرب الباردة حرب استنزاف عنيفة لكلتا القوتين العظمتين من جميع الجوانب والموارد، إلا أنها على الجانب الآخر كانت بداية عهد جديد وعصر ذهبيٍّ لامع في بقاعٍ أخرىً من العالم، تلك العوالم التيً استفادت أيما استفادة من الحرب الدائرة بين الطرفين ً واللذان كانا يحاولان بخدمة مصالح تلك الدول تحقيق السيادة والتقدم على بعضهما البعض، أبرز المستفيدين كانوا دول العالم الثالث من ناحية، والقارة الأوروبية من ناحيةٍ أخرى.

(28)ليونيل بيتر: أكاديمي وباحث بجامعة:يال الأمريكية ومحاضر بالأكاديمية العسكرية في معهد الحرب الحديثة: **كيف تعمل حروب الوكالة، وما هو مستقبلها في سوريا؟** الموقع :نـون بوست:- بتاريخ:8 دجنبر2015. .www.noonpost.org

المتمردون مدفوعون أساسًا بدافع الإنتقام وتغيير النظام، ولا يأبهون لقضايا الدين أو القضايا الإقليمية الكبرى.

الأسطورة الأخرى المتداولة حول حروب الوكالة، تتعلق بطريقة انتهائها، حيث جاء في مقال» لرامي خوري»، مدير معهد «عصام فارس للشؤون السياسة العامة والدولية «في الجامعة الأميركية ببيروت، نشره في صحيفة نيويورك تايمز: «لن يتوقف القتال إلا عندما تشعر الولايات المتحدة وروسيا وإيران والمملكة العربية السعودية بالعواقب السلبية للحرب، وينتهوا إلى أن مصلحتهم تتمثل بأن تضع الحرب أوزارها».[29]

مثل هذه الآراء تفترض بأن المقاتلين المحليين يعتمدون كليًا على الدعم الخارجي، وأن تفضيلات اللاعبين الخارجيين هي أكثر أهمية من أولويات المقاتلين الفعليين على الأرض.

يمكن لبعض الحروب أن تستمر إلى أجل غير مسمى، حتى في ظل عدم وجود أي أسلحة متطورة أو تمويل خارجي في خزائن جوانب الصراع؛ فعلى سبيل المثال، رفضت الحرب الأهلية في الصومال أن تخمد نفسها بنفسها، رغم عدم وجود رعاة من القوى الكبرى، ورغم الوجود المتقطع لقوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة، وبالمثل، فمن الصعب أن نتصور أن تضع مختلف الفصائل في سورية أسلحتهم حتى في ظل تدخل طرف ثالث أو إبرام صفقة سلام كبرى.

لذا، فإن تزلف اللاعبين الخارجين للحد من دعمهم لمختلف العملاء، أو الوكلاء الذين يتعاملون معهم على الأرض، لن يؤتي أكله؛ فالحرب الأهلية الدامية في أنغولا لم تنتهِ مع انهيار الإتحاد السوفييتي، أو انسحاب القوات الكوبية والجنوب أفريقية، بل بدلاً من ذلك، امتدت الحرب لعقد آخر من الزمن، وعلى نحو مماثل، وبعد أكثر من 20 عامًا من إبرام اتفاق الطائف لإنهاء الحرب الأهلية اللبنانية، ما زالت الأمور في البلاد مضطربة.

الوضع مماثل في سورية أيضًا، فواشنطن تصر على إجراء محادثات السلام في «جنيف» و»فيينا» اليوم، رغم أن هذه المحادثات تعتبر مشهدًا جانبيًا بالنسبة لمعظم الفصائل المتحاربة في سورية، وببساطة، فإن الحرب لن تنتهي مع جلوس هؤلاء اللاعبين الدوليين والإقليميين معًا على الطاولة،[30] بل في الواقع، توضح لنا بيانات المسح الصغيرة المتوفرة حول الوضع السوري، بأن الصراع سينتهي بنوع من «الإستقرار القبيح» مع انتصار أحد جوانب الصراع، لأن الثوار يريدون تغيير النظام ومعظم المدنيين يريدون تحصيل حقوقهم الضائعة والعودة إلى ما يشبه الحياة الطبيعية.

إذن، حتى لو استطاع وزير الخارجية الأمريكي» جون كيري» التوصل لاتفاق يقنع من خلاله السعوديين، القطريين، الإيرانيين، والروس على التخلي عن دعم وكلائهم في المستقبل ضمن الداخل السوري، فإن العنف قد ينخفض بشكل أو بآخر، ولكن الحرب لن تهمد بين عشية وضحاها، لأن جذور الحرب المشتعلة،

(29)La guerre de Syrie est la plus grande catastrophe humanitaire de notre temps et le conflit le plus dangereux de la planète. Elle risque de provoquer la déstabilisation de pays voisins, comme le Liban ou la Jordanie. Elle peut entraîner une dislocation générale des fragiles constructions nationales du Moyen Orient. Elle peut également déraper en un affrontement direct entre la Turquie et la Russie, entre l'Arabie saoudite et l'Iran. Mais manifestement, il ne suffit pas d'en être conscient pour parvenir à mettre un terme à cette catastrophe. **Personne ne sait comment arrêter cette spirale de folie meurtrière**, qui avait commencé comme une simple exigence de démocratie, avec les défilés pacifiques du début 2011. Cette guerre démontre, en tous cas, l'impuissance collective de la communauté internationale, qui sait l'intérêt qu'elle aurait à y mettre un terme, mais n'y parvient pas. Pourquoi ?.....BRICE COUTURIER.... «**SYRIE : UNE GUERRE PAR PROCURATION**« FRANCE CULTURE : www.franceculture.fr/le 11mars 2016.

(30)- تدخل واشنطن العملية السياسية السورية من أوسع أبوابها وتـفـرض مقاسات بعينها للحل السياسي، الورقة التي قدمتها مجموعة واشنطن التي تضم مع الأخيرة كلاً من فرنسا وبريطانيا والأردن والسعودية، تأتي لتنسف كل محاولات موسكو للخروج بصيغة سياسية توافقية من بوابة سوتشي، الطروحات الأميركية حـول دسـتـور جـديـد، وتقليص صلاحيات الرئاسة لصالح الحكومة، وإعادة هيكلة البرلمان، كلها تشكل رسائل تقويض وفرملة وتشويش لكل مايمكن ان يفرزه سوتشي من مخرجات سياسية لن تعجب واشنطن بطبيعة الحال .....

الدكتور محمد بكر :»زخم الميدان و لغة النار هي العنوان» جريدة رأي اليوم 3:يوليوز2018.. www.raialyoum. co

كالفساد المحلي وانعدام الحريات السياسية، على سبيل المثال لا الحصر، هي ببساطة معقدة للغاية.

في ما يبدو واضحاً أنّ الولايات المتحدة الأميركية، سوف تتجه من الآن فصاعداً إلى خيار جديد للتعامل مع الخلافات والصراعات التي تعيشها منطقة الشرق الأوسط، ألا وهو أسلوب القوة الناعمة والدبلوماسية عوضاً عن الوجود المباشر، وهو ما فتئ الرئيس الأميركي دونالد ترامب يصرّح به، مشدّداً على أنّ الولايات المتحدة لن تحارب بالنيابة عن أحد، وبأنّ دورها سيقتصر على القيام بإصلاحات تدريجية في دول الشرق الأوسط، لكنها لن تقوم بأية تدخّلات مباشرة.[31]

بعض المغالطات الأخرى المنتشرة، تؤطر حرب الوكالة ضمن رهان القوى الخارجية الباهظ للغاية عليها، لدرجة لا يمكن معها لهذه القوى أن تتحمل خسارتها لهذه الحرب؛ فلماذا إذن نحاول زحزحة المواقف، طالما أن سورية، كما يراها العديد من المحللين، هي الجبهة المركزية في الحرب الأكبر بين السنة والشيعة؟ أو لماذا نتوقع أي شيء سوى حرب مستدامة وطويلة طالما، كما يقول الخوري، «روسيا وأمريكا تتقاتلان في سورية، بمعركتهما الأخيرة من الحرب الباردة»؟

أكد الدكتور كمال جفا بأنه» لا مفر من الصدام بين قوات «قسد» والجيش السوري في سوريا، وأن الحرب موجودة بين الولايات المتحدة وروسيا في سوريا، لكن عن طريق الأطراف وليس بشكل مباشر، فالولايات المتحدة عندما تقوم باستهداف الجيش السوري وتسقط طائرة من طائراته وتقوم بقصف قوات الجيش بصواريخها البعيدة هذا يعني أنها تشارك بشكل مباشر بهذا الصدام، بينما القوات الجوية الفضائية الروسية تشارك بشكل فعال وتدير مسرح العمليات على كامل التراب السوري، ونحن نعرف أن منظومة الدفاع الروسي مرتبطة بمنظومة الدفاع السوري وغرفة العمليات واحدة وهذا يعني أن هناك صدام، لكن لن يتطور إلى حرب واسعة وشاملة، وأيضا أقول إن روسيا مستعدة لخوض الحرب في سوريا إلى الأخير ولن تتراجع، والولايات المتحدة لن تقدم على صدام مع روسيا من أجل النفط السوري أو عائداته التي لا تتجاوز أكثر من 3 مليارات دولار سنويا، لكن الموقف الروسي ثابت وصامد ومستمر إلى جانب الدولة السورية حتى إنهاء كل أشكال الإرهاب في سوريا، ورغم أن روسيا مدت يدها ل»قسد» من إيجاد حل سياسي، ولكن الأخيرة عضت اليد الروسية، ومع ذلك لا زالت روسيا تسعى لإيجاد حلول وسطية ترضي جميع الأطراف على الأرض السورية».[32]

هذا النوع من التفكير يبالغ في تصوير الرهانات التي تضعها أمريكا وروسيا على النزاع؛ فالدافع خلف انخراط روسيا بالنزاع السوري يتمثل جزئيًا بمكافحة الإرهاب، كونها تخشى من تدفق الإسلاميين المتطرفين عبر حدودها في جنوب القوقاز، كما أنها تسعى من خلال مواقفها بالصراع السوري إلى حماية حليفها القديم في المنطقة، ولكن إذا سقط نظام الأسد غدًا، فإن الأمن الروسي القومي والموقف الروسي العالمي لن يتأثرا إلى حد كبير.

(31): أسامة العرب/البناء: **بشرى خير للسوريين ....إنتهاء الحرب السورية** الموقع قناة العالم:-.www.alalam.ir:26 نونبر2017.

(32)-:نــزار بوش: **لماذا جن جنون أمريكا ضد روسيا في سوريا؟ وكيف جاءت الردود الروسية؟** الموقع : نادي المستشرقين: الموقع: بتاريخ: 2017/11/16. www.arbic.sputniknews.com

ذات الشيء يمكن أن يُقال عن الولايات المتحدة، حيث إن رهانها على النزاع السوري يتمثل بإضعاف إيران، حماية إسرائيل، ومنع سورية من أن تصبح نقطة انطلاق لشن هجمات جهادية دولية، ولكن إذا انتصر الأسد وروسيا في الحرب، فإن موقف الولايات المتحدة في المنطقة، سواء الجيوإستراتيجي أو الاقتصادي، لن يتزعزع، ولن يبدو مختلفًا للغاية عمّا كان عليه في عام 2010، أما في حال انتصر الثوار بالحرب السورية، فقد تصبح البلاد أقل جاذبية لإيران وأكثر إغراءً للجهاديين، ولكن الدول الضعيفة الأخرى في المنطقة، كاليمن والعراق، تتمتعان بذات الطابع أيضًا.

في هذا السياق، يمكن لجانبي الحرب السورية أن يستفيدوا من نتائج الحرب الأهلية في «غواتيمالا»، عندما رفضت الولايات المتحدة والنظام العسكري الذي يعمل بالوكالة عنها في الداخل، التراجع وتسليم الحرب، حتى بعد عقود من القتال وآلاف الأشخاص «المختفين»، رغم أن رهانات واشنطن كانت واهية للغاية ضمن هذا الصراع.[33]

تستطيع القوى الخارجية السيطرة على زخم الصراع من خلال اختيار التدخل العسكري في النزاع السوري، ولكن طالما لا يوجد أي طرف يتحدث بجدية عن حملة برية أو مهمة لحفظ السلام في البلاد، سيبقى مصير الحرب معلقًا بالمقام الأول بيد السوريين أنفسهم، وليس بيد «كيري» أو وزير الخارجية الروسي «سيرغي لافروف» في جنيف، كما أن مصالح معظم السوريين لا ترتبط بخطوط الصدع الطائفية الأكبر نطاقًا في المنطقة.

لقد توافرت خلال السنوات الستة الماضية العديد من الفرص لإيجاد مقاربات تقود إلى تسوية سياسية، كان يمكن أن تحقن دماء آلاف الضحايا الأبرياء، ووقف موجات نزوح مئات الآلاف في الداخل السوري ولجوء ملايين السوريين إلى دول الجوار والاتحاد الأوروبي، إلا أن تضارب المواقف الدولية والإقليمية، وتأثيرات ذلك على مواقف الأطراف الداخلية للصراع في سوريا، ضيع فرص التسوية وأسهم في تعميق الأزمة، وهو ما أدى أيضاً إلى تمكين الجماعات الإرهابية المتطرفة، وفي مقدمتها تنظيم (داعش) من السيطرة على مناطق واسعة من الأراضي السورية.

منذ بداية الأزمة السورية عام 2011، تعالت الأصوات العاقلة محذرة من جر الأزمة إلى مستنقع العنف والعنف المضاد، ودعت تلك الأصوات إلى تسوية سياسية،[34] تلبي مطلب التغيير بوسائل ديمقراطية، وعدم المراهنة على الحلول الأمنية، والابتعاد عن استخدام العنف، إلا أن الأزمة انجرفت للأسف في مسار دموي، دفع ثمنه السوريون ثمناً باهظاً جداً بالأرواح والنزوح واللجوء وتدمير مقدرات بلدهم.

بالتأكيد لم يكن ذلك مساراً حتمياً مفروضاً على السوريين، غير أن المهم الآن هو وقف الحرب الجهنمية، والتفكير بعقول منفتحة، وإبداء ما يلزم من مرونة لإنجاح جهود التسوية، انطلاقاً من المشترك الوطني لكل أبناء الشعب السوري، والإبتعاد

(33)-:ليونيل بيتر:أكاديمي وباحث بجامعة:يال الأمريكية ومحاضر بالأكاديمية العسكرية في معهد الحرب الحديثة:
: **كيف تعمل حروب الوكالة ،وما هو مستقبلها في سوريا**؟الموقع :ن بـوسـت:-www.noonpost.org. بتاريخ:8 دجنبر2015. -

(34)-- الأحـداث السورية ليست خلافا مجردا بين المعارضة والسلطة، حول آليات معينة، وإنما هو ثورة شاملة بالمعنى الحقيقي للثورات التي تستلزم تغيير النظام بكل رموزه وأساليبه دون استثناءات، وهو ما عبر عنه «سيدا «في بداية المباحثات مع وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف حين وصف الواقع السوري بأنه «ليس مجرد خلاف بين المعارضة والحكومة، بل ثـورة»، وشتان بين الأمـريـن.....**:«الأسـد هدف روسي لم يتغير»**.....جريدة الوطن السعودية «.....12 يوليوز 2012.

عن الحسابات الفئوية الخاصة لهذا الطرف أو ذاك، وعدم الوقوع مرة أخرى في فخ المواقف الإنتظارية، التي راهنت في السابق على تدخل خارجي غربي يفرض مقاربات تغيير من معادلة الصراع.

ولعل الكثير يتوقف على مواقف الولايات المتحدة وبلدان الإتحاد الأوروبية الفاعلة، مثل فرنسا وبريطانيا وألمانيا، بخصوص الفرصة السانحة لتسوية الأزمة السورية دبلوماسياً، ففي السنوات الماضية قامت المقاربات الأميركية والأوروبية الغربية في تعاملها مع الأزمة السورية على سياسة انتظار وتسويف، في مراهنة غبية لإخراج الأزمة السورية عن نطاق السيطرة، وتحويلها إلى عامل عدم استقرار إقليمي يمتد حريقه إلى كل دول الجوار، بهدف إعادة رسم الموقع الجيوسياسيلسورية مستقبلاً، كما يتوقف الكثير على موقف دول الخليج العربي، لاسيما المملكة العربية السعودية، وكذلك موقف إيران، بيد أنه يظل الموقف الأهم موقف السوريين أنفسهم.[35]

(35)-:عـامـر راشـد: **البحث عن مقاربة ممكنة لحل الأزمة السورية**: الموقع: www.arbic.sputniknews.com بتاريخ:2016/08/24.

ثوابت المشترك الوطني بين السوريين تنطلق أولاً من الحفاظ على وحدة التراب الوطني السوري، والحفاظ على الكيانية السورية الواحدة، ورأب الصدع في النسيج المجتمعي، ومكافحة كل أشكال التطرف والإرهاب، والتمسك بأن تكون التحولات الديمقراطية من خلال وسائل سلمية، وبأن أي تسوية سياسية يجب أن تكون ثمرة لتوافق سوري- سوري، وليس توافق خارجي، لأن الدور المفترض للأطراف الدولية والإقليمية المؤثرة والفاعلة في الأزمة السورية، هو مساعدة السوريين على إيجاد مقاربات لتسوية أزمتهم، ودعم الحوار بينهم، وصولاً إلى دولة مواطنة تكفل وتحمي التعددية السياسية، وتكافؤ الفرص، والتعددية السياسية والتداول السلمي للسلطة، واحترام حقوق كل مكونات الشعب السوري، وما سبق يشكل أرضية صلبة لمقاربات واقعية تنتج تسوية سياسية.[36]

(36)- عامر راشـد: **البحث عن مقاربة ممكنة لحل الأزمة السورية**: الموقع: www.arbic.sputniknews.com بتاريخ:2016/08/24-

إذن كيف تنتهي حروب الوكالة؟ تصل هذه الحروب إلى نهايتها عندما يستطيع أحد الجانبين اغتنام الغالبية الساحقة من السلطة، مما يمكّنه من هزيمة الطرف الآخر عسكريًا، أو عندما يتفق الجانبان على أن إنهاء الحرب بشكل يحقق مصلحتهما سويًا؛ فمثلاً الحرب في فيتنام لم تضع أوزارها بسبب هدنة الولايات المتحدة والإتحاد السوفييتي، بل جرّاء انسحاب القوات الأميركية والسقوط اللاحق «لسايغون»، وذات الأمر ينطبق على الحرب الأهلية في «أنغولا» بعد تفكك الإتحاد السوفييتي.

بذات الطريقة، لن تصل الحرب السورية إلى نهايتها إلا من خلال حصول تحول هائل في ميزان القوى على السلطة، مما يسفر عن تحقيق نصر من قِبل أحد الجوانب، وهو سيناريو يبدو مستبعدًا، أو عن طريق الوصل إلى اتفاق حقيقي بين الفصائل المتحاربة على الأرض السورية.

من هذا المنطلق، بداية حل الأزمة السورية يجب أن يبدأ باتفاقات حول سلسلة من عمليات إيقاف إطلاق النار المحلية، بغية بناء الثقة بين الجانبين، وهو أمر سبق

وأن حدث في بعض المدن الريفية القريبة من الحدود اللبنانية وكذلك في محافظة «إدلب».

من جميع ما تقدم، لا يعني أنَ الدول الكبرى يجب أن تبقى على هامش الأزمة، فهذا التحليل لا يمكن أن يكون واقعيًا، بل يجب على واشنطن مواجهة واقع هذه الحرب متعددة الأبعاد، والإبتعادعن السقوط كأسرى لأساطير حرب الوكالة القديمة، لأن ذلك لن يعمل سوى على إطالة أمد الحرب إلى أجل غير مسمى.[37]

3 :حلف الناتو والوضع الجديد:

أولا- التحديات الأمنية الجديدة لحلف الناتو:

عُدَّ حلف الناتو إحدى أهم الأدوات الغربية عموما، والأمريكية على نحو خاص للتعامل مع مناخ الحرب الباردة، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، بهدف احتواء خطر الإتحاد السوفيتي السابق، سواء داخل أراضيه، أو مناطق نفوذه في شرق أوروبا، كما سعي الحلف للحيلولة دون ولوج الاتحاد السوفيتي إلى غرب أوروبـا[38]، أو الشرق الأوسط، أو شرق وجنوب آسيا، ومع انتهاء حقبة الحرب الباردة، بدأ حلف الناتو ضم أعضاء حلف وارسو السابقين ابتداء من عام 1999،كما شهدت عقيدة الحلف ذاتها تطورا من «الردع» إلى «الدفاع الجماعي»، الأمر الذي استدعي ضرورة إجراء تغيير في التشكيلات العسكرية للحلف، حيث أصبحت أقل حجما، وأكثر سرعة في الحركة، وعلى الرغم من أن حلف الناتو لعب دورا مهما إبان حقبة الحرب الباردة، فإن نشأة الحلف لم تكن مرتبطة بالضرورة بتلك الحقبة، حيث نشأ قبل حلف وارسو بست سنوات، طبقا لمعاهدة شمال الأطلسي المنشئة للحلف في 4 أبريل عام 1949 بالولايات المتحدة، والتي نصت على بنود عديدة، لعل أهمها المادة الخامسة من تلك المعاهدة، والتي تنص على أن «أي هجوم على أي من الدول أعضاء الحلف يعد هجوما على كافة أعضائه، بما يعني حق تلك الدولة، سواء منفردة، أو بمساعدة الدول الأخرى أعضاء الحلف، في صد ذلك الإعتداء وفقا للمادة (51) من ميثاق الأمم المتحدة، على أن تتم إحاطة مجلس الأمن علما بما يتم اتخاذه من إجراءات»، فضلا عما تضمنته المادتان الثالثة والرابعة من ذلك الميثاق بشأن ضرورة تعزيز القدرات الفردية والجماعية لدول الحلف، والتشاور فيما بينها بشأن التهديدات التي تواجه أمنها، فرادى أو مجتمعة، والجدير بالذكر أن الحلف لجأ مرة واحدة فقط إلى تفعيل مبدأ الأمن الجماعي، وفقا للمادة الخامسة، وذلك عقب الإعتداءات التي تعرضت لها الولايات المتحدة -أكبر أعضاء الحلف- في الحادي عشر من سبتمبر2001.

وعقب انتهاء الحرب الباردة، أثير جدل كبير حول مستقبل ذلك الحلف، إلا أنه استطاع التكيف مع متغيرات تلك المرحلة، من خلال تأسيس سلسلة من الشراكات حول العالم، منها مبادرة الحوار المتوسطي بين الحلف وسبع دول من حوض البحر المتوسط، من بينها مصر، ومبادرة إسطنبول للتعاون الإستراتيجي عام 2004 مع دول الخليج، فضلا عن محاولة الحلف تغيير الصورة النمطية التي سادت عن الأحلاف،

(37)-ليونيل بيتر: أكاديمي وباحث بجامعة:يال الأمريكية ومحاضر بالأكاديمية العسكرية في معهد الحرب الحديثة:
: كيف تعمل حروب الوكالة ،وما هو مستقبلها في سوريا؟ الموقع :ن بـــوســـت:-www.noonpost.org. بتاريخ:8 دجنبر2015.

(38) -Quel est le but de l'OTAN d'après sa Charte signée ce 4 avril 1949 ?

* Eviter des affrontements militaires entre pays capitalistes pour " favoriser dans la région de l'Atlantique Nord le bien-être et la stabilité". Il s'agit en fait de mettre en place l'hégémonie américaine sur l'Europe, de disposer d'un traité international justifiant si nécessaire une intervention militaire dans un pays européen qui choisirait une politique différente.

* Assurer la domination militaire du capitalisme des pays de l'Atlantique Nord sur le reste du monde "Déterminés à sauvegarder la liberté de leurs peuples, leur héritage commun et leur civilisation…"..

L'article 5 constitue le coeur de cette charte de l'OTAN. Il précise : « Les parties convis ennent qu'une attaque armée contre l'une ou plusieurs d'entre elles survenant en Europe ou en Amérique du Nord sera considérée comme une attaque dirigée contre toutes les parties, et en conséquence elles conviennent que, si une telle attaque se produit, chacune d'elles (…) assistera la partie ou les parties ainsi attaquées (…) y compris [par] l'emploi de la force armée, pour rétablir et assurer la sécurité dans la région de l'Atlantique Nord »….

…Jacques Serieys…..«**L'OTAN, instrument de domination militaire au profit des Etats Unis et du capitalisme**«

www.gauchemip.org ……..samedi 30 juin 2018.

خاصة إبان الحرب الباردة، فأنشأ جهاز الدبلوماسية العامة المنوط به تغيير الصورة الذهنية السلبية عن الحلف، من ناحية أخرى، بدأ الحلف التدخل في بعض مناطق النزاعات خارج أراضي أعضائه، ومنها البوسنة عام 1995 ويوغوسلافيا عام 1999، فضلاً عن قوات المساعدة الدولية في أفغانستان «إيساف» والتدخل في الأزمة الليبية عام 2011، ويمكن تفسير تلك التدخلات، سواء لحسابات الضرورة، حيث رأى الحلف أن تلك الأزمات تمثل تهديدا لمصالح دوله، أو لحسابات الواقع، ففي رده على سؤال تم توجيهه لأحد مسؤولي الحلف مفاده، لماذا يتدخل الحلف في النزاعات الدولية، كانت الإجابة هي «ببساطة لأن الحلف لديه جيش عالمي، أما المنظمة الأممية، فلا جيش لديها».[39]

ومع أهمية ما سبق، فإن التحدي الأكبر أمام الحلف، منذ عام 2011 وحتي الآن، كان تحولات العالم العربي، وذلك لسببين، الأول: أن تلك التحولات عموما، ومنها الأزمة السورية على نحو خاص، كان من شأنها توحيد قوسي التهديدات التي يري الحلف أنها تمثل تحديا له، وهما القوس الشرقي، الذي يضم كلا من باكستان، وأفغانستان، وإيران، ودول آسيا الوسطى، والقوس الجنوبي ويضم دول شمال إفريقيا، والدول العربية التي تقع على البحر المتوسط، وفي هذا السياق، قال أحد مسئولي الحلف، عقب التدخل الروسي في الأزمة السورية «اعتدنا الحديث عن التهديد الشرقي، والتهديد الجنوبي، ولكن الجبهتين تشابكتا الآن»، وهو الأمر الذي حدا بالحلف لتأسيس قوة تسمي «رأس الحربة» خلال «قمة ويلز» عام 2014، والتي يمكنها الإنتشار في غضون 24 ساعة، حيث قال الأمين العام للحلف، تعليقا على إنشاء تلك القوة» إن التدخل الروسي في أوكرانيا كان لحظة يقظة للحلف، لا يمكننا التساهل في أمننا»، فضلا عن إجراء حلف الناتو مناورات في البحر المتوسط في التاسع عشر من أكتوبر 2015، وكانت الأكبر من نوعها منذ أكثر من عقد من الزمن، وقد استمرت خمسة أسابيع، شارك فيها 36 ألف جندي، و230 وحدة عسكرية، و140 طائرة، و60 سفينة، أما السبب الثاني، فهو أن شركاء حلف الناتو، سواء في مبادرة إسطنبول 2004، أو الحوار المتوسطي 1994، هم جزء من تلك التحولات تأثرا وتأثيرا، الأمر الذي أثار لديهم الكثير من التساؤلات عما يمكن أن يقدمه الحلف -ضمن تلك الشراكة- لدعم الأمن والإستقرار الإقليمي، وضمن هذا السياق، يمكن تفسير قرار الحلف الإنضمام رسميا إلى عمليات التحالف الدولي ضد تنظيم داعش في سوريا من خلال إرسال طائرات إنذار مبكر» إيواكس»، والتي يمكنها مراقبة المجال الجوي على مسافات تتجاوز 400 كم من خلال الرادارات التي تحملها على متنها،[40] فضلاً عن تقديمها المساعدة لضمان الإتصالات اللاسلكية بين القيادات الموجودة في الجو والبحر والأرض،وفي وقت سابق وافق الحلف على نشر طائرات من هذا الطراز في تركيا، لتعزيز دفاعات المجال الجوي عند حدودها مع سوريا.[41]

(39)-د: أشـرف محمد كشك:« **مستقبل حلف الناتو بين الأزمة الأوروبية وسياسات ترامب**».السياسة الدولية: دورية متخصصة في الشؤون الدولية
تصدر عن مؤسسة الأهرام المصرية.
الموقع: eg.org.siyassa.www
بتاريخ: 4 يونيو 2017.

(40)- د: أشـرف محمد كشك:« **مستقبل حلف الناتو بين الأزمة الأوروبية وسياسات ترامب**».السياسة الدولية: دورية متخصصة في الشؤون الدولية
تصدر عن مؤسسة الأهرام المصرية.
الموقع: eg.org.siyassa.www
بتاريخ: 4 يونيو 2017.

(41).RT: www.arabic.rt.com/ الناتو وافقنا على إرسال طائرات إنذار مبكر من طراز أواكس إلى سوريا...
الموقع: -
بتاريخ:11فبراير 2016.

ثانيا: حلف الناتو وروسيا:

خلص تقرير حديث لمركز الدراسات والبحوث الأمريكي «راند» إلى أن «روسيا بإمكانها السيطرة على «إستونيا» و«لاتفيا» في غضون 60 ساعة فقط، إلا أنه من أحد خيارات حلف الناتو في تلك الحالة هو الهجوم النووي المضاد»، ومع التسليم بمضمون ذلك التقرير وغيره من التقارير التي تولي توتر العلاقات الأطلسية-الروسية اهتمامًا بالغًا، حيث إن ذلك التوتر ليس بالأمر الجديد، خاصة في أعقاب قرار روسيا ضم شبه جزيرة القرم عام 2014، وما تلاه من فرض عقوبات غربية على روسيا جراء ذلك القرار، فإن التقرير يعكس مؤشرات مهمة حول مضمون ومسار العلاقات بين الجانبين، وخاصة بعد تدخل روسيا في الأزمة السورية في العام ذاته، وهو الأمر الذي اعتبره الحلف تحديًا هائلاً حيث قال أحد مسؤولي الحلف:«إعتدنا الحديث عن التهديد الشرقي والتهديد الجنوبي ولكن الجبهتين تشابكتا الآن»، وهو الأمر الذي حدا بالحلف لتأسيس قوة تسمى «رأس الحربة» خلال قمة «ويلز» 2014 ،ويمكنها أن تكون جاهزة للعمل في غضون 24 ساعة.[42]

ومع أن حالة التوتر الراهنة بين حلف الناتو وروسيا تعد الأكثر حدة منذ انتهاء الحرب الباردة [43]،وخاصة مع إطلاق روسيا المرحلة الأولى من مناورات «الغرب 2017» بالإشتراك مع «بيلاروسيا» ،والتي استمرت خلال الفترة من 14 وحتى 20 سبتمبر 2017، وكانت بمثابة محاكاة لحرب تقودها الولايات المتحدة، وعلى الرغم من أن مسألة إجراء المناورات تعد أمرًا اعتياديًا سواء من جانب روسيا أو حلف الناتو والذي أجرى مناورات في البحر المتوسط في 19 أكتوبر 2015 ،وكانت هي الأكبر من نوعها منذ أكثر من عقد من الزمن واستمرت خمسة أسابيع شارك فيها 36 ألف جندي و230 وحدة عسكرية و140 طائرة وأكثر من 60 سفينة، فإن توقيت وحجم المناورات الروسية يثير تساؤلين مهمين أولهما: هل تعد تلك المناورات مقدمة لمواجهة عسكرية محتملة مع حلف الناتو؟ وثانيهما: ما هو تأثير توتر العلاقات الأطلسية الروسية على الأمن الإقليمي ضمن الجبهة الجنوبية للحلف؟ وللإجابة عن التساؤل الأول يمكن القول إن هناك مخاوف لدى حلف الناتو جراء تلك المناورات إلى الحد الذي وصفها الجنرال «بيتر بافل» رئيس اللجنة العسكرية بالحلف بأنها «تحضير جدي لحرب كبرى»، وذلك في ظل صدور تصريحات أوروبية بأن أعداد الجنود المشاركين في تلك المناورات يتجاوز 100 ألف جندي، وهو ما يمثل انتهاكًا لمعاهدة فيينا التي تنظم الأعداد العسكرية التي تشارك في المناورات العسكرية، وهو الأمر الذي نفته روسيا مؤكدة على أن القوات الروسية ضمن الحدود التي تنص عليها المعاهدة، وواقع الأمر أن المناورات في حد ذاتها لا تمثل تهديدًا وشيكًا للناتو، الذي قام بإجراء العديد من المناورات وفقًا لتصريح قائد القوات الروسية في منطقة غرب روسيا بالقول إنَّ: «الناتو أجرى خلال الفترة من يونيو وحتى سبتمبر من العام الحالي نحو 50 مناورة وتدريبًا عسكريًا شارك فيها

(42)د أشرف محمد كشك: **«حلف الناتو و روسيا: بين مؤشرات الحرب الباردة و احتمالات المواجهة العسكرية»**. جريدة أخبار الخليج الخميس:8 يونيو 2017.

(43)- في السنوات الأخيرة، تساءل الكثيرون عما إذا كانت الشراكة بين روسيا والحلف ستدوم؟ في الواقع تعززت هذه الآمال بعد وقف عملية التوسيع وإعادة تفعيل مجلس روسيا والناتو وتحسين العلاقات الروسية الأميركية،واتفاقيات ستارت الجديدة وتكثيف التعاون في أفغانستان، لكن لا شك في أن شيئًا ينقص هذه العلاقة، بالنسبة لبروكسل الحلقة المفقودة هي الثقة، أما بالنسبة لموسكو فهي المساواة.

هناك وجهات نظر مختلفة تقود هذه التوقعات، رغم التحسن الذي طبع العلاقة، للطرفان نظرتان متشابهتان عما يحفظ الأمن الأوروبي وما يهدده،كما أنهما يحملان آثار ثقافتين مختلفتين عن الأمن، وطالما أن هذه العناصر موجودة يكون من الصعب على روسيا أن تثق بالحلف ،كما أنه سيكون من الصعب على الحلفاء منح روسيا المساواة التي تسعى إليها، في ظل هذه الظروف، التعاون ممكن و لكن ليس التناغم.....**«علاقة روسيا بحلف شمال الأطلسي: بعد 20 عاما على سقوط الإتحاد»**..... مجلة الناتو....www.nato.int

نحو 60 ألف جندي بما في ذلك قوات أمريكية»، وإنما توقيت تلك المناورات ودلالاتها هو ما يعكس مخاوف الحلف ،إذ تأتي في أعقاب توقيع تركيا صفقة مع روسيا لتزويدها بمنظومة الصواريخ الجوية الروسيةS : 400،وهي الصفقة التي لا تريد تركيا إدماجها مع أنظمة الناتو الصاروخية، في ظل توتر علاقات تركيا مع الناتو، ومع أهمية ما سبق، فإن التوتر بين الجانبين لن يصل الى حد التصادم انطلاقًا من ثلاثة أمور الأول: وجود آلية مؤسسية للحوار والتواصل بين الجانبين وهي مجلس الناتو- روسيا والذي تم تأسيسه عام 2002، وهو بمثابة منتدى للتنسيق السياسي والعسكري، حيث عقد 5 اجتماعات دورية منذ عام 2016 وحتى الآن، والثاني: أن العلاقات بين الجانبين عبارة عن الفعل والفعل المضاد منذ عام 2014 وحتى الآن، ففي الوقت الذي رحب فيه الناتو بانضمام جمهورية الجبل الأسود للحلف، الأمر الذي اعتبرته روسيا «مشروعًا جيوسياسيًا»، فضلاً عن نشر الحلف أربع كتائب في دول «البلطيق» و»بولندا» تعزيزًا للقدرات الدفاعية لتلك الدول اتجاه الحدود مع روسيا، نجد أن الإنفاق العسكري الروسي يزداد حيث بلغ 69.2 مليار دولار في العام 2016 بنسبة 5.9% عن الأعوام السابقة، أخذًا في الإعتبار أن إجمالي الإنفاق العسكري للحلف يصل إلى «تريليون دولار» بما يعادل عشرة أضعاف نظيره الروسي، وذلك في ظل إعلان الحلف زيادة الإنفاق العسكري لأعضائه بمعدل 4.3% خلال العام الحالي 2017، والثالث: أن ما يتردد عن مواجهة نووية يظل أمرًا مستبعدًا، بالنظر إلى السوابق التاريخية بشأن إدارة الولايات المتحدة «أكبر أعضاء الحلف» والإتحاد السوفيتي سابقًا لأزمة الصواريخ الكوبية عام 1962، والتي انتهت بلا رابح أو خاسر للطرفين، وللإجابة عن التساؤل الثاني، فمما لاشك فيه أن توتر العلاقات الأطلسية -الروسية من شأنه أن يلقي بتأثيرات على الأمن الإقليمي في منطقة الشرق الأوسط ،ولا سيما لجهة نشوب حرب باردة جديدة، إلا أنه مع الأخذ في الإعتبار أن الجبهة الشرقية تظل هي الأكثر توترًا بسبب استمرار الأزمة الأوكرانية، وظهور تفوق عسكري ملحوظ لروسيا مقارنة بقوات الناتو في تلك الجبهة ،فإن الجبهة الجنوبية للحلف «سوريا، ودول شمال المتوسط»، ربما لا تشهد التوتر ذاته لسببين، الأول: الأهمية الإستراتيجية لتلك المنطقة لحلف الناتو، وهو ما تعكسه شراكاته الإقليمية، ومنها مبادرة الحوار المتوسطي عام 1994 ،ومبادرة استانبول للتعاون مع بعض دول مجلس التعاون الخليجي عام 2004، ومن ثم فإنه ليس من المصلحة الإستراتيجية للحلف زيادة حدة التوتر في بيئة عمل هاتين المبادرتين، والتي تشهد توترًا بالفعل، مع استمرار الأزمات الإقليمية عمومًا والأزمة الليبية على نحو خاص، والثاني: أهمية تلك المنطقة بالنسبة لروسيا وخاصة الأزمة السورية، التي استطاعت روسيا من خلالها استعادة التوازن مع الولايات المتحدة، وضمن صراعها مع حلف الناتو من خلال الحرص الروسي على تأسيس شراكات إقليمية مهمة.

ويعني ما سبق أن التصعيد الأطلسي-الروسي يظل ضمن ما يعرف «بأزمات

التلاعب» دون الوصول إلى أزمات «حافة الهاوية».[44]

خاتمـــــــة:

تبدو الأمور شديدة الشبه بسنوات الحرب الباردة، توجتها الولايات المتحدة بإعلان إستراتيجيتها الجديدة للدفاع القومي، التي ستعيد شبح تلك الحرب مرة أخرى، مع ما يعنيه ذلك من العودة إلى استخدام «الوسطاء»، الذين سيدفعون الفاتورة الأكبر لصراعات وتجاذبات «الكبار»، على اعتبار أن الولايات المتحدة وروسيا لن يدخلا في مواجهة مباشرة تحت أي ظرف من الظروف.

من الواضح أننا أمام نظرتين للعالم ورؤيتين أيديولوجيتين تتجابهان، ولا تتقاسمان في المدى المنظور أي مخرج مشترك لتنظيم العولمة أو إعادة تشكيل النظام الدولي، والأدهى أن المشهد العالمي يتخبط باضطراب متصاعد مع عودة سباق التسلح بين الدول الكبرى والقوى الإقليمية، ومن دون وجود حوكمة وضوابط في تنافسية لا ترحم...

وإذا كان الملف السوري بداية التوتر بين روسيا والغرب بزعامة الولايات المتحدة، فالملف الأوكراني يعتبر المنعطف الحقيقي في عودة حرب باردة في نسخة مختلفة عن القديمة، التي كانت إديولوجية بالأساس إبان الاتحاد السوفياتي، وأخذ الملف أبعادا حقيقية، تجعل دولا أوروبية تتخوف من مخططات سرية لموسكو للضغط على أوروبا بهدف تغيير المعطيات الجيوسياسية، والتي اتضحت من خلال ضم جزيرة القرم وجعل جمهوريات أوروبية صغيرة تتبنى الاعتدال اتجاه الكرملين.

وهذه الحرب مرشحة لمزيد من التصعيد في ظل تهديد الغرب بمزيد من العقوبات الاقتصادية، والتحذير من خطورة مخططات عسكرية مفترضة لروسيا لنشر الفوضى في أوروبا، واستمرار التوتر يجعل مفهوم الاصطفاف يعود بقوة إلى العلاقات الدولية، حيث يكون كل انفتاح على هذا الطرف أو ذاك، عاملا يحمل انعكاسات سياسية واقتصادية سلبية....

(44)- د أشـــرف محمد كشك: «حلف الناتو و روسيا: بين مؤشرات الحرب الباردة و احتمالات المواجهة العسكرية». جريدة أخبار الخليج: 8 يونيو 2017.

قائمة المصادر:

1- محمد خالد :أمريكا و روسيا...»عدو قديم» يتحدى عودة الإمبراطورية www.albayan.ae/one-world/political-issues/2019-02-26-1.3497919

2- يعقوب يوسف جبر:عودة الحرب الباردة:

3-المدى:عدد:3904 بتاريخ:2017/04/16..www.almladapaper.net

4- سلامة كيلة – كاتب فلسطيني: عن عودة الحرب الباردة- موقع:الجزيرة:.www aljazeera.net:- 2014/4/25 الساعة 16:13 - مكة المكرمة- الموافق 1435/6/26 هـ.

5- محمد الأمين مقراويالوغليسي.... مجلة البيان - دراسة: جيوبوليتيكا أوكرانيا: قراءة في الصراع العالمي بين الغرب وروسيا..... /www.albayane.co.uk 1مارس 2018.

- www.al-sharq.com6/.2014/03/08- توفيق المديني:الحرب الروسية وتداعيات الأزمة الأوكرانية –الموقع: بوابة الشرق الإلكترونية -

7- إبراهيم منشاوي: مستقبل العلاقات الأوروبية – الروسية في ضوء أزمة القرم-موقع :المركز العربي للبحوث والدراسات :
- بتاريخ :الأحد 11ماي 2014. http://www.acrseg.org/5839
:-www.alwaght.com8- الحرب الباردة الجديدة بين أمريكا وروسيا في خضم الأزمة السورية موقع: الوقت:
بتاريخ:الإثنين 1محرم 1438/ الموافق ل:3 أكتوبر2016.
9--باتريك سيل :كاتب بريطاني مختص في شؤون الشرق الأوسط:الأزمة السورية والحرب الباردة الجديدة...
الموقع:الخبر اليقين:www.syrianownews.com- بتاريخ:الجمعة 10فبراير2012.
10- ليونيل بيتر:أكاديمي وباحث بجامعة:يال الأمريكية ومحاضر بالأكاديمية العسكرية في معهد الحرب الحديثة:
: كيف تعمل حروب الوكالة ،وما هو مستقبلها في سوريا؟الموقع :ن بوست:-.www noonpost.org.بتاريخ:8 دجنبر2015

11-الدكتور محمد بكر :»زخم الميدان و لغة النار هي العنوان» جريدة رأي اليوم www.raialyoum.co.2018 3يوليوز

12- أسامة العرب/البناء: بشرى خير للسوريين ....إنتهاء الحرب السورية الموقع قناة العالم:-www.alalam.ir: 26نونبر2017.
13-:نزار بوش: لماذا جن جنون أمريكا ضد روسيا في سوريا؟ وكيف جاءت الردود الروسية؟ الموقع : نادي المستشرقين: الموقع:
بتاريخ: www.arbic.sputniknews.com.2017/11/16
14-ليونيل بيتر:أكاديمي وباحث بجامعة:يال الأمريكية ومحاضر بالأكاديمية العسكرية في معهد الحرب الحديثة:
: كيف تعمل حروب الوكالة ،وما هو مستقبلها في سوريا؟الموقع :ن بوست:-.www noonpost.org.بتاريخ: 8:دجنبر2015.
15- عامر راشد: البحث عن مقاربة ممكنة لحل الأزمة السورية: الموقع: -www.ar bic.sputniknews.comبتاريخ:2016/08/24.
16-د: أشرف محمد كشك:» مستقبل حلف الناتو بين الأزمة الأوروبية وسياسات ترامب».السياسة الدولية: دورية متخصصة في الشؤون الدولية
تصدر عن مؤسسة الأهرام المصرية. الموقع: www.siyassa.org.eg بتاريخ: 4 يونيو 2017.

- RT: /www.arabic.rt.comالناتو وافقنا على إرسال طائرات إنذار مبكر من طراز أواكس إلى سوريا

بتاريخ 11 فبراير 2016

علاقة روسيا بحلف شمال الأطلسي: بعد 20 عاما على سقوط الإتحاد».....مجلة الناتو....www.nato.int

17-- د أشرف محمد كشك: «حلف الناتو و روسيا: بين مؤشرات الحرب الباردة و احتمالات المواجهة العسكرية». جريدة أخبار الخليج:8 يونيو 2017.

18- خطار أبو دياب :»الحرب الباردة الجديدة «موقع: إذاعة مونت كارلو الدولية « / بتاريخ : https://www.mc-doualiya.com/chronicle.2019/08/17

19- حسان يونس :|» عودة الحرب الباردة»جريدة :» الوطن» 8 فبراير 2018.

20- عودة الحرب الباردة بين الغرب وروسيا يجعل المغرب يتريث في الرهان على موسكو.

موقع : ألف بوست: بتاريخ : 26 فبراير 2015.

https://alifpost.org/%D8%B9%D9%88%D8%AF%D8%A9

21- .....comprendre la crise en Ukraine" …ROLAND GAURON....LE FIGARO.fr..."

02/12/2013-www.lefidaro.fr

22-La guerre en Syrie: une guerre par procuration entre les Etats-Unis et la Russie……..DANIEL VERNET.

BRICE COUTURIER….«SYRIE :UNE GUERRE PAR PROCURATION«

FRANCE CULTURE :www.franceculture.fr/le 11mars 2016.

23-…Jacques Serieys…..«L'OTAN, instrument de domination militaire au profit des Etats Unis et du capitalisme« www.gauchemip.org …….. samedi 30 juin 2018.

الاتحاد الأوروبي والحد من انتشار أسلحة الدمار الشامل: البرنامج النووي الإيراني إنموذجاً

***شهد حسن علي**

باحثة من العراق- سياسة دولية

* Shahadhassanali@gmail.com

ملخص :

يعد الاتحاد الأوروبي من أبرز وأهم التكتلات والمنظّمات الإقليمية الكبرى كونه يمتاز ببنية مؤسسية قوية، وكذا امتيازه بحسن تسييره للمهام، هذا ما جعله يبرز كأحد ابرز القوى العالمية سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية على وجه التحديد، حيث ارتبطت العلاقات الأوروبية بمنطقة الشرق الأوسط بالمصالح الاقتصادية إذ يسعى إلى حماية هذه المصالح من التهديدات والتحديات التي تواجهها هذه المنطقة، إذ يسعى إلى إيجاد عالم أكثر أمنا فضلا عن دوره الفّعال في مجال إرساء الاستقرار وتحقيق السلم والأمن الدوليين، مما جعله يقوم بدعم عّدة معاهدات في مجال حظر وانتشار الأسلحة النووية، حيث بات الحد من انتشار الأسلحة النووية أكثر من ضرورة خاصة خلال الحرب الباردة واحتدام الصراع بين الكتلتين الشرقية والغربية، وخطورة الأسلحة التي كانت تمتلكها، ّمما أدى إلى إنشاء معاهدات هادفة إلى حظر ومنع الانتشار النووي وكذالك انضمام الاتحاد الأوروبي إلى المنظمات الدولية الرامية لحظر انتشار ومنع ما يعرف بأسلحة الدمار الشامل خاصة الأسلحة حيث تبرز جهود الاتحاد الأوروبي في هذا المجال من خلال سعيه الدائم في حل وتسوية الملف النووي الإيراني بطرق سلمية، وذلك عن طريق القوة الناعمة وكذالك السماح لإيران باستخدام الطاقة النووية لكن لأغراض سلمية، فالاتحاد الأوروبي بسياسته الخارجية والأمنية المشتركة يهدف إلى إرساء الأمن والسلم الدوليين.

كلمات مفتاحية : أسلحة الدمار، البرنامج النووي، الاتحاد الأوربي.

The European Union and the proliferation of weapons of mass destruction: the Iranian nuclear program as a model

Shahd Hassan Ali
researcher from Iraq
PhD students at Al-Nahrain University / Department of International Politics

ABSTRACT

The European Union is considered to be one of the most prominent, important and major regional organizations unions. This is why it is the greatest political and economic power in particular. European relations with the Middle East have been linked to economic interests. It intends to protect those interests from threats and challenges in the region. It seeks to create a safer world in addition to its role in establishing stability and international peace and security. This has led to support several treaties in the prevention and proliferation of the nuclear weapons it which led to the establishment of nuclear non-proliferation treaties and the accession of the European Union to international organizations to prohibit and prevent the proliferation of mass destruction weapons, in particular nuclear weapons, in order to establish security and stability in the world and to defy the Middle East. The efforts of the European Union in this area are highlighted through its constant efforts to resolve the nuclear issue in a peaceful manner, through its soft power and by allowing Iran to use nuclear energy but for the most peaceful was purposes. The European Union's foreign and security policy is aimed at establishing international peace and security.

KEY WORDS: weapons of mass destruction, nuclear program, European Union.

المقدمة:

عند البحث في التحديات الدولية التي تواجة القوى الفاعلة في النظام السياسي الدولي لابد من تناول انتشار أسلحة الدمار الشامل التي تعد تحديا ليس امام القوى الفاعلة في النظام الدولي فقط وانما امام العالم اجمع لما تحتويه هذه الأسلحة من اضرار مادية ليس لوقت وقوعها فقط وانما لفترات زمنية طويلة جدا فعلى سبيل المثال انّ الأرض التي يقع عليها انفجار نووي تصبح غير صالحة للزراعة ولا للعيش لانها أصبحت مشعة وغير صالحة للزراعة وهذا بالطبع هو ابسط النتائج التي تخرج عن الانفجار النووي.

باختصار، فإن اتخاذ حكومة لقرار خوض حرب نووية كبرى يعادل انتحار

الحضارة كما نعرفها. وفي وجود الأسلحة النووية الحديثة - التي تبلغ قوة بعضها ٢٠٠ ميجا طن حيث أصبح قيام حرب نووية هو السبيل الذي قد يبدأ به الزعماء السياسيون بضغطة زر ربما عن غير قصد) الانزلاق في هوة فناء البشرية) ينبغي أن يتضح جليًّا مما سبق أن المجتمع الدولي برمته لديه مصلحة جماعية في إعمال سياسات وتدابير أكثر فعالية لمنع انتشار الأسلحة النووية، وللترويج لنزع السلاح العام الكامل ومن ضمن هذه القوى الدولية الاتحاد الأوروبي الذي يعد أحد المؤثرين في عملية الحد من انتشار أسلحة الدمار الشامل.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة لتوضيح أهمية ودور القوى الدولية الفاعلة التي لها تاثير في عملية منع انتشار أسلحة الدمار الشامل ومن بينها الاتحاد الأوروبي الذي يسعى الى الحد من انتشار أسلحة الدمار الشامل لكن هذا المنع يأتي فقط في المناطق التي تعد مهمة وحيوية بالنسبة للاتحاد والدول الأعضاء ومن بينها إيران التي تعد احدى القوى الإقليمية الفاعلة في منطقة الشرق الأوسط.

إشكالية الدراسة:

تنطلق إشكالية الدراسة من كون انّ انتشار أسلحة الدمار الشامل تمثل احد اهم التحديات الدولية بالنسبة للقوى الدولية التي تحاول جاهدة للحد من انتشارها بمختلف المستويات وعليه ستكون الإشكالية على مجموعة تساؤلات هي: ماهي المساعي الدولية المبذولة للحد من انتشار أسلحة الدمار الشامل؟ وماهو دور الاتحاد الأوروبي في هذه الجهود؟ وهل الاستراتيجية الأوروبية للحد من انتشار أسلحة الدمار الشامل هي استراتيجية فاعلة؟ وماهي سياسة الاتحاد الأوروبي تجله انتشار أسلحة الدمار الشامل؟ وكيف تم التعامل مع البرنامج النووي الإيراني؟

فرضية الدراسة:

ومن إشكالية البحث تنطلق الدراسة من فرضية مفادها ان (الاتحاد الأوروبي كفاعل دولي يحاول ان يثبت وجوده من خلال المشاركة الفعلية في القضايا الدولية المهمة ومن بينها الانتشار النووي والذي يعد البرنامج النووي الإيراني هو أفضل مجال للاتحاد الأوروبي لاثبات دوره وتطبيق استراتيجيته.

منهجية الدراسة:

تم تناول أكثر من منهج خلال الدراسة وهي المنهج التاريخي: والذي تم استخدامة من خلال تناول مجموعة من الاحداث التاريخية المهمهة للدراسة والمنهج الاستقرائي الذي يعتمد على دراسة الجزء للانتقال الى الكل من خلال دراسة تفاصيل الانتشار النووي والانطلاق الى النتائج النهائية

وتم تقسيم الدراسة على أربعة مطالب **المطلب الأول** : المساعي والجهود الدولية الذي تم البحث فيه عن مستوى الجهد الدولي للحد من انتشار أسلحة الدمار الشامل **والمطلب الثاني** : يوضح تطور دور الاتحاد الأوروبي في السعي للحد من انتشار أسلحة الدمار الشامل اما **المطلب الثالث** استراتيجية الاتحاد الأوروبي

للحد من انشار أسلحة الدمار الشامل وتوضح مدى فعاليتها وقدرتها على تحقيق هذا الغرض **والمطلب الرابع** سياسة الاتحاد الأوروبي والبرنامج النووي الإيراني الذي يوضح مدى فعاليةهذه السياسة وهل هي فاعلة في البرنامج النووي الإيراني ؟ والانتهاء بالخاتمة.

المطلب الأول: المساعي والجهود الدولية

عند البحث في الحد من انتشار أسلحة الدمار الشامل ينبغي توضيح انه ثمة نوعان أساسيان للانتشار: الرأسي، وفيه تزيد الدول الحائزة للأسلحة النووية ترسانتها النووية الخاصة وربما ترسانات حلفائها أيضًا بتطوير أسلحة نووية وناقلات للأسلحة النووية أكثر قوة ودقة من خلال البحث والتطوير والأفقي: وفيه يحصل عدد متزايد من الدول على أسلحة نووية على الرغم من الجهود حسنة النية التي بذلها مبتكرو نظام معاهدة عدم الانتشار النووي وأولئك المسؤولون حاليًّا عن تفعيله، فما زال النوعان من الانتشار مستمرَّيْن.

وكانت هناك جهود دولية واسعة للحد من انتشار الأسلحة النووية وسيتم توضيحها بصورة مختصرة في بداية الأمر فى تموز من عام 1957 اقترحت الحكومة الامريكية على لجنة الطاقة الذرية التابعة للامم المتحدة خطة باروخ التى وافقت من خلالها الولايات المتحدة على ازالة الاسلحة النووية كافة شريطة ان تتعهد الدول الاخرى بعدم انتاجها ودعم اقامة نظام للتفتيش والعقوبات. وفي تموز من عام 1957 تأسست الوكالة الدولية للطاقة الذرية بقرار بالاجماع من الامم المتحدة، وتهدف الوكالة الى التفتيش على المنشآت النووية الحالية وتعزيز الاستخدام السلمي للطاقة النووية وقد انضمت 150 دولة لعضوية الوكالة الدولية للطاقة الذرية حتى نهاية يونيو. واصبحت الصين دولة عضوا فى عام عام 1984.[1]وفى اب عام 1963 وقع الاتحاد السوفيتى والمملكة المتحدة والولايات المتحدة معاهدة الحظر الجزئى للتجارب النووية لابطاء سباق التسلح ووقف الانتشار المكثف لتساقط الغبار النووى فى الجو الا انّ المعاهدة استثنت التجارب النووية تحت الارض فتركتها دون تحديد.

وفي تموز من عام 1957 تأسست الوكالة الدولية للطاقة الذرية بقرار بالاجماع من الامم المتحدة

وفى تموز 1968 افتتحت معاهدة منع انتشار الاسلحة النووية للتوقيع عليها وفى الوقت الحالى يوجد 189 دولة وقعت عليها. وتدعو المعاهدة الدول الى نزع عام وشامل للسلاح النووى والى الاستخدام السلمي للطاقة النووية للاغراض المدنية.[2] اذ يذكر انّ سولت 1 وسولت 2 وقعتا للحد من نمو الترسانتين الامريكية والسوفيتية وتخفيف العبء الاقتصادى لسباق التسلح. وحددت معاهدة الحد من الصواريخ المضادة للصواريخ البالستية عدد انظمة الصواريخ المضادة للصواريخ الباليستية المستخدمة فى المجالات الدفاعية ضد الصواريخ ذات الـرؤوس النووية. ومنذ منتصف فترة السبعينات انصب التركيز الاساسى لجهود منع الانتشار على زيادة الحد من المواد الانشطارية خاصة ذات التخصيب العالى لليورانيوم والبلوتونيوم.

(1) https//www.wikipidea.org/ nuclear weapons

(2) جامعة منيسوتا , مكتبة حقوق الانسان , معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية 2021/6/13 http://hrlibrary.umn.edu/arabic/TNPNW.html

وفى عام 1975 اجتمعت سبع دول فى لندن فى سلسلة من المحادثات وتم تأسيس مجموعة الموردين النوويين. من اجل مهمة مشابهة لتلك الخاصة بلجنة زانجير وهو جهاز متعدد الجنسيات معنى بتخفيض انتشار الاسلحة النووية عن طريق الحد من تصدير واعادة نقل المواد التى على مستوى الاسلحة النووية، وقد انضمت الصين الى المجموعة عام 2004. وفى عام 1987 تم التوصل الى معاهدة القوى النووية متوسطة المدى بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى. وقد خفضت عدد الصواريخ النووية والصواريخ الباليستية التقليدية الأرضية وتم السماح باجراء تفتيش من الناحيتين.

وفى عام 1991 و 1993 تم التوقيع على معاهدتى خفض الاسلحة الاستراتيجية 1و 2 المعروفتين باسم ستارت 1 وستارت 2 على التوالي.

وفـى عـام 1991 و 1993 تـم التوقيع على معاهدتى خفض الاسلحة الاستراتيجية 1و 2 المعروفتين باسم ستارت 1 وستارت 2 على التوالي. ولـم يتم تفعيل معاهدة ستارت اثنين على الاطـلاق. وفـى 2002 وقعت الـولايـات المتحدة وروسيا معاهدة موسكو التى تنص على انّ تخفض كلتا الدولتين رؤوسهما النووية بمقدار الثلثين فى غضون عشرة اعـوام. وتم التوقيع على معاهدة الحظر الشامل للتجارب النووية فى عام 1996 إلا انَّها لم تصبح سارية المفعول بعد. وهي معاهدة دولية وقعت عليها 181 دولة تحظر كافة التفجيرات النووية فى كل البيئات.

ولكن ابرز المعاهدات الدولية للحد من أسلحة الدمارالشامل هي معاهدة الحد من انتشار الأسلحة النووية أومعاهدة عدم انتشار الأسلحة النوويةTreaty on the Non-Proliferation of Nuclear Weapons والمعروفة اختصاراً (NPT)) وهي تهدف إلى منع انتشار الأسلحة النووية وتكنولوجيا الأسلحة، لتعزيز التعاون حول الاستخدامات السلمية للطاقة النووية، وتهدف بشكل ابعد إلى نزع الاسلحة النووية ونزع الاسلحة العام والكامل. تم التفاوض على المعاهدة بين عامي 1965 و 1968 من قبل لجنة مؤلفة من ثماني عشرة دولة برعاية من الأمم المتحدة في مدينة جنيف السويسرية[3].

(3) سعد حقي توفيق , الاستراتيجية النووية بعد انتهاء الحرب الباردة , دار زهران للنشر والتوزيع , عمان – الأردن , 2008 , ص ص 190 – 200

تم إتاحة المعاهدة للتوقيع عليها عام 1968 ودخلت حيز التنفيذ في 1970 بعد خمسة وعشرين عاماً اجتمع أعضاء المعاهدة، كما تنص عليه المعاهدة، واتفقوا على تمديدها إلى ما لا نهاية ضمت هذه المعاهدة أكبر عدد من الدول مقارنة مع باقي المعاهدات الخاصة بالحد من أو نزع الأسلحة الاخرى مما يؤكد على أهمية هذه المعاهدة في آب 2016 وقع على المعاهدة 191 دولة على الرغم من أن كوريا الشمالية التي وقعت على المعاهدة عام 1985 إلى أنها لم تلتزم بها، وأعلنت انسحابها من المعاهدة في 2003 أربعة من الدول الأعضاء في الأمم المتحدة لم توافق أبداً على المعاهدة ثلاثة منهم تمتلك أسلحة نووية وهي الهند وباكستان وإسرائيل فضلا عن جنوب

ابرز المعاهدات الدولية للحد من أسلحة الدمارالشامل هي معاهدة الحد من انتشار الأسلحة النووية أومعاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية

السودان المنضمة إلى الأمم المتحدة عام 2011 ولم تنضم إلى المعاهدة. تعترف المعاهدة بوجود خمس دول نووية قامت ببناء واختبار أجهزة انفجارات نووية قبل 1 كانون الثاني 1967 وهي الولايات المتحدة، روسيا، المملكة المتحدة، فرنسا والصين. هناك ثلاث دول أخرى تم تأكيد حيازتها للأسلحة النووية وهي الهند وباكستان وكوريا الشمالية حيث أعلنت هذه الدول حيازتها للأسلحة النووية وأنها قامت باختبار هذه الأسلحة، بينما إسرائيل تتعمد الغموض بما يخص وضح الأسلحة النووية من جانبها .[4]

(4) نفس المصدر السابق

غالباً ما يُنظر إلى معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية على أساس صفقة مركزية: ((الدول غير النووية المنضوية ضمن المعاهدة توافق على أنها لن تقوم بامتلاك أسلحة نووية بالمقابل ستقوم الدول النووية بمشاركة الفوائد السلمية للتقنية النووية وسوف تتابع نزع الأسلحة النووية الذي يهدف إلى القضاء على ترسانتها النووية)) [5]

(5) معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية , سلسة وقائع التابعة للأمم المتحدة , نيويورك , 1985 , المادة الثالثة

انَّ المعاهدة تتسم بطبيعتها بالتمييز وتتهم بعض البلدان النامية الدول المتقدمة باستخدام نظام عدم الانتشار للحفاظ على احتكارها للتكنلوجيا النووية المتقدمة

عند تقديم معاهدة الحد من انتشار الأسلحة النووية، كان من المتوقع ظهور 25-30 دولة تمتلك الأسلحة النووية خلال 20 سنة. بالمقابل بعد أربعين عاماً فقط خمس دول لم توقع على المعاهدة منها فقط أربع دول يعتقد بأنها تمتلك أسلحة نووية تم تبني عدة معايير إضافية لتقوية المعاهدة وتوسيع نظام الحد من الأسلحة النووية وجعل حصول الدول على الإمكانيات لتطوير الأسلحة النووية أصعب، بما في ذلك ضوابط تصدير مجموعة الموردين النوويين وتدابير التحقق المعززة للبروتوكول الإضافي للوكالة الدولية للطاقة الذرية.

ولكن هناك الكثير من الانتقادات تدور حول هذه المعاهدة منها [6].

(6) بول ويكلينسن , العلاقات الدولية مقدمة قصير جدا , ترجمة لبنى عماد تركي , مصدر سبق ذكره , ص ص 128- 130

- انَّ المعاهدة تتسم بطبيعتها بالتمييز وتتهم بعض البلدان النامية الدول المتقدمة باستخدام نظام عدم الانتشار للحفاظ على احتكارها للتكنلوجيا النووية المتقدمة. وتدعو هذه البلدان الى وصول حر غير مقيد الى تلك التكنلوجيا دون اعتبار في الغالب ضمان عدم انتشار الاسلحة النووية وبصرف النظر عن احتياجاتها الحقيقية ذاتها، وخاصة الاتفاق بشأن ضوابط نقل المواد النووية.
- انَّ المعاهدة تحرم على الدول الاطراف فيها وغير الحائزة على الأسلحة النووية تصنيع اي جهاز تفجير نووي آخر او انْ تلتمس أو تتلقى ايَّ مساعدة من الدول الحائزة على الاسلحة النووية لصنع المتفجرات النووية او اي جهاز تفجير نووي آخر, بل وقد يكون لها الحق في الابقاء على ما لديها. ولا تشير كذلك الى تحريم نشر الاسلحة النووية على أراضي دولة غير حائزة لاسلحة نووية، أو العبور فوق اجوائها او تحريكها من موقع لاخر في تلك الدولة. وليس بالضرورة انْ تكون الدولة خالية تماما من الأسلحة النووية (كأسرائيل والهند وباكستان) وبمعنى آخر فقد كانت المعاهدة تُعد وسيلة لمنع الدول الصناعية الكبرى عن بناء الاسلحة النووية أما الأن فانها تعتبر وسيلة لاحتفاظ الدول

الحائزة لاسلحة نووية بما لديها من تكنلوجيا نووية، بينما يمنع الفئة الآخرى من الدول من تطوير مثل تلك التكنلوجيا ونشرها خاصة في الدول النامية

- استمرار سباق التسلح وعدم تخلي الدول الكبرى عن ترسانة أسلحتها بل وأصبحت المعاهدة ضمانه للحفاظ على ترسانة الدول الكبرى
- نظام الضمانات ضعيف جدا في المعاهدة ولا يوجد هناك جزاءات في حال الاستخدام الفعلي للسلاح النووي

اما احدث المساعي الدولية للحد من انتشار الأسلحة النووية وأسلحةّ الدمار الشامل هي معاهدة حظر الأسلحة النووية Treaty on pro-hibition of nuclear weapons وتُختصر إلى (TPNW) وهي أول اتفاقية دولية للإلزام القانوني بحظر الأسلحة النووية على نحو شامل، بهدف المُضي نحو القضاء التام على هذه الأسلحة. مُررت هذه المعاهدة يوم 7 تموز عام 2017 وتحتاج هذه المعاهدة توقيع وتصديق 50 دولةً على الأقل حتى تُطبق وبحلول يوم 23 يناير عام 2020، صدقت 35 دولةً على هذه المعاهدة. وتمنع هذه المعاهدة الدول المُصدِّقة عليها من (تطوير، واختبار، وإنتاج، وتخزين، وإقامة، ونقل، واستخدام، والتهديد باستخدام الأسلحة النووية، فضلاً عن حظر المساعدة والتشجيع على هذه الأنشطة المحظورة) وتعطي هذه المعاهدة الدول المُصدِّقة عليها، والمالكة للأسلحة النووية، إطارًا زمنيًا محددًا لإجراء المفاوضات التي ستؤول إلى قضاء مُحقَّق، وبلا رجعة، على برنامج الأسلحة النووية[7].

كانت المعاهدة تُعد وسيلة لمنع الدول الصناعية الكبرى عن بناء الاسلحة النووية أما الأن فانها تعتبر وسيلة لاحتفاظ الدول الحائزة لاسلحة نووية

(7) اللجنة الدولية للصليب الأحمر , 24 / 4 / 2018 https://www.icrc.org/ar/document/2017-treaty-prohibition-nuclear-weapons

بدأت المفاوضات على هذه المعاهدة بالأمم المتحدة في آذار عام 2017، طبقًا لتفويض رسمي تبنته الجمعية العامة للأمم المتحدة في ديسمبر عام 2016، واستمرت هذه المفاوضات بين 15 حزيران وحتى 7 تموز عام 2017 وعند التصويت على نص هذه المعاهدة، صوتت 122 دولةً لصالحها، وصوتت دولة واحد ضدها دولة هولندا وامتنعت دولة آخرى عن التصويت جمهورية سنغافورة. لم تصوت 69 دولةً على هذه المعاهدة، ومن بينهم جميع الدول المالكة للأسلحة النووية وجميع أعضاء حلف شمال الأطلسي الناتو باستثناء هولندا. ستشكل معاهدة حظر الأسلحة النووية، طبقًا لما يتصوره مؤيدوها، «التزامًا سياسيًا واضحًا» لتحقيق عالم خال من السلاح النووي والحفاظ عليه. ومع ذلك، فبخلاف اتفاقية الأسلحة النووية، لَم يكن مقصودًا أن تضم هذه المعاهدة كافة الوسائل القانونية والتقنية المطلوبة حتى تحقق القضاء على الأسلحة النووية وستكون بنود هذه المعاهدة مادةً للمفاوضات اللاحقة، لتسمح بالتوصل إلى اتفاقية مبدئية بشكل سريع نسبيًا، دون الحاجة إلى اشتراك الدول المالكة للأسلحة النووية إذا استلزم

كانت المعاهدة تُعد وسيلة لمنع الدول الصناعية الكبرى عن بناء الاسلحة النووية أما الأن فانها تعتبر وسيلة لاحتفاظ الدول الحائزة لاسلحة نووية

الأمر[8]

يؤمن مؤيدوا هذه المعاهدة أنها ستؤدي إلى الحد من الأسلحة النووية، وستعمل باعتبارها عاملاً حافزا للقضاء عليها التي تعهد نحو ثلثي دول العالم على العمل معًا «لغلق هذه الفجوة القانونية» الموجودة عند النظام الدولي القائم الذي يحكم الأسلحة النووية وترى هذه الدول أن معاهدة حظر السلاح النووي هي الخيار الوحيد لتحقيق هذا الهدف

وفي 22 كانون الثاني 2021، دخلت معاهدة حظر الأسلحة النووية حيز التنفيذ وكان قد تمَّ تبنيها من قبل 122 دولة في الولايات المتحدة عام 2017، ووقَّعت عليها حتى الآن 86 دولة، وصادقت عليها 51 دولة من بين هذه الدول

قد حظيت هذه المبادرة الصادرة عن المجتمع المدني والحائزة على جائزة نوبل للسلام بدعم الأغلبية الساحقة من الدول، باستثناء تلك التي تمتلك أسلحة نووية وحلفائها. وبالتالي، أشارت بعض الأصوات المنتقدة إلى أنَّ المعاهدة الجديدة لن يكون لها أي تأثير على نزع الأسلحة النووية. وفي جميع الأحوال، ينبغي تقييم ما إذا كان حظر الأسلحة النووية سيُسهم في تعزيز القضاء عليها وكيف؟

انَّ انتشار أسلحة الدمار الشامل يشكل أحد أهم التحديات الأمنية ولعل التحدي الرئيسي الذي يقف امام عملية إدارة انتشار هذه الأسلحة هو مستوى الضغوط التي تواجهها المعاهدات الدولية

كانت معظم الـدول قد أعربت عن فرحها وارتياحها لتبنّي معاهدة حظر الأسلحة النوويةرابط خارجي (يُشار إليها اختصارا بـ TPNW) في عام 2017. في حين اقتصرت (ردة فعل) الدول التي تمتلك الأسلحة النووية على الصمت أو الإعراب عن استيائها من هذه المعاهدة. وجاءت هذه المعاهدة كثمرة للمؤتمرات الدولية حول العواقب الإنسانية لكل تفجير نووي وللمحادثات التي استمرت أسابيع عدة في جنيف. وكانت معظم الدول التي لديها أسلحة نووية قد قاطعت هذه الاجتماعات وعارضت المفاوضات التي جرت في نيويورك[9].

وفي هذا المجال يمكن القول انَّ انتشار أسلحة الدمار الشامل يشكل أحد أهم التحديات الأمنية ولعل التحدي الرئيسي الذي يقف امام عملية إدارة انتشار هذه الأسلحة هو مستوى الضغوط التي تواجهها المعاهدات الدولية الرئيسية الهادفة الى وقف انتشار أسلحة الدمار الشامل فعلى سبيل المثال تواجه معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية واتفاقية حضر الأسلحة البيولوجية والسامة واتفاقية حضر الأسلحة الكيميائية طائفة واسعة من الضغوطات الداخلية والخارجية التي تعرقل مهمة إقامة نظام عالمي لمنع الانتشار

المطلب الثاني: تطور دور الاتحاد الأوروبي كفاعل دولي في مجال عدم الانتشار النووي:

وفي مايخص دور الاتحاد الأوروبي في هذا المجال وباعتبار الاتحاد فاعلا دوليا مؤثراً في معظم القضايا الدولية المهمة حيث لم يكن الاتحاد الأوروبي عبر مختلف أطوار تطوره كفاعل دولي بمعزل عن الاهتمام بتلك القضية لاسيما في ظل

(8) الوكالة الدولية للطاقة الذرية , https://www.iaea.org/ar/almawadie/mueahadat-edm-alaintishar

(9) مارك فينو , الوحدة الدولية التابعة لهيئة الإذاعة والتلفزيون السويسرية 2021/6/12 https://www.swissinfo.ch/ara/% -/46314566

رغبته للعب دور فاعل فيها لاعتبارات تتعلق بأمنه ومكانته علي الساحة الدولية.

وجدت الأسس القانونية والسياسية لعدم الانتشار النووي منذ الأيام الأولى للجماعة الأوروبية

وقد وجدت الأسس القانونية والسياسية لعدم الانتشار النووي منذ الأيام الأولى للجماعة الأوروبية، من خلال الاتفاقية الأوروبية للطاقة الذرية عام 1957 ، والتي هدفت في المقام الأول إلى تعزيز تطوير الطاقة النووية ولكنها احتوت أيضا على نظام متقدم نسبيا من ضمانات وضوابط التصدير، الأمر الذي منحها دورا واضحا في مجال عدم الانتشار، إلا أن نطاق عملها كان محدداً للغاية في المجال المدني وذلك نظرا لأن الاتفاقية اعفت جميع السلع المتصلة بالأمن القومي من لوائح الجماعة [10] وبدأ دور الجماعة الأوروبية في مجال عدم الانتشار في التبلور خلال ثمانينات القرن الماضي، عندما قرر المجلس الأوروبي انشاء مجموعة عمل بشأن المسائل النووية في سياق التعاون السياسي الأوروبي (EPC) عام 1981 وأصدر وزراء خارجية الدول الأعضاء العشر بالجماعة الأوروبية أنذاك اتفاق بشأن المبادئ التوجيهية لسياسة الصادرات النووية.

(10) سليمان حسين الوادعي , الأطراف الأوروبية والاتفاق والاتفاق النووي مع ايران : تراجع الأهمية واحتمالات المستقبل , المعهد الدولي للدراسات , الرياض , 2020 , ص ص 6- 10 .

وفي بداية التسعينات، ومع تراجع فرنسا عن معارضتها التقليدية لمعاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية (NPT) وانضمامها إليها عام 1991، أصبح بالامكان تفعيل سياسة الجماعة الأوروبية بشأن عدم الانتشار، وبدأت أهداف عدم الانتشار تذكر في أعلى مستوى في هياكلها، مع إصدار المجلس الأوروبي أول بياناته حول منع انتشار الأسلحة النووية في قمتي دبلن ولوكسمبورج عامي 1990 و 1991. كما وصل التكامل الأوروبي إلى الحالة التي شعرت الدول الأعضاء فيها أنها مستعدة للشروع في إقامة تنسيق أوثق للسياسات الخارجية، فقد أحدثت معاهدة ماستريخت 1992 المنشأة الاتحاد الأوروبي نقلة نوعية في تنسيق السياسة الخارجية عبر استحداث السياسة الخارجية والأمنية المشتركة ، والتي ساعد تعزيز أدواتها وآلياتها إلى حد كبير على تطوير دور الاتحاد في مجال عدم الانتشار [11]

وبدأت أهداف عدم الانتشار تذكر في أعلى مستوى في هياكلها، مع إصدار المجلس الأوروبي أول بياناته حول منع انتشار الأسلحة النووية

(11) صادق النابلسي , زياد ناصر الدين , الاقتصاد المقاوم ايران من صناعة الاباريق الى تقنية النانو , شركة المطبوعات للتوزيع والنشر , بيروت / لبنان , 2020 , ص ص 41- 43

خلال عقد التسعينات برزت مبادرات هامة للاتحاد الاوروبي في مجال عدم الانتشار النووي:

- حملة الاتحاد الأوروبي للتمديد اللانهائي لمعاهدة عدم الانتشار النووي (NPT) الذي جرى عام 1995، والذي بموجبه أصبحت جميع الدول التي تمتلك برامج نووية مهمة منضمة الى معاهدة عدم الانتشار أو الى إحدي المعاهدات الإقليمية التي تحظر انتشار الأسلحة النووية فيما عدا ثلاث دول وهي (إسرائيل والهند وباكستان).[12]
- التحرك المشترك " Joint Action" بشأن مشاركة الاتحاد الأوروبي في منظمة تنمية الطاقة في شبه الجزيرة الكورية (كيدو) عام 1995 وذلك بالاستناد الى الاتفاقية الأوروبية للطاقة الذرية. وقد شكل سابقة لتمكين مشاركة أكثر

(12) سليمان حسين الوادعي , الأطراف الأوروبية والاتفاق النووي مع ايران , مصدر سبق ذكره

نشاطا من قبل الاتحاد الأوروبي في قضايا عدم الانتشار في جميع أنحاء العالم، كما أظهر تعاونا غير مسبوق وتنسيقا للعمل المشترك بين المفوضية الأوروبية والمجلس والبرلمان الأوروبيين بغية تبسيط مواقفهم بشأن تلك القضية الهامة والشائكة .

- التحرك المشترك بشأن تعزيز الشفافية في ضوابط التصدير في المجال النووي عام 1997، وكان أكثر أهمية سياسيا من سابقه كونه يهدف إلى زيادة الشرعية والطابع الدائم للنظم الرقابة على الصادرات، وهو عنصر هام لبناء الثقة بين البلدان المصدرة للتكنولوجيا النووية والبلدان التي تشتريها.[13]

(13) ديفد فيشر , الضمانات النووية الخطوة الأولى , مجلة الوكالة الدولية للطاقة الذرية 49/1 , أيلول 2007 , ص 7

أن التقدم نحو المعايير المشتركة والعمل المشترك فيما يتعلق بمكافحة الانتشار النووي كان ذو تأثير محدود للغاية في مواجهة الأزمات الحقيقية

وتجدر الإشارة هنا الى أن التقدم نحو المعايير المشتركة والعمل المشترك فيما يتعلق بمكافحة الانتشار النووي كان ذو تأثير محدود للغاية في مواجهة الأزمات الحقيقية، وأبرز مثال على ذلك، أنه مع نشوب الأزمة النووية بين الهند وباكستان عام 1998، جاء رد فعل الاتحاد الأوروبي ضعيفا للغاية نظرا للانقسامات بين الدول الأعضاء بشأن التعامل مع الأزمة، الأمر الذي جعل الولايات المتحدة الأمريكية في طليعة الجهود الدبلوماسية لاحتوائها. وشكل الحد من المخاطر النووية في أراضي الاتحاد السوفيتي السابق – سواء كانت مدنية أو عسكرية – ساحة رئيسية للجهود التي يبذلها الاتحاد الأوروبي لمكافحة الانتشار، ويرجع ذلك إلي أن هذه الأراض تقع في الجوار المباشر للدول الأعضاء، وهي مصدر رئيسي محتمل لتحويل المواد الانشطارية أو حتى الأسلحة إلى الدول أو الجماعات الإرهابية. وقد تركزت جهود الاتحاد الأوروبي بشأن السلامة والأمن، والتخلص من البلوتونيوم وتوظيف العلماء والمهندسين النوويين، وكان في طليعة تلك الجهود برنامج المساعدة الفنية لرابطة الدول المستقلة (TACIS) فضلا عن المساعدات لدول الاتحاد السوفيتي السابق والتي كانت موضعا للعديد من التحركات المشتركة للدول الأعضاء. وتحت مظلة الشراكة العالمية ضد انتشار أسلحة ومواد الدمار الشامل، تعهد الاتحاد الأوروبي بتخصيص مبلغ مليار يورو في الفترة من (2002-2012)، وقد تم تخصيص ما يقرب من نصف هذا المبلغ للسلامة النووية بشكل عام.[14]

(14) هادي زعرور , توازن الرعب , القوى العسكرية العالمية , أمريكا , روسيا , ايران , الكيان الصهيوني , حزب الله , كوريا الشمالية , شركة المطبوعات للتوزيع والنشر , الطبعة الثانية , 2017 , ص 39

المطلب الثالث: إطلاق استراتيجية الاتحاد الأوروبي لمكافحة أسلحة الدمار الشامل عام 2003:

تعد استراتيجية الاتحاد الأوروبي لمكافحة أسلحة الدمار الشامل إلى حد كبير وليدة هجمات 11 سبتمبر 2001 الإرهابية في الولايات المتحدة وتداعياتها، فعلى الرغم من أن أسلحة الدمار الشامل لم تستخدم في الهجمات، إلا أن حجم الدمار

الهائل سلط الضوء على احتمالات وجود صلة بين الإرهاب الدولي وأسلحة الدمار الشامل.

وقد ربط المجلس الأوروبي في أكتوبر 2001 بين احتمال وجود صلة بين التهديد الإرهابي وجهود الاتحاد الأوروبي بشأن عدم الانتشار والسيطرة على صادرات الأسلحة، ما جعله يفتتح مسار التطور التدريجي لحقل تلك السياسة الجديدة على المستوى الأوروبي، عبر إطلاق مبادرة في ديسمبر 2001 تستهدف الاستجابة بصورة فعالة لقضايا عدم الانتشار ونزع السلاح والحد من التسلح في ظل التهديد الدولي للإرهاب. كما أعطي اعتماد الولايات المتحدة الأمريكية لاستراتيجية الأمن القومي الجديدة في سبتمبر 2002 واستراتيجية مكافحة أسلحة الدمار الشامل في ديسمبر من العام ذاته دفعة قوية للجهود الأوروبية في هذا المجال[15] وفي فبراير 2003، وبناء على مبادرة من السويد، وافق مجلس الشؤون العامة والعلاقات الخارجية (GAERC) رسمياً على إعادة النظر في سياسة الاتحاد الأوروبي لعدم الانتشار. وفي يونيو من العام ذاته، مهد المجلس الأوروبي في اجتماعه في سالونيك باليونان الطريق لحقبة جديدة في استراتيجية الاتحاد الأوروبي لعدم الانتشار، وأعقب ذلك اعتماد المجلس الأوروبي رسميا في ديسمبر 2003 لاستراتيجية الاتحاد الأوروبي لمكافحة انتشار أسلحة الدمار الشامل، وفي حين لم تضمن هذه النصوص أي اختراقات سياسية أو مفاهيمية الكبرى، إلا أنها شكلت أول نهج منتظم وشامل للاتحاد الأوروبي للتصدي لمشكلة انتشار الأسلحة النووية. فضلاً عن اعتماد المجلس الأوروبي استراتيجية الأمن الأوروبية (ESS،) وتعد هذه الوثيقة هي الأولى من نوعها حيث وضع فيها كبار القادة السياسيين في الاتحاد الأوروبي تسلسلاً هرمياً للتهديدات المشتركة، حيث جاء انتشار أسلحة الدمار الشامل في المرتبة الثانية بعد الإرهاب.[16] وفيما عرفت استراتيجية الأمن الأوروبية، الانتشار النووي بأنه "يحتمل أن يكون أكبر تهديد لأمننا"، أكدت استراتيجية مكافحة أسلحة الدمار الشامل أن "انتشار أسلحة الدمار الشامل ووسائل إيصالها... تشكل تهديدا متزايدا للسلم والأمن الدوليين، وأن مواجهة تحدي الانتشار "يجب أن يكون عنصرا أساسيا في العمل الخارجي للاتحاد الأوروبي". في السياق نفسه، شددت استراتيجية مكافحة انتشار أسلحة الدمار الشامل على ضرورة استغلال الاتحاد الأوروبي جميع ما يتاح له من أدوات لمنع وردع ووقف الانتشار النووي، حيثما كان ذلك ممكنا، والقضاء على البرامج النووية التي تسبب قلقا على الصعيد العالمي. أما عن أبرز النقاط التي تضمنتها الاستراتيجية الأوروبية لمكافحة انتشار أسلحة

وقد ربط المجلس الأوروبي في أكتوبر 2001 بين احتمال وجود صلة بين التهديد الإرهابي وجهود الاتحاد الأوروبي بشأن عدم الانتشار والسيطرة على صادرات الأسلحة

(15) نفس المصدر السابق , ص 41

(16)EU strategy against proliferation of weapons of mass destruction ,the council ,the European union office , Brussels ,December 2003

عرفت استراتيجية الأمن الأوروبية، الانتشار النووي بأنه "يحتمل أن يكون أكبر تهديد لأمننا

الدمار الشامل، فتنمثل فيما يلي:[17]

(17) IBID

1. التشديد على النهج التعاوني المتعدد الأطراف لتعزيز التحقق والامتثال واتباع الأنظمة الدولية الموجودة بشأن مكافحة الانتشار النووي مثل معاهدة حظر الانتشار النووي لعام 1969.
2. استخدام الإكراه الاقتصادي أو العسكري للقضاء على تهديدات الانتشار وذلك فقط كخيار أخير، مع التأكيد على أن اللجوء الى التدابير القسرية يكون فقط بموجب الفصل السابع من الأمم المتحدة، وذلك في إشارة لاستبعاد التحركات المنفردة حيث أن الدور المركزي في تلك القضيا يجب أن يضطلع به مجلس الأمن الدولى.
3. التعاون بين الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي للعمل من أجل إضفاء الطابع العالمي لنزع السلاح وقواعد عدم الانتشار.
4. مساعدة دول العالم الثالث في الوفاء بالتزاماتها بموجب الاتفاقيات المتعددة الأطراف المنظمة لتلك القضايا.
5. التركيز على سياسة تعزيز الامتثال والإلتزام بالمعاهدات الدولية المنظمة لتلك المجالات، والسعى نحو إستحداث تحسينات في آليات التحقق القائمة وعند الضرورة المساعدة على تطوير تلك الآليات من خلال إجراءات إضافية.
6. تأكيد أن تعزيز وجود بيئة دولية وإقليمية مستقرة شرط هام وضروري لمكافحة انتشار أسلحة الـدمـار الشامل.

"التعددية الفعالة"، والتي تتسم بالعزم على تحقيق ومتابعة الأهداف الأمنية المشتركة في إطار المؤسسات متعددة الأطراف وبالتحديد

وأطلق الممثل الأعلى للسياسة الخارجية والأمنية المشتركة بالاتحاد الأوروبي آنذاك، خافيير سولانا على هذا النهج الأوروبي الجديد مسمى "التعددية الفعالة"، والتي تتسم بالعزم على تحقيق ومتابعة الأهـداف الأمنية المشتركة في إطار المؤسسات متعددة الأطـراف وبالتحديد، (الأمـم المتحدة والمنظمات الإقليمية) وسيادة القانون مع التأكيد على أن القوة العسكرية وحدها لا يمكنها التغلب على التحديات والتهديدات الأمنية الرئيسية. وأعد مجلس الاتحاد الأوروبي عام 2008 تقريراً حول تطبيق الاستراتيجية الأمنية الأوروبية، بعد خمس سنوات من إقرارها خلص فيه إلي الحاجة الملحة للعمل على مواضيع محددة، من ضمنها: دعم الاتحاد الأوروبي لتوجه متعدد الأطراف فيما يتعلق بدورة الوقود النووي، مكافحة تمويل الانتشار، اجـراءات خاصة بالأمان والأمن البيئي، احتواء انتشار أنظمة الايصال خاصة الصواريخ البالستية، ووجوب البدء في مفاوضات حول اتفاقية متعددة الأطراف تمنع إنتاج المواد القابلة للانشطار للاستخدام في الأسلحة النووية.

وقد عزز اعتماد استراتيجية مكافحة انتشار أسلحة الدمار الشامل من نشاط الاتحاد الأوروبي في هذا المجال إلى حد كبير وهو ما يتضح في أكثر من مؤشر[18]:

- تزايد الوعي بأهمية قضايا الانتشار النووي بشكل كبير في أوساط الاتحاد الأوروبي، ما يتضح في تخصيص حوالي 25 % من ميزانية السياسة الخارجية والأمنية المشتركة CFSP)) لأنشطة عدم الانتشار.
- اعتماد الدول الأعضاء للاتحاد الأوروبـي منذ عام 2003 لأكثر من 20 إجـراء مشترك لدعم عمل المنظمات الدولية في مجال منع الانتشار النووي ونـزع السلاح، فعلي سبيل المثال يعد الاتحاد الأوروبـي أكبر المانحين لصندوق الأمن النووي التابع للوكالة الدولية للطاقة الذرية، إذ يسهم بأكثر من 20 مليون يـورو كدعم مالي للصندوق. وقد ساهم ذلك الدعم في توفير الحماية المادية للمرافق النووية، وحماية ومراقبة المصادر المشعّة، واتخاذ تدابير لمكافحة الاتجار غير المشروع بالمواد النووية والإشعاعية، والمساعدة التشريعية لغرض تنفيذ البروتوكول الإضافي للوكالة الدولية للطاقة الذرية.

يعد الاتحاد الأوروبي أكبر المانحين لصندوق الأمن النووي التابع للوكالة الدولية للطاقة الذرية

- مساعدة الاتحاد الأوروبي العشرات من البلدان في أفريقيا والبلقان وآسيا الوسطى وجنوب شرق آسيا لمنع الإرهاب النووي من خلال تعزيز الحماية والأمن ومراقبة المواد النووية والمشعة الأخرى ، ما جعله لاعباً عالمياً في مجال عدم الانتشار النووي على الأقل من الناحية الجغرافية.
- يعتبر الاتحاد الأوروبي معاهدة حظر الانتشار النووي لعام 1968 بمثابة "حجر الزاوية" لنظام حظر الانتشار النووي العالمي، لذلك فهو ينظر إلى مؤتمرات استعراض المعاهدة بأهمية شديدة، ويتبني نهج متعدد الأطراف من خلال توفير الدعم السياسي والمالي القوي لمجموعة واسعة من المنظمات الدولية كالوكالة الدولية للطاقة الذرية أو مجموعات مثل لجنة زنجر ومجموعة موردي المواد النووية أو معاهدات و قرارات دولية مثل معاهدة الحظر الشامل للتجارب النووية لعام 1996 و قرار مجلس الأمن 1540).

يعتبر الاتحاد الأوروبي معاهدة حظر الانتشار النووي لعام 1968 بمثابة "حجر الزاوية" لنظام حظر الانتشار النووي العالمي

- بالإضافة إلى التعددية، انتهج الاتحاد الأوروبي عدم الانتشار من خلال أدوات السياسة الخارجية التقليدية، فقد أشار الاتحاد الأوروبي إلى عدم الانتشار في حواراته مع العديد من المنظمات الإقليمية وتعاون في هذا الشأن مع رابطة أمم جنوب شرق آسيا (آسيان) واجتماع آسيا-أوروبا (اسيم). وقدمت "يوراتوم" من خلال أداة التعاون للسلامة النووية نحو 524 مليون يورو بين عامي 2007 و 2013 إلى بلدان خارج الاتحاد الأوروبي لتحسين

(18) الموقع الرسمي لقانون الاتحاد الأوروبي https://eur-lex.europa.eu/legal-content/EN/TXT/?uri=LEGISSUM%3Al33234

السلامة النووية، والحماية الإشعاعية، وضوابط السلامة الفعالة.[19] فضلا عما سبق، اعتمد مجلس الاتحاد الأوروبي في 13 ديسمبر ٢٠١٠ مبادئ توجيهية جديدة لعمل الاتحاد الأوروبي في مجال مكافحة انتشار أسلحة الدمار الشامل ووسائل إيصالها بهدف إبراز أهمية تدابير عدم الانتشار داخل الاتحاد الأوروبي عبر تحويل هذه المسألة الأمنية الأساسية إلى أولوية شاملة لعدة قطاعات بالنسبة لسياسات الدول الأعضاء في هذا المجال، فضلا عن تحديد أفضل الممارسات المتبعة وتعميم هذه الممارسات على الدول الأعضاء.. ويبقي هذا التعاون ربما أقل طموحا ومؤسسية، ولكنه مع ذلك يستند إلى التزامات سياسية رفيعة المستوى، وحتى لو كانت هذه الشراكات ليست كلها نفس القدر من الأهمية لمنع انتشار الأسلحة النووية بالنسبة للاتحاد الأوروبي ، إلا أنها تشكل أداة مفيدة في خدمة استراتيجية أكثر فعالية.

(19) هادي زعرور , توازن الرعب , مصدر سبق ذكرة , ص 44

اعتمد مجلس الاتحاد الأوروبي في 13 ديسمبر 2010 مبادئ توجيهية جديدة لعمل الاتحاد الأوروبي في مجال مكافحة انتشار أسلحة الدمار الشامل

المطلب الرابع: السياسة لمكافحة الانتشار النووي والبرنامج النووي الإيراني

شكل اعتماد (المبادئ الأساسية بشأن استخدام الإجراءات التقييدية) العقوبات في عام 2004 أول وثيقة محددة بشأن سياسة عقوبات الاتحاد الأوروبي. وتتمحور هذه المبادئ حول ثلاثة موضوعات عامة، وهي[20]:

- احترام القانون الدولي بما في ذلك ميثاق الأمم المتحدة.
- الوحدة العضوية لأراضي الاتحاد الأوروبي، وتشجيع السلام والتعاون الدولي.
- تعزيز قيم مثل الديمقراطية وحقوق الإنسان والحريات الأساسية.

وكانت هذه الموضوعات الثلاثة ترسخت أيضا في استراتيجية الأمن الأوروبية لعام 2003، كمبادئ توجيهية لسياسة الأمن والدفاع الأوروبية.

(20) Treaty on European union , official publication of the European communities , Brussels – Luxemburg , 1992 p 123

وتؤكد وثيقة "المبادئ الأساسية" أن الطرف الرئيسي المخول فرض العقوبات هو الأمم المتحدة، مشيرة لحق الاتحاد الأوروبي أيضا في استخدام تلك الآلية، مع تفضيل أن يجري ذلك في إطار تأييد دولي واسع.[21] وتشير الى أن فرض العقوبات الأوروبية، يجب أن يكون جزءا من سياسة أكثر شمولية تشمل حواراً سياسياً وحوافز وشروط، فالعقوبات تبقي خيار أخيرا. وتضمنت الوثيقة أمثلة للمجالات التي قد يستخدم فيها الاتحاد الأوروبي العقوبات ومنها: دعم جهود مكافحة الإرهاب، مكافحة انتشار أسلحة الدمار الشامل، وكذلك استخدامها كإجراء تقييدي لتعزيز احترام حقوق الإنسان والديمقراطية وحكم القانون والحكم الرشيد. ومن الملفت للنظر أن هذه هي المجالات التي تمثل أيضا التهديدات الرئيسية للدول الأعضاء في الاستراتيجية الأمنية

(21)EU strategy against proliferation of weapons of mass destruction , OPCIT ,

وتؤكد وثيقة "المبادئ الأساسية" أن الطرف الرئيسي المخول فرض العقوبات هو الأمم المتحدة

الأوروبية، فضلا عن النزاعات الإقليمية والأعمال الإجرامية. إضافة إلى ذلك، لم تهتم الوثيقة فقط بأهداف العقوبات بل أيضا فصلت معلومات أكثر احكاماً عن نوع العقوبات التي يمكن أن يستخدمها الاتحاد الأوروبي، موضحة أنها يجب أنْ تكون عقوبات موجهة (أي تستهدف قطاع بعينه) بدلا من العقوبات الاقتصادية الشاملة، وقدمت ثلاثة أمثلة في هذا الصدد وهي حظر الأسلحة وحظر تأشيرات الدخول أو السفر وتجميد الأرصدة. وجاءت جهود الاتحاد الأوروبي بشأن مسائل عدم الانتشار متوازية مع تصاعد دور مجلس الأمن الدولي في هذا المجال، إذ أضحت قضية عدم الانتشار ظاهرة دولية واسعة النطاق، ففي عام 2006، فرضت الأمم المتحدة عقوبات على كل من كوريا الشمالية وإيران للمرة الأولى. وباتت لقضية عدم الانتشار مكانة ثابتة في جدول أعمال مجلس الأمن، فخلال 3 سنوات وتحديدا الفترة من 2006 إلي 2009 كانت نظم الجزاءات الجديدة الوحيدة التي وافق عليها المجلس تلك التي تهدف إلى تحقيق أهداف عدم الانتشار أو مكافحة الإرهاب. بشكل عام، هناك تحديين رئيسيين يواجهان نظام عدم الانتشار النووي، أولهما أنه يمكن لأي دولة تطوير قدرات نووية رغم كونها جزءاً من معاهدة حظر الانتشار النووي، ويكون بإمكانها حينها إما أن تنسحب من المعاهدة أو تبقي مع الحفاظ على قدرتها الكامنة لوضع اللمسات الأخيرة علي نحو سريع لبرنامجها للأسلحة النووية كجزء من استراتيجية دعم قوتها أو كحماية ضد التهديدات المستقبلية، وهو المسار الذي تعتقد الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي أن كلا من كوريا الشمالية وإيران قد اتبعته. أما عن التحدي الثاني، فيتمثل في الفاعلين من دون الدولة، مثل الجماعات الإرهابية، التي يمكن أن تسعى للحصول على المواد النووية، وهو تحدي خطير للغاية نظرا لكون الجماعات الإرهابية أكثر ميلا لاستخدام هذه الأسلحة عن الدول.[22] وبعبارة آخرى، لا يزال الاتحاد الأوروبي بعيدا عن كونه ممثلاً وحدوياً في مجال عدم الانتشار النووي، فرغم اطلاقه لاستراتيجيته لمكافحة انتشار أسلحة الدمار الشامل 2003، إلا أنه لم يزل بحاجة أولا إلى تحقيق إجماع داخلي بين الدول الأعضاء بشأن أي حالة من حالات الانتشار النووي، قبل أن يتخذ زمام المبادرة فيها، لذا تركز معظم الأنشطة بشكل كبير على عدم الانتشار، بدلا من نزع السلاح. ورجح بعض من الباحثين تجاهل مسألة نزع السلاح النووي داخل الاتحاد الأوروبي لتجنب المواجهات مع بريطانيا وفرنسا بوصفهما الدولتان الوحيدتان اللتان تملكان أسلحة نووية بين الدول الأعضاء في المنظمة، وأيضا للسماح بتمرير

لم تهتم الوثيقة فقط بأهداف العقوبات بل أيضا فصلت معلومات أكثر احكاماً عن نوع العقوبات التي يمكن أن يستخدمها الاتحاد الأوروبي

لا يزال الاتحاد الأوروبي بعيدا عن كونه ممثلاً وحدوياً في مجال عدم الانتشار النووي، فرغم اطلاقه لاستراتيجيته لمكافحة انتشار أسلحة الدمار الشامل 2003

(22) سعد حقي توفيق , الاستراتيجية النووية بعد انتهاء الحرب الباردة , مصد سبق ذكره , ص 277

هادئ لأجندة الاتحاد والمضي قدما في جهوده للتصدي لتلك القضية الخطيرة. ومع استمرار تهميش مسألة نزع السلاح ، لا تزال سياسة الاتحاد الأوروبي لعدم الانتشار "انتقائية"، وهذا يؤكد عدم العدالة في تنفيذ ما كان من المفترض أن يكون صفقة عادلة وينال من مصداقية تلك السياسة. وعلاوة على ذلك، أدى التوسع الكبير للاتحاد الأوروبي في السنوات الـ 10 الماضية الى أن أصبح بين صفوفه عدد كبير من أعضاء حلف شمال الأطلسي (الناتو) المضيفين لأسلحته النووية.

وان ابرز القضايا الدولية التي عبرت عن دور الاتحاد الأوروبي في منع انتشار أسلحة الدمار الشامل هو البرنامج النووي الإيراني الذي يعد التطبيق الفعلي لدور الاتحاد الأوروبي

ففي عام 2003 كان الاتحاد الأوروبـي يضم 11 عضوا في حلف الناتو و دولتان تملكان أسلحة نووية و4 مضيفة لأسلحة النووية للحلف، أما في عام 2014 أصبح لدى الاتحاد 22 دولة أعضاء في الناتو، وبالتالي هم تحت مظلته النووية، ما يدفع لاستبعاد تحقق دفعة لأي جهد وتنسيق مشترك لنزع السلاح داخـل الاتحاد الأوروبـي من غير المرجح.

من ناحية أخرى، تأثر دور الاتحاد الأوروبـي في قضايا الحد من التسلح بالتقسيم المستقبلي للعمل في هذا المجال مع حلف "الناتو"، وذلك في ضوء العلاقة التنافسية بين المنظمتين بشأن القضايا الخارجية والدفاع. ونظرا لاهتمام البعض داخل حلف الناتو بمنحه دورا أقوى في قضايا منع ومكافحة الانتشار النووي، فقد فرضت تلك الرغبة علي الاتحاد الأوروبي حتمية اعادة تأكيد دوره في تلك القضية. ولاشك أن انضمام فرنسا إلى البنية العسكرية المتكاملة لحلف الناتو عام 2009 ، أعطي دفعة جديدة لإعادة تنظيم تلك العلاقة بين المنظمتين. ويتضح مما سبق، أنه لم يتم توجيه جهود الاتحاد الأوروبي لعدم الانتشار عبر استراتيجية طويلة المدى، ولكن وضع الاتحاد لنفسه أهدافاً متوسطة المدى تمثل "طريقا وسطاً " ما بين الحفاظ على الوضع النووي الراهن ومقترحات بعيدة المدى لدول راغبة في نزع السلاح.

وان ابرز القضايا الدولية التي عبرت عن دور الاتحاد الأوروبي في منع انتشار أسلحة الدمار الشامل هو البرنامج النووي الإيراني الذي يعد التطبيق الفعلي لدور الاتحاد الأوروبي كفاعل دولي مؤثر حيث بحسب وجهة النظر الأوروبية، الاتفاق النووي ذو أهمية فائقة باعتباره يرمي إلى وضع حلول لإحدى أخطر وأطول أزمات الانتشار النووي في الشرق الأوسط، والحيلولة دون تسابُق دول إقليمية على التسلُّح النووي ففي حال تطبيق القيود الفيزيائية وأحكام التطبيق المنصوص عليها في الاتفاق، تهدف الدول الأوروبية إلى ترحيل احتمالية تطوير قنبلة نووية إيرانية لفترة من الزمن، من خلال إعاقة إنتاجها لمواد قابلة للانشطار في مرافقها النووية المعلن عنها وللاتحاد الأوروبي مصالح بيِّنة يمكن سردها في أربعة سياقات أساسية تشمل:[23]

أوّلًا: ضمان الاستقرار في منطقة الخليج العربي، التي تُعَدّ ذات أهمِّية قصوى لإمدادات الطاقة العالمية وتأرجُح أسعارها.

(23) سليمان حسين الوادعي , الأطراف الأوروبية والاتفاق النووي مع ايران , مصدر سبق ذكرة , ص 8

ثانيًا : وضع حل نهائي للصراعات الإقليمية بُغية تأمين الحماية لأوروبا ضدّ معضلات الهجرة إلى البلدان الأوروبية، على غِرار ما حدث نتيجة الأزمة السورية، فضلاً عن موجات الإرهاب التي طالت عددًا من مدن القارة

ثالثًا : تنويع مصادر الطاقة لدول الاتحاد الأوروبي، وتخفيض اعتمادها الكبير على روسيا.

رابعًا : تعزيز صادراتها خصوصًا البضائع لصناعية بتوسيع نطاق الشراكة الاقتصادية مع إيران، كونها تمثِّل فرصة ذهبية أمام الشركات الأوروبية، في ظلّ اقتناص الشركات الأمريكية لمعظم الفرص الاستثمارية في منطقة الشرق الأوسط.

شكل رقم (1)

التبادل التجاري بين الاتحاد الأوروبي وايران

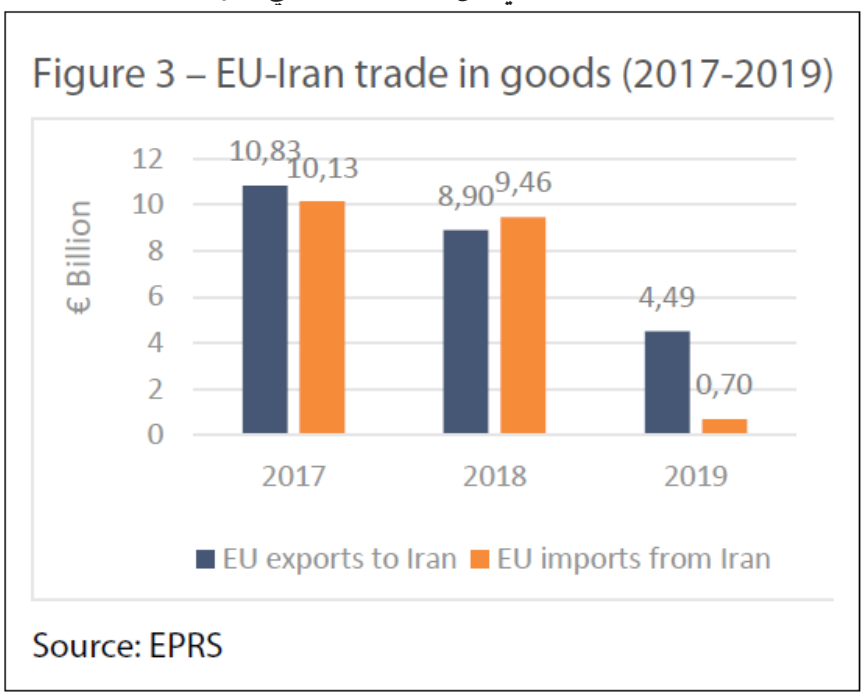

EU-Iran: The way forward

Can the JCPOA survive the Trump presidency? , European parlia-
, ment

European Parliamentary Research Service, 2020 ,p6

الشكل السابق يوضح مستوى التبادل التجاري بين الاتحاد الأوروبي وايران وهو أمر يدل على مدى أهمية استقرار العلاقات ورفع العقوبات للطرفين

وما يسترعي الانتباه أنّ البرنامج النووي الإيراني، والذي يشكِّل خطرًا نوعيًّا على الأراضي الأوروبية لم يُضمَّن في الاتفاق النووي، والعلّة تكمُن في اعتبارات أوروبية وأخرى متعلِّقة بسياسة إدارة الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما والتي

ارتأت في عملية التكامل ما بين الاقتصاد الإيراني ونظيره الغربي والعالمي أنْيكون عاملاً مؤثِّرًا لخلق سياسيات وسلوكاً أكثر اعتادلاً ً للحكومة الإيرانية ما يفضي إلى تداخُل المصالح الغربية والإيرانية وتوافقها وباستقصاء تاريخي للرغبة الأوروبية في الانفتاح تجاه إيران سياسيًّا واقتصاديًّا، نجد أنّ واحِدًا من أبرز دوافع الاتحاد الأوروبي يتجلَّى في جُنوحه للعب دور محوري على مسرح العلاقات الدولية، ومزاحمة الهيمنة ألأمريكية المتصاعدة من بعد الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفيتي؛ ما يؤكِّد إصرار الاتحاد على عدم ترك الولايات المتحدة تنفرد في معالجة مشكلات المنطقة والاستئثار بمعظم فرصها الاستثمارية على النطاق الاقتصادي، شركات خدمات مالية أوروبية عديدة رحَّبت بالاتفاق النووي، معتبرةً إيّاه أهمّ ثروة اقتصادية مربحة للقارة الأوروبية منذ انهيار الاتحاد السوفيتي. الوزير الألماني للشؤون الاقتصادية والطاقة آنذاك، زيغمار غابرييل، حطّ الرحال في 14 يوليو 2015 م بعد الإعلان عن الاتفاق مباشرة، في إيران مصطحبًا [24]

من أبرز دوافع الاتحاد الأوروبي يتجلَّى في جُنوحه للعب دورٍ محوري على مسرح العلاقات الدولية

معه وفدا كبيرًا من رجال الأعمال ومنسوبي القطاعات التجارية، بُغية عقد الصفقات والتوقيع على عقود الاستثمار مع الطرف الإيراني. ووزير الخارجية الفرنسي لورنت فابيوس، بعد أسبوعين من توقيع الاتفاق، زار طهران للغرض ذاته، كما أرسلت إيطاليا وفدًا مكوَّنًا من

300 رجل أعمال إلى طهران في بداية شهر اب 2015 في ظاهر الأمر استئنافُ الصلات السياسية والاقتصادية مع إيران، تمّ تسويغه ضمن سياق السياسات العامّة في ألمانيا خاصّةً، وبالقارة الأوروبية على وجه العموم، كجزءٍ من سياسة التغيير عبر التبادل التجاري والعلاقات الودِّية (CTTR) وهو ما منح هذا الاستئناف مناعةً ضدّ أيّ تقييم موضوعي [25]

في يوليو 2015 ، وقعت إيران ومجموعة الدول الأوروبية الثلاث / الاتحاد الأوروبي + 3 (فرنسا وألمانيا والمملكة المتحدة (المملكة المتحدة) والاتحاد الأوروبي فضلاً عن الصين وروسيا والولايات المتحدة الأمريكية) على خطة العمل الشاملة المشتركة ، وهي اتفاقية تاريخية لضمان الطبيعة السلمية لبرنامج إيران النووي. مقابل إنهاء الإجراءات التقييدية ضد إيران. بعد شهادة من الوكالة الدولية للطاقة الذرية بأن إيران امتثلت لالتزاماتها بتفكيك الأسلحة النووية ، بدأ تنفيذ خطة العمل الشاملة المشتركة في 16 يناير 2016. في ذلك اليوم ، المعروف بيوم التنفيذ ، جميع عقوبات الأمم المتحدة والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي المتعلقة بالطاقة النووية عن إيران. ومع ذلك ، فإن الرئيس ترامب ، الذي تولى منصبه في كانون الثاني (يناير) 2017 ، وصف باستمرار خطة العمل الشاملة المشتركة بأنها «صفقة مروعة». في 8 مايو 2018 ، أعلن الرئيس ترامب أن الولايات المتحدة ستنسحب من الاتفاق النووي مع إيران وستعيد (فرض) العقوبات. تمنع

(24) Fiedler Radoslaw , Iran and the European union after the nuclear deal , working papers , Alexandru loan cuza University, Poland , 2018 , p 294

(25) محمد مطاوع , السياسات الامريكية – الأوروبية تجاه الاتفاق النووي الإيراني الادراكات والتفسيرات , مجلة دراسات , المجلد الحادي والعشرون , العدد الرابع , القاهرة /مصر , 2020 , ص ص 150 - 153

العقوبات الأمريكية الشركات الأمريكية من ممارسة الأعمال التجارية في إيران ، وتمنع الشركات الأجنبية التي تتعامل مع إيران من الوصول إلى النظام المصرفي والمالي الأمريكي بالكامل[26].

(26) نفس المصدر السابق

شكل رقم (2)

الخطة الاستراتيجية للتعامل مع البرنامج النووي الايراني

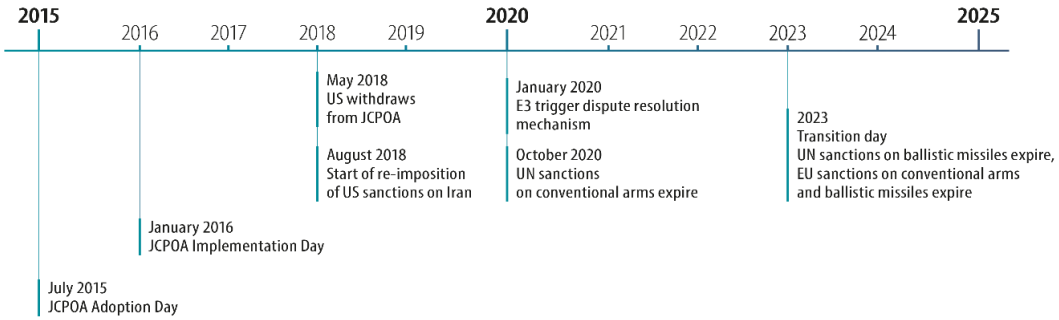

EU-Iran: The way forward

Can the JCPOA survive the Trump presidency? , European parlia- , ment

European Parliamentary Research Service, 2020 , p 4

يوضح المخطط خطة العمل الشاملة المشتركة التي وضعها الاتحاد الأوروبي للعمل على وصول لحل بخصوص البرنامج النووي الإيراني حيث في يوليو 2015 ، وقعت إيران ومجموعة E3 / EU + 3 (فرنسا وألمانيا والمملكة المتحدة (المملكة المتحدة) والاتحاد الأوروبـي فضلاً عن الصين وروسيا والولايات المتحدة الأمريكية) على خطة العمل الشاملة المشتركة ، وهي اتفاقية تاريخية لضمان الطبيعة السلمية لبرنامج إيران النووي. مقابل إنهاء الإجراءات التقييدية ضد إيران. بعد شهادة من الوكالة الدولية للطاقة الذرية بأن إيران امتثلت لالتزاماتها بتفكيك الأسلحة النووية ، بدأ تنفيذ خطة العمل الشاملة المشتركة في 16 يناير 2016. في ذلك اليوم ، المعروف بيوم التنفيذ ، جميع عقوبات الأمم المتحدة والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي المتعلقة بالطاقة النووية عن إيران. ومع ذلك ، فإن الرئيس ترامب ، الذي تولى منصبه في كانون الثاني (يناير) 2017 ، وصف باستمرار خطة العمل الشاملة المشتركة بأنها «صفقة مروعة». في 8 مايو 2018 ، أعلن الرئيس ترامب أن الولايات المتحدة ستنسحب .

من الاتفاق النووي مع إيران وستعيد (فرض) العقوبات. تمنع العقوبات الأمريكية الشركات الأمريكية من ممارسة الأعمال التجارية في إيران ، وتمنع الشركات الأجنبية التي تتعامل مع إيران من الوصول إلى النظام المصرفي والمالي الأمريكي

بالكامل.[27]

الخاتمة:

ومن خلال ماتقدم يتبين لنا أنَّ انتشار أسلحة الدمار الشامل تمثل تحدياً بالنسبة للقوى الدولية الفاعلة والتي هي حائزة على السلاح النووي وحاولت قدر المستطاع بذل جهود حثيثه للحد من هذا الانتشار لكنها لم تكن بالمستوى المطلوب الذي من الممكن أنْ يحد من هذا الانتشار أما ازمة ملف ايران النووي والذي يمكن أن يؤدي الى حرب فايران تصر على سلمية برنامجها النووي لكن المعلومات الاستخباراتية تشير الى أن ايران قادرة على صنع قنبلة نووية وان ايران تحاول شراء الوقت مع العلم انّ الأمور قد تبدو انها اتجهت نحو الهدوء غير أن اندلاعها وتفجرها لايزالان قائمين والخدع السياسية ليست جديدة او حديثة العهد كما يبدو ان الجميع يستعد وهذه الازمة تبقى هادئة عسكريا على الأقل ولكنها احدى الازمات العالمية التي تهدد باشعال حرب إقليمية او حربا عالميا اذما تفاقمت الظروف لايزال يتعين على الأوروبيين وإدارة

أنَّ انتشار أسلحة الدمار الشامل تمثل تحدياً بالنسبة للقوى الدولية الفاعلة والتي هي حائزة على السلاح النووي وحاولت قدر المستطاع بذل جهود حثيثه للحد من هذا الانتشار

بايدن المساومة حول كيفية التوصل إلى صفقة أخرى مع إيران تتضمن المصالح الاستراتيجية للاتحاد الأوروبي فيما يتعلق بإيران ثلاثة أهداف مترابطة:

أولاً: دعم النظام الدولي لعدم الانتشار ومنع إيران، أو أي دولة أخرى في هذا الشأن، من تطوير سلاح نووي.

ثانياً: لتجنب حرب شاملة بين الدول تشمل إيران والمخاطرة بمزيد من عدم الاستقرار الإقليمي.

ثالثاً: إظهار قدرة الاتحاد الأوروبي على العمل على الساحة الدولية؛ حيث حقق الاتحاد الأوروبي جميع هذه الأهداف الثلاثة من خلال خطة العمل الشاملة المشتركة لعام 2015، وتشبث صانعو السياسة الأوروبيون بالاتفاق منذ ذلك الحين.

(27) Can the JCPOA survive the Trump presidency? , European parliament, European Parliamentary Research Service, 2020 ,p4 EU-Iran: The way forward

قائمة المصادر:-

1-اللجنة الدولية للصليب الأحمر , 24 / 4 / 2018
https://www.icrc.org/ar/document/2017-treaty-prohibition-nuclear-weapons
2- الوكالة الدولية للطاقة الذرية
https://www.iaea.org/ar/almawadie/mueahadat-edm-alaintishar
3- الموقع الرسمي لقانون الاتحاد الأوروبي
https://eur-lex.europa.eu/legal-content/EN/TXT/?uri=LEGISSUM%3Al33234
4- بول ويلكينسن , العلاقات الدولية /مقدمة قصيرة جدا , كلمات عربية للترجمة والنشر , ترجمة لبنى عماد تركي , مصر , 2013
5- جامعة منيسوتا , مكتبة حقوق الانسان , معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية 2021/6/13
http://hrlibrary.umn.edu/arabic/TNPNW.html

6-ديفد فيشر , الضمانات النووية الخطوة الأولى , مجلة الوكالة الدولية للطاقة الذرية 49/1 , أيلول 2007

7- سعد حقي توفيق , الاستراتيجية النووية بعد انتهاء الحرب الباردة , دار زهران للنشر والتوزيع , عمان – الأردن , 2008

8- سعد حقي توفيق , مبادئ العلاقات الدولية , الطبعة الرابعة , المكتبة القانونية للنشر والتوزيع , بغداد , العراق , 2009

9- سليمان حسين الوادعي , الأطراف الأوروبية والاتفاق والاتفاق النووي مع ايران : تراجع الأهمية واحتمالات المستقبل , المعهد الدولي للدراسات , الرياض , 2020 ,

10- صادق النابلسي , زياد ناصر الدين , الاقتصاد المقاوم ايران من صناعة الاباريق الى تقنية النانو , شركة المطبوعات للتوزيع والنشر , بيروت / لبنان , 2020

11- محمد مطاوع , السياسات الامريكية – الأوروبية تجاه الاتفاق النووي الإيراني الادراكات والتفسيرات , مجلة دراسات , المجلد الحادي والعشرون , العدد الرابع , القاهرة /مصر ,

12- مارك فينو , الوحدة الدولية التابعة لهية الإذاعة والتلفزيون السويسرية 2021/6/12

13- معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية , سلسة وقائع التابعة للأمم المتحدة , نيويورك , 1985 , المادة الثالثة

14- هادي زعرور , توازن الرعب , القوى العسكرية العالمية , أمريكا , روسيا , ايران , الكيان الصهيوني , حزب الله , كوريا الشمالية , شركة المطبوعات للتوزيع والنشر الطبعة الثانية , 2017

15-Fiedler Radoslaw , Iran and the European union after the nuclear deal , working papers , Alexandru loan cuza University, Poland , 2018

16- Can the JCPOA survive the Trump presidency? , European parliament , European Parliamentary Research Service, 2020 ,p4 EU-Iran: The way forward

17- EU strategy against proliferation of weapons of mass destruction ,the council ,the European union office , Brussels ,December 2003

18-Treaty on European union , official publication of the European communities , Brussels – Luxemburg , 1992

19- https//www.wikipidea.org/nuclear weapon

الحرب السيبرانية: دراسة في استراتيجية الهجمات السيبرانية بين الولايات المتحدة الامريكية وإيران

***أ.م.د. كرار عباس متعب فرج**
باحـث من العــراق

* جامعة كربلاء - كلية الإدارة والاقتصاد
karrarabbaskk@gmail.com

ملخص :

تعد الحرب السيبرانية احدى أدوات الجيل الخامس للحروب، إذ أخذت حيّزاً واسعاً ومؤثراً في الوقت الحاضر؛ بسبب كلفتها القليلة للجهة المهاجمة بخلاف الجهة المستهدفة التي تكون منشآتها ومواقعها الحيوية وبناها التحتية في مرمى التدمير والإنهاك والإبطاء، وهذا ما ترجم فعلياً بين طرفي الصراع بين الولايات المتحدة الامريكية وإيران (محلّ الدراسة) بعد عام 2006 وحتى وقتنا الحاضر، إذ كانت الهجمات السيبرانية بين الطرفين في الفضاء السيبراني الصفة الغالبة بينهما مستخدمين من البرامجيات والفايروسات المدمرة أسلحة استراتيجية سيبرانية ناتجة عن توجهاتهم الاستراتيجية عبر الإدارات الامريكية المتعاقبة من جهة، وعبر الرؤساء الإيرانيّون المتعاقبون من جهة أخرى، إذ أنشأت مؤسّسات مختصة بذلك، إذ تسعى الولايات المتحدة الأمريكية من جراء تلك الهجمات إلى تدمير المواقع الحيوية والبنى التحتية لإيران خاصة في مجالها النووي، مع هجمات سيبرانية إيرانية ضد المواقع الحيوية للولايات المتحدة الأمريكية في رسالة لها أن إيران لها القدرة الفاعلة في هذا المجال، مع طرح تلك الهجمات السيبرانية بين الطرفين وفق توقيتات وأحداث زمنية ووفق مسار بياني التي قد تمهد مستقبلاً لمرحلة تصعيد لحرب شاملة إلّا إذا تم التحكم الاستراتيجي بها، وفضلاً عن ما تقدّم وللضرورة العلمية تم طرح الحرب السيبرانية من حيث نشأتها ومفهومها مع المفاهيم المقاربة لها استكمالاً لموضع البحث.

كلمات مفتاحية : الحرب السيبرانية، الهجمات السيبرانية، الاستراتيجية السيبرانية، الولايات المتحدة الأمريكية، إيران .

Cyber war: a study in the strategy of cyber attacks between the United States of America and Iran

Assist Prof. Dr. Karrar Abbas Miteb Farag
researcher from Iraq
Karbala University/ College of Administration and Economics

ABSTRACT

The cyber war is one of the tools of the fifth generation wars, as it has taken a wide and influential space at the present time, as it not cost the attacker side a big fund unlike the targeted party, whose facilities, vital sites and infrastructure are in the crosshairs of destruction, exhaustion and slowness, and this is actually translated between the two sides of the conflict between the united states of America and Iran (the focus of the study is on the period after 2006 until the present time, as cyber attacks between the two parties in the cyberspace were the dominate feature between them using destructive software and viruses as cyber strategic weapons resulting from their strategic orientations through successive US administrations on the one hand and through successive Iranian presidents on the other hand, specialized institutions were established on the foregoing basis. The United States of America seeks, as a result of these attacks, to destroy the vital sites and infrastructure of Iran, especially in its nuclear field, with Iranian cyber attacks against the vital sites of the United States of America in a message to it that Iran has effective ability in this field, with the introduction of these cyber attacks NS between the two parties according to timings and temporal events and according to a graphic path that may pave the future for the comprehensive war unless it is strategically controlled, and in addition to the foregoing and for the scientific necessity, the cyber war was presented in terms of its origin and concept with comparative approaches to complete the topic of the research.

KEY WORDS: cyber warfare, cyber attacks, cyber strategy, the United States of America, Iran.

المقدمة

تنبع اهمية الموضوع من الحرب السيبرانية نفسها باعتبارها احدى أدوات الجيل الخامس للحروب التي مجال صراعها هو الفضاء السيبراني وأسلحتها هي البرامجيات والفايروسات ذات الصفة التدميرية الموجّهة ضدّ المواقع الحيوية والبنى التحتية للدول المستهدفة مع أقل كلفة للدول المهاجمة وهذا ما ترجم بين الطرفين الولايات المتحدة الأمريكية وإيران (محط الدراسة) الذي اصبح صراع الهجمات السيبرانية بينها هو السائد بدءاً من عام 2006 وحتى وقتنا الحاضر، من خلال تلك الهجمات الاستراتيجية السيبرانية لكل طرف والرد عليه بالمثل او بهجوم استباقي، وهذا ما دفعنا للبحث العلمي في هذا الموضوع لمعرفة مسار تلك الهجمات الاستراتيجية السيبرانية لكل طرف لأهميّة ذلك لأنّه قد يمهّد في المستقبل للمواجهة الشاملة بين الطرفين إلاّ إذا بقيت تحت التحكم الاستراتيجي لكل طرف.

- مشكلة البحث

تنبع مشكلة البحث من الآتي:

تطرح بين الحين والآخر جملة من الاتهامات المتبادلة بين طرفي الصراع، الولايات المتحدة الامريكية وإيران حول الاستهداف السيبراني ضد المواقع الحيوية والبنى التحتية لكل طرف مما يسبب دمار وإنهاك وإبطاء في تلك المؤسسات الحيوية، فارتأينا أن نبحث في ذلك الصراع وتلك الاتهامات لمعرفة وطرح حقيقة تلك الهجمات ووضعها في مسار واضح ووفق جداول ومخطط بياني لتلك الهجمات السيبرانية، وعليه ستكون الصفحات اللاحقة من البحث هي الإجابة على تلك التساؤلات التي ستطرح في ادناه لتصل بنا لمعرفة ذلك المسار الاستراتيجي لتلك الهجمات السيبرانية بين الطرفين، وهي كالآتي:

تعد الحرب السيبرانية أداة من أدوات الجيل الخامس للحروب التي تستهدف المواقع الحيوية والبنى التحتية للطرف المستهدف

1- ما هي الحرب السيبرانية من حيث نشأتها ومفهومها والمفاهيم المقاربة لها؟
2- ما هي وسائل وأهداف الحرب السيبرانية؟
3- ما هي التوجّهات الاستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية عبر ادارتها المتعاقبة في طرح استراتيجيتها السيبرانية الخارجية ؟ وما هي الهجمات السيبرانية للولايات المتحدة الامريكية التي استهدفت فيها ايران منذ انطلاقها حيالها في عام 2006 وحتى وقتنا الحاضر؟
4- ما هي التوجهات الاستراتيجية لإيران في طرح استراتيجيتها السيبرانية الخارجية، وما هي الهجمات السيبرانية الإيرانية التي استهدفت فيها الولايات المتحدة الامريكية منذ عام 2009 وحتى وقتنا الحاضر؟

- فرضية البحث

تنطلق فرضية البحث من الآتي:

تعد الحرب السيبرانية أداة من أدوات الجيل الخامس للحروب التي تستهدف المواقع الحيوية والبنى التحتية للطرف المستهدف من الجهة القائمة بتلك

الهجمات السيبرانية بواسطة أسلحتها من البرامجيات والفايروسات التدميرية وهذا ما نجده بين طرفي الصراع الولايات المتحدة الامريكية وإيران (محط الدراسة) من خلال طرح استراتيجية الهجمات السيبرانية ضمن التوجهات الاستراتيجية لكل طرف عبر الإدارات المتعاقبة داخل الولايات المتحدة الامريكية وكذلك في ايران، خاصة منذ انطلاقها منذ عام 2006 وحتى وقتنا الحاضر، وأخذت تلك الهجمات السيبرانية بين الطرفين عبر مسار استراتيجي سيبراني ووفق توقيتات واحداث زمنية ضد مواقع حيوية لطرفي الصراع حتى وقتنا الحاضر التي بدورها قد تمهد مستقبلا لحرب شاملة بين الطرفين الا اذا بقيت تحت التحكم الاستراتيجي لكل طرف ، وصفحات البحث اللاحقة هي الكفيلة بإثبات صحة فرضية البحث.

- منهج البحث

من أجل ان تكون دراستنا ضمن المنهج العلمي البحثي الصحيح وجب علينا ان نستخدم عدد من المناهج العلمية فكان المنهج التاريخي والمنهج الوصفي ومنهج التحليل النظمي مناهج الدراسة.

- هيكلية البحث

تضمّن البحث فضلاً عن المقدمة والخاتمة مبحثين: الأوّل: تناول الحرب السيبرانية بمطلبين: المطلب الأول: الحرب السيبرانية (النشأة والمفهوم، المفاهيم المقاربة لها), اما المطلب الثاني: تناول الحرب السيبرانية (الوسائل والأهداف) اما المبحث الثاني: تناول الحرب السيبرانية (الولايات المتحدة الامريكية وإيران) بمطلبين: المطلب الأول: استراتيجية الهجمات السيبرانية للولايات المتحدة الأمريكية حيال إيران, اما المطلب الثاني: استراتيجية الهجمات السيبرانية الإيرانية حيال الولايات المتحدة الأمريكية.

المبحث الأوّل: الحرب السيبرانية

اشتُقّت السيبرانية من الكلمة اللاتينية (cyber) ويقصد بها "افتراضي" أو "تخيُّلي" وتستخدم ضمن مجال الفضاء الذي يضم الشبكات العنكبوتية المحوسبة

تُعدّ الحرب السيبرانية أحدى أدوات الجيل الخامس من الحروب التي ساحة صراعها هو الفضاء السيبراني التي انطلقت خلال الحرب الباردة التي تستخدم فيها الأسلحة السيبرانية من براميجيات وفايروسات تأخذ طابع تدميري ضد الجهة المستهدفة بأقلّ كلفة للجهة المهاجمة التي تقوم بها دول بعينها او فاعلين من غير الدول، وعليه سنطرح في هذا المبحث بمطلبين:

المطلب الأوّل: الحرب السيبرانية (النشأة والمفهوم – المفاهيم المقاربة لها).

المطلب الثاني: الحرب السيبرانية (الوسائل والأهداف).

المطلب الأوّل: الحرب السيبرانية (النشأة والمفهوم – المفاهيم المقاربة لها)

اشتُقّت السيبرانية من الكلمة اللاتينية (cyber) ويقصد بها «افتراضي» أو «تخيُّلي» وتستخدم ضمن مجال الفضاء الذي يضم الشبكات العنكبوتية المحوسبة،

ومنظومات الاتصال والمعلومات وأنظمة التحكم عن بعد وكل ما يتعلق بأنظمة الحواسيب وتكنلوجيا المعلومات والواقع الافتراضي, **والسيبرانية هي:** علم التحكم الأوتوماتيكي والقيادة والتوجيه عن بعد.[1]

وجاء معنى كلمة سايبر (cyber) في قاموس المورد بـ (الكمبيوتري) أو (عصري جدّاً)، وعند البحث عن مصطلح السايبر في القواميس نجد غالبية القواميس الإنجليزية بصورة عامّة والعربية بصورة خاصة تفتقر لهذا المصطلح لحداثته، وان قاموس مايكروسوفت للحاسوب قد تناول هذا المصطلح وبأنه مشتق البادئة (cy-ber) وهو علم التحكم الآلي.[2]

(1) أميرة عبد العظيم محمد، المخاطر السيبرانية وسبل مواجهتها في القانون الدولي العام، مجلة الشريعة والقانون، العدد 35، الجزء3، كلية القانون، جامعة الامـارات العربية المتحدة، 2020، ص378 .

(2)حيـدر ناظم عبد علي، رباب محمود عامر، التنظيم القانوني للهجمات السيبرانية على المنشآت ذات القوى الخطرة، مجلة الكوفة، العـدد47، جامعة الكوفة، 2019، ص109.

إذ تعود بداية نشأة الحروب السيبرانية الى مرحلة الحرب الباردة فإن أوّل حرب سيبرانية وقعت كانت بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي في عام 1982، إذ قام جهاز المخابرات السوفييتي (سابقاً) (KGB) بعملية تسمى (Line x) صممت لتساعد الاتحاد السوفياتي على سرقة تكنلوجيا المعلومات لكل أنشطة الغرب، إذ قامت المخابرات السوفييتية بتدريب جيش من العلماء على التسلل الى الشركات والوكالات لسرقة المعلومات مع تسرب المعلومات إلى وكالة المخابرات الامريكية (CIA) والتي قامت بدلاً من القاء القبض عليهم تركتهم يواصلون العمل ولكن مع امدادهم بمعلومات مغلوطة، وإذ حصل الجواسيس السوفييت على وثائق تتضمّن مخططات ولكن تتضمن خطأ بسيطاً في الشفرة مع استمرار السوفييت باستخدام المعلومات المغلوطة لبناء العمود الفقري لخطوط نقل الغاز الطبيعي والنفط القادم من سيبيريا، وبعد فترة قصيرة تسبب الخطأ المتعمّد في الشفرة في حدوث انفجار لخط الأنابيب وكان هذا الانفجار يعادل ثلث حجم انفجار القنبلة النووية في هيروشيما.[3]

الحرب السيبرانية كإطار عام للمفهوم فإنها تُشَنّ ضد كيانات محددة بهدف تعطيلها والحفاظ على مجال المعلومات من أي اعتداء سيبراني

أمّا الحرب السيبرانية كإطار عام للمفهوم فإنها تُشَنّ ضد كيانات محددة بهدف تعطيلها والحفاظ على مجال المعلومات من أي اعتداء سيبراني من طرف الخصم باستخدام الوسائل التكنلوجية والمعلوماتية المتطورة.[4]

(3)الـحـروب السـيبـرانيـة – نتائج ملموسة لمعارك غير مرئية، الجندي، بتاريخ 1/ابريل/2021، ص1، الشبكة الدولية للمعلومات:
https//www.aljundi.ae%d8%a7%84%d9

(4)Michael Robinson, Kevin jones, helge janicke, cyber war fare: issues and challenges, article in computer and security, Elsevier ,volume – 49 -, march, united kingdom, 2015, p – 24 -

وعرّفت وزارة الدفاع الامريكية الحرب السيبرانية بأنهّا: توظيف القدرات السيبرانية حيث يكون الهدف الأساسي هو تحقيق الأهـداف والآثـار العسكرية في الفضاء السيبراني أو من خلاله، وهي أيضاً نشاط مماثل أو غير متماثل دفاعي كان أم هجومي على الشبكة الرقمية من قبل فواعل دولية أو غير دولية الغرض منها هو إلحاق الضرر بالبنى التحتية الحيوية والأنظمة العسكرية.[5]

الحرب السيبرانية ميدانها الفضاء االسيبراني وهي غير محدودة المجال وتكون غامضة الأهداف لأنّها تتحرك عبر شبكة المعلومات والاتصالات

(5) زينب شنوف، الحرب السيبرانية في العصر الرقمي: حروب ما بعد كلاوزفيتش، المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، المجلد 9، العدد2، جويلية (يوليو)، الجزائر، 2020، ص91.

وإن الحرب السيبرانية ميدانها الفضاء االسيبراني وهي غير محدودة المجال وتكون غامضة الأهداف لأنّها تتحرك عبر شبكة المعلومات والاتصالات المتعدية للحدود الدولية فضلاً عن اعتمادها على أسلحة الكترونية ذكية ومتطورة تلائم طبيعة السباق

الإلكتروني لعصر المعلومات، أو يتم توجيهها ضد المنشآت الحيوية أو دسها عن طريق عملاء لأجهزة الاستخبارات.[6]

وعليه فإن الفاعل الرئيسي في الحرب السيبرانية هي الدول، إذ بدأت بعض الدول الاستعداد لهذا النوع من الحروب إنشاء جيوش سيبرانية داخل صفوف القوات المسلحة للدول عن طريق إبرام الاتفاقات السياسية والعسكرية، إذ توصّلت الولايات المتحدة الأمريكية والصين في عام 2015 لاتفاق خاص بالحروب السيبرانية بعدم شن أي هجمة سيبرانية، وأعلن الاتحاد الأوروبي في عام 2017 من أن شن أي هجمة سيبرانية من دولة عدائية على الاتحاد الأوروبي يعد (تصرف حرب) يجب التصدي له، رغم الهجمات السيبرانية بين الحين والآخر وإنكار كل طرف ذلك.[7]

واستكمالاً لمفهوم الحرب السيبرانية فيعرفها كل من (ريتشارد كلارك) و (روبرت كناكي) بأنّها: أعمال تقوم بها دولة تحاول من خلالها اختراق أجهزة الكمبيوتر والشبكات التابعة لدولة أخرى بهدف تحقيق أضرار بالغة أو تدميرها, ويعرّفها (بولو شاكريان) على أنّها: استمرار او امتداد للسياسة عن طريق الاجراءات المتخذة في الفضاء السيبراني من دول أو فاعلين غير دوليين، إذ تشكّل تهديداً خطيراً للأمن القومي.[8]

فالحروب السيبرانية تتميز بالسرعة والمرونة والمراوغة وفي بيئة مماثلة يتمتع بها المهاجم

وتتميّز الحرب السيبرانيّة بمجموعة من الخصائص وهي[9]:-

1- هي حرب رقمية ذات تقنية متطورة، وإن قمة التطور الذي بلغته ثورة المعلومات وبوابتها الحاسبة الإلكترونية التي شكلت بدورها الأداة المحورية لهذا النوع من الحروب والميدان الرئيسي لها.
2- حرب لا تناظرية: فلا تحتاج الدول الى تخصيص ميزانيات ضخمة لإنتاج أسلحتها أسوة بالأسلحة المستخدمة في النزاعات التقليدية ذات الكلفة العالية وانها ذات تكلفة متدنية نسبةً للأدوات اللازمة لشنّها.
3- تمتع المهاجم بأفضلية واضحة في حروب الانترنت على المدافع؛ فالحروب السيبرانية تتميز بالسرعة والمرونة والمراوغة وفي بيئة مماثلة يتمتع بها المهاجم بأفضلية من الصعب جدّاً على عقلية التحصّن لوحدها أن تنجح.
4- حرب هلامية الشكل والملمح: فهي متعددة بميادينها، متنوعة ومتطورة بوسائلها المرتبطة بأكثر المجالات التقنية تطوّراً وتبدلاً في الحياة المعاصرة للدول وهي تطال بتدميرها أكثر المواقع السيادية والحساسة تحصيناً وبعداً عن دائرة القتال.
5- إن الحرب السيبرانية تمتاز : بقوة تدميرية لا تصاحبها دماء وأشلاء، إذ يتضمّن التجسس ثم النسف لكن لا دخان ولا غبار فيتم التدمير بوابل من الفيروسات، كما ان انتشار الفضاء الالكتروني وسع دائرة استهداف المواقع بمستوياتها كافة.

(6)يحيى ياسين سعود، الحرب السيبرانية في ضوء القانون الدول الإنساني، المجلة القانونية (مجلة متخصصة في الدراسات والبحوث القانونية), العدد 4، جامعة القاهرة – كلية الحقوق – فرق الخرطوم، 2018، ص6.

(7) إيهاب خليفة، مجتمع ما بعد المعلومات: تأثير الثورة الصناعية الرابعة على الامن القومي، العربي للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2019، ص114.

(8) إسماعيل زروقـــة، الفضاء السيبراني والتحول في مفاهيم القوة والـصـراع، مجلة العلوم القانونية والسياسية، منشورات جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي، المجلد 10، العدد1، الجزائر، 2019، ص12.

(9) علي عبد الرحيم العبودي، هاجس الحروب السيبرانية وتداعياتها على الأمن والسلم الدوليين، مجلة قضايا سياسية، العدد 57، جامعة النهرين – كلية العلوم السياسية، 2019، ص 99 – 101.

وسنطرح **المفاهيم المقاربة** للحرب السيبرانية للضرورة العملية البحثية، وهي كالآتي:

1- الفضاء السيبراني (cyber space).

أصبح الفضاء السيبراني في الوقت الحاضر يمس جميع الأرواح وأصبح ضرورياً ويطلق عليه العالم الافتراضي لأنه غير موجود في الواقع المادي والناس في العالم الافتراضي يعيشون حياة افتراضية جنباً إلى جنب مع حياتهم الواقعية.[10]

ويعرف الفضاء السيبراني بأنّه عالم افتراضي يتشارك مع عالمنا المادي يتأثر به ويؤثر فيه بشكل معقد، إذ تقوم العلاقة بين العالمين على نظرة تكاملية ويوصف بأنه الذراع الرابع للجيوش الحديثة الى جوار القوات البرية والجوية والبحرية.[11]

ويعرف الفضاء السيبراني بأنّه عالم افتراضي يتشارك مع عالمنا المادي يتأثر به ويؤثر فيه بشكل معقد،

ويعرف أيضاً بأنّه المستودع الكبير الذي تجري فيه جميع عمليات التواصل الالكتروني عبر شبكات الحواسب، وهو منظومة من العناصر المتفاعلة فيما بينها والمتكونة من أجهزة الكمبيوتر، أنظمة الشبكات والبرمجيات، حوسبة المعلومات، نقل وتخزين البيانات.[12]

كما عرَّفته الوكالة الفرنسية لأمن أنظمة الإعلام (ANSSI) وهي وكالة حكومية مكلفة بالدفاع السيبراني الفرنسي بأنّه فضاء التواصل المشكل من خلال الربط البيني العالمي لمعدات المعالجة الآلية للمعطيات الرقمية، وأنه لا يقتصر على شبكة الانترنت فقط وإنّما شبكات عالمية وخاصة أخرى مثل (/Gps/ AcARs/ swift/ psth).[13]

1- الهجمات السيبرانية (cyber attacks).

أصبحت الهجمات السيبرانية أكثر فأكثر حقيقة يومية خاصة مع التطور التكنلوجي المتسارع والتي تسمح للمخترقين من الاختراق بسهولة سواء من الدول او من غيرها.[14]

الهجمات السيبرانية بأنهّا الجهود الرامية الى تغيير، تعطيل او تدمير أنظمة الحاسوب او الشبكات أو المعلومات او البرامج الموجودة عليها

وتعرف الهجمات السيبرانية وفق ما تبنته القيادة الاستراتيجية الامريكية عام 2007 بأنّه تطويع عمليات نظام الكمبيوتر بهدف منع الخصم من الاستخدام الفعال لها فضلاً عن التسلل الى أنظمة المعلومات وشبكات الاتصال بهدف جمع البيانات التي تحتويها وحيازتها وتحليلها، وعرَّفته شميت (Schmitt) المتخصص في القانون الدولي الإنساني بأنه الهجوم السيبراني هو أي تصرف الكتروني دفاعي كان أو هجومي يتوقع منه وعلى نحو معقول في التسبب بجرح او قتل شخص او الحاق اضرار مادية او دمار بالهدف المُهاجَم.[15]

ويعرف (Mattew C.Waxman) الهجمات السيبرانية بأنهّا الجهود الرامية الى تغيير، تعطيل او تدمير أنظمة الحاسوب او الشبكات أو المعلومات او البرامج الموجودة عليها، والأضرار التي تسببها هذه الهجمات يمكن انْ تصيب شبكة

(10) - tim Jordan, cyber power: the culture and politics of cyber space and the internet, routledge, London, 1999, p 12.

(11) نـــورة شـلـوش، القرصنة الالكترونية في الفضاء السيبراني «التهديد المتصاعد لأمن الدول» ، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، المجلد8، الـعـدد2، جامعة بابل، 2018، ص190.

(12) محمد وائل القيسي، مستقبل الامن الاستراتيجي العالمي في ظل التحديات التكنو – معلوماتية والفضاء السيبراني، مجلة دراسات إقليمية، مركز الدراسات الإقليمية، السنة14، العدد44، نيسان، جامعة الموصل، 2020، ص 153 – 154 .

(13) تغريد صفاء، لبنى خميس مهدي، أثر السيبرانية في تطور القوة، مجلة حمورابي للدراسات، مركز حمورابي للبحوث والـدراسـات الاستراتيجية، العدد 33 – 34، السنة 8، شتاء -ربيع، بغداد، 2020، ص149.

(14)Andreea bendovschi, cyber – attacks – trends, patterns and security counter measures, arti_cle in procedia economics and finance, Elsevier, volume 28, 2015, p 2 – 3.

(15) زهراء عماد مجيد كلنتر، احمد عبيس نعمة الـفـتـلاوي، تكييف الهجمات السيبرانية في ضوء القانون الدولي، مجلة الكوفة للعلوم القانونية والسياسية، المجلد 1، العدد 44، آذار، جامعة الكوفة – كلية القانون، 2020، ص 51 - 52.

الحاسوب او المرافق المادية او الأشخاص و تتراوح اضرار الهجمات السيبرانية من القرصنة الخبيثة وتشويه مواقع الانترنت الى دمار واسع النطاق للبنية التحتية العسكرية والمدنية المرتبطة بتلك الشبكات.[16]

2- الأمن السيبراني (cyber security)

إنّ الأمن السيبراني هو عبارة عن التقنيات الالكترونية المستخدمة لحفظ سلامة الشبكات والبرامج والبيانات من الوصول غير المصرح به.[17]

وإن الأمن السيبراني يهدف الى ضمان تحسين الأمن الذي من شأنه الدفاع عن المنظمات من التعرض لهجوم من قبل المتسللين عبر الشبكة العنكبوتية.[18]

وهذا مرده إلى أن العالم أصبح أكثر ارتباطاً بواسطة الشبكات العنكبوتية لتنفيذ المعاملات العامة ويقوم الأمن السيبراني بالحفاظ عليها.[19] وعليه فإنّ الأمن السيبراني وفق ما يراه الكاتبان (Pekka Nettaanmaki) و (Martti Lento) في كتابهما:

(cyber security: Analytics, technology and Automation)

بأنه مجموعة من الإجراءات التي تتخذ في الدفاع ضد الهجمات السيبرانية (قراصنة الكمبيوتر) وعواقبها وتنفيذ التدابير المضادة المطلوبة.[20]

3- القوة السيبرانية (cyber power)

تعرف القوة السيبرانية بأنّها القدرة على القيام بنشاط سيبراني مؤثر في الفضاء السيبراني، أو القدرة على استخدام الفضاء السيبراني لتحقيق مجموعة من الأهداف والتاثير على الأحداث, وتعرف أيضاً على أنها الموارد البشرية والمادية المتاحة ضمن بيئة استراتيجية يمكن استخدامها لإحداث تأثير في الفضاء السيبراني او من خلاله.[21]

4- الصراع السيبراني (cyber conflict)

تواجه الحكومات والمؤسسات الى هجمات مضادة من نوع آخر وهي الهجمات السيبرانية بسبب الارتباط الكبير بين دول العالم افتراضياً وضمن الفضاء السيبراني خاصة بعد ثورة المعلومات التي حفزت ذلك تدريجياً[22]، وهذا يدخل في مفهوم الصراع السيبراني الذي هو تعارض بين دول ما ضمن نطاق القدرات السيبرانية في الفضاء السيبراني من اجل تحقيق اهداف يسعى إليها أطراف الصراع.[23]

5- الدفاع السيبراني (cyber defence)

يعرف الدفاع السيبراني بأنه آلية دفاع لشبكة الكمبيوتر وتشمل الاستجابة للإجراءات الفعالة من اجل حماية البنى التحتية الحيوية فتأمين المعلومات والحفاظ عليها للمنظمات والهيئات الحكومية والشبكات الأخرى, ويركز الدفاع السيبراني على المنع والكشف، وتوفير الاستجابة في الوقت المناسب ضد الهجمات السيبرانية من اجل منع العبث بالبنى التحتية او المعلومات.[24]

6- الردع السيبراني (cyber deterrence)

يعرف الردع السيبراني بأنّه التلصص الإعلامي والاستعراض التكنلوجي والمحاكاة

(16) حيدر أدهم الطائي، علي محمد كاظم، المشاركة المباشرة للهية الجماعية في الهجمات السيبرانية، مجلة كلية الحقوق، المجلد 21، العدد 2، جامعة النهرين، 2019، ص30.

(17) p.s. seemma, s.nandhini, m.sowmiya, over view of cyber security, international journal of advanced research in computer and communication engineering, article in ijarcce, volume 7, issue 11, November, 2018, p2.

(18) darko galince, darko moz_ink and boris guberina, cyber security and cyber defence: national level strategic approach, journal for control, measurement, electronics, computing and communications, article in automatika, volume 58, number 3, july, 2017, p3.

(19) g.n reddy, g.j.u.reddy, a study of cyber security challenges and its emerging trends on latest technologies, computer science, arxiv, 8 February, 2014, p 5.

(20) صلاح مهدي هادي الشمري، زيد محمد علي إسماعيل، الامن السيبراني كمرتكز جديد في الاستراتيجية العراقية، مجلة قضايا سياسية، السنة 12، العدد 62، جامعة النهرين، كلية العلوم السياسية، 2020، ص277.

(21) _Robert "Jake" bebber, cyber power and cyber effectiveness: an analytic framework, comparative strategy an international journal, routledge, taylor & francis group, volume 36, November 5, 2017, p 4.

(22) Athina karatzogianni, cyber conflict and global politics, Routledge ,London and new York, 2009, p 3.

(23) alexander kosenkov, cyber conflict a new global threat, future internet, mdpi, 8, 45, 2016, p1.

(24) darko galinec, darko moz_ink and boris, I bid, p 4.

الاستراتيجية لإنشاء صورة رقمية مفرطة لهيمنة دولة مّا سيبرانيّاً عبر نطاق الفضاء السيبراني لردع الخصم سيبرانيّاً.[25]

7- الاستراتيجية السيبرانيّة (cyber strategy)

هي تطوير وتوظيف القدرات اللازمة للعمل في الفضاء السيبراني متكاملة مع المجالات العملياتية الأخرى لتحقيق او دعم تحقيق الأهداف عبر عناصر القوة الوطنية وتعتمد الاستراتيجية السيبرانية على مزيج منظم من الغايات، والوسائل، والطرق لتحقيق اهداف الامن العسكري والسياسي والاقتصادي والمعلوماتي والوطني الأوسع من خلال الاعتماد على القدرات السيبرانية وتوفير الموارد والتكاليف الواجب اتخاذها لمواجهة المخاطر خاصة السيبرانية.[26]

المطلب الثاني: الحرب السيبرانية (الوسائل والأهداف)

تستخدم في الحرب السيبرانية وسائل محددة التي هي كيانات برمجية ضارة يتم نشرها لتحقيق اهداف منها الحاق الضرر بالخصوم والشبكات العنكبوتية وأنظمة الكمبيوتر التي تهدد سلامة والوظيفة الرقمية للأنظمة التي تمكن الدوائر العالمية من الاتصال والتبادل مع إمكانيات التأثير على النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.[27]

الهجمات السيبرانية بأنهّا الجهود الرامية الى تغيير، تعطيل او تدمير أنظمة الحاسوب او الشبكات أو المعلومات او البرامج الموجودة عليها

وانَّ وسائل الحرب السيبرانية والأسلحة المستخدمة فيها تتنوع مثل الفيروسات والديدان والبرمجيات الخبيثة التي يتم تصميمها عبر أكواد وبرامج كمبيوتر من أجل شن هجمات سيبرانية على أهداف عسكرية ومدنية تهدف الى تدمير النظم والأجهزة المادية والبرمجيات والتي تؤدي بالنهاية الى تدمير البنى التحتية للدول او الفواعل من غير الدول عبر التجسس وغيرها من الأعمال التخريبية التي تهدد الأمن والسلم الدوليين جراء تلك الأعمال.[28]

وطرح (توماس ريد) أربع وسائل أو أسلحة أساسية توظف من أجل تحقيق هدف الحرب السيبرانية وهي[29]:

1- **لغة الاستعلام الهيكلية:** وهي الحقن أو البرمجة النصية للمواقع من أجل تشويه صفحات الويب او اتلافها اذ يستخدم هذا الشكل من الفيروسات حيال المواقع لبضع ساعات او أيام ومثال على ذلك ما حدث في عام 2005 عندما قام القراصنة الروس بتشويه العديد من الواقع الحكومية.

تؤدي هجمات الحرمان الموزع دوراً رئيسياً في الحرب السيبرانية وهي محاولة لجعل مورد الحاسوب غير متوفر للمستخدمين المقصودين

2- **الحرمان من خدمة الموزع:** تؤدي هجمات الحرمان الموزع دوراً رئيسياً في الحرب السيبرانية وهي محاولة لجعل مورد الحاسوب غير متوفر للمستخدمين المقصودين به من خلال هجمات منسقة لأجهزة الحاسوب أو أجهزة أخرى و إنَّ الهدف الرئيسي لهذه الوسيلة او الأسلوب هو التعطيل المؤقت للخدمة.

3- **الاختراقات:** عنَّ هذا الأسلوب أو الوسيلة يكون أشد من التشوهات والتخريب

(25) Stefan soesanto and max smeets, cyber deterrence: the past, present and future, center for security studies (css), Swit_zerland, 2021, p 5.

(26) زينب شنوف، الحرب السيبرانية في العصر الرقمي: حروب ما بعد كلاوزفيتش، مصدر سبق ذكره، ص 92.

(27) tim stevens, cyber weapons: power and the governance of the invisible ,article in international politics, springer, king's collage London, may, 2018, p 1.

(28) إيهاب خليفة، مجتمع ما بعد المعلومات: تأثير الثورة الصناعية الرابعة على الامن القومي، مصدر سبق ذكره، ص115.

(29) زينب شنوف، الحرب السيبرانية في العصر الرقمي: حروب ما بعد كلاوزفيتش، مصدر سبق ذكره، ص 98 – 99.

فيما يتعلق بالضرر طويل الأجل، إذ يعتمد على برامج فعالة لسرقة المعلومات الحساسة من المواقع الأمنية وتكون لهذه الأساليب آثار مدمرة ومهددة للمصالح الوطنية والقومية للدولة المستهدفة.

4- **التسلل:** حيث يستخدم ضمن هذا الأسلوب في الحرب السيبرانية أكثر البرامج الضارة من أجل اختراق الشبكات المستهدفة، ومن أهم أساليب التسلل هي: (القنابل المنطقية، الديدان، الفايروسات) التي تختلف عن الاختراقات من حيث شدّة تأثيرها، ويسبب هذا التسلل الى الحاق الضرر في الجهاز المضيف وارساله الى الخوادم البعيدة.[30]

وعليه سنطرح أيضاً أهم أنواع الأسلحة السيبرانية التي تستخدم كوسائل في الحرب السيبرانية ساعية لتحقيق هدفها وهي[31]:

1- **فايروسات الحاسوب (viruses):** وهي برمجيات خبيثة صنعت قصداً من أجل تغيير خصائص الملفات التي تصيبها لتقوم بتنفيذ بعض الأوامر إمّا بالإزالة او التعديل او الحذف او التخريب هدفها الأساس هو الحاق الضرر.

2- **الديدان(worms):** وهي برامج صغيرة تتكاثر بنسخ نفسها عن طريق الشبكات هدفها هو العمل التخريبي، مثال على ذلك قطع الاتصال بالشبكة او سرقة البيانات الخاصة وتمتاز بسرعة الانتشار ومن الصعوبة التخلص منها بسبب قدرتها على التلون والتناسخ والمراوغة مكانها الأساس هي حرب المعلومات وتستهدف الشبكات المالية مثل شبكات البنوك.

3- **أحصنة طـروادة (Trojan horses):** وهي شفرة او برنامج صغير يختبئ في برنامج كبير من البرامج ذات الشعبية العالية، إذ يقوم على نشر دودة او فايروس، اذ يعمل دائماً مسح آثاره ويهدف على اضعاف قوى الدفاع ليسهل اختراق جهاز الحاسوب وسرقة بياناته.

4- **القنابل المنطقية (logic bombs):** وهي برمجيات يتم زرعها داخل النظام او البرنامج إذ أنَّ البرنامج او الجهاز مصاباً منذ البدء بالبرنامج الضار أي بالسلاح السيبراني اذ يبدأ عمل البرنامج الضار تحت ظروف معينة تكون في المحصّلة والهدف النهائي هو التحكم في الجهاز بصورة تامة او اتلافه.

5- **البرمجيات الخبيثة مثل «اريـد البكاء» (wanna cry):** وقد تميزت هذه البرمجيات بأنها تستهدف الكيانات الاقتصادية وليست الافراد وذلك لأنّ هذه المؤسسات هي الأقدر على دفع الفدية، أو نلاحظ في عام 2017 قام مجموعة من القراصنة المجهولين بشن هجوم ضار باسم (اريد البكاء / wanna cry) اذ تكمن الهجوم من إصابة اكثر من (200.000) مائتي ألف ضحية في أكثر من مائة وخمسين دولة خلال أول (48 ساعة) من الهجوم، والشيء المخيف والمقلق انَّ هذه الهجمة اعتمدت على أسلحة وثغرات تم تسريبها من وكالة الأمن القومي الأمريكي، اذ اشارت بعض التحليلات الى ضلوع الوكالة في تطوير هذه البرامج قبل انْ تتم سرقتها منها وتسريبها.

(30) jeetendra pande, introduction to cyber security (fcs), published by: uttarkhand open university, haldwani, 2017, p 19.

(31) إيهاب خليفة، مجتمع ما بعد المعلومات: تأثير الثورة الصناعية الرابعة على الامن القومي، مصدر سبق ذكره، ص 116 – 119.

6- **الفايروسات الالكترونية (electronic viruses):** تتنوع الأسلحة السيبرانية من نماذج من الفايروسات وهي فيروس (ستاكس نت / stuxnet) وهو اخطر أنواع الأسلحة السيبرانية التي تم اكتشافها في عام 2009 ومثّل نقلة نوعية في خطورة الحرب السيبرانية من خلال (ستاكس نت) انتقلت الحرب من تدمير البيانات وسرقتها الى تدمير المكونات المادية نفسها ونظم التشغيل وليس فقط البيانات,وأيضاً فيروس (دوكو/ duqo) وهو فيروس تم اكتشافه في عام 2011 بواسطة معامل التشفير والأمن الالكتروني (crysys lab) التابع لجامعة بودابست.

فيروس (ستاكس نت / stuxnet) وهو اخطر أنواع الأسلحة السيبرانية التي تم اكتشافها في عام 2009

وفيروس (فليم / flame) الذي تم اكتشافه في عام 2012 بواسطة فريق الاستجابة والطوارئ الإيراني فضلاً عن شركة كاسبر سكي ومعمل التشفير والأمن الالكتروني التابع لجامعة بودابست، إذ أصدرت الأمم المتحدة تحذيراً اعتبرته الأكثر خطورة وتعقيداً بسبب أهدافه التدميرية.

فضلاً عن ما تقدم فإن أهداف الحرب السيبرانية ليس لأضرارها حدود، فبإمكانها التسبب بانفجارات في مخازن الوقود والمحطات النووية وكافة المراكز الحيوية او تعطيل وسائل النقل برّاً وبحراً وجوّاً أو تغيير مسار الرحلات، فضلاً عن تعطيل أنظمة الطاقة وقطع الكهرباء عن مدن بأكملها.[32]

(32) غيث علاو، الهجمات السيبرانية أكبر من حروب نووية بوسائل الكترونية، موقع جادة ايران، بتاريخ 5/يوليو/2020، الشبكة الدولية للمعلومات: https://www.jadehiran.com/archives/16835

المبحث الثاني: الحرب السيبرانية (الولايات المتحدة الأمريكية وإيران)

تعد الحرب السيبرانية بين الولايات المتحدة الامريكية وايران احدى الأدوات الفاعلة والمؤثرة بين الطرفين الساعية لتدمير وانهاك اكبر قدر ممكن من المواقع الحيوية والبنى التحتية لكلا الطرفين عبر طرح كل طرف استراتيجية سيبرانية خاصة به نابعة من توجهاتهما الاستراتيجية عبر استخدام الهجمات السيبرانية الساعية لتحقيق اهداف كل طرف عبر الفضاء السيبراني ساحة الصراع، وعليه سنطرح في هذا المبحث مطلبين وهما:

المطلب الأوّل: استراتيجية الهجمات السيبرانية للولايات المتحدة الامريكية حيال ايران.

المطلب الثاني: استراتيجية الهجمات السيبرانية الإيرانية حيال الولايات المتحدة الامريكية.

تعد الولايات المتحدة الامريكية من القوى العظمى والمستوى الأول في المجال السيبراني إذ انَّها قادرة على تنفيذ مهام معقدة للغاية من الهجمات السيبرانية السرية

المطلب الأوّل: استراتيجية الهجمات السيبرانية للولايات المتحدة الامريكية حيال ايران.

تعد الولايات المتحدة الامريكية من القوى العظمى والمستوى الأول في المجال السيبراني إذ انَّها قادرة على تنفيذ مهام معقدة للغاية من الهجمات السيبرانية السرية باستخدام برامج ضارة ضمن الأهداف الموجهه لديها.[33] إذ تعود بداية الهجمات السيبرانية للولايات المتحدة الأمريكية حيال إيران الى حملة سرية تدعى (عملية

(33) mattias schulze, joseph kerscher, Paul bochtler, cyber escalation: the conflict dyad USA / Iran as a test case, working paper, swp, german institute for international and security affairs, December, 2020, p 8.

الألعاب الأولمبية) التي انطلقت في عام 2006 تحت إدارة الرئيس الأمريكي الأسبق (جورج دبليو بوش) من أجل استهداف أنظمة الكمبيوتر للحكومة الإيرانية وقدرات إيران النووية.[34] وقد وسع الرئيس الأمريكي الأسبق (باراك أوباما) هذه الحملة لتضم الأسلحة السيبرانية ضد منشآت التخصيب النووية الإيرانية.[35]

وفي عام 2010 اعترف المسؤولون الإيرانيون بأنّ أجهزة الكمبيوتر في محطة بوشهر النوويّة قد أصيبت بفايروس له تأثير بالغ أدى الى توقف تخصيب اليورانيوم في محطة (نطنز) النووية بالكامل جراء الفايروس الموجه لها المعروف باسم (ستوكسنت) التي اتهمت ايران الولايات المتحدة الامريكية بالوقوف وراءه.[36]

وقد أكد نائب مدير الوكالة الدولية للطاقة الذرية السابق (اولي هينونن) انَّ الفايروس الالكتروني المعروف باسم (ستوكسنت) قد ولّد مشاكل تقنية أثرت على البرنامج النووي الإيراني مما أدى الى إيقاف الآلاف من أجهزة الطرد المركزي الخاصة بتخصيب اليورانيوم، وأظهر بحث أجرته شركات الأمن المعلوماتي أنَّ (60%) من الأجهزة المصابة بفايروس (ستوكسنت) توجد في ايران، وعليه جاء تقرير للوكالة الدولية للطاقة الذرية نشر في أيلول عام 2010 أنَّ ايران فصلت (160) جهاز طرد مركزي عن شبكة التحكم.[37]

ورغم قدرته الفريدة على الانتشار ومعدل الإصابة على نطاق واسع إلّا أن برنامج (ستوكسنت) يلحق ضرراً ضئيلاً او معدوماً لأجهزة الحاسوب غير المستخدمة في تخصيب اليورانيوم، أمّا في حالة ايران فإنّ الفايروس (ستوكسنت) غيّر برمجة أجهزة التحكم المنطقي القابلة للبرمجة، ممّا أسفر عن دوران أجهزة الطرد المركزي سرعة كبيرة جدّاً لمدة طويلة مما أدى الى تلف وتدمير المعدات الحساسة في الهجوم، التي دخلها خلال مدة (13) يوماً في سجل بيانات أجهزة الطرد المركزي بتسجيل (سلوك طبيعي) وبعد تلك المدة الـ (13) يوماً بدأ التعرف على أجهزة الطرد المركزي مؤدّياً الى اهتزازها مسببة ارتفاع درجة الحرارة المؤدية في النهاية الى تعطل المعدات الحساسة كما اسلفنا.[38]

أمّا خلال فترة إدارة الرئيس الأمريكي السابق (دونالد ترامب) فقد طرح استراتيجية سمّيت بـ (الاستراتيجية القومية السيبرانية) في عام 2018 التي عدت الفضاء السيبراني أمراً أساسيّاً وأنه جزء لا يتجزّأ من جوانب الحياة الامريكية ومع أصدار هذه الاستراتيجية يكون لدى الولايات المتحدة الامريكية القوة في الدفاع عن أمنها السيبراني بشكل خاص وأمنها القومي بشكل عام التي ركزت على ما يلي[39]:

1- الدفاع عن الوطن من خلال حماية الشبكات و الأنظمة والبيانات.
2- تعزيز الدفاع الامريكي من خلال رعاية وتعزيز اقتصاد رقمي آمن ومزدهر مع ابتكار محلي قوي.
3- الحفاظ على السلام والأمن من خلال تعزيز قدرة الولايات المتحدة الأمريكية بالتنسيق مع الحلفاء والشركاء لردع ومعاقبة الذين يستخدمون الأدوات السيبرانية من أجل الإضرار بالأمن القومي الأمريكي.

(34) Andrew Hanna, the invisible U.S. – Iran cyber war, The iran primer, united states institute of peace , 29/july/2021,international information network :
https://www.iranprimer.usip.org/blog/2019/oct/25/invisible

(35) وقائع الحرب السيبرانية «الخفية» بين الولايات المتحدة وإيران، الحرة، ترجمات – واشنطن، بتاريخ 25/فبراير/2021، الشبكة الدولية للمعلومات:
https://www.alhurra.com/iran/2021/02/25

(36) marie baezner, Patrice robin, stuxnet, publisher(s) :center for security studies (css), issue 4, E t H Zurich, Switzerland, 2017, p 9.

(37) فايروس ضرب برنامج ايران النووي، عربي bbc news، بتاريخ 22/ نوفمبر/ 2010، الشبكة الدولية للمعلومات:
https://www.bbc.com/arabic/middleeast/2010/11/

(38) كيف هوجمت المنشأة النووية الإيرانية في «نطنز» المعزولة من الانترنت، العربية، بتاريخ 6/ يوليو/2019، الشبكة الدولية للمعلومات:
https://www.alarabnet/iran/2019/07/06/

(39) president Donald J.Trump, national cyber strategy of the united states of American, the white house, Washington, dc, September, 2018, p 3.

4- توسيع النفوذ الأمريكي لتوسيع المبادئ الأساسية لوجود انترنت آمن وموثوق وقابل للتشغيل المتبادل.

5- تعزيز قدرات الشركاء في مجال الأمن السيبراني للحفاظ على النفوذ الأمريكي ضد المنافسين الإقليميين والعالميين.[40]

(40) president Donald J. Trump, Ibid, p 26.

وأكد (جون بولتون) مستشار الرئيس الأمريكي (دونالد ترامب) سابقاً أن هذه الاستراتيجية هي أول استراتيجية مفصلية بالكامل خلال السنوات الـ (15) عشر الماضية إذ دخلت حيّز التنفيذ وهذه الاستراتيجية جاءت في أعقاب قرار (ترامب) لإلغاء قواعد حدّدها سلفه (أوباما) قد قيَّد العمليات السيبرانية

أن أي دولة تقوم بعمل أو نشاط سيبراني ضد الولايات المتحدة الامريكية يجب أن تتوقع أننا سنرد بطريقة هجومية ودفاعية فعالة ومؤثرة

وأكد (جون بولتون): «أن أي دولة تقوم بعمل أو نشاط سيبراني ضد الولايات المتحدة الامريكية يجب أن تتوقع أننا سنرد بطريقة هجومية ودفاعية فعالة ومؤثرة» ، وشددت وزيرة الأمن الداخلي الأمريكي (كيرستين نيلسن) على تحديث قوانين المراقبة الالكترونية وجرائم الكمبيوتر بهدف مواصلة ومواكبة التطورات السريعة في العالم الرقمي.[41]

(41) استراتيجية أمريكية شرسة للأمن الالكتروني تستهدف الصين وروسيا، عربية sky news، ابوظبي، بتاريخ 21/سبتمبر/2018، الشبكة الدولية للمعلومات: https://www.skynewsarabia.com/world/1184165

وضمن الحفاظ على الأمن القومي الأمريكي أمر الرئيس الأمريكي السابق (دونالد ترامب) بتوسيع سلطة وكالة المخابرات المركزية (CIA) بأن تشن هجمات سيبرانية وأنَّ تكثف جهودها السيبرانية ضد إيران.[42]

(42) ـوقائع الحرب السيبرانية «الخفية» بين الولايات المتحدة وإيران، المصدر نفسه.

وأكّد الرئيس الحالي (جو بايدن) قبل تنصيبه رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية في 20/يناير/2021 , إذ أكّد في ديسمبر/ 2020 أن الأمن السيبراني هو أولويّة قصوى لإدارته القادمة وضمن خطته على إثر تعرّض الولايات المتحدة الأمريكية لهجوم سيبراني واسع ووفقاً لصحيفة (وول ستريت جورنال) الأمريكية أن الحواسب المخترقة تواجدت بأكثر من (20) مؤسسة أمريكية وانتقد (جو بايدن) (دونالد ترامب) باعتباره رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية لغاية قبل التنصيب أنه مقصّراً في تعزيز الأمن السيبراني وأنّه كان غير يقظ في ذلك وأنّه سيأخذ الأمر بجدية خلال ادارته القادمة تعزيزاً وحمايةً للأمن القوميً الأمريكي من خلال الرد على الهجمات السيبرانية ضد منطلقيها.[43]

(43) مواجهة 2020 خطة بايدن للحرب السيبرانية، قناة الحرة، بتاريخ 29/ديسمبر/2020، الشبكة الدولية للمعلومات: https://www.alhurra.com/episode/2020/12/29/801626

وفي مارس/ 2021 بدأت استراتيجية (جو بايدن) في الفضاء السيبراني والحرب السيبرانية ولمواجهة التهديدات السيبرانية بالتشكل، إذ تعكس الاستراتيجية السيبرانية لإدارة (جو بايدن) الركائز الآيديولوجية والجيوسياسية والتكنلوجية والدبلوماسية لرؤية الرئيس (جو بايدن) الشاملة للسياسة الخارجية والأمن القومي للولايات المتحدة الأمريكية، وأكد وزير الخارجية الامريكي (انتوني بلينكن) مع الرئيس (جو بايدن) أن الأنشطة السيبرانية المناهضة للولايات المتحدة الامريكية والضارة لها تتوجب علينا أنَّ نعيد النظر في علاقة الديمقراطية بالفضاء السيبراني وهو جزء من مشروع تجديد الديمقراطية وتخطط إدارة (جو بايدن) لتحسين الدفاعات السيبرانية وردع العمليات السيبرانية المعادية ومواجهتها.[44]

(44) David p. fidler , america's place in cyber pace: the biden administration cyber strategy. Takes shape, council foreign re_lation, foreign affairs, march, 11, 2021, international information network: https://www.cfr.org/blog/americas_place_cyberspace

وتأكيداً لاستراتيجية (جو بايدن) لتعزيز الأمن السيبراني ومواجهة التهديدات السيبرانية كانت قمة (جو بايدن) مع الرئيس الروسي (فلاديمير بوتين) في 16/ يوليو/2021 حاضرة فيها الهجمات السيبرانية في اعلى قمة المحادثات بين الطرفين ويجب ابعاد شبح الخطر النووي السيبراني ومواجهة الدول التي تنطلق منها الهجمات السيبرانية أو أنها تشكل مصدر تهديد سيبراني لها وشيك في إشارة لإيران، ناهيك انه تم ذكر كلمة (سيبراني) (25 مرة) في البيان النهائي لقمة دول شمال الأطلسي (الناتو) التي عقدت في الشهر نفسه من هذا العام والتي أكدت على الهجوم السيبراني قد يكون سبباً لتفعيل البند الخامس من ميثاق الحلف، والذي يعد أي هجوم على عضو في الحلف بمثابة هجوم على الحلف بأكمله وهذا يصب في مصلحة استراتيجية الولايات المتحدة الامريكية السيبرانية باعتبارها عضواً في حلف شمال الاطلسي.[45]

وفي يوليو/2021 أكد الرئيس الأمريكي (جو بايدن) أنه من المنطقي أن تشن الولايات المتحدة الامريكية هجمات سيبرانية على الخوادم المستخدمة في الهجمات السيبرانية ضد الولايات المتحدة الأمريكية وفي السياق نفسه أكد مسؤول أمريكي رفيع في الإدارة الأمريكية أن الولايات المتحدة الامريكية ستتخذ الخطوات الضرورية لحماية بنيتها التحتية وأمنها القومي من الهجمات السيبرانية.[46]

فضلاً عمّا تقدم من طرح للتوجهات الاستراتيجية للولايات المتحدة الامريكية السيبرانية خلال الادارة الحالية والادارات السابقة حيال الدول التي تشكل منطلق للهجمات السيبرانية ضدها وبصورة خاصة ايران، سنطرح الهجمات السيبرانية للولايات المتحدة الامريكية حيال ايران، وكما في الجدول الآتي:-

(45) ريتشارد ووكر، قمة بايدن وبوتين ... وشبح الخطر النووي السيبراني، موقع DW، بتاريخ 16/ يونيو/2021، الشبكة الدولية للمعلومات: https://www.dw.com/ar/%D,%85%D8

(46) بايدن: من المنطقي مهاجمة الخوادم التي تنطلق منها الهجمات السيبرانية، موقع RT عربي، بتاريخ 9/يـولـيـو/2021، الشبكة الدولية للمعلومات: https://www.arabic.rt.com/world/1250247

جدول رقم (1) يوضح الهجمات السيبرانية للولايات المتحدة الامريكية حيال إيران

ت	تاريخ الهجمات السيبرانية	نوع الهجمات السيبرانية
1	يوليو/2010	تم التعرف على فايروس (stuxnet) إذ أظهرت التحليلات الفنية اللاحقة أن هذا الفايروس تم انشاؤه لاستهداف المنشآت الصناعية الايرانية وخاصة النووية منها من قبل الولايات المتحدة الامريكية كما أدى إلى تدمير أكثر من (1000) جهاز طرد مركزي وإعاقة التقدم النووي لأكثر من عام.
2	25/سبتمبر/2010	قالت منظمة الطاقة الذرية الإيرانية أنها تحارب البرمجيات الخبيثة التي تستهدف منشآتها النووية وقال مسؤول إيراني أن (30) ألف جهاز كمبيوتر أصيب بفايروس ستوكسنت.

3	25/ابريل/2011	اكتشفت وكالة الدفاع السيبرانية الايرانية فيروساً يطلق عليه اسم (النجوم) والذي تم تصميمه للتسلل إلى منشآتها النووية وإلحاق الضرر بها.
4	23/ابريل/2012	اجبرت الهجمات السيبرانية ايران على ايقاف العديد من محطات النفط وانتشر الفيروس الملقب (بالمسحة) عبر وزارة النفط الايرانية وشركة النفط الوطنية الايرانية.
5	9/مايو/2012	أقرّت إيران بأن فيروساً يطلق عليه اسم (فليم/ flame) اصاب اجهزة الكمبيوتر الحكومية وكان قادراً على سرقة البيانات.
6	19/مايو/2012	قال مسؤولون غربيون لصحيفة واشنطن بوست انَّ الولايات المتحدة الامريكية و(إسرائيل) قد نشرتا فيروس (فليم / flame) لجمع معلومات استخبارية عن شبكات الكمبيوتر الايرانية من أجل الاستعداد لحملة حرب سيبرانية.
7	سبتمبر/2018	سمحت ادارة دونالد ترامب لوكالة المخابرات المركزية الامريكية بشن هجمات سيبرانية واسعة ضد البنية التحتية الحيوية الايرانية.
8	ابريل/ 2019	تسبب اختراق سيبراني لمراكز البيانات الايرانية في ترك العلم الامريكي على شاشات الكمبيوتر الايرانية الى جانب رسالة بعدم التدخل في الانتخابات الامريكية.
9	17/يونيو/2019	اكتشفت طهران شبكة تجسس سيبرانية تديرها وكالة المخابرات المركزية الامريكية وفككتها، وهذا نوع من التدخل السيبراني الموجه ضد ايران.
10	20/يونيو/2019	شنت الولايات المتحدة الامريكية هجوماً سيبرانياً على ايران بعد هجمات ايران على ناقلات النفط في مضيق هرمز واسقاط طائرة امريكية بدون طيار وقال مسؤولون امريكيون أن هذه الهجمات مسحت البيانات المستخدمة للتخطيط لهجمات الناقلات.
11	26/يونيو/2019	ابلغت (net black) عن تعطل واسع النطاق للأنترنت في ايران.
12	سبتمبر/2019	شنت الولايات المتحدة الامريكية هجوماً سيبرانياً على ايران ردّاً على هجوم بطائرة بدون طيار على منشآت سعودية وقال مسؤولون امريكيون ان هذه الهجمة استهدفت قدرة ايران على نشر الدعاية.

13	25/يناير/2020	منعت الولايات المتحدة الامريكية الوصول الى (.farsnews com) وهو عنوان الويب باللغة الانجليزية لوكالة انباء فارس التابعة للحرس الثوري.
14	8/فبراير/2020	ذكرت ايران انَّ الاتصال الوطني بالانترنت فيها انخفض الى (75%) بعد أنَّ قامت ايران بتفعيل (net black) الاجراءات السيبرانية المضادة لهجوم (DDOS).
15	14/فبراير/2020	ألقى رئيس منظمة الدفاع المدني الايرانية باللوم على الولايات المتحدة الامريكية في هجوم سيبراني (DDOS) ادى الى انقطاع الخدمة لساعات.
16	7/اكتوبر/2020	صادرت الولايات المتحدة الامريكية (92) اسم مجال تستخدمها ايران ضدها وعلى أنَّها منافذ اخبارية حقيقة لكنها وفق ما رأت الولايات المتحدة الامريكية أنَّها تستهدفها لنشر الدعاية الايرانية.
17	15/اكتوبر/2020	أكدت ايران أنَّ هجومين سيبرانيين استهدفا اهداف حكومية في الفترة من (12 الى 13 اكتوبر) وقالت هيئة الموانئ الايرانية أنَّها احبطت هجوماً سيبرانياً على الانظمة الالكترونية للوكالة وقامت وكالات عدة تعليق الخدمات مؤقتاً واجرت اختبارات فنية بعد الابلاغ عن الهجمات.
18	3/نوفمبر/2020	استهدفت القيادة السيبرانية الامريكية ووكالة الامن القومي الامريكي قراصنة ايرانيين قبل الانتخابات الرئاسية الامريكية.
19	4/نوفمبر/2020	اغلقت الولايات المتحدة الامريكية (29) موقعاً على شبكة الانترنت تستخدمها ايران بهدف التأثير على سياسة الولايات المتحدة الامريكية والرأي العام.
20	23/فبراير/2021	ازال موقع (تويتر) (238) حساباً يعمل من ايران بعد استكمال التحقيق عن التدخل الايراني في الانتخابات الرئاسية الامريكية عام 2020.
21	22/يونيو/2021	صادرت الولايات المتحدة الامريكية وهذا يقع ضمن الحرب السيبرانية ضد ايران (30) عنواناً على شبكة الانترنت تابعة لإيران بما في ذلك محطة الاذاعة الرائدة (برس تي في) مع (33) موقعاً على الانترنت على أنَّها تنفذ حملات تضليل وتأثر داخل الولايات المتحدة الامريكية.

الجدول من إعداد الباحث بالاعتماد على المصادر الآتية:

Sources:

1- Andrew Hanna, the invisible U.S. – Iran cyber war, The iran primer, united states institute of peace , 29/july/2021, p-4-8: https://www.iranprimer.usip.org
2- Michael Connell, deterring Iran; use of offensive cyber: a case study, report C N A, Analysis and solutions, Washington, october2014 , p – 5 - .
3- Iran's cyber attacks capabilities, king Feisal center for research and Islamic studies, special report, January, 2020, p- 10.
4- Collin Anderson, Karim Sadjad pour, Iran's cyber threat: espionage, sabotage, and revenge, Carnegie endowment for international peace, Washington, 2018, p – 9.

وللتوضيح اكثر عن مستوى وعدد الهجمات السيبرانية للولايات المتحدة الامريكية حيال ايران ضمن استراتيجيتها السيبرانية، سنطرح مخططاً بيانياً يوضح ذلك، وكالآتي:

مخطط رقم (1) يوضح مستوى وعدد الهجمات السيبرانية بيانياً للولايات المتحدة الامريكية حيال ايران.

المخطط البياني من اعداد الباحث، بالاعتماد على المصادر الآتية:

Sources:

1- Idrees ali, phil stewart, exclusive: us. Carried out secret cyber strike on iran in wak of Saudi oil attack: official – 16/ Octo-

ber/2019;
1. https://www.reuters.com/article/us-usa-iran.
2- Us launched cyber – attack on iran weapons systems , 23/ june/2019:
2. https://www.bbc.com/news/world-us-canada.
3- Andrew Hanna, the invisible U.S. – Iran cyber war, The iran primer, united states institute of peace , 29/july/2021, p-4-8: https://www.iranprimer.usip.org
4- Collin Anderson, Karim Sadjad pour, Iran's cyber threat: espionage, sabotage, and revenge, Carnegie endowment for international peace, Washington, 2018, p – 9.

المطلب الثاني: استراتيجية الهجمات السيبرانية الايرانية حيال الولايات المتحدة الامريكية

عملت ايران لبناء قدرات سيبرانية واستطلاعية لتحييد القدرات التقنية العالمية لمنافسيها في منطقة الشرق الاوسط وخاصة الولايات المتحدة الامريكية من خلال الاستفادة من الثورة التقنية قليلة الكلفة والتي يمكن الحصول عليها واستعمال تلك القدرات لتعزيز أمنها السيبراني وشن الهجمات السيبرانية ضد اعدائها، وقد اعتمدت ايران استراتيجية سيبرانية تم الاعداد لها والتجهيز منذ سنوات عدة ووفق هذه الاستراتيجية تقود مؤسسة الحرس الثوري وقوات الباسيج القوة شبه العسكرية الايرانية البالغ تعدادها ما يقارب (900.000) تسعمائة ألف التابعة للحرس الثوري الايراني مع الفاعلين الرقميين الآخرين يشكلون كياناً افتراضياً تأسس منذ العام 2005 واطلق عليه اسم (جيش فضاء ايران السيبراني) الذي يعد أحد الأدوات الرقمية الفاعلة التي تستخدمها ايران لشن هجمات سيبرانية ضد الدول التي تقف عائقاً امام البرنامج النووي الايراني وتطوير الصواريخ الباليستية أو في المجالات الاستخبارية وجمع المعلومات وخاصة الولايات المتحدة الامريكية.[47]

اعتمدت ايران استراتيجية سيبرانية تم الاعداد لها والتجهيز منذ سنوات عدة

وأخذت عقيدة الأمن السيبراني تفرض نفسها في اطار استراتيجية الأمن القومي الايراني بشكل عام وأنَّ هذه العقيدة تستند على ركيزتين مهمتين: **الركيزة الأولى:** تتمثّل بحماية الأمن الوطني الايراني من خلال بناء بنية تحتية علمية تكنلوجية واستخبارية تستند على استراتيجية وقائية في الدفاع واستراتيجية استباقية في الهجوم في المجال السيبراني. **أمّا الركيزة الثانية:** فتتمثّل بتطوير العديد من المفاهيم والتقاليد القتالية السيبرانية عن طريق تشكيل شبكة معقدة من الجيوش السيبرانية القادرة على شن هجمات سيبرانية متعددة على اهداف محددة في آن واحد, فضلاً عن تفعيل قدراتها الاستخبارية في نشر المعلومات المضللة واجهاض المسيرات

(47) احمد بن علي الميموني، الجبهة النشطة: تداعيات المواجهة السيبرانية بين ايران وإسرائيل، مجلة الدراسات الإيرانية، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، السنة 4، العدد 12، اكتوبر ,المملكة العربية السعودية ، 2020، ص 68 – 69.

المناهضة لإيران، وفي مايو/2009 ادخلت شركة (American security) اسم ايران بين الدول الخمسة التي تتمتع بأقوى قدرات انترنت في العالم.[48]

وتتكون القدرات السيبرانية الايرانية من قدرات بشرية ومادية ذات كفاءة عالية المستوى في المجال السيبراني ترتبط بأعلى المستويات في الدولة، وهي[49]:

1- المجلس الأعلى للسايبر.

وتم تشكيله بأمر من المرشد الأعلى (علي خامنئي) عام 2012، ويضم في عضويته المسؤولين في الجهات الحكومية الرئيسة برئاسة رئيس الجمهورية ويتولى الاشراف على جميع الجهات التي لها علاقة بالمجال السيبراني ويحدد السياسات ومجالات العمل.

2- قيادة الدفاع السايبر.

وظيفتها دفاعية تهدف لحماية المنشآت الوطنية ضد أي هجوم سيبراني وتتبع الدفاع المدني الذي يعد فرعاً من أفرع القوات المسلحة الايرانية.

3- الجيش السيبراني الايراني.

ويهتم بالجانب الهجومي في المجال السيبراني ويتبع لقيادة الحرس الثوري/ القوات السيبرانية، ويضم خبرات عالية المستوى في مجال تقنية المعلومات لمهاجمة وسائل الإعلام ومصالح الدول الغربية والمعادية وخاصة الولايات المتحدة الامريكية وأيضاً جمع المعلومات.

4- دعم الفاعلين المعلوماتيين.

يعمل الكثير من الفاعلين السيبرانيين تحت مظلة النظام الايراني في الفضاء الرقمي الايراني، وعمدت ايران الى تشكيل شبكة كيانات رقمية من أجل صد الهجمات السيبرانية من القوات الدولية المنافسة وشن الهجمات السيبرانية أيضاً خاصة ضد الولايات المتحدة الامريكية.

وعمدت ايران الى تشكيل شبكة كيانات رقمية من أجل صد الهجمات السيبرانية من القوات الدولية المنافسة

وبدأت الهجمات السيبرانية الايرانية ضد الولايات المتحدة الامريكية في عام 2009 عندما قام (الجيش السيبراني الايراني) بتشويه صفحة (تويتر) الرئيسية رداً على احتجاجات ما يسمى بـ (الثورة الخضراء) التي اندلعت في ايران احتجاجاً على اعادة انتخاب الرئيس الايراني الأسبق (محمود احمدي نجاد).[50]

وأصبحت ايران ذات هجمات سيبرانية فعالة خاصة بعد الهجوم السيبراني عليها من قبل الولايات المتحدة الامريكية بفايروس (ستوكسنت / stuxnet) في عام 2010 اذ تحسنت تلك القدرات السيبرانية بشكل مطرد واعتبرت ايران قوة سيبرانية من الدرجة الثالثة كونها قادرة على شن هجمات اكثر تعقيداً وتدميراً خاصة ضد الولايات المتحدة الامريكية وفي الاستراتيجية الامنية الايرانية تعمل القدرات السيبرانية كركيزة فعالة خاصة بما تسمى (عقدة الردع) اذ تهدف القدرات السيبرانية الايرانية الى معاقبة السلوك غير المرغوب فيه للخصوم وردع الجهات التي تنوي القيام بتلك الهجمات[51].

(48) فـراس الياس، عقيدة الأمن السيبراني فـي إيــران ومـعـادلات المواجهة مع أمريكا، موقع ن بوست، بتاريخ 14/ أغسطس/ 2019، الشبكة الدولية للمعلومات: https://www.noonpost.com/content/28950

(49) -احمد بن علي الميموني، الجبهة النشطة: تداعيات المواجهة السيبرانية بين ايـران و(إسرائيل)، مصدر سبق ذكره، ص 69.

(50) وقائع الحرب السيبرانية «الخفية» بين الولايات المتحدة الامريكية وايران، المصدر نفسه.

(51) mattias schulze, Josephine kerscher, paul bochtler, cyber escalation, Ibid, p 6 – 7.

وقد زادت ايران من مخصصات الميزانية للأنشطة السيبرانية بحوالي (12) ضعفاً للفترة (2013 - 2021) بنسبة (1200%) من أجل الارتقاء بالقدرات السيبرانية وتعزيزها وأن لإيران الاستعدادات الكاملة لتعطيل الخدمة ضد آلاف الشبكات الكهربائية ومحطات المياه وشركات الرعاية الصحية والتكنلوجية وخطوط الغاز والبترول في الولايات المتحدة الامريكية واختراق البريد الالكتروني والاتصالات ايضاً.[52]

وبعد تسلم الرئيس الايراني الجديد (ابراهيم رئيسي) السلطة في 3/اغسطس/2021 ورغم تعرض ايران للهجمات السيبرانية قبل تسلمه السلطة استطاعت ايران أنْ تصد تلك الهجمات والكشف عنها وتجسيدها وعدم التأثير على مجريات الاحداث بشكل عام، خاصة بعد احداث سفينة (أم تي مير سيرستريت) التابعة (لإسرائيل) إذ اشتد التصعيد الأمريكي – (الإسرائيلي) وبعض الدول الأوروبية منها لكن استطاعت ايران أنْ تقوض تلك الاحداث خدمة لمصالحها العليا وسترد على اي هجمات ضدها سواء كانت سيبرانية او تقليدية برد سيبراني او تقليدي ضمن ما تراه مناسباً.[53]

وفضلاً عمّا تقدم, سنطرح الهجمات السيبرانية الايرانية حيال الولايات المتحدة الامريكية استكمالاً لما تقدم من طرح التوجهات الاستراتيجية الايرانية السيبرانية، وكما هي:

جدول رقم (2) يوضح الهجمات السيبرانية الايرانية حيال الولايات المتحدة الامريكية

ت	تاريخ الهجمات السيبرانية	نوع الهجمات السيبرانية
1	18/سبتمبر/2009	قام الجيش السيبرانية الايراني بهجمة سيبرانية قامت بتشويه موقع (تويتر) الامريكي مما جعله غير متصل بالانترنت لعدة ساعات رداً على الموقف الامريكي من الاحتجاجات التي حدثت في ايران في عام 2009.
2	اغسطس/2012	مسح فيروس (شمعون) ثلاث ارباع جميع اجهزة كمبيوتر الشركة المملوكة لشركة (ارامكو) السعودية واستبدل البيانات بصورة علم امريكي مخترق، وأكد المسؤولون الأمريكيون أنَّ ايران وراء هذا الهجوم، وإنَّ هذا الهجوم هدفه موجه للولايات المتحدة الامريكية في اشارة لها.
3	11/سبتمبر/2012	قامت ايران بهجوم سيبراني (رفص الخدمة) ضد البنوك الامريكية فيما يعرف باسم (عملية أبابيل).
4	12/اكتوبر/2012	قامت ايران بهجمات سيبرانية عن طريق متسللين ايرانيين لهم صلات بالحكومة ضد بنوك امريكية.
5	8/يناير/2013	قامت ايران بهجمات سيبرانية باسم (عملية أبابيل) ضد الجهاز المصرفي الامريكي.

(52) مهدي مبارك عبد الله، الجيش السيبراني الايـران القوة السرية الـمـدمـرة، موقع جـرس، بتاريخ 22/ ابـريـل/2019، الشبكة الدولية للمعلومات:
https://www.ga-rasanews.com/article/325741

(53) محمد محمد السادة، الضرورة والمحظورات في «حرب الظل» بين ايـران والـعـدوّ (الإسـرائيـلي)، موقع الميادين نت، بتاريخ 11/ أغسطس/2021، الشبكة الدولية للمعلومات:
https://www.almaya-deen.net/articles/%D8%A7%D9

6	27/سبتمبر/2013	اخترق فاعلين سيبرانين ايرانيين اجهزة كمبيوتر غير سرية للبحرية الامريكية في خضمّ المحادثات حول البرنامج النووي الايراني.
7	فبراير/2014	استهدف فاعلين سيبرانيين ايرانيين شركة (لاس فيجاس ساندز) التابعة لشركة (شيلدون اديلسون) اذ أدى الهجوم الى اغلاق انظمة الاتصالات ومسح محركات الاقراص الثابتة.
8	نوفمبر / 2015	قامت ايران باستهداف وزارة الخارجية الامريكية ومسؤولين آخرين في (ادارة باراك اوباما.)
9	24/مارس/2016	وجهت وزارة العدل الامريكية لائحة اتهام ضد ايران بشن هجمات سيبرانية ضد بنوك امريكية وسد في نيويورك.
10	22/مارس/2018	ادى هجوم سيبراني ببرنامج (الفدية) يعرف باسم (sam sam) إلى شل حكومة مدينة (اتلانتا) الامريكية
11	9/مايو/2018	حذرت شركة الامن السيبراني الامريكي من زيادة ملحوظة في النشاط السيبراني الايراني في غضون (24) ساعة من انسحاب (ادارة ترامب) من خطة العمل الشاملة المشتركة.
12	12/يوليو/2018	حذر كبار المسؤولين الامريكيين من أنَّ ايران استعدت لهجمات سيبرانية واسعة النطاق ضد الولايات المتحدة الامريكية.
13	5/ديسمبر/2018	وجهت وزارة العدل الامريكية لائحة اتهام الى فاعلين ايرانيين سيبرانيين بشأن هجوم (sam sam ransam ware) على مدينة اتلانتا الامريكية.
14	يناير/ 2019	قامت شركة (fire eye) للأمن السيبراني بتفصيل حملة استمرت عامين من قبل ايران لسرقة بيانات اعتماد تسجيل الدخول وتفاصيل العمل في الولايات المتحدة الامريكية.
15	6/مارس/2019	قالت شركة مايكروسوفت انَّ الهجمات السيبرانية الايرانية استهدفت اكثر من (200) شركة في عامي 2017 و 2018
16	22/يونيو/2019	قالت وزارة الامن الداخلي الايرانية أنَّ ايران زادت من نشاطها السيبراني ضد الوكالات الحكومية الامريكية والصناعات الخاصة.
17	4/اكتوبر/2019	قالت شركة (مايكروسوفت) أنَّ ايران حاولت اختراق الحسابات المتعلقة بحملة اعادة انتخاب الرئيس الامريكي (دونالد ترامب) والمسؤولين الامريكيين.
18	22/اكتوبر/2019	كشفت المحكمة الموثقة ان مكتب التحقيقات الفدرالي الامريكي تعقب فاعلين ايرانيين سيبرانيين انتهكوا شركات تكنلوجيا الاقمار الصناعية الامريكية.

19	ابريل/2020	هاجم فاعلين ايرانيين سيبرانيين هجوماً سيبرانياً تصيداً احتيالياً ضد كبار المسؤولين التنفيذيين في شركة (جلعاد ساينسز)وهي شركة امريكية لصناعة الادوية.
20	4/يونيو/2020	قالت (google) أنَّ فاعلين ايرانيين سيبرانيين يستخدمون (apt35) قاموا بهجوم تصيد ضد حملة اعادة انتخاب الرئيس الامريكي (دونالد ترامب).
21	16/يوليو/2020	قالت شركة (IBM) أنَّ فاعلين ايرانيين سيبرانيين مع (APT35/ charming kitten) قاموا باختراق حساب (google) لمسؤول في البحرية الامريكية واستهدفوا موظفي وزارة الخارجية الامريكية بهجمات تصيد.
22	30/سبتمبر/2020	ازال موقع تويتر (150) حساباً منشؤها إيران كانوا يحاولون تعطيل المحادثة العامة خلال المناظرة الرئاسية الامريكية لعام 2020.
23	30/اكتوبر/2020	استهدفت مجموعة سيبرانية ايرانية مواقع انتخابات الولايات المتحدة الامريكية وحصلت بنجاح على بيانات تسجيل الناخبين في ولاية واحدة على الاقل وفقاً لمكتب التحقيقات الفيدراي (FBI) ووكالة الامن السيبراني والبنية التحتية (CISA)
24	3/ديسمبر/2020	اصدرت (CISA) تنبيهاً وعياً متزايداً للهجمات السيبرانية الايرانية وحذروا من نطاق قدرات ايران بما في ذلك تشويه موقع الويب، وهجمات رفض الخدمة الموزعة (DDOS) وسرقة معلومات التعريف الشخصية.
25	16/مارس/2021	قال مكتب المخابرات الوطنية ان ايران سمحت بحملة تأثير سيبراني خلال الانتخابات الرئاسية الامريكية لعام 2020 كان الهدف منها تقويض احتمالات اعادة انتخاب الرئيس السابق (دونالد ترامب).
26	30/مارس/2021	استهدف (charming kitten) المعروف باسم (الفوسفور) اكثر من عشرين باحثاً طبياً في الولايات المتحدة الامريكية حسبما افادت مجموعة (Proof point) للأمن السيبراني.
27	15/يوليو/2021	ازال موقع (facebook) ما يقرب من (200) حساب مزيف استخدمه فاعلين ايرانيين سيبرانيين لاستهداف افراد الجيش والدفاع الامريكي اذ سعى المتسللون الى اصابة اجهزة الكمبيوتر الخاصة بالمستهدفين ببرامج ضارة وسرقة معلومات تسجيل الدخول الخاصة بهم.

28	26/يوليو/2021	تم تسريب وثائق في الولايات المتحدة الامريكية حول كيفية قيام ايران باختراق البنية التحتية الحيوية للولايات المتحدة الامريكية بما في ذلك تنقية المياه وأنظمة امداد الوقود والاتصالات البحرية وكيفية اكتشاف انظمة ادارة المباني الذكية في الولايات المتحدة الامريكية.

الجدول من اعداد الباحث بالاعتماد على المصادر الآتية:

Sources:

1- Collin Anderson, Karim Sadjad pour, Iran's cyber threat: espionage, sabotage, and revenge, Carnegie endowment for international peace, Washington, 2018, p – x – xi.

2- Andrew Hanna, the invisible U.S. – Iran cyber war, The iran primer, united states institute of peace , 29/july/2021, p-4-8: https://www.iranprimer.usip.org

3- Annie fixler and frank cilloffo, evolving menace: iran's use of cyber – enabled economic war fare, report, FDD press, adivision of the foundation for deense of democracies, November, Washington, DC, 2018, p – 7.

4- Quentin E.Hogson, logon ma, krystna marcinek schwindt, fighting shadows in the dork, understanding and countering coercion in cyber space, published by the rand, corporation, santa monica, calif, 2019, p 23 – 24 - .

وللتوضيح اكثر عن مستوى وعدد الهجمات السيبرانية الايرانية حيال الولايات المتحدة الامريكية ضمن استراتيجيتها السيبرانية، سنطرح مخططاً بيانياً يوضح فيه ذلك، وكالآتي: مخطط رقم (2) يوضح مستوى وعدد الهجمات السيبرانية الايرانية بيانياً حيال الولايات المتحدة الامريكية

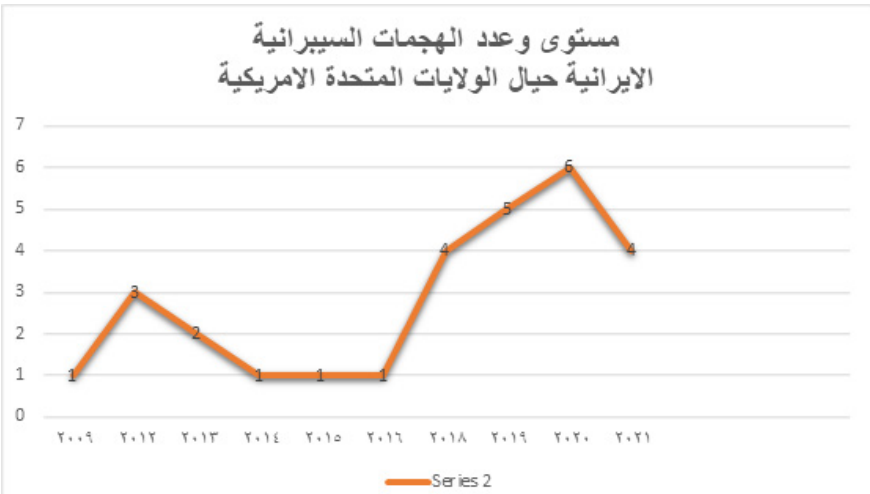

المخطط من اعداد الباحث، بالاعتماد على المصادر الآتية:

Sources:

1- Annie fixler and frank cilluffo, evolving menace iran's use of cyber – enabled economic war fare, report, FDD press, adivision of the foundation for deense of democracies, November, Washington, DC, 2018, p – 7 – 8 -.
2- Marie baezner, hotspot analysis: Iranian cyber – activities in the context of regional rivalries and international tensions, center for security studies (css), version – 1 - , Switzerland, may/2019, p - 6 - 8 -.
3- Andrew Hanna, the invisible U.S. – Iran cyber war, The Iran primer, united states ,institute of peace , 29/july/2021, p-4-8: https://www.iranprimer.usip.org
4- Ilan berman, the Iranian cyber threat ,Revisited, u.s. house of representatives committee on homeland security, American foreign policy council, 20 march, 2013, p – 3 -.

الخاتمة

نستنتج من كل ما تقدم أنَّ الحرب السيبرانية هي احدى أدوات الجيل الخامس من الحروب التي ميدان صراعها وعملها هو الفضاء السيبراني إذ تستخدم عبر هذا الفضاء الأسلحة السيبرانية من برامجيات وفايروسات ذات قدرة تدميرية ضد الجهة المستهدفة لذا سعت الدول ذات القدرات السيبراينة الى تفعيل ذلك وخاصة الولايات المتحدة الامريكية وايران (محط الدراسة) الدولتان ذات التاريخ الحافل بالصراعات، اذ استخدمت الولايات المتحدة الامريكية أولى هجماتها ضد ايران كان في عام 2006 عبر حملة الألعاب الأولمبية واستمرت بتلك الهجمات عبر استراتيجية سيبرانية خاصة لها عبر الإدارات الامريكية المتعاقبة وحتى وقتنا الحاضر ساعية من ذلك لتدمير وإنهاك وابطاء القدرات الحيوية لإيران والبنى التحتية خاصة في اطار قدراتها النووية متمثلاً بالبرنامج النووي الإيراني وصولاً لما مخطط له ضمن استراتيجيتها الخارجية، مع رد إيراني استراتيجي سيبراني ضد الولايات المتحدة الامريكية بدأ في عام 2009 واستمر حتى وقتنا الحاضر عبر استراتيجية سيبرانية خاصة شكلت مؤسسات عاملة لذلك عبر أسلحة سيبرانية هدفها الحاق اكبر ضرر داخل المواقع الحيوية والبنى التحتية للولايات المتحدة الامريكية لإثبات أنَّ ايران لها القدرة السيبرانية على الرد والهجوم الاستباقي أيضاً، وهذه الهجمات السيبرانية لكلا الطرفين تدخل ضمن النطاق الاستراتيجي غير المعلن، وعليه طرحنا مخططاً بيانياً يوضح مسار الهجمات السيبرانية لكلا الطرفين لمعرفة ما دار بينهما ضمن النطاق الاستراتيجي السيبراني التي في المستقبل قد تمهد لمرحلة تصعيد

لحرب شاملة بين الطرفين إلّا إذا بقيت تحت نطاق التحكم الاستراتيجي، فضلاً عن ذلك تم طرح الحرب السيبرانية كنشأة ومفهوم والمفاهيم المقاربة لها مع الوسائل والأهداف للضرورة العلمية البحثية .

قائمة المصادر

- المصادر العربية

أولاً الكتب:

1-إيهاب خليفة، مجتمع ما بعد المعلومات: تأثير الثورة الصناعية الرابعة على الامن القومي، العربي للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2019.

ثانياً: البحوث العلمية.

1- اميرة عبد العظيم محمد، المخاطر السيبرانية وسبل مواجهتها في القانون الدولي العام، مجلة الشريعة والقانون، العدد 35، الجزء 3، كلية القانون، جامعة الامارات العربية المتحدة، 2020.

2- حيدر كاظم عبد علي، رباب محمود عامر، التنظيم القانوني للهجمات السيبرانية على المنشآت ذات القوى الخطرة، مجلة الكوفة، العدد47، جامعة الكوفة، 2019.

3- زينب شنوف، الحرب السيبرانية في العصر الرقمي: حروب ما بعد كلاوزفيتش، المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، المجلد 9، العدد2، جويلية (يوليو)، الجزائر، 2020.

4- يحيى ياسين سعود، الحرب السيبرانية في ضوء القانون الدولي الإنساني، المجلة القانونية (مجلة متخصصة في الدراسات والبحوث القانونية)، العدد 4, جامعة القاهرة – كلية الحقوق – فرق الخرطوم، 2018.

5- إسماعيل زروقـة، الفضاء السيبراني والتحول في مفاهيم القوة والصراع، مجلة العلوم القانونية والسياسية، منشورات جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي، المجلد10، العدد1، الجزائر، 2019.

6- علي عبد الرحيم العبودي، هاجس الحروب السيبرانية وتداعياتها على الأمن والسلم الدوليين، مجلة قضايا سياسية، العدد 57، جامعة النهرين – كلية العلوم السياسية، 2019.

7- نورة شلوش، القرصنة الالكترونية في الفضاء السيبراني «التهديد المتصاعد لأمن الدول» ، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، المجلد8، العدد2، جامعة بابل، 2018.

8- محمد وائل القيسي، مستقبل الامن الاستراتيجي العالمي في ظل التحديات التكنو – معلوماتية والفضاء السيبراني، مجلة دراسات إقليمية، مركز الدراسات الإقليمية، السنة14، العدد44، نيسان، جامعة الموصل، 2020.

9- تغريد صفاء، لبنى خميس مهدي، أثر السيبرانية في تطور القوة، مجلة حمورابي للدراسات، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، العدد 33 – 34،

السنة 8، شتاء -ربيع، بغداد، 2020.
10- زهراء عماد مجيد كلنتر، احمد عبيس نعمة الفتلاوي، تكييف الهجمات السيبرانية في ضوء القانون الدولي، مجلة الكوفة للعلوم القانونية والسياسية، المجلد 1، العدد 44، آذار، جامعة الكوفة – كلية القانون، 2020.
11- حيدر أدهم الطائي، علي محمد كاظم، المشاركة المباشرة للهبة الجماعية في الهجمات السيبرانية، مجلة كلية الحقوق، المجلد 21، العدد 2، جامعة النهرين، 2019.
12- صلاح مهدي هادي الشمري، زيد محمد علي إسماعيل، الامن السيبراني كمرتكز جديد في الاستراتيجية العراقية، مجلة قضايا سياسية، السنة 12، العدد 62، جامعة النهرين، كلية العلوم السياسية، 2020.
13- احمد بن علي الميموني، الجبهة النشطة: تداعيات المواجهة السيبرانية بين ايران و(إسرائيل)، مجلة الدراسات الإيرانية، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، السنة 4، العدد 12، اكتوبر ,المملكة العربية السعودية، 2020.

ثالثاً الانترنت

1- الحروب السيبرانية – نتائج ملموسة لمعارك غير مرئية، الجندي، بتاريخ 1/ ابريل/2021، ص1، الشبكة الدولية للمعلومات:
https://www.aljundi.ae%d8%a7%84%d9
2- غيث علاو، الهجمات السيبرانية أكبر من حروب نووية بوسائل الكترونية، موقع جادة ايران، بتاريخ 5/يوليو/2020، الشبكة الدولية للمعلومات:
https://www.jadehiran.com/archives/16835
3- وقائع الحرب السيبرانية «الخفية» بين الولايات المتحدة وإيران، الحرة، ترجمات – واشنطن، بتاريخ 25/فبراير/2021، الشبكة الدولية للمعلومات:
https://www.alhurra.com/iran/2021/02/25
4- فايروس ضرب برنامج ايران النووي، عربي bbc news، بتاريخ 22/ نوفمبر/ 2010، الشبكة الدولية للمعلومات:
https://www.bbc.com/arabic/middleeast/2010/11
5- كيف هوجمت المنشأة النووية الإيرانية في «نطنز» المعزولة من الانترنت، العربية، بتاريخ 6/ يوليو/2019، الشبكة الدولية للمعلومات:
https://www.alarabia.net/iran/2019/07/06
6- استراتيجية أمريكية شرسة للأمن الالكتروني تستهدف الصين وروسيا، عربية sky news، ابوظبي، بتاريخ 21/سبتمبر/2018، الشبكة الدولية للمعلومات:
https://www.skynewsarabia.com/world/1184165
7- مواجهة 2020 خطة بايدن للحرب السيبرانية، قناة الحرة، بتاريخ 29/ ديسمبر/2020، الشبكة الدولية للمعلومات:
https://www.alhurra.com/episode/2020/12/29/801626

8- ريتشارد ووكر، قمة بايدن وبوتين ... وشبح الخطر النووي السيبراني، موقع DW، بتاريخ 16/ يونيو/2021، الشبكة الدولية للمعلومات:
https://www.dw.com/ar/%D,%85%D8
9- بايدن: من المنطقي مهاجمة الخوادم التي تنطلق منها الهجمات السيبرانية، موقع RT عربي، بتاريخ 9/يوليو/2021، الشبكة الدولية للمعلومات:
https://www.arabic.rt.com/world/1250247
10- فراس الياس، عقيدة الأمن السيبراني في إيران ومعادلات المواجهة مع أمريكا، موقع ن بوست، بتاريخ 14/ أغسطس/ 2019، الشبكة الدولية للمعلومات:
https://www.noonpost.com/content/28950
11- مهدي مبارك عبد الله، الجيش السيبراني الايراني القوة السرية المدمرة، موقع جرس، بتاريخ 22/ ابريل/2019، الشبكة الدولية للمعلومات:
https://www.garasanews.com/article/325741
12- محمد محمد السادة، الضرورة والمحظورات في «حرب الظل» بين ايران والعدوّ (الإسرائيلي)، موقع الميادين نت، بتاريخ 11/ أغسطس/ 2021، الشبكة الدولية للمعلومات:
https://www.almayadeen.net/articles/%D8%A7%D9

- المصادر باللغة الإنجليزية

first: books

1- tim Jordan, cyber power: the culture and politics of cyber space and the internet, routledge, London, 1999.

2- Athina karatzogianni, cyber conflict and global politics, London and new York, 2009..Routledge

3- jeetendra pande, introduction to cyber security (fcs), published by: uttarkhand open university, haldwani, 2017 .

4- Collin Anderson, Karim Sadjad pour, Iran's cyber threat: espionage, sabotage, and revenge, Carnegie endowment for international peace, Washington, 2018.

5- Quentin E-Hogson, logon ma, krystna marcinek schwindt, ,fighting shadows in the dark, understanding and countering coercion in cyber space, published by the rand, corporation, santa monica, calif, 2019.

6- Marie baezner, hotspot analysis: Irani an cyber – activities in the context of regional rivalries and international tensions, center for security studies (css), version – 1 - , Switzerland, may/2019 .

Secondly: : research, priodecals and reports

1- Michael Robinson, Kevin jones, helge janicke , cyber war fare: issues and challenges, article in computer and security, Elsevier volume – 49 -, march, united kingdom, 2015 .

2-Andrea bendovschi, cyber – attacks – trends, patterns and security counter measures, article in procedia economics and finance, Elsevier, volume 28, 2015 .

3-p.s. seema, s.nandhini, m.sowmiya, over view of cyber security, international journal of advanced research in computer and communication engineering, article in ijarcce, volume 7, issue 11, November, 2018 .

4- darko galince, darko mozink and boris guberina, cyber security and cyber defence: national level strategic approach, journal for control, measurement, electronics, computing and communications, article in automatika, volume 58, number3, july, 2017 .

5- g.n reddy, g.j.u.reddy, a study of cyber security challenges and its emerging trends on latest technologies, computer science, arxiv, 8 February, 2014.

6- Robert "Jake" bebber, cyber power and cyber effectiveness: an analytic framework, comparative strategy an international journal, routledge, taylor & francis group, volume 36, November 5, 2017 .

7- alexander kosenkov, cyber conflict a new global threat, future internet, mdpi, 8, 45, 2016 .

8- Stefan soesanto and max smeets, cyber deterrence: the past, present, and future, center for security studies (css), Switzerland, 2021 .

9- tim stevens, cyber weapons: power and the governance of the invisible, article in international politics, springer, king's collage London, may, 2018 .

10- mattias schulze, joseph kerscher, Paul bochtler, cyber escalation: the conflict dyad USA / Iran as a test case, working paper, swp, german institute for international and security affairs, December, 2020 .

11- marie baezner, Patrice robin, stuxnet, publisher(s) :cene

ter for security studies (css), issue 4, E T H Zurich, Switzerland, 2017.

12- president Donald J.Trump, national cyber strategy of the united states of American, the white house, Washington, dc, September, 2018 .

Third: internet

1-Andrew Hanna, the invisible U.S. – Iran cyber war, The iran primer, united states institute of peace , 29/july/2021,international information network : https://www.iranprimer.usip.org/blog/2019/oct/25/invisible

2- David p. fidler , america's place in cyber pace: the biden administration cyber strategy Takes shape, council foreign relation, foreign affairs, march, 11, 2021, international information network: https://www.cfr.org/blog/americas-place-cyberspace

ظاهرة الإرهاب في منطقة الشرق الأوسط بعد عام 2011 سوريا واليمن – انموذجاً-

م.د. اسيل حمزة*
باحثة من العراق

* aseelhamza2018@gmail.com

ملخص :

تحظى قضية الإرهاب باهتمام كبير من المجتمع الدولي، لأن هذه الظاهرة تشكل بعدًا خطيرًا للأمن والاستقرار في المجتمع. إن ظهور الإرهاب لم يولد اليوم، ولكنه قديم، ومنذ ظهور الإنسان والإمبراطوريات، ولكنه يختلف باختلاف أنواعه، محليًا أو دوليًا، وأماكنه في أوروبا أو آسيا أو أسبابه.

عام 2011 م هو تحول في تاريخ الشرق الأوسط، وشهد ذلك العديد من الانتفاضات بينهم في مصر والتي أدت إلى سقوط النظام الحاكم لعقود ومحاولات أخرى في الخليج واليمن مع سقوط النظام هناك وتدخل الجماعات الارهابية فيه وتدهور خطير في دول مثل العراق وسوريا.

ان الوقوف بوجه الإرهاب يبقى هدفا أساسيا من المعارك التي يواجها التحالف العربي اليمني، كي يحافظ البلد على سيادته ويحمي نفسه من اي تنظيمات ارهابية من خلال تصدي الأجهزة الاستخباراتية لخلايا إلارهاب، فضلا عن ان الهجوم الإرهابي على سوريا اليوم جعل من الضروري وقوف القوات المسلحة العربية السورية لمواجهة هذا الإرهاب والقيام بدورها الدستوري وواجبها في الدفاع عن الوطن وحماية إنجازات الشعب.... ومن خلال الاستكشاف الدقيق وجمع المعلومات عن الجماعات الإرهابية المسلحة، والاطلاع على مراجعها ومصادر تمويلها وتسليحها وحماية الحدود.

إذا أصبح الإرهاب دوليًا وشاملًا، فعندئذ تقع على عاتق جميع دول العالم مسؤولية القضاء عليه بكل الطرائق والأساليب الممكنة، والتي يجب أن تحقق النصر بأقل ما يمكن من التضحيات المادية والبشرية للتخلص منه بشكل جذري وايجاد عالم حر من الإرهاب والجريمة.

كلمات مفتاحية : الإرهاب الدولي، الشرق الأوسط، المجتمع الدولي

The phenomenon of terrorism in the Middle East after 2011

Syria and Yemen - a model-

Dr. Aseel Hamza

ABSTRACT

The world community pays close attention to the problem of terrorism because it represents a menace to society's security and stability. The emergence of terrorism is not born today, but it is old and since the emergence of man and empires, but it differs in different types, local or international, and its places in Europe or Asia or its causes.

A major shift occurred in the history of the Middle East in 2011, with several uprisings taking place in Egypt that led to the fall of the ruling regime for decades and other attempts in the Gulf and Yemen with the fall of the regime there and the terrorist groups' interference in it as well as a serious deterioration in countries such as Iraq and Syria.

The fight against terrorism remains a priority and an essential part of the battle waged by the Arab coalition in Yemen, so that this country does not turn into a major arena for terrorist organizations, through the intelligence services' response to terrorist cells, in addition to the terrorist attack on Syria today made it necessary for the Syrian Arab Armed Forces to stand to confront this terrorism and to carry out its constitutional role and duty in defending the homeland and protecting the achievements of the people ... and through careful exploration and collection of information on armed terrorist groups, and access to their references, sources of funding, their arming, and border protection.

If terrorism becomes international and comprehensive, then it is the responsibility "of all countries of the world" to combat and combat it by all possible means and methods, which should achieve successes with the least human and material losses to eliminate it radically and create a world free from terrorism and crime.

KEYWORDS: international terrorism, the Middle East, the international community.

المقدمة

يحتل موضوع الارهاب اهتماما كبيرا من المجتمع الدولي , لما تشكله هذه الظاهرة من ابعاد خطيرة على الامن والاستقرار في المجتمع .وإن ظهور الإرهاب ليس وليد اليوم بل هو قديم ومنذ ظهور الإنسان والإمبراطوريات لكن يختلف باختلاف أنواعه محلي أو دولي ، وأماكنه في أوربا أو آسيا ، أو أسبابه. وهناك مناطق ذات أهمية ومناطق ذات موقع إستراتيجي تشتمل على منافذ بحرية مطلة على مناطق التواصل بين القارات التي تكمن أهميتها خصوصا في تنقل التجارة من جهة أو من خلال حملات توسعية مثل بريطانيا وفرنسا سابقا ولاسيما منطقة الشرق الأوسط.

يعد الإرهاب واحدا من المشاكل الاساسية في الشرق الأوسط مما يؤثر ثأثيرا بالغا على العلاقات الدولية بسبب علاقاتها الداخلية والخارجية لدول العالم المختلفة.

يعد الإرهاب واحدا من المشاكل الاساسية في الشرق الأوسط مما يؤثر ثأثيرا بالغا على العلاقات الدولية بسبب علاقاتها الداخلية والخارجية لدول العالم المختلفة

كما يعد تاريخ عام 2011م تحولا في تاريخ الشرق الأوسط وهذا لشهود دول انتفاضات عديدة منها في مصر أدت إلى سقوط النظام الحاكم لعشرات السنين ومحاولات أخرى في الخليج واليمن بسقوط النظام فيها وقيام جماعات إرهابية بالتشويش فيها وكذلك تدهور خطير في دول مثل العراق وسوريا.

وأصبح الإرهاب الدولي يشكل واحدة من أكثر التحديات الاجتماعية والسياسية التي تواجه البشرية خطورة من حيث حجمها، وعدم القدرة على التنبؤ بعواقبها. وإن الإرهاب يهدد أمن العديد من البلدان، ويتسبب بخسائر سياسية واقتصادية هائلة، كما يحدث تأثيراَ نفسياَ قوياَ على السكان، فضلا عن التنظيمات الإرهابية في الظروف الحديثة تتميز بانتشارها على نطاق واسع، وبكونها ظاهرة عابرة للحدود.وهذا مانتطرق اليه في هذا البحث.

اهمية البحث :

تنبع اهمية البحث من ازدياد ظاهرة الارهاب في العالم , وبالأخص في منطقة من المناطق الحيوية في العالم الاوهي منطقة الشرق الاوسط والتي تُعد من المناطق المؤثرة في توازن القوى والمصالح ,مما يستلزم تسليط الضوء على هذه الظاهرة وعلى مفهوم الشرق الاوسط ,وعلى اسباب ودوافع الارهاب, وعلى أهم التنظيمات الارهابية في بعض الدول (اليمن –سوريا انموذجا) ،وتأثير ظاهرة الارهاب على الامن القومي العربي ، ومستقبل ظاهرة الارهاب في منطقة الشرق الاوسط (اليمن – سوريا انموذجا) .

فرضية البحث:

اصبح الارهاب احدى الظواهر المؤثرة في مناطق الشرق الاوسط , والتي ازداد بعد ثورات الربيع العربي عام 2011م , اذ تميزت التنظيمات الارهابية بانتشارها بشكل واسع , والتي اعتمدت على العنف والقتل لتحقيق اهدافها مما ادى الى انعدام الامن والاستقرار في هذه المناطق.

منهجية الدراسة : تم اعتماد بعض المناهج في الدراسة ومنها المنهج التاريخي، في دراسة التطورات التاريخية لمفهوم الشرق الاوسط وكذلك تعريفات الارهاب ,وتم الاعتماد على المنهج التحليلي في بيان اسباب ودوافع الارهاب.

هيكلية الدراسة : سيتم تقسيم البحث على مقدمة وخاتمة واستنتاجات واربع مطالب:

المطلب الاول: مفهوم الارهاب ومفهوم الشرق الاوسط .

المطلب الثاني: اسباب ودوافع الارهاب .

المطلب الثالث : التنظيمات الارهابية في الشرق الاوسط بعد عام 2011م(اليمن, سوريا انموذجا).

المطلب الرابع: مستقبل التنظيمات الارهابية في منطقة الشرق الاوسط (سوريا-اليمن انموذجا):

المطلب الاول: مفهوم الارهاب ومفهوم الشرق الاوسط .

اولا: مفهوم الارهاب :

1- الارهاب لغة:

يأتي الإرهاب في اللغة العربية من الفعل «رَهب , يُرهب, رَهبةً» أي خاف, ورهبه أي خافه. والرهبة هي الفرع والخوف وهو راهب من الله تعني خائف منه,وترهبه أي توعده أما في «القرآن الكريم» فقد تم توضيح معنى الإرهاب الى ما جاء في الآيات القرآنية التي تأتي بمعنى الفزع والخوف, والخشية, والرهبة من عقاب الله تعالى , فقد جاء في قوله تعالى:. «إنما هو اله واحد فإياي فارهبون», وورد «إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً»[1].

لكن بعض المعاجم الحديثة اكدت المعنى اللغوي لكلمة الارهاب. فقد وضح المنجد ان الارهابي هو من يلجأ الى الارهاب ليفرض سلطته. ووضح الوسيط ايضا أنَ الرهب هو الخوف والارهابيون وصف يطلق على الذين ينتهجون سبل العنف من أجل تحقيق اغراضهم السياسية.

ويعني الارهاب في معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية «بث الرعب الذي يثير الخوف والفعل اي الطريقة التي تحاول بها جماعة منظمة او حزب أنْ يحقق اهدافه عن طريق استخدام العنف، وتوجه الاعمال الارهابية ضد الاشخاص سواء كانوا

(1) «كريم مزعل شبي, مفهوم الارهاب (دراسة في القانون الدولي والداخلي),مجلة اهل البيت ع,العدد2,,كربلاء,2005,ص32.»

افراداً او ممثلين للسلطة ممن يعارضون اهداف هذه الجماعة».

اما **التعريفات اللغوية** لمفردة الارهاب آلتي وردت في كتاب واقع الارهاب في الوطن العربي للدكتور «محمد فتحي»:

1 .**القاموس الفرنسي «لاروس»** «الارهاب هو مجموعة أعمال العنف التي ترتكبها مجموعة ثورية او اسلوب عنف تستخدمه الحكومة».

2 .قاموس اللغة «روبير» يعرّف الارهاب بأنَه «الاستخدام المنظم لوسائل استثنائية للعنف من أجل تحقيق هدف سياسي».

3 .قاموس آكسفورد للغة الانجليزية «استخدام الرعب خصوصا لتحقيق اغراض سياسية».[2]

(2) حسن عزيزالحلو, الارهاب في القانون الدولي, رسالة ماجستير غير منشورة,الاكاديمية العربية المفتوحة, الدنمارك, 2007,ص270-ص30.

2- التعريف الفقهي للإرهاب:

على الرغم من الانتشار الواسع لمصطلح الإرهاب، إلا أنه لا يوجد تعريف دولي أو علمي ثابت، ويرجع ذلك إلى العوامل الأيديولوجية المختلفة المرتبطة بهذا المفهوم والثقافات المختلفة في العالم، أي العوامل المختلفة التي يتم أخذها في الاعتبار. قد لا تكون أعمال الإرهاب من منظور ثقافة أو مجتمع معين هي الحال بالضرورة في مجتمع آخر.[3]

(3) جمال نصار,ظاهرة الارهاب :محدداته وحقيقته المواجهة والتناقضات الدولية,مركز الجزيرة للدراسات,2015/4/2, ص4ينظر على الرابط التالي: .https://studies /aljazeera.net

ظهر الارهاب كتعبير وممارسة قبل قرنين من الزمن فاذا كانت الحروب قد بدأت مع بداية العنصر البشري

فقد ظهر الارهاب كتعبير وممارسة قبل قرنين من الزمن فاذا كانت الحروب قد بدأت مع بداية العنصر البشري فان الارهاب لم يتبلور واقعيا الا في عام 1793م وكان ذلك في عهد الترهيب في فرنسا من 10اذار/مارس عام 1793م الى 27تموز/يوليوعام 1794م ومنه اشتقت اللغتان الانكليزية والفرنسية كلمة الارهاب (**Terrorism**) بالانكليزية و(**Terrorisme**) بالفرنسية.[4]

(4) توفيق فارس العودات,الارهاب والقانون الدولي,مجلة دراسات الدولية,العدد18,مركز الدراسات الدولية,بغداد,2002,ص131.

ولقد حاول العديد من الفقهاء والأكاديميين اعطاء تعريف للإرهاب والتعريف بأدواته. وقد تم عقد العديد من المؤتمرات السياسية التي بذلت جهودا بالغة لوضع معيار شامل ووافي لكل انواع الارهاب ودوافعه ومن هذه التعاريف:-

ويعرفها البعض على أنها «العمل الإجرامي المصحوب بالرعب أو العنف أو الفزع يقصد تحقيق هدف معين». وهنا يربط الفقيه التحريض بالإرهاب والخوف بأهداف تحقيق إرهابية محددة، مما ينفي عشوائية اختيار الهدف.[5]

(5) «خضير ياسين الغانمي,ظاهرة الارهاب الدولي-العوامل الدافعة وكيفية معالجتها,مجلةجامعة اهل الب يت»,العدد16,كربلاء,2014,ص299 -ص300.

وعرف المؤتمر الدولي الذي عقد تحت اشراف عصبة الامم المتحدة عام 1937م من اجل عقد اتفاقية دولية لقمع ومنع الارهاب «بأنَها الافعال الجنائية الموجهة ضد

دولة ويكون الغرض منها او يكون من طبيعتها اثارة الفزع والرعب لدى شخصيات معينة او جماعات من الناس او لدى الجمهور».[6]

ويقول «هانز بيتر» وهو مستشار قانوني للّجنة الدولية للصليب الأحمر «الإرهاب ظاهرة اجتماعية ذات متغيرات عديدة للغاية، لذا لا يمكن وضع تعريف علمي لها»،لذلك لا داعي لتعريف الإرهاب ، طالما أنك تراقبه ، يمكنك أن تعرفه. وتشخيص السبب أهم من التعريف .[7]

ويقول الفقيه « واتسون» إن عملية الارهاب له عدة اهداف من أهمها هو جلب الانتباه أو الحصول على التنازلات وتحقق إغراض اذ إن الإرهاب «انه استراتيجية أو طريقة تحاول عن طريقها جماعه منظمه أو حزب من اجل الانتباه لأهداف هو فرض التنازلات لأغراضه من خلال الاستعمال المنظم للعنف».[8]

أنه نتاج العنف المتطرف الذي يرتكب من أجل الوصول إلى أهداف سياسية معينة يضحي من أجلها كافة المعتقدات الإنسانية الاخلاقية

وعرف الفقيه «ويلكنسون» الارهاب: «إلى أنه نتاج العنف المتطرف الذي يرتكب من أجل الوصول إلى أهداف سياسية معينة يضحي من أجلها كافة المعتقدات الإنسانية الاخلاقية».[9]

وعرف الدكتور «اسماعيل صبري مقلد» الارهاب الدولي بقوله «هو الارهاب الذي يتخطى الحدود السياسية للدول او أنَه الارهاب الذي تنتج عنه ممارسة ردود فعل واصداء دولية قد يتسع تأثيرها او يضيق بحسب الاحوال»، وبذلك يقصد الاستاذ أنَ الارهاب هو جريمة دولية يرفضها المجتمع الدولي عن طريق ردود الافعال والادانة التي تعقب العمل الارهابي.[10]

وعرفه الدكتور «احمد عز الدين» بأنَه: «استراتيجة عنف منظم ومتصل من خلال جملة من اعمال القتل والاغتيال وخطف الطائرات واحتجاز الرهائن وزرع المتفجرات وماشابه من افعال التهديد بها تهدف الى خلق حالة من الرعب العام, وذلك بقصد تحقيق اهداف سياسية».[11]

أنه نتاج العنف المتطرف الذي يرتكب من أجل الوصول إلى أهداف سياسية معينة يضحي من أجلها كافة المعتقدات الإنسانية الاخلاقية

وعلى الرغم من الجهود التي بذلت سواء على صعيد (الباحثين والفقهاء) أو على الصعيد الدولي, فمفهوم الإرهاب يستعمل بمعان مختلفة ومضامين ملتبسة، فكل طرف سواء كان نظاما سياسيا أو فاعلا اجتماعيا، أو باحثا أو مثقفا له معنى ومدلول خاص به، ومهما بذلنا من جهود في عملية التحديد، فإن مضامينه تظل مسألة خلافية.

(6) حميد السعيدي ,مقدمة في القانون الدولي الجنائي,ط1,مطبعة المعارف ,بغداد,1971,ص138.

(7) «- حسن عثمان علي، الإرهاب الدولي ومظاهره القانونية والسياسية في ضوء أحكام القانون الدولي العام،ط1, مطبعة مناره، أربيل، 2006،ص 30.

(8) خضير ياسين الغانمي, مصدر سبق ذكره,ص300.

(9)Wilkinsan p. three question terrorisme in coverment and oppositian val .8 na 3 londan 1973 p.292

(10) إسماعيل صبري مقلد ، الاستراتيجية والسياسية الدولية ، والمفاهيم والحقائق الأساسية ، ط 2 ، مؤسسة الابحاث العربية ، بيروت ، 1985 ، ص 47

(11) هيثم عبد السلام محمد,مفهوم الارهاب في الشريعة الاسلامية,ط1,دار اكتب العلمية,بيروت ,2008,ص26.

ثانيا: مصطلح الشرق الاوسط:

يمكن إرجاع أصل اسم الشرق الأوسط إلى البلدان الاستعمارية، حيث يتم استخدامها لوصف المنطقة الجغرافية الواقعة حول البحر الأبيض المتوسط والشرق والجنوب، وتمتد إلى الخليج العربي. سميت هذه المنطقة من الجغرافيين في العالم القديم في عصر الاكتشاف الجغرافي العظيم، وكانت مهد الحضارة الإنسانية ومهد الأديان في السماء، وهناك أسماء متعددة تشير إلى نفس المعنى الإقليمي، ولكن لفترات مختلفة وأسباب.:[12]

1- الشرق القديم او الاقدم:

لقد أستخدم علماء الآثار والحضارة هذا المصطلح للدلالة إلى المنطقة التي نشأت فيها أولى حضارات الارض أو ما تسمى بالعالم القديم، وهي المنطقة الممتدة من مصر والعراق وبلاد الاناضول وايران غربا .[13]

2- الشرق الاقصى:

يتخذ من الصين اساساً له وهي منطقة اقليمية واسعة تتمتع جغرافيا بامتداداتها المحيطية الكبيرة المطلة على المحيطين الهادي والهندي، وتؤلفها مجموعة اقليم واسعة تقع في شرق اسيا واقصى العالم وتتألف جغرافيا من: الهند والصين، منغوليا , اليابان , دول جنوب شرق اسيا.[14]

3- «الشرق الادنى»:

استخدم هذا المصطلح لأول مرة من قبل العالم البريطاني هوجارت في عام 1902م .نشر كتابًا بنفس الاسم في نفس العام. وكان يقصد هذه المنطقة الواقعة تحت سيطرة الإمبراطورية العثمانية، بعيدًا عن العالم، فضلاً عن تركيا ودولة الإمارات العربية المتحدة. البلقان.الدول، وكذلك مصر وإيران ليست جزءًا من هذا الاسم لأنها ليست تحت سيطرة الإمبراطورية العثمانية. من وجهة نظر سكان أوروبا الغربية، فإن الإمبراطورية العثمانية هي الشرق الأدنى، ولهذا السبب أنا استخدم هذا الاسم لتعكس المنظور الأوروبي.[15]

4- «الشرق الاوسط»:

اتفقت معظم أعمال الأمم المتحدة باللغات الإنجليزية والفرنسية والعربية على إدخال مصطلح «الشرق الأوسط» ليحل محل المصطلح السابق، والإشارة إلى المنطقة الممتدة من تركيا شمالاً إلى اليمن جنوباً، ومن ليبيا من الغرب لإيران شرقا. يرتبط مفهوم الشرق الأوسط وانتشاره بتطور التفكير الاستراتيجي البريطاني، لأن هذا التعبير استخدمه لأول مرة ضابط البحرية الأمريكية «ألفريد» عام 1902م. ماهان «، مؤلف نظرية القوة البحرية في التاريخ. لم يتم تأكيد استخدام هذا المفهوم حتى

(12) «يحيى احمد الكعكي : الشرق الأوسط وصراع العولمة ,دار النهضة العربية,بيروت ,٢٠٠٢ ,ص١٢٤ – ص125.

(13) صـدام حرير حمد,الصراع الدولي والاقليمي في الشرق الاوسط واثره على المنطقة العربية (انموذج ثورات الربيع العربي), العدد11, مجلة تكريت للعلوم السياسية ,تكريت ,2017,ص297.

(14) - محمود العفيفي , مشروع الشرق الاوسـط الكبير واثره على النظام الاقليمي , رسالة ماجستير منشورة, جامعة الازهـر, غزة,2012,ص12-ص24.

(15) ممدوح محمود مصطفى, الصراع الامريكي –السوفيتي في الشرق الاوسـط, مكتبة مدبولي،القاهرة, 1995,ص29».

ظهور الحرب العالمية الثانية عام 1939م، لذلك أسس مركز إمداد الشرق الأوسط وقيادة الشرق الأوسط، وتم استخدام هذا المفهوم في الحرب العالمية الثانية. انتشرت في الفترة اللاحقة، ومع ذلك، لا تزال هناك اختلافات كثيرة في تعريف المنطقة التي يشير إليها المصطلح.[16]

(16) صدام حرير حمد, مصدر سبق ذكره, ص289.

يرتبط مفهوم الشرق الأوسط وانتشاره بتطور التفكير الاستراتيجي البريطاني، لأن هذا التعبير استخدمه لأول مرة ضابط البحرية الأمريكية "ألفريد"

على الرغم من أن مصطلح «الشرق الأوسط» قد تم حله، إلا أنه لا يوجد إجماع كامل على نطاق المنطقة، حيث تم تعيين حدود الشرق الأوسط بأشكال مختلفة تمامًا بسبب الاختلافات في المصالح والمعايير. ويمكن القول إنَ منطقة الشرق الأوسط تمتد من اثيوبيا في الجنوب وتركيا في الشمال وأفغانستان وباكستان في الشرق إلى المغرب في الغرب. وهناك العديد من المعايير المختلفة والعديد من الطرق لتحديد حدود الشرق الأوسط، وسنحاول إظهار مدى تعقيد الموضوع في الأدبيات العلمية من خلال ذكر بعض الآراء الشعبية المختلفة. على سبيل المثال، عندما ننظر إلى الكتاب الذين يأخذون في الاعتبار المعايير الجغرافية المرتبطة برسم حدود المنطقة الممتدة بين الشرق الأوسط، يرى الباحث «براون» «بأن الشرق الأوسط هو حدود الإمبراطورية العثمانية السابقة، أي أن الشرق يشمل الجزائر، تونس، ليبيا، لبنان، مصر وسوريا وفلسطين والعراق والبحر الأبيض المتوسط، البحر الأحمر والخليج العربي وبحر قزوين».

لا يوجد إجماع كامل على نطاق المنطقة، حيث تم تعيين حدود الشرق الأوسط بأشكال مختلفة تمامًا بسبب الاختلافات في المصالح والمعايير

أما الجغرافي السويسري «بوش» يستخدم المصطلح الالماني «Osten Mittlerer» عن الشرق الاوسط ويرى «بأن حدود المنطقة كمنطقة جغرافية هي بين ساحل بلاد الشام وريفها، والسهول من نهري دجلة والفرات، والشمال مناطق الصحراء العربية والخليج العربي». ويرى «هيدسون» «أن الشرق الأوسط ككل يتكون من ثلاثة أنظمة جزئية: الشرق العربي المشرق، و شمال افريقيا, المغرب العربي,ومنطقة الخليج ,الخليج».

مع تفكك الاتحاد السوفياتي حدثت تغيرات هائلة في مجال العلاقات الدولية وفي مناطق جغرافية مختلفة من العالم بما في ذلك الشرق الأوسط، وتغيرت جميع القيود المفروضة على الشرق الأوسط وتأثرت بشدة. بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، سيطر السكان المسلمون على البلدان المستقلة مثل «أذربيجان وكازاخستان وتركمانستان وقيرغيزستان وأوزبكستان وطاجيكستان» وكان لها تقاليد ثقافية إسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز. وبحسب بعض الكتاب والباحثين، فإن هذه الدول في طور التحولات المتعددة، وبسبب هويتها الإسلامية، شكلت هذه

الجوانب مساحة كبيرة جديدة بالمعنى الثقافي والسياسي.ووفقا للباحث «لويس» «هذه البلدان التي هي جزء من الشرق الأوسط بالمعنى الثقافي والعرقي، اللغوي والديني في الماضي قد إكتسبت مرة أخرى هذا البعد التاريخي بعد إستقلالها». و أن الباحث «روبنز» أكد «بأن كلا المنطقتين تمتلكان إرثا تاريخيا، ثقافيا وسياسيا مشترك. وان حدود الشرق الأوسط يمكن توسيعها لتشمل آسيا الوسطى بسبب أربعة معايير: هي نظام الدولة, الدين , الثقافة,اللغة».

أدى تفكك «الاتحاد السوفيتي» وحرب الخليج الثانية عام 1991م إلى إعادة ترتيب حقائق جديد، وحرر السياسة الأمريكية من قيود فعالة، ومن ثم منحها فرصة جديدة لإعادة تعريف الشرق الأوسط وفقًا لمصالحها الخاصة، بما في ذلك العودة إلى الفكرة السابقة لدمج المنطقة العربية في منطقة أكبر. جغرافيا وديموغرافيا، يربط الدول العربية في شرق الجزيرة العربية مع تركيا وإيران، ويدخل الكيانات الإسرائيلية في المنطقة من خلال مشروع الشرق الأوسط. حاولت واشنطن فرض وجهات نظرها على الشرق الأوسط من خلال العديد من القضايا المتشابكة بين مستوييها العالمي والإقليمي مثل»التسلح واللاجئين والمياه والتعاون الإقتصادي مع السعي لتأسيس نماذج للتعاون والتكامل الإقتصادي والأمني على أسس جيواستراتيجية.»

وان حدود الشرق الأوسط يمكن توسيعها لتشمل آسيا الوسطى بسبب أربعة معايير: هي نظام الدولة, الدين , الثقافة,اللغة".

منذ عام 1997م، كانت الولايات المتحدة الأمريكية تعتمد على المفهوم الأوسع للشرق الأوسط الكبير، لأن هذا المفهوم الجديد يشمل تركيا وإيران والدول الإسلامية الغنية بالنفط في آسيا الوسطى، فضلاً عن سوق ضخم للبضائع الأمريكية. وقد تأكد ذلك فيما بعد من خلال إعلانها .. خطط ومعرفة مشروع الشرق الأوسط الكبير (الدول العربية: باكستان، أفغانستان، إيران ، تركيا ، إسرائيل) ومصطلحات أخرى مثل: الشرق الأوسط الجديد والشرق الإسلامي. يمكن القول إن مصطلح الشرق الأوسط بعد انتهاء الحرب الباردة لا يزال مصطلحًا غامضًا، فمن الناحية الجغرافية ليس له حدود واضحة، فهو يشمل أحيانًا الدول العربية وأحيانًا يخرجه من إطار هذا المفهوم. وقد وسعت دول المغرب العربي على وجه الخصوص، وبعض الدول وخاصة الولايات المتحدة، مصطلح الشرق الأوسط ليشمل أفغانستان، وقد يمتد شرقًا وشمالاً إلى تركيا، بينما فرضت إسرائيل دائمًا على هذه المجموعة.[17]

إن منطقة الشرق الأوسط من أهم المناطق التي تؤثر على ميزان القوى والمصالح في العالم، وموقعها الاستراتيجي المتفوق يجعلها ضمن قانون المعارضة والصراع المتداخلين

لذلك يمكن القول إن منطقة الشرق الأوسط من أهم المناطق التي تؤثر على

(17) «عبد الرزاق ابو زيدي,التنافس الامريكي -الروسي في مطقة الشرق الاوسط(دراسة حالة الازمة السورية 2010-2014),رسالة ماجستير منشورة,جامعة محمد الخضر,الجزائر,2014,ص35-ص42.

ميزان القوى والمصالح في العالم، وموقعها الاستراتيجي المتفوق يجعلها ضمن قانون المعارضة والصراع المتداخلين. قارات العالم القديم، قارات آسيا وأوروبا وأفريقيا، وتماسكها الجغرافي، سيطرت بدورها على أهم الممرات الدولية. مثل «قناة السويس، مضيق ماندي، جبل طارق، البوسفور، الدردنيل، تحتضن البحر الأحمر». تضارب المصالح الدولي. (انظر خريطة الشرق الأوسط)

«خارطة الشرق الاوسط:صدام حرير حمد,الصراع الدولي والاقليمي في الشرق الاوسط واثره على المنطقة العربية (انموذج ثورات الربيع العربي), العدد11, مجلة تكريت للعلوم السياسية ,تكريت,2017,ص29

المطلب الثاني: دوافع واسباب الارهاب :

- تتباين أسباب الإرهاب ودوافعه بتباين نوع العمل الارهابي وممن صدر «فرد أو جماعة أو دولة»؛ وقد تكون هذه الأسباب مختلفة ومتعددة، ويمكن أنْ نقسم هذه الاسباب والدوافع إلى: «دوافع شخصية»، وأخرى «مجتمعية».

«اولا: الدوافع والاسباب الشخصية»:

تختلف الاسباب والدوافع الشخصية التي تدفع الإرهابي إلى ارتكاب جريمة لتحقيق هدف شخصي، أو بسبب عامل يتعلق بشخصيته، وهذه الدوافع:»هي دوافع نفسية، وسياسية، وإعلامية».

1- **الدوافع والاسباب السياسية:** هنالك مجموعة من الدوافع السياسية التي توفر المناخ المناسب للممارسة الإرهاب وتنفيذ العمليات الإرهابية، ومن هذه الدوافع ما يلي[18]:

- الرغبة في الحصول على الاستقلال والحق في تقرير المصير، فعلى الرغم

(18) جمال نصار, مصدر سبق ذكره،ص4.

من تأكيد القرارات الدولية على حق الشعوب في تقرير المصير إلا أنه ما زالت هناك شعوب مضطهدة، الأمر الذي يدفع حركات التحرر الوطني إلى انتهاج السلوك الإرهابي والقيام ببعض العمليات التخريبية لإضعاف النظم المستعمرة وإلحاق الضرر بها.

- الصراعات العرقية في بعض المناطق التي تأخذ الطابع المسلح وتلجأ إلى استخدام التكتيكات الإرهابية على المستوى الدولي ضد مصالح بعض العرقيات.
- مقاومة القوات الأجنبية والسيطرة الخارجية، ومعارضة أنظمة الحكم.
- السعي إلى جلب الاهتمام العام العالمي لبعض القضايا ذات الطابع السياسي.
- استخدام القوة وانتهاك الاستقلال والسيادة والوحدة الإقليمية للدول، واحتلال أراضي الغير والهيمنة على الشعوب، فضلا عن التدخل في الشئون الداخلية للدول.
- انعدام المشاركة السياسية للغالبية العظمى من أفراد الشعب، الأمر الذي يؤدي إلى الإقصاء والتهميش ويفتح المجال أمام المؤسسات الحكومية للتلاعب في المجال السياسي كيفما تشاء، ومن أجل خدمة قلة من السياسيين والعسكريين.
- فضلا عن الدوافع السابقة، قد يكون الدافع وراء الإرهاب السياسات غير العادلة التي تنتهجها الدولة تجاه الشعب، والصراعات المحلية الداخلية بين الشعب والسلطة، وممارسة إرهاب الدولة ضد شعب معين، أو الانتقام من دولة معينة من خلال الإضرار بمصالحها.[19]

وان حدود الشرق الأوسط يمكن توسيعها لتشمل آسيا الوسطى بسبب أربعة معايير: هي نظام الدولة, الدين , الثقافة,اللغة".

(19) عبد الرحمن علي غنيم,دوافع الارهـــاب الـدولـي,الـحـوار المتمدن,العدد6310 , 8 / 4 / 2019 ينظرعلى الرابط التالي: http:// /www.ahewar.org

2- الدوافع الاعلامية:

ساهمت الثورة الإعلامية الهائلة في العالم في نشر الفكر المتطرف، والمظاهرالأخلاقية الإباحية والمظاهر الأخلاقية للإلحاد، ويتوقف تحقيق أهدافه على نشر الأفكار التي يعمل بها ووضعها أمام الرأي العام العالمي والمجتمع الدولي. تنال التنظيمات الثورية التأييد الشعبي وتأييد الرأي العام لقضيتها، فتلجأ إلى التأييد لقضية ما. والدفاع، وترك نوعًا من التعاطف لمن يدافع عنها، وإجبار الحكومة والبلد على الاعتراف بالعدالة والشرعية، والاهتمام بها على المستوى السياسي، ومن الأمثلة في هذا الصدد، اختطاف الطائرات وتفجير السفارات والقنصليات، لأنها نجحت في إثارة تعاطف معين مع مرتكبي هذه الأعمال على مستوى الرأي العام العالمي من خلال التقارير الإعلامية وتقارير المتابعة التفصيلية. درجة الظلم الذي عانوه ودرجة المعاناة التي عانى منها شعبهم. ولابد من فرض

رقابة الدولة على هذه الأساليب وعقد اتفاقيات بين الدول المختلفة لمكافحة هذا النوع من الإعلام، من أجل منع التحريض على البث ونشر الأخبار الكاذبة والقنوات التلفزيونية التي تحاول إثبات الأفكار الكاذبة.[20]

3-" الدوافع النفسية»:

تلعب البنية النفسية للفرد دورًا مهمًا في تفاعله مع المجتمع، وقد أظهرت الدراسات ذات الصلة أن اضطراب النمو البدني والنفسي والعاطفي والبيئة الاجتماعية غير الصحية ترتبط ارتباطًا مباشرًا بالسلوك الإرهابي. الانضباط الذاتي والاضطراب الشخصي في الأسرة، وخاصة الانفصال عن الوالدين والأصدقاء.[21]

تلعب عوامل الشخصية النفسية دورًا في تقديم تفسيرات لأشكال معينة من الإرهاب، وهو ما ينعكس في نتائج أبحاث العلماء في مجال شرح السلوك غير القانوني لبعض الأشخاص غير الطبيعيين. الفرد سواء في تكوينه العقلاني أو العضوي الخارجي أو النفسي على سبيل المثال، هناك بعض المعوقات والعقبات النفسية، حيث يؤدي انتقال الخصائص الجينية أو الجينية داخل مجموعة عرقية إلى اكتساب الفرد لخصائص المجموعة العرقية الأخرى.عاملا إضافيا للمجموعات التي ينتمي إليها، بما في ذلك المجموعات السلوكية الشاذة والمنحرفة ضمن هذه المجموعات إن وجدت. في جوانب نفسية أخرى، عندما تتعرض هذه الشخصيات لصدمات غير مسبوقة مثل أمراض معينة أو تقلبات نفسية شديدة وضغط مفاجئ، تلعب هذه الشخصيات دورًا مهمًا في تجسيد السلوكيات الإجرامية، مثل الحزن والاختبارات المفاجئة. وهذه الحادثة لم تنته فقط بهذا التصور، ولكن بسبب إعاقته الدائمة، شكل عقدة من عقدة النقص المادي أو الجسدي، مما جعله موضع سخرية في المجتمع المتعايش بسبب عجزه الشخصي. يدرك إمكاناته وطموحاته المادية، ويوفر له ولأسرته مستوى معينًا من الاحتياجات المعيشية، وفي كلتا الحالتين يحاول الفرد تعويض عقدة النقص الناتجة عن السلوك الإجرامي، والتي قد تكون مبنية على جريمته العقلية وسمعته ومظهره والمال الذي دعمته.ورقة عمل قدمت إلى اللجنة الخاصة بالإرهاب -الأمم المتحدة، حيث تم تحديد هذه العوامل على أنها «التهرب من أحكام معينة أو التزامات معينة، والمحبة، والشهرة، أوالدعاية للظهور». أو تجاهل اللوائح والعقوبات الدولية، والجنون، والحصول على مساعدة مادية لفائدة أفراد أو جماعات تكون حياتهم أو ظروفهم المعيشية صعبة.[22]

التهرب من أحكام معينة أو التزامات معينة، والمحبة، والشهرة، أوالدعاية للظهور". أو تجاهل اللوائح والعقوبات الدولية، والجنون

(20) «شريف عبد الحميد حسن ,الإرهـاب الدولي - أسبابه وطرق مكافحته في القانون الدولي والفقه الإسلامي – دراسـة مقارنة ,مجلة كلية الشريعة والقانون بطنطا,جامعة الازهر,2016,ص1147-ص1148.

(21) - «نبيل أحمد حلمي، الإرهـاب الـدولـي وفقًا للسياسة الجنائية الدولية، دار النهضة العربية، القاهرة 1988، ص23.

(22) خضير يـاسـيـن الغانمي , ظـاهـرة الارهـــاب الـدولـي.. الـعـوامـل الـدافـعـه وكيفيه معالجتها,مجلة اهل البيت,العدد» 16,كربلاء,2014,ص308.

«ثانيا: الدوافع المُجتمعية»

وهي دوافع المجتمع الذي يلعب فيه مرتكبو الأعمال الإرهابية دورًا رئيسيًا في دفعه نحو الإرهاب، ويمكن تقسيم هذه الدوافع على::

1-الاسباب والدوافع الاجتماعية:

من اهم العوامل الاجتماعية المؤثرة في الفرد الاسرة أو البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الفرد وهنالك اسباب وعوامل اجتماعية اخرى مؤثرة على أفراد المجتمع لا تقل أهمية عن دور الاسرة كانخفاض مستوى التعليم، واقتصار بعض المؤسسات التعليمية في تقديم خدمات للأثرياء اومعينة من المجتمع، والنقص الحاد في المكتبات العامة والخاصة، ونوعية الكتب التي يتم عرضها لإفراد المجتمع واسلوب الرقابة المفروض عليها، وانخفاض مستوى الدخول وانعدام الخدمات الصحية والحيوية الاخرى كالمياه والطاقة الكهربائية، وعدم الاهتمام بالبنى التحتية فقلة الاهتمام بالعوامل الاجتماعية في المجتمع الحاضن للفرد يولد الاحساس بالظلم والذي ينعكس على افراد المجتمع ليكون فريسة سهلة للجماعات والتنظيمات الارهابية، فيكون الفرد محبطا فاقدا للامل، وخاصة الافراد العاطلين عن العمل، الذين يتولد لديهم شعورا بانهم اشخاص غير منتجين في المجتمع الذي يعيشون به ،وأنهَم غير قادرين على تلبية احتياجاتهم المالية والمادية فيتولد لديه شعور بالكراهية والعداوة والرغبة للانتقام عن طريق الاعمال الارهابية.[23]

(23) سلطان عناد ابراهيم، الالية الدولية لمكافحة الارهـاب، رسالة ماجستير منشورة، جامعة الشرق الاوسط،عمان،2018،ص34.

2-الاسباب والدوافع الاقتصادية:

الفوارق الطبقية والاجتماعية، وحالات الفقر، والفساد المالي والإداري، والدخل المنخفض، والاكتئاب، والبطالة، والتوزيع غير العادل للثروة، والأجور والامتيازات، والتنمية الاقتصادية غير العادلة، ودرجات متفاوتة من المشاريع الحضرية والخدمية التي تجذب الناس من مكان إلى آخر. يعُد من مسببات الإرهاب بلغة الباحثين. ولأن الإرهابيين يعتبرون توافر هذه العوامل والشعور بالظلم الذي تؤدي إليه هذه العوامل، فإن هذه العوامل تعزز الإرهاب، فبعض الناس يربطون جرائم الإرهاب بالنظام الاقتصادي الحالي، مثال على ذلك هو النظام الرأسمالي. لذلك، فإن ظلم النظام وفئاته الاجتماعية، وعدم المساواة بين الأفراد، والتناقضات بين البرجوازية والطبقة العاملة، عندما تتحقق هذه الشروط، سوف تكون بؤر مناسبة لوقوع الجرائم. كثير من الناس في العالم في وضع مختلف لأنهم ضحايا هذه الدول الكبيرة، فهم يستغلون هذه الدول الكبيرة اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً ويربطونها بقيود الديون. ومع ازدهار الاقتصاد

ظلم النظام وفئاته الاجتماعية، وعدم المساواة بين الأفراد، والتناقضات بين البرجوازية والطبقة العاملة، عندما تتحقق هذه الشروط، سوف تكون بؤر مناسبة لوقوع الجرائم

والمجتمع، ولو نسبيًا، وفي بعض الدول ازدادت درجة الصراع من جميع النواحي، وخلقت فجوة وفراغًا وبُعدًا بين شعوب العالم، وخسارة للتوازن العالمي. وخلق عالمين، عالم من الازدهار الاقتصادي والتقدم ومستويات الدخل المرتفعة والتقدم الصناعي والعلمي. من ناحية أخرى، تعاني بعض الدول من الفقر والحرمان. والمطلوبات وهذا يؤدي إلى هذه المواقف التي تُسهم في الإرهاب، وتربط الإرهاب بتوافر ظروف معينة تؤثر على سلوك الفرد وتفكيره، ومنها على سبيل المثال الفقر والجهل. نعتقد أنه حتى لو كانت هذه العوامل متعددة، فلا يمكن أن تكون سببًا واحدًا، ولكن يمكن دمجها مع أسباب وعوامل أخرى تروج للإرهاب.[24]

(24) خضر ياسين الغانمي، مصدر سبق ذكره,2014,ص308-ص309.

3- الدوافع الاثنية:

تلجأ بعض الجماعات إلى العنف والإرهاب ضد مجموعة أخرى لديها قوة أقل لطردهم من منازلهم

عندما تسيطر النزعة العرقية على السلطة الحاكمة وتميز ضد شعبها، خاصة إذا كانوا أفرادًا من أعراق مختلفة، تلجأ بعض الجماعات إلى العنف والإرهاب ضد مجموعة أخرى لديها قوة أقل لطردهم من منازلهم. تمامًا مثل ما حدث للصرب في البوسنة والهرسك وكوسوفو، وفي جنوب إفريقيا بسبب التمييز العنصري للحزب الوطني، وصل الحزب الوطني إلى السلطة في عام 1948 ونفذ سياسة التمييز العنصري، والتي بموجبها يجب على الدولة أن تعتمد على قدراتها وخصائصها الخاصة التي تتطور بشكل مستقل في مناطق جغرافية مختلفة؛ وتحاول الأقلية البيضاء الاحتفاظ بالامتيازات التي تسمح لها بالتطور والنمو، مما يؤدي إلى اختلافات كبيرة في الوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي بين المجموعتين.

4- الدوافع الايديولوجية:

قد يؤدي عدم التسامح مع المبادئ الأيديولوجية أو الدينية إلى لجوء جماعة ما إلى ممارسات عنيفة وإرهابية في محاولة لفرض مبادئ معتقداتها على المجتمع الذي تعيش فيه، وقد تحاول الجماعة كسب القوة لتعزيز انتشار هذه المبادئ. وتطبيقات مثل: الصراعات بين الرأسمالية والاشتراكية، والصراعات بين البروتستانت والكاثوليك لأسباب دينية، والصراعات بين الهندوس والمسلمين في الهند[25].

(25) - جمال نصار,مصدر سبق ذكره،ص5.

يؤدي عدم التسامح مع المبادئ الأيديولوجية أو الدينية إلى لجوء جماعة ما إلى ممارسات عنيفة وإرهابية

وهنالك بعض الدوافع الدينية التي تقف وراء انتشار الإرهاب والعمليات الإرهابية، ومنها[26]:

(26) عبد الرحمن علي , مصدر سبق ذكره.

1. «عدم فهم مقاصد الشريعة الإسلامية والجهل بالدين».

2. «تلقي الخطاب الديني من أفراد غير مختصين، الأمر الذي يؤدي إلى فهم الأمور على غير حقيقتها مما يجعلها دافعاً للإرهاب».

3. «الغلو في الدين والتعصب الديني والطائفي والمذهبي». فضلا عن تبني مجموعات معينة (تسمى أحيانًا الجماعات الأصولية)، فإنها ترفض أيضًا الثقافات والحضارات الأخرى، وتقاوم الاتصالات الثقافية بين الحضارات المختلفة [27].

المطلب الثالث:التنظيمات الارهابية في الشرق الاوسط بعد عام 2011(سوريا, اليمن انموذجا):

اولا: التنظيمات الارهابية في الشرق الاوسط بعد عام 2011(سوريا، اليمن انموذجا):

مثل تنظيم القاعدة وفروعه الإقليمية نموذجا للإرهاب الذي انتشر في بيئة ما بعد الحرب الباردة، المرتبطة بالأوضاع الإقليمية ما بعد الحرب على افغانستان عام 2001م, وما بعد الغزو الأمريكي[*] للعراق عام 2003م.كما أن مناطق الشرق الاوسط شهدت تحولا جذريا منذ الانتفاضات العربية او مايسمى بالربيع العربي عام 2011م[**] وهذا لشهود عدد من الدول انتفاضات منها في مصر أدت إلى سقوط النظام الحاكم لعشرات السنين ومحاولات أخرى في دول المغرب العربي واليمن بسقوط النظام فيها وقيام جماعات إرهابية بالتشويش فيها وكذا تدهور خطير في دول مثل العراق وسوريا .

وكشفت نتائج مؤشر الإرهاب العالمي لمنطقة الشرق الأوسط عام 2019م، الذي يصدره معهد الاقتصاد والسلام، عن قائمة الدول العشر الأكثر تأثراً بالإرهاب، وهي أفغانستان، العراق، نيجيريا، سوريا، باكستان، الصومال، الهند، اليمن، الفلبين، الكونغو الديمقراطية. وقد شمل التقرير لعام 2019م ثلاث دول عربية: هي العراق وسوريا واليمن ضمن الدول العشر الأكثر تأثراً بالإرهاب.ويصنف المؤشر الذي يصدر للسنة السابعة على التوالي 163 دولة، وفقاً للتأثير النسبي للإرهاب، مع الأخذ في الاعتبار عدد الحوادث الإرهابية والوفيات الناجمة عن الإرهاب والقيمة الإجمالية للأضرار التي لحقت بالممتلكات.[28]وفي هذا المطلب سوف نتطرق الى بعض التنظيمات الارهابية في دول مثل سوريا واليمن وتأثير هذه التنظيمات على الامن القوي العربي:

1-الارهاب في اليمن: ظهر تنظيم القاعدة مع عودة كثير من المقاتلين في أفغانستان، مطلع التسعينات من القرن الماضي، وتوزعهم على مختلف دول العالم، وهي الفترة التي ظهر فيها تنظيم القاعدة كتنظيم دولي من خلال الهجمات التي نفذها في أكثر من دولة حول العالم، كتفجير مركز التجارة العالمي في نيويورك في الـ26 شباط/ فبراير عام 1993م، وما تلاها من عمليات إرهابية شهدتها عواصم عدة حول العالم، كمدريد وتونس ونيروبي، والرياض.

وأظهر الحادث الإرهابي في اليمن أن التنظيم كان موجودا في وقت مبكر جدا، لأن

(27) جمال نصار , مصدر سبق ذكره.

(*) قـادت الـولايـات المتحدة الامريكية حملة عسكرية واقتصادية وإعلامية وبمشاركة بعض الدول المتحالفة معها وتهدف هذه الحملة حسب تصريحات رئيس الولايات المتحدة السابق جورج دبليو بوش إلى القضاء على الإرهـاب والدول التي تدعم الإرهـاب. بـدأت هذه الحملة عقب هجمات 11 ايلول/ سبتمبرعام 2001م التي كان لتنظيم القاعدة دور فيها وأصبحت محوراً مركزياً في سياسة الرئيس الأمريكي السابق جـورج دبليو بـوش على الصعيدين الداخلي والعالمي وشكلت هذه الحرب انعطاف وصفها العديد بالخطيرة وغير المسبوقة في التاريخ لكونها حرباً غير واضحة المعالم وتختلف عـن الحروب التقليدية بكونها متعددة الأبعاد والأهداف. في ايار/مايو عام2010م قررت إدارة الرئيس الأميركي باراك أوباما التخلي عن مصطلح الحرب على الإرهـاب والتركيز على ما يوصف بـالإرهاب الداخلي، وذلك في استراتيجيتها الجديدة للأمن القومي. ونصت الوثيقة على أن الولايات المتحدة ليست في حالة حرب عالمية على الإرهاب أو على الإسـلام، بل هي حرب على شبكة محددة هي تنظيم القاعدة والإرهابيين المرتبطين به.ينظر:الحرب على الارهـاب ,ويكيبديا الموسوعة الـحـرة»,2020/2/10عـلـى الموقع الالكتروني: https://ar.wikipedia. /org

(28) احمد عابد,الدول الـ10 الأكثر تأثراً بـالإرهـاب في العالم خلال 2019,صحيفة الامـارات اليوم,15/ يناير/2020ينظر على الرابط التالي : https://www.emaratalyoum. /com

(**) بدأت شـرارة الانتفاضات في تونس وانطلقت الى الدول العربية الاخـرى . وتداخلت عـدة عوامل ايضا في انجاح الثورة في تونس منها: احراق ابو عزيزي لنفسه في سيدي بوزيد وذلـك في 17كانون الأول/ ديسمبر عام 2010م,احتجاجا على مضايقته ومنعه من ممارسة التجارة الموازية على عربة خشبية صغيرة لبيع الخضراوات , ثم امتدت موجات الغضب من المناطق الداخلية في وسط البلاد وجنوبها لتصل الى المدن الساحلية والسياحية مثل سوسا ,

هذا كان أول نشاط إرهابي للقاعدة في 29 كانون الأول / ديسمبر 1992م ، عندما هاجم أعضاء التنظيم فندقا في عدن استهدف البحرية الأمريكية. ، وهذا هو أول هجوم للقاعدة خارج الولايات المتحدة. يتركز أعضاء القاعدة في بعض محافظات اليمن، بما في ذلك أبين وشبوة وراه ودااليا.[29]

وفي عام 2009م تاسس تنظيم القاعدة «انصار الشريعة» في جزيرة العرب في اليمن , اذ اعلن عن تشكيله «ناصر الوحيشي «(ابو بصير) يتولى قيادته فضلا عن كل من السعوديين «سعيد الشهيري (ابو سفيان الازدي) نائبا, ومحمد العوفي (ابو الحارث) قائدا ميدانيا للمجموعة , واليمني «قاسم الريمي» قائدا عسكريا , وذلك بهدف اضفاء الطابع الاقليمي للتنظيم الذي يهدف الى تأسيس الخلافة الاسلامية في جزيرة العرب وفي الشرق الاوسط, وتطبيق الشريعة الاسلامية , ويعتمد في تمويله على عمليات السرقة والاختطاف , وبدرجة اقل بعض المنح والمساعدات والتبرعات ممن يشاركونهم نفس الفكر والايدلوجية.[30]

مقاتلو الفرع اليمني لداعش هم أشد المعارضين لتنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية. ففي 20 آذار / مارس 2015م ، هاجم مقاتلو داعش من الفرع اليمني عدة مساجد أيزيدية في صنعاء ، مما أسفر عن مقتل 170 شخصًا وإصابة المئات. الآخرين. من حيث التمويل، يعتمد مقاتلو داعش في اليمن بشكل أساسي على الدعم الخارجي، أو التهريب من سوريا إلى اليمن عبر وسطاء، أو التهريب عبر الموانئ البحرية إلى الحديدة والمناطق الساحلية. كما أنهم يكسبون المال من خلال المطالبة بالإفراج عن فدية للسجناء الأجانب، ونهب البنوك ومكاتب الصرافة ومحلات المجوهرات، والمشاركة في غسيل الأموال. وبدعم من جامعة الدول العربية وشركائها الدوليين، أعادت الحكومة اليمنية تنظيم قوة مكرسة لمكافحة الإرهاب لتمكين وكالات الاستخبارات من التعاون بشكل فعال في مكافحة الإرهاب. على الرغم من أن الأزمة الحالية في اليمن غالبًا ما تقوض الجهود العسكرية لمكافحة الإرهاب، إلا أن الحكومة اليمنية تعمل جاهدة لإصلاح هذه المؤسسات وتوزيعها في جميع المناطق التي تعمل فيها الحكومة. ظهرت القوات الحكومية في مناطق حضرية كان ينشط فيها تنظيم الدولة الإسلامية، مما أدى إلى طرد الفرع اليمني لداعش. نتيجة لذلك، هرب تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية والدولة الإسلامية في اليمن من المدن الكبرى، ليجدوا أنهما غير قادرين حاليًا على شن هجمات وحشية في الماضي. أدى وجود قوات الأمن الحكومية في المناطق الحضرية إلى الحد بشكل كبير من تجنيد وأنشطة تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة

أعادت الحكومة اليمنية تنظيم قوة مكرسة لمكافحة الإرهاب لتمكين وكالات الاستخبارات من التعاون بشكل فعال في مكافحة الإرهاب

لتستقر في وسط العاصمة , مركز الثقل السياسي والاقتصادي.وهناك عدة عوامل سياسية واجتماعية واقتصادية ادت الى الثورة ومنها سياسية تتضمن: هيمنة النخبة الحاكمة على مجتمع المال والأعمال في الدولة التونسية, وانهيار شرعية النظام وعدم مقدرته عن ايجاد حلول للمشكلات الاقتصادية والاجتماعية , وتقييد الحريات وضعف القوى الحزبية وعدم مقدرتها على التعبير عن مصالح الشباب وقضاياهم, والحضور المكثف للحزب الحاكم اداريا, وغياب النزاهة في الانتخابات .اما العوامل الاجتماعية:انتشار معدلات البطالة في المجتمع التونسي، الظلم المتزايد والفقر المنتشر في الكثير من المناطق,وغياب العدالة الاجتماعية والفساد الاداري والمالي, وبالإضافة الى العوامل الاقتصادية: ومنها الواقع الاقتصادي المزري لتونس، لاسيما مناطق الوسط والجنوب التي عانت من التهميش والتجاهل وسوء توزيع الثروة بين المناطق واحتكار الاستثمار من الفئة الحاكمة.وفضلا عن عوامل ومتغيرات اقليمية ودولية اخرى ينظر:مجموعة مؤلفين,الربيع العربي ..الى اين؟ آفاق جديدة للتغيير الديمقراطي ,سلسلة كتب المستقبل (63),ط2,مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت, ص156 ص160.

(29) «الحوثى والقاعدة وداعش.. مثلث تخريب اليمن,صحيفة اليوم السابع,31/اغسطس ينظر على الرابط التالي2019: .https://www.youm7 com/»

(30) «محمود ضياء الدين عيسى, التنظيمات الإرهابية في الدول العربية .. وإجراءات مواجهتها,مجلة افاق عربية, العدد الاول,2017, القاهرة. ص13».

والدولة الإسلامية في اليمن.[31]

وفي كانون الثاني/يناير سنة 2019م أعلن مقتل قيادي تنظيم القاعدة البارز «جمال البدوي» في اليمن. وتلك التنظيمات الإرهابية عاودت الظهور بكثافة في بعض المناطق الجنوبية منها عدن وحضرموت ولحج التي مثلت تاريخيا معقلا لـ«القاعدة»، ولكن الأوضاع الراهنة في الجنوب اليمني أعطى مجالا أوسع لتلك التنظيمات لتعيد تشكيل نفسها، وتتسلل إلى الأماكن المحررة، وتشن هجمات بقصد زعزعة الاستقرار الذي تحقق في السنوات الماضية.[32]

2-الارهاب في سوريا : من أهم التنظيمات الارهابية الرئيسية التي ظهرت في سوريا بعد عام 2011م والتي كان سببها عدم الاستقرار وزعزعة الأمن لحد يومنا هذا:

أ- فقد تشكلت في عام 2011م «جبهة النصرة» , من العناصر السورية التي سبق عودتها من افغانستان الى العراق مع «ابي مصعب الزرقاوي» , وفي عام 2012م حدث انشقاق داخل الجبهة مما أدى الى انسحاب بعض عناصرها وانضمامها لتنظيم «ابو بكر البغدادي» والبقاء تحت مسمى «داعش», وفي الوقت الذي رفض البعض هذا التوجه , اذ ابدو رغبتهم للبقاء تحت ولاية «جبهة النصرة» الامرالذي دفع الظواهري لإصدار قرار بفصل التنظيمين , وتفكيك تنظيم «داعش», والابقاء على «ابو بكر البغدادي» زعيما لتنظيم «الدولة الاسلامية في العراق «وتحديد ولايته في العراق فقط لمدة عام واحد (وهو مارفضه المذكور) مع تكليف «محمد جولاني» برئاسة الجبهة لمدة عام بحيث تكون ولايتها على سوريا , وتهدف الجبهة الى اسقاط النظام , واقامة دولة اسلامية .[33] الى أنَ الجبهة قامت بتغير اسمها عام 2016م إلى جماعة «فتح الشام»، ثم أعلنت لاحقاً في عام 2017م الاندماج مع حركة «نور الدين الزنكي»، و«لواء الحق»، و«جبهة أنصار الدين»، و«جيش السنة»، ليتم تكوين جماعة إرهابية جديدة تعرف باسم «هيئة تحرير الشام». بيد أن هذه الهيئة قد عانت من ضعف التماسك وتصاعد الانشقاقات التنظيمية. ومن أسباب تغيير «جبهة النصرة» لمسماها، والتي تتمثل في رغبة التنظيم في إزالة نفسه من التصنيف الدولي للمنظمات الإرهابية، وتسهيل انتقال عناصر التنظيم لدول أخرى مثل تركيا في حالة اندلاع معركة إدلب، وهو ما أدى إلى انقسام التنظيم إلى فريقين، أحدهما يعارض تغيير الاسم بزعامة «أبو قتادة الفلسطيني»، والآخر يؤكد على ضرورة التمتع بالمرونة وعدم التمسك بالاسم بقيادة «أبو محمد المقدسي».

تشكلت في عام 2011م "جبهة النصرة" , من العناصر السورية التي سبق عودتها من افغانستان الى العراق مع "ابي مصعب الزرقاوي"

(31) اليمن في سطور ,التحالف الدولي ,2020/3/1ينظر:-http//the /globalcoalation.org

(32) الحوثى والقاعدة وداعـش.. مثلث تخريب اليمن, مصدر سبق ذكره.

(33) محمود ضياء الدين عيسى, مصدر سبق ذكره, ص19.

ب- «تنظيم حراس الدين»: عقب انحسار تنظيم «داعش»، أطلق عدد من القنوات الإعلامية المناصرة لتنظيم «القاعدة»، في نيسان/ أبريل عام 2018م، نداءً لتوحيد جهود الفصائل السورية الموالية لزعيم «القاعدة»، أيمن الظواهري، وعلى رأسها: «هيئة تحرير الشام»، و»تنظيم حراس الدين»، و»جماعة أنصار الإسلام»، و»أنصار التوحيد»، و»أجناد القوقاز»، و»الحزب الإسلامي التركستاني لنصرة أهل الشام». ومع تعثر المفاوضات مع «هيئة تحرير الشام»، اتجه «تنظيم حراس الدين» لاستقطاب العديد من التنظيمات الأخرى مثل: «تنظيم أسود التوحيد»، و»تنظيم أنصار الحق»، و»تنظيم أبناء الشريعة»، كما أنه سعى لاستقطاب الجناح المعارض بـ «هيئة تحرير الشام».

ج- «جيش الفتح»: تشكلت هذه الجماعة في اذار/مـارس عام 2015م عقب الانتصار في معركة وادي الضيف ومعسكر الحامدية، وقد تمكنت من توسيع نفوذها في إدلب.

حركة أحرار الشام": ينحدر معظم أعضاء هذه الجماعة من أصل سوري

د- «حركة أحرار الشام»: ينحدر معظم أعضاء هذه الجماعة من أصل سوري، وتشمل مجموعة من الكتائب مثل: «كتائب أحرار الشام»، و»حركة الفجر»، و»جماعة الطليعة الإسلامية»، و»كتائب الإيمان».

هـ- جماعات تابعة للجيش الحر: تتمثل أهم هذه الفصائل في جماعة «فيلق الشام» التي تتبع بشكل جزئي «الجيش الحر»، كما قاتلت جماعة «صقور الشام» إلى جانبه.

و- «جند الأقصى»: كانت تُعرف سابقاً باسم «سرايا القدس»، وتقاتل كفصيل تابع لـ «جبهة النصرة» إلا أنها انشقت عنها لاحقاً بسبب خلافات حول العداء لتنظيم «داعش»، وتضم هذه الجماعة عدداً كبيراً من الأطفال.

ز- «جيش السُنة»: تم إنشاء هذه الجماعة نتيجة الاندماج بين مجموعة من الجماعات المتمردة التي ينتمي بعضها إلى الجيش السوري الحر، وتمركزت في حمص، وتقوم هذه الجماعة باستقطاب عدد كبير من الأطفال للقتال في صفوفها.[34] فضلا عن جماعات مسلحة ارهابية أخرى .

تلجأ التنظيمات الإرهابية التي تمارس الإرهاب لضرب الوحدة الوطنية لدولة ما عن طريق القيام بترويج أفكار متطرفة

ثانيا: تأثير ظاهرة الارهاب على الامن القومي العربي :

تلجأ التنظيمات الإرهابية التي تمارس الإرهاب لضرب الوحدة الوطنية لدولة ما عن طريق القيام بترويج أفكار متطرفة وشائعات تشكك المواطن في دولته وتضعف في نفسه روح الانتماء والمواطنة وانعدام الثقة ،وخلق

(34) «مستقبل التنظيمات الإرهابية في الشرق الأوسط (حالة سوريا)،مركز المستقبل للدراسات والابحاث المتقدمة،القاهرة»، 2018ينظرعلى الرابط التالي: https://futureuae.com/

جو مشحون بين المواطنين مما يؤدي إلى إشعال وزرع الفتنة بين الطوائف المختلفة في الدولة، وزعزعة الأمن والاستقرار بها، ويصبح المناخ ملائماً لارتكاب أعمال تخريبية ضد المؤسسات الاقتصادية والمنشآت الحيوية، أو تنفيذ عمليات القتل والاغتيال، وربما يؤدي ذلك إلى نشوء حرب طائفية تفتك بالبلد وتقسمه إلى دويلات ، وتسبب الفوضى وعدم الاستقرار في أوساط المجتمع. وكما تُعد الشائعات وترويج الأفكار المتطرفة أهم أساليب ووسائل التنظيمات الإرهابية، لذا فإن انتشار ظاهرة الإرهاب من خلال تلك الوسائل يتسبب في حدوث فوضى عارمة تؤثر على الأوضاع الأمنية داخل الدولة، ومن ثم تهديد حياة وممتلكات الحكومات وقتل الأفراد الابرياء معاً.[35]وهذا ماحدث في أغلب الدول العربية مثل العراق وسوريا ومصر واليمن وغيرها.ويتخذ الإرهاب أيضا اساليب مختلفة للقيام بتحقيق أهدافه بداية من التفجيرات - بمختلف أشكالها، إلى الاغتيالات ، وإلى الاختطاف والذي يطال الأفـراد، والطائرات والسفن وغيرها، وأخيرا الأعمال التخريبية كقطع السكك الحديدية والجسور وغيرها.[36]ويؤدي كل هذا الى زيادة الأعباء التي تتحملها قوى الأمن لمكافحة الإرهاب وتأثيرها السلبي على الخطط الأمنية والمهام المكلفة بها، وزيادة إرهاق القوات الأمنية نتيجة الامتداد الزمني لخطط مكافحة الإرهاب، وزيادة معدلات الجرائم الجنائية، وحالة الانفلات الأمني المصاحبة له، وزيادة أطماع القوى الخارجية لتوسيع مساحة التدخل في الشأن الداخلي في الدول وتغذية القضايا الداخلية ، وتهيئة الأجواء لزيادة إنتشار الجواسيس والعملاء لتوسيع قاعدة إنتشار الجريمة المنظمة لإضعاف المجتمع، وبالتالي تتعرض الدول لضغوط خارجية تمس بسيادة الدولة على أراضيها من إجراءات تحت ذرائع مكافحة الإرهاب والحد من تهديداته.[37]

وأن ممارسة الإرهاب من قبل أفراد ينتمون أو يدعون الانتماء للإسلام قد شَوَّه أيضا صورة الإسلام في نظر المجتمعات الآخرى، وأعطى هؤلاء صورة خاطئة عن الدين الإسلامي

وأن ممارسة الإرهاب من قبل أفراد ينتمون أو يدعون الانتماء للإسلام قد شَوَّه أيضا صورة الإسلام في نظر المجتمعات الآخرى، وأعطى هؤلاء صورة خاطئة عن الدين الإسلامي، والمفاهيم الإسلامية، بأن الإسلام يدعو للعنف ونشر الكراهية، في حين أن الإسلام دين السلام والمحبة والتسامح. وقد كان للممارسات الإرهابية التي وقعت في بلاد الغرب أو في بلاد المسلمين تأثيرات سلبية كبيرة على مصالح المسلمين، والإضرار بمكانة المسلمين في العالم، هذا فضلاً عن الخسائر في الأرواح والممتلكات.[38]وفي هذا المجال تتخذ الدول العربية عدة خطوات للتصدي على ارتكاب الاعمال الارهابية بدافع التعصب والتطرف في جميع

(35) علي بن فايز الشهري، الأثار السياسية والأمنية للإرهاب،المجلة العربية للفقه والقضاء, جامعة الدول العربية،العدد 46، السعودية، ص45.

(36) نفس المصدر السابق،ص43.

(37) خضير ياسين الغانمي ,ظاهرة الارهـاب الدولي-العوامل الدافعة وكيفية معالجتها، مصدر سبق ذكره،ص23.

(38) عبدالله أحـمـد اليوسف ،الإرهاب أضرا ره وعلاجه ،شبكة النبأ ، العدد78، 2005ينظر على الرابط التالي: https://annabaa.or/

المجالات ومنها اليمن ، من خلال التأكيد على احترام الأديان واتباع نهج الوسطية والاعتدال ، وأعداد برامج دينية في وسائل الأعلام لنشر قيم التسامح ونبذ ألتطرف ، وأصدار عدد من الفتاوي من قبل عملاء المسلمين بشان نبذ التطرف والتشدد والارهاب.[39]

الولايات المتحدة الأمريكية من أكثر الدول التي تؤدي دورا محوريا في -انتشار ظاهرة الإرهاب، فهي تأخذ من الحرب على الإرهاب ذريعة

ويمكن القول بأن الولايات المتحدة الأمريكية من أكثر الدول التي تؤدي دورا محوريا في -انتشار ظاهرة الإرهـاب، فهي تأخذ من الحرب على الإرهاب ذريعة لتحقيق أغراض سياسية وعسكرية في منطقة الشرق الأوسط وللتدخل في الشؤون الداخلية لهذه الدول، إلى جانب فرض سيطرتها على آبار النفط في المنطقة.[40]

المطلب الرابع:مستقبل التنظيمات الارهابية في منطقة الشرق الاوسط (سوريا-اليمن انموذجا):

إحـدى أهـم القضايـا فـي ترسـيم معالـم المرحلـة القادمـة بالنسـبة للتنظيمات الارهابية ومنها داعـش تكمـن فـي أن الأسباب والشـروط التـي تقـف وراء انتشـاره وصعـوده مركبـة ومعقـدة ، وتسـاهم السياسـات المحليـة للحكومـات مـع الظـروف الاجتماعية فـي توفيـر التربـة الخصبـة لخطـاب التنظيـم.وثمـة عوامـل متعـددة - وليـس عامـل واحـدًا يقـف وراء الكفـاءة فـي التجنيـد غير المسبوقة علـى صعيـد الجماعـات الإرهابية من ذلـك الاعتماد بصـورة كبيـرة علـى الدعايـة عبـر الأنترنت والروايـة السياسـية التـي تنطلـق مـن الظلم والأزمات الواقعيـة ومشـاعر الغضـب والتهميـش لتؤسـس عليهـا دعـوى للأنضمام إلـى التنظيـم، الـذي أصبـح بمثابـة بحـد ذاتـه رسـالة سياسـية وهـذا هـو أكبـر مصـدر مـن مصـادر القـوة.[41] ومن جهة أخرى، يشير تقرير مؤشر الإرهاب العالمي إلى استمرار تراجع الحوادث المرتبطة بالإرهاب طوال السنوات الأخيرة، اذ انخفض إجمالي عدد قتلى الحوادث الإرهابية بعد أن بلغ ذروته عام 2014. وتوضِّح الأرقام المجمّعة أن العدد الكلي للقتلى انخفض عام 2019م إلى 13,826 قتيلاً؛ أيْ بواقع 15.5%. وسجلت في هذا السياق، منطقة جنوب آسيا أكبر انخفاض، تلتْها منطقة أمريكا الوسطى والكاريبي التي سجّلت أقل تأثير إقليمي للإرهاب خلال السنوات السبع عشرة الماضية، فيما شهدت منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا أكبر تحسّن إقليمي من حيث انخفاض النشاط الإرهابي. وبشكل عام، انخفضت الوفيات المرتبطة بالإرهاب في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بواقع 87% منذ عام 2016م وهي الآن في أدنى مستوياتها منذ عام 2003م .[42]

(39) دراسة حول تشريعات مكافحة الارهـاب في دول الخليج العربي واليمن، وثيقة عمل ، مكتب الامم المتحدة، نيويورك،200،ص13.

(40) علي بن فايز الشهري، مصدر سبق ذكره،ص43.

(41) محمد أبـورمـان مستقبل داعـش: عوامـل القـوة والضعـف ... ديناميكيـات الخلافـة الافتراضية- وفجـوة اسـتراتيجيات مكافحـة الإرهـــاب، مؤسسـة فريدريـش إيبـرت،عمـان،2020, ص11.

(42) ستيفن بلاكويل وكريستيان ألكسندر, اتـجـاهـات الإرهـــاب العالمي: نزوع المتطرفين إلى التكيف والتطور, 3/ 2021/6ينظر على الرابط التالي : https://trendsresearch. org/ar/insigh

ولم تعُد التنظيمات الارهابية ومنها داعش يسيطر على الأراضي وقد تم تحرير ما يقرب من ثمانية ملايين شخص من سيطرته في العراق وسوريا، لكن التهديد ما يزال قائماً. وإن استئناف أنشطة التنظيمات ومنها داعش وقدرته على إعادة بناء شبكاته وقدراته لاستهداف قوات الأمن والمدنيين، يستدعي اليقظة الشديدة والعمل المنسق. ويشمل ذلك تخصيص الموارد الكافية ضد هذه التنظيمات الارهابية ، والدعم الكبير من قبل الدول لتحقيق الاستقرار، وذلك لمعالجة العوامل التي تجعل المجتمعات المحلية عرضة للتجنيد من قبل التنظيمات الارهابية والجماعات الأيديولوجية العنيفة ذات الصلة، ولتقديم الدعم للمناطق المحررة لحماية مصالحه الأمنية الجماعية.والتأكيد على استمرار الضغط على داعش من خلال الحد من قدرته على جمع الإيرادات، وتعزيز تبادل المعلومات عن الإرهابيين من خلال القنوات الثنائية والمتعددة الأطراف مثل الإنتربول، ومكافحة الدعاية والافكار المتطرفة للتنظيمات الارهابية ، ومنع التنظيم من استغلال وسائل التواصل الاجتماعي على الإنترنت ،وفي سوريا يقف التحالف الدولي إلى جانب الشعب السوري في دعم تسوية سياسية دائمة وفقًا لقرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم 2254. ويستمر التحالف الدولي في دعمه لتحقيق الاستقرار المحلي الشامل في المناطق التي حررت من التنظيمات الارهابية وجهود المصالحة وإعادة الاندماج لتعزيز الظروف المؤدية إلى حل سياسي للنزاع يشمل كامل الأراضي السورية وفقاً لمحددات قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم 2254.[43]

ولم تعُد التنظيمات الارهابية ومنها داعش يسيطر على الأراضي وقد تم تحرير ما يقرب من ثمانية ملايين شخص من سيطرته في العراق وسوريا

وأن مقتل زعماء التنظيم من قبل الولايات المتحدة الامريكية في شبه الجزيرة العربية، من شأنه أن يقلل من قوة التنظيم لدى العناصر المتطرفة، ومن ثم إضعاف قدرته على تجنيد المزيد من المتطرفين حول العالم. وهو أمر سوف يعزز من ضعف التنظيم وانقساماته الداخلية، ولاسيما مع تراجع الحاضنة الشعبية للتنظيم لدى بعض القبائل اليمنية، وبالنظر إلى ما ارتكب من أعمال عنف وقمع بحق السكان في المناطق التي سيطر عليها في الفترة ما بين 2011م-2017م. والذي سيؤثر سلبا على مستقبل التنظيم وصورته وقدرته على الحفاظ على تماسكه. أما القضاء على التنظيم نهائياً فإنه يتطلب توافر بعض الشروط والمتطلبات الضرورية، لعل أهمها: وضع حد للصراع العسكري الدائر في اليمن، والذي يستفيد منه التنظيم في تكثيف تواجده وتمدده في الأراضي اليمنية. ومواصلة الجهود الإقليمية والدولية التي بذلت في السنوات الأخيرة لمواجهة

وأن مقتل زعماء التنظيم من قبل الولايات المتحدة الامريكية في شبه الجزيرة العربية، من شأنه أن يقلل من قوة التنظيم لدى العناصر المتطرفة

(43) الاجتماع الـوزاري للتحالف الدولي لهزيمة داعش - بيان مشترك ،28/ 6/ 2021 ينظر على الرابط التالي : https://www.diplomatie.gouv. /fr

التنظيم بذات الزخم والقوة، ولاسيما من قبل قوات التحالف العربي والولايات المتحدة والقوات اليمنية المحلية، والبناء على ما تحقق من نجاحات كبيرة في هذا الصدد؛ لأن تراجع جهود مكافحة التنظيم ستعطيه الفرصة لإعادة بناء نفسه وقدراته من جديد، وهو ما سيشكل خطراً على اليمن والمنطقة والعالم.[44]

(44) فتوح هيكل، الحرب المستمرة على تنظيم القاعدة في اليمن،3/24/2020ينظر على الرابط التالي: https://trendsresearch.org/ar/

المرحلة المقبلة تتطلب تعزيز الامن القومي العربي والعمل المشترك من اجل مكافحة الارهاب، والحفاظ على الأمن القومي العربي

وأن المرحلة المقبلة تتطلب تعزيز الامن القومي العربي والعمل المشترك من اجل مكافحة الارهاب، والحفاظ على الأمن القومي العربي ومنع التدخلات الخارجية والتنسيق العربي المشترك بين البلدان العربية من اجل التصدي لتمويل الجماعات الإرهابية وجمع المعلومات عن المجموعات الإرهابية المسلحة ، وكذلك القضاء على الخطاب الديني المتشدد وايضا التنسيق العربي علي صعيد الجانب الأمني والعسكري بات في غاية الاهمية من اجل وضع حد لممارسة الارهاب والتصدي للتجمعات الارهابية والسعي لتعزيز التعاون في مجال مكافحة الإرهاب وتحقيق الأمن القومي المشترك والحرص على مواجهة الإرهاب والتطبيع.[45]

(45) سري القدوة، الرياض والامن القومي العربي، الحوار المتمدن، العدد5545،86، 2017/8/6ينظرعلى الرابط التالي: https://www.ahewar.org/

الخاتمة والاستنتاجات:

ظلت منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا طوال السنوات الماضية من المناطق الأكثر تأثرًا بالإرهاب مقارنة بمناطق أخرى في العالم سواء من حيث إجمالى العمليات الإرهابية التي وقعت فيها أو من حيث عدد القتلى الذين خلفتهم تلك العمليات، وكانت التنظيمات الإرهابية الأكثر نشاطًا في المنطقة خلال تلك الفترة هى: تنظيم داعش والكيانات الموالية له، وتنظيم القاعدة، وتنظيم جبهة النصرة (هيئة أحرار الشام)، وبعض الكيانات التابعة لجماعة الإخوان.

والواقع أنَ جميع تحركات وعمليات داعش أنتجت أوضاعا صبت في مصلحة دول مثل الولايات المتحدة والكيان الصهيوني ومخططاتهما لتدمير جيوش دول المنطقة وخلق الدول الفاشلة وتقسيمها مما يضمن إستقرارا وأمنا طويلا للكيان الصهيوني وتمكين الشركات الغربية متعددة الجنسية من التحكم وبشكل مطلق في ثروات المنطقة وخاصة النفطية منها.

ولاتزال محاربة الإرهاب أولوية وجزءًا مهمًا من المعركة التي تشنها منطقة الشرق الاوسط ضد هذه التنظيمات، ومنذ سنوات عديدة حارب اليمن تنظيم «الدولة الإسلامية في اليمن» الإرهابي والقاعدة وأنشطتهما في شبه الجزيرة العربية، من خلال المواجهة المباشرة والاستخبارات والوسائل الثقافية والاجتماعية والتعاون مع الشركاء.وأن تبادل المعلومات والتعاون لمكافحة خطر الإرهاب سيظل مهمين

للغاية للحيلولة بسرعة وفعالية على منع أي هجمات إرهابية محتملة ضد المصالح الوطنية أو الإقليمية أو الدولية.

وإن الطبيعة الدولية للإرهاب تتطلب حشد جهود جميع الدول لمواجهته والقضاء عليه. كما أن الهجوم الإرهابي الذي تتعرض له سوريا اليوم جعل من الضروري التكاتف لمواجهة هذا الإرهاب والقيام بدورها وواجبها الدستوري في الدفاع عن الوطن. ومن خلال الاستطلاع الدقيق وجمع المعلومات عن المجموعات الإرهابية المسلحة، والتوصل إلى معرفة مرجعياتها ومصادر تمويلها وتسليحها وحماية الحدود. ورصد أماكن تواجد العصابات الإرهابية والقوى المساندة لها وخطوط دعمها واتجاهات تحركها وتقدير حجمها وإمكانياتها.فاذا ما دام الارهاب أصبح دولياً وشاملاً فلذلك تقع على كل دول العالم مسؤولية مكافحته ومحاربته بكل الوسائل والطرائق الممكنة والتي ينبغي أنْ تحقق النجاحات بأقل الخسائر البشرية والمادية للقضاء عليه جذرياً وخلق عالم خال من الارهاب والجريمة.

ما دام الارهاب أصبح دولياً وشاملاً فلذلك تقع على كل دول العالم مسؤولية مكافحته ومحاربته بكل الوسائل والطرائق الممكنة

الاستنتاجات:

1. ان مفهوم الإرهاب يستعمل بمضامين وتعاريف مختلفة، فكل طرف سواء كان نظاما سياسيا أو فاعلا اجتماعيا، أو باحثا أو مثقفا له معنى ومدلول خاص به، ومهما بذلنا من جهود في عملية التحديد، فإن مضامينه تظل مسألة خلافية.
2. ان مصطلح الشرق الأوسط بعد نهاية الحرب الباردة ظل مصطلحا غامضا،فمن الناحية الجغرافية ليس له حدود واضحة،فتارة يضم دولا عربية و تارة أخرى يخرجها خارج إطار هذا المفهوم خصوصا دول المغرب العربي.
3. ان منطقة الشرق الاوسط من اهم المناطق المؤثرة في توازن القوى والمصالح في العالم ويتقاطع موقعها الوسيط بين قارات العالم القديم اسيا واوربا وافريقيا وتماسكها جغرافيا, ومن ثم تحكمها في اهم الممرات الدولية مثل (قناة السويس , مضيق باب المندب , جبل طارق البسفور, الدردنيل وتحتضن البحر الاحمر), وتشرف على جنوب شرق البحر المتوسط والبحر الاحمر , وتطل على المحيط الاطلسي والمحيط الهندي , وهو ماجعل منها منطقة ذات أهمية شديدة في العلاقات الدولية , وذات تأثير كبير في تضارب المصالح الدولية.
4. تختلف أسباب ودوافع الارهاب باختلاف نوع العمل وممن صدر (فرد أو جماعة أو دولة)؛ وتأتي هذه الأسباب والدوافع متعددة ومختلفة، ويمكن تقسيم هذه الدوافع والأسباب إلى: دوافع شخصية والتي تدفع الإرهابي إلى ارتكاب

جريمته لتحقيق هدف شخصي، وهذه الدوافع :هي دوافع نفسية، وسياسية، وإعلامية.، ودوافع واسباب مجتمعية مثل اسباب اقتصادية واجتماعية ودوافع اثنية ودوافع ايدلوجية ، وبالإضافة الى بعض الدوافع الدينية التي تقف وراء انتشار الإرهاب والعمليات الإرهابية مثل عدم فهم مقاصد الشريعة الإسلامية والغلو في الدين وبالإضافة الى اسباب اخرى.

5. ان مناطق الشرق الاوسط شهدت تحولا جذريا منذ الانتفاضات العربية او مايسمى بالربيع العربي عام 2011م وهذا لشهود دول انتفاضات عديدة , مثلا في مصر أدت إلى سقوط النظام الحاكم ، ومحاولات أخرى في دول المغرب العربي واليمن بسقوط النظام فيها وقيام جماعات إرهابية بالتشويش فيها والذي سبب تدهور خطير وعدم استقرار في دول مثل العراق وسوريا.
6. ان ظاهرة الارهاب تهدف إلى زعزعة أمن واستقرار الدول والعمل على تهديد مواطنيها ومؤسساتها وأجهزتها الأمنية، وكما تُعد الشائعات وترويج الأفكار المتطرفة أهم أساليب ووسائل التنظيمات الإرهابية، لذا فإن انتشار ظاهرة الإرهاب من خلال تلك الوسائل يتسبب في حدوث فوضى عارمة تؤثر على الأوضاع الأمنية داخل الدولة، ومن ثم تهديد حياة وممتلكات الحكومات وقتل الأفراد الابرياء معاً.
7. أن المرحلة المقبلة تتطلب تعزيز الأمن القومي العربي والعمل المشترك من اجل مكافحة الارهاب، والحفاظ على الأمن القومي العربي ومنع التدخلات الخارجية والتنسيق العربي المشترك بين البلدان العربية من اجل التصدي لتمويل الجماعات الإرهابية، وكذلك القضاء على الخطاب الديني المتشدد.

قائمة المصادر:

اولا :الكتب:

1. إسماعيل صبري مقلد ، الاستراتيجية والسياسية الدولية ، والمفاهيم والحقائق الأساسية ، ط 2 ،مؤسسة الابحاث العربية ، بيروت ، 1985 .
2. حميد السعيدي ,مقدمة في القانون الدولي الجنائي,ط1,مطبعة المعارف ,بغداد,1971.
3. حسن عثمان علي ، الإرهاب الدولي ومظاهره القانونية والسياسية في ضوء أحكام القانون الدولي العام،ط1, مطبعة مناره، أربيل، 2006.
4. عبد الحميد العيد الموساوي,التحالفات الاستراتيجية في جنوب غرب اسيا,ط1,دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، العراق،2013.
5. هيثم عبد السلام محمد,مفهوم الارهـاب في الشريعة الاسـلامـيـة,ط1,دار اكتب العلمية,بيروت ,2008.
6. نبيل أحمد حلمي، الإرهاب الدولي وفقًا للسياسة الجنائية الدولية، دار النهضة العربية،

القاهرة 1988.
7. محمد أبورمان مستقبل داعش: عوامل القوة والضعف ... ديناميكيات الخلافة الافتراضية- وفجوة استراتيجيات مكافحة الإرهاب، مؤسسة فريدريش إيبرت،عمان،2020.
8. ممدوح محمود مصطفى, الصراع الامريكي –السوفيتي في الشرق الاوسط,, القاهرة , مكتبة مدبولي, 1995.
9. يحيى احمد الكعكي : الشرق الأوسط وصراع العولمة . دار النهضة العربية. بيروت ٢٠٠٢.

ثانيا :المجلات والبحوث:

1- كريم مزعل شبي, مفهوم الارهاب (درسة في القانون الدولي والداخلي),مجلة اهل البيت ع,العدد2,,كربلاء,2005.
2- توفيق فارس العودات,الارهاب والقانون الدولي,مجلة دراسات الدولية,العدد18,مركز الدراسات الدولية,بغداد,2002.
3- خضير ياسين الغانمي,ظاهرة الارهاب الدولي-العوامل الدافعة وكيفية معالجتها,مجلةجامعة اهل البيت, العدد16,كربلاء,2014.
4- جمال نصار,ظاهرة الارهاب:محدداته وتناقضاته,مركز الجزيرة للدراسات والبحوث,2015/4/15.
5- دراسة حول تشريعات مكافحة الارهاب في دول الخليج العربي واليمن، وثيقة عمل ، مكتب الامم المتحدة، نيويورك،2000.
6- شريف عبد الحميد حسن ,الإرهاب الدولي - أسبابه وطرق مكافحته في القانون الدولي والفقه الإسلامي – دراسة مقارنة ,مجلة كلية الشريعة والقانون بطنطا,جامعة الازهر,2016.
7- صدام حرير حمد,الصراع الدولي والاقليمي في الشرق الاوسط واثره على المنطقة العربية (انموذج ثورات الربيع العربي), العدد11, مجلة تكريت للعلوم السياسية,تكريت ,2017 .
8- على بن فايز الشهري، الأثار السياسية والأمنية للإرهاب،المجلة العربية للفقه والقضاء, جامعة الدول العربية،العدد 46، السعودية.
9- محمود ضياء الدين عيسى, التنظيمات الإرهابية في الدول العربية .. وإجراءات مواجهتها,مجلة افاق عربية, العدد الاول , القاهر ة،2017.

ثالثا:الرسائل والاطاريح:

1- حسن عزيزالحلو, الارهاب في القانون الدولي, رسالة ماجستير غير منشورة,الاكاديمية العربية المفتوحة, الدنمارك, 2007.
2- سلطان عناد ابراهيم,الالية الدولية لمكافحة الارهاب, رسالة ماحستير منشورة,جامعة الشرق الاوسط,عمان,2018.
3- عبد الرزاق ابو زيدي,التنافس الامريكي –الروسي في مطقة الشرق الاوسط(دراسة حالة

الازمة السورية 2010-2014),رسالة ماجستير منشورة,جامعة محمد الخضر,الجزائر,2014.

4- محمود العفيفي , مشروع الشرق الاوسط الكبير واثره على النظام الاقليمي , رسالة ماجستير منشورة, جامعة الازهر, غزة,2012.

رابعا:المواقع الالكترونية:

1. احمد عابد,الدول الـ10 الأكثر تأثراً بالإرهاب في العالم خلال 2019,صحيفة الامارات اليوم,15/يناير/2020ينظر : https://www.emaratalyoum.com/
2. جمال نصار,ظاهرة الارهاب :محدداته وحقيقته المواجهة والتناقضات الدولية,مركز الجزيرة للدراسات,2015/4/2, ص4ينظر: https://studies.aljazeera.net/
3. ستيفن بلاكويل وكريستيان ألكسندر, اتجاهات الإرهاب العالمي: نزوع المتطرفين إلى التكيف والتطور, 3/ 2021/6ينظر على الرابط التالي : https://trendsresearch.org/ ar/insigh
4. سري القدوة، الرياض والامــن القومي العربي،الحوار المتمدن، العدد5545، 2017/8/6،على الرابط التالي: https://www.ahewar.org/
5. فتوح هيكل، الحرب المستمرة على تنظيم القاعدة في اليمن،3/24 /2020ينظر على الرابط التالي: https://trendsresearch.org/ar/
6. عامر الدايني, الإرهاب في اليمن بين المصالح والدوافع والحضور الدولي (دراسة خاصة),2017/7ينظر: https://almawqeapost.net/reports/16316
7. عبد الرحمن علي غنيم, دوافع الارهاب الدولي, الحوار المتمدن,العدد6310 , 8 / 4 / 2019 ينظر: الدوليhttp://www.ahewar.org/
8. عبدالله أحمد اليوسف ،الإرهاب أضرا ره وعلاجه ،شبكة النبأ ، العدد78، 2005ينظر على الرابط التالي: https://annabaa.or
9. الحوثى والقاعدة وداعش.. مثلث تخريب اليمن,صحيفة اليوم السابع,31/اغسطس 2019: https://www.youm7.com/
10. -10اليمن في سطور,التحالف الدولي ,2020/3/1ينظر على الرابط التالي: https:// //theglobalcoalition.org
11. -11الاجتماع الوزاري للتحالف الدولي لهزيمة داعش - بيان مشترك ،28/ 6/ 2021 ينظر على الرابط التالي : https://www.diplomatie.gouv.fr/
12. مستقبل التنظيمات الإرهابية في الشرق الأوسط (حالة سوريا),مركز المستقبل للدراسات والابحاث المتقدمة,القاهرة, 2018ينظر على الرابط التالي: https://futureuae.com/

المصادر الاجنبية:

1-Wilkinsan p. three question terrorisme in coverment and opposi-tian val .8 na londan 1973 p.292.

واقع الديمقراطية التوافقية في مملكة بلجيكا الدروس المستفادة

***م.د. حيدر عبد جساس**

باحث من العراق

*الجامعة المستنصرية/ كلية العلوم السياسية

Jassas123Alame@gmail.com

ملخص :

إنَّ واقع تبني مفهوم الديمقراطية التوافقية الذي يدور حوله نقاش واسع يشير إلى إنَّ هناك مشكلة اجتماعية وثقافية او دينية ومذهبية، ويتم تبني هذا النوع من الديمقراطية لمعالجة هذه المشكلة سياسياً من خلال تقاسم السلطة بين الجهات أو الاطراف الاجتماعية المختلفة، وقد ساعدت البنى الاجتماعية والثقافية لاسِّيما الاختلاف اللغوي في بلجيكا إلى تبني الديمقراطية التوافقية للحفاظ على وحدة الدولة، فالعامل الاجتماعي المتمثل بالاختلاف اللغوي كان من أهم العوامل للدفع باتجاه تبني النهج التوافقي، وقد انعكس الاختلاف الاجتماعي على الواقع الدستوري والسياسي والذي أدى إلى قيام وترسيخ التوافقية البلجيكية، ففي الجانب الدستوري اعتمد النظام الفيدرالي كسمة من سمات الحكم التوافقي وكان للدستور اثر مباشر في تثبيت الحكم التوافقي فضلاً عن الفيدرالية لا سيما فيما يتعلق بتشكيلة الحكومة التي تقسم بين الناطقين بالهولندية والفرنسية والهدف هو توزيع السلطة بين المكونين الرئيسيين، اما الجانب السياسي كان للأحزاب السياسية دور مهم في الذهاب نحو التوافقية في الحكم بعدما تحولت الاحزاب من المستوى الوطني إلى المستوى الاقليمي، وبهذا يكون الواقع الاجتماعي والدستوري والسياسي مهيئ للأخذ بالنهج التوافقي الذي كان له دور في تبني سياسات أسهمت في نوع من الاستقرار النسبي.

كلمات مفتاحية :الديمقراطية التوافقية، التعددية في بلجيكا، التعدد اللغوي.

The reality of consensual democracy in the Kingdom of Belgium, lessons learned

MD Haider Abed Jassas

researcher from Iraq

Al-Mustansiriya University/College of Political Science

ABSTRACT

The reality of adopting the concept of consensual democracy, around which a wide discussion is taking place, indicates that there is a social, cultural or religious and sectarian problems, this type of democracy is adopted to address this problem politically through power-sharing between different social parties, social and cultural backgrounds structures have helped, especially. The linguistic difference in Belgium led to the adoption of consociational democracy to maintain the unity of the state. The social difference was reflected in the constitutional and political reality, which led to the establishment and consolidation of Belgian consociationalism. On the constitutional side, the federal system was adopted as a feature of consensual governance. The constitution had a direct impact on the consolidation of consensual rule in addition to federalism, especially with regard to the government formation that is divided between Dutch and French community speakers which at distribute the power between the two main components. As for the political aspect, the political parties had an important role in going towards consociationalism in governance after the parties shifted from the local level to the regional level. Thus, the social, constitutional and political reality is ripe for adopting the consensual approach that had a role in adopting policies which contributed to a kind of relative stability.

KEYWORDS: consociational democracy, pluralism in Belgium, multilingualism.

المقدمة

من الصعب بيان نمط موحد للديمقراطية في ظل تباين ظروف وطبيعة المجتمعات التعددية، ولكن مهما اختلفت النظم الديمقراطية من مجتمع إلى آخر بتغيير اساليبها وادواتها، تبقى للديمقراطية مبادئها الاساسية الثابتة القائمة على أساس حكم الاكثرية، وهذا ما يقول به النمط الليبرالي الغربي في الأخذ بالديمقراطية التنافسية، لكن هناك من يعتقد إنَّ اعمام فكرة الأكثرية العددية على سائر المجتمعات أمر غير ممكن؛ لأنها لا تصلح سوى في المجتمعات المتجانسة شعبياً، أما في المجتمعات التعددية فترى من الأنسب اعتماد القاعدة التوافقية، وهذا ما تم اعتماده في مملكة بلجيكا.

إنَّ أول تطبيق للديمقراطية التوافقية(*) كان في بلدان اوروبا الغربية، وهذا التطبيق لم يستند إلى نظرية بقدر ما كان هو وليد الحاجة في مجتمعات متعددة

(*) لا يمكن تقسيم الديمقراطية إلى توافقية وغير توافقية فالديمقراطية واحدة غير قابلة للتقسيم، لكن ما يراد من الديمقراطية التوافقية هي آلية تقسيم السلطة بين المكونات المتعددة في الدولة بشكل يحقق التوازن بين حجم هذه المكّونات في ممارسة السلطة داخل مؤسسات الدولة.

وغير منسجمة، فتم تطبيقها في بلجيكا كون المجتمع كان منقسماً بشكلٍ واضح من الناحية القومية واللغوية، وهذا الانقسام كان له انعكاسه الكبير علىٰ الواقع الجغرافي أيضاً، لذا كانت اولى خطوات الذهاب نحو الحكم التوافقي هو الأخذ بالفيدرالية لضمان الحقوق السياسية للقوميات والحد من تركيز السلطة، أي تم تقسيم السلطة على أساس جغرافي، وهنا يجب الاشارة إلى إنَّ بلجيكا تُعد من الدول التي طبقت التجربة التوافقية وفق عناصرها الأساسية الأربعة وليس فقط عبر النظام الفيدرالي، فقد أخذت بـ(حكومة الائتلاف الواسع، ومبدأ التمثيل النسبي في مؤسسات الدولة، وحق الفيتو المتبادل، وأخيراً الادارة الذاتية لشؤون الجماعات الخاصة-الفيدرالية-)، وهذه هي سمات ما يعرف بالديمقراطية التوافقية، ومن هنا تنبع **أهمية البحث** التي تتلخص في نقطتين:

إنَّ أول تطبيق للديمقراطية التوافقية كان في بلدان اوروبا الغربية، وهذا التطبيق لم يستند إلى نظرية بقدر ما كان هو وليد الحاجة في مجتمعات متعددة وغير منسجمة

1. معرفة الاسباب التي أدت إلى الأخذ بالنهج التوافقي في بلجيكا من خلال التعرف على طبيعة التعددية الاجتماعية والثقافية، وواقع المؤسسات السياسية والدستورية.
2. معرفة كيفية التعامل مع التعددية المعقدة وادارتها، والإسهام في تقديم ايضاحات حول الديمقراطية التوافقية بعد عام 1993.

المشكلة البحثية: برزت التعددية اللغوية في بلجيكا بشكلٍ ملحوظ، وهذا الواقع الاجتماعي انعكس بوضوح على الواقع السياسي من خلالً توزيع السلطة بشكلٍ توافقي بين المجتمعات اللغوية، وهو ما عرف بنهج الديمقراطية التوافقية، وهناً يصبح السؤال الرئيسي للبحث الذي يسعى للإجابة عليه هو: هل الديمقراطية التوافقية هي الحل لإنهاء النزاعات في المجتمعات ذات التعددية الاجتماعية، وبناء دولة مستقرة.

ومن هذا السؤال الرئيسي نسعى إلى معرفة الآتي:

أولاً: معرفة العوامل الاجتماعية والسياسية والدستورية المساعدة على قيام التوافقية في بلجيكا.

ثانياً: إلى أي مدى أسهمت التوافقية في تحقيق الاستقرار السياسي وقوة النظام السياسي.

ثالثاً: هل الديمقراطية التوافقية طريقة ناجحة لأدارة المجتمع المتعدد في بلجيكا.

فرضية البحث: لم تنشأ التوافقية في بلجيكا بمعزل عن الظواهر الاجتماعية والسياسية، فسبب قيامها هو من أجل تخفيف حدة الصراعات السياسية بين المجتمعات اللغوية المختلفة، والحفاظ على وحدة الأرض المهددة للتقسيم.

منهجية البحث: اعتمدنا في هذا البحث على المنهج المؤسسي ليس فقط في اطاره الدستوري والقانوني بل في اطار تفاعل المؤسسات مع البيئة الاجتماعية التي تعمل فيها، كما تم الاعتماد على المنهج التحليلي.

هيكلية البحث: انتظم البحث الموسوم بـ(واقع الديمقراطية التوافقية في مملكة بلجيكا) في مبحثين فضلاً عن مقدمة وخاتمة، جاء المبحث الأول تحت عنوان (التعددية الاجتماعية والثقافية في بلجيكا)، أما المبحث الثاني فجاء تحت عنوان (العوامل السياسية والدستورية المؤدية لقيام الديمقراطية التوافقية).

المبحث الأول

واقع التعددية في بلجيكا

تُعد مملكة بلجيكا مثالاً واضحاً للتعددية الاجتماعية والثقافية المعقدة التي أصبح خيار التوافقية هو أحد الحلول للحفاظ على وحدة الدولة، وأحد أهم الاسباب لهذه التعددية هو إنَّ بلجيكا تاريخيا كانت ضمن دائرة الصراع والحروب بين الدول الاوروبية، فقد تم غزوها من قبل القوى الأوروبية المختلفة وقد ترك ذلك أثره الواضح في التركيبة الاجتماعية لاسيما اللغوية، ففي عام 1795 قامت فرنسا باحتلال بلجيكا وضمها اليها خلال الحرب النابليونية، وبعد هزيمة الفرنسيين في معركة واترلو بالقرب من العاصمة البلجيكية بروكسل، تم احتلال بلجيكا من قبل هولندا واصبحت جزءاً منها، كما تم غزو مملكة بلجيكا مرتين من قبل الألمان في القرن العشرين، هذا الواقع قد خلف تنوعاً لغوياً وصراعاً ثقافياً انعكس بشكل مباشر على الوضع السياسي للبلاد، إذ اصبحت بلجيكا مقسمة جغرافياً على أساس لغوي، فمجتمع الفلا ندرز الناطقين بالهولندية يتواجدون في الشمال، ووالونيا الناطقة بالفرنسية في الجنوب، مع جماعة صغيرة ناطقة باللغة الألمانية في والونيا الشرقية، هذه التعددية اللغوية تزامنت مع وجود تعددية دينية وثقافية مما تطلب إلى ايجاد نهج معين لاستيعاب هذه التعددية والاختلافات داخل المجتمع البلجيكي، ولمعرفة تفاصيل وطبيعة التعددية الاجتماعية في بلجيكا سنقسم هذا المبحث على مطلبين، نتناول في المطلب الأول: التعددية الاجتماعية واللغوية، وفي المطلب الثاني: التعددية الثقافية والدينية.

تُعد مملكة بلجيكا مثالاً واضحاً للتعددية الاجتماعية والثقافية المعقدة التي أصبح خيار التوافقية هو أحد الحلول للحفاظ على وحدة الدولة

المطلب الأول: التعددية الاجتماعية واللغوية

تبلغ المساحة الكلية لمملكة بلجيكا (30,280) كيلو متر مربع، اما عدد سكانها حسب آخر بيانات الأمم المتحدة لعام 2021 فقد بلغ (11,638,188) نسمة، وقد بلغت نسبة الناطقين بالهولندية (58%) بعدد (7,2) مليون نسمة، ونسبة الناطقين بالفرنسية بلغت (41%) بعدد (3,5) مليون نسمة، اما نسبة الناطقين بالألمانية فقد بلغت (1%) بعدد (1,1) مليون نسمة[1].

إذاً تشكل نسبة البلجيكيين الناطقين بالغة الهولندية هي الأكبر، كما يشغلون معظم المساحة الكلية لبلجيكا، وعلى اساس ذلك وزعت بلجيكا على ثلاث اقاليم (الاقليم الفلمنكي واقليم والون واقليم العاصمة بروكسل) وثلاث مجتمعات هي

(1) https://www.worldometers.info/world-population/belgium-population

(المجتمع الفلمنكي والمجتمع الفرنسي والمجتمع الناطق بالالمانية).

في سنة 1831 كانت الفرنسية لغة النخبة وكانت الفلمنكية = (الهولندية) لغة الفلاحين ، وينص دستور عام 1831 على أن اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية الوحيدة وقد بقيت اللغة الفرنسية اللغة الرسمية الوحيدة حتى نهاية القرن التاسع عشر، ولكن مع توسيع حق التصويت (1893، 1921) والعمل بالتمثيل النسبي في الانتخابات البرلمانية (1899) ازداد النفوذ السياسي للجمهور الفلمنكي وأصبحت الفلمنكية = (الهولندية) اللغة الرسمية في عام 1970 أما الألمانية فقد أصبحت هي الاخرى لغة رسمية في عام 1970[2].

(2) مارك فان دير هولست: بناء الدولة العراقية الواحدة-الخيارات الفيدرالية والتعامل مع التنوع، عمان، 2006.

لقد أصبح التعدد اللغوي في بلجيكا جزءاً لا يتجزأ من النسيج الثقافي، ففي اوروبا خصص يوم 26 ايلول اطلق عليه اليوم الاوربي للغات، وهو يوم يهدف إلى تعزيز التنوع اللغوي في اوروبا وتشجيع الاوربيين على تعلم لغات مختلفة، والهدف من ذلك هو محاولة لانسجام المجتمعات الاوربية واستقرارها، ففي بلجيكا التي تعاني من اشكالية التعددية اللغوي هناك تأكيد على أهمية المهارات اللغوية في جميع انحاء نظام التعليم، إذ يتعلم الاطفال لغة رسمية ثانية في المدرسة الابتدائية، ولغة ثالثة في الثانوية، في محاولة لتقليل حدة الصراعات السياسية والمحافظة على وحدة البلاد[3].

أصبح التعدد اللغوي في بلجيكا جزءاً لا يتجزأ من النسيج الثقافي، ففي اوروبا خصص يوم 26 ايلول اطلق عليه اليوم الاوربي للغات

(3) AMCHAM BELGIUM: be/blog/multilingualism-belgium.

ووفقاً لمسح Eurobarometer لعام 2021 يستعمل 38% من البلجيكيين لغة ثانية أو ثالثة، ويمكن لـ27% التحدث بثلاث لغات أو أكثر، ويعتقد 88% من البلجيكيين إنً تحسين المهارات اللغوية يجب أن تكون اولوية سياسية[4].

(4) ibid.

وفي البلدان متعددة اللغات مثل بلجيكا، غالباً ما تكشف علاقة المجتمعات العرقية اللغوية عن وضعهم كأغلبية أو أقلية، والانشغال في الدفاع عن لغتهم وثقافتهم، كما تشعر الاقليات بأنها مهددة بشكل دائم من خلال الاستيعاب والانصهار، لذا غالباً ما تنجذب إلى الخطابات التي تُشيد بمزايا أي شكل من أشكال الحمائية، سواء كانت سياسية أم اجتماعية أم اقتصادية، وهذا بحد ذاته يؤدي إلى إنً يكون سبباً في اضعاف المجتمع والدولة، لذا كان الذهاب نحو التجانس اللغوي حسب المناطق ناجحاً ويؤدي إلى الاستقرار النسبي، وكذلك في المؤسسات، وهذا ما حصل في بلجيكا من اعتماد التوافق السياسي في ادارة مؤسسات الدولة للحفاظ على التعدد اللغوي ومواجهة خطر التأثير على وحدة الدولة وتقليل النزعات الانفصالية[5].

(5) Philippe Hambye, Pluri-linguisme et minorisation en Belgique: d'étranges rapports aux langues, Langage et société, 2009/3, n. 129, p. 29.

فمنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية والمملكة البلجيكية تعاني شدة الخلاف السياسي المستمر بسبب الانقسام اللغوية بين سكان الجنوب (الوالون) الناطقين بالفرنسية، وبين سكان الشمال (الفلامنك) السكان الاصليين الناطقين بالهولندية، ورغم إنً الاخير يشكلون نسبة (58%) من السكان إلا إنًهم كانوا مضطهدين لأن السلطة كانت في الغالب بيد الوالون، لذا نشأت حركة قومية رافضة للواقع السياسي مما ولد خلافات سياسية بينهم اشتدت عام (1950) حول قضية عزل

الملك (ليوبولد) او الابقاء عليه بسبب تعاونه مع الاحتلال الالماني اثناء الحرب العالمية الثانية، وقد اجري استفتاء شعبي بهذا الخصوص، وحاز الملك على تأييد الفلامانك وهم الاغلبية على بقائه، مقابل رفض الوالون له، لكن الملك لم يجرأ على الاعتراف بهذا الفارق مما اضطره إلى التنازل عن العرش وسلمه إلى خلفه (بودوان)، ولعل اهم سبب في تنازله هو سيطرة الوالون على مفاصل الدولة[6].

(6) فراس عبدالكريم محمد علي: النظام السياسي لدول البينلوكس – دراسة تحليلية-، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، 2008، ص8.

ومنذ هذه الحادثة اشتد الخلاف بين الحركة القومية الفلامانية الناطقة بالهولندية التي مثلت اليمين، وبين الوالون الذين مثلوا اليسار الناطقين بالفرنسية، مما دعى الفلامان إلى المطالبة بالحكم الذاتي، وتفادياً للانقسام والانفصال تم اتخاذ خطوات تشريعية اولية باتجاه اللامركزية الادارية، وبموجب قانون عام (1963) تم تقسيم البلاد على اربع اقسام لغوية: وهم كل من اقليم الفلامان الناطقين بالهولندية، واقليم الوالون الناطقين بالفرنسية، واقليم الجرمان الصغير الناطق بالالمانية، واقليم العاصمة (بروكسل) ثنائي اللغة بين الهولندية والفرنسية، ورغم الاصلاحات الدستورية والتشريعية المتكررة في عام (1970 - 1973 -1977-1980) لم تفلح في تخفيف التوتر بين الفلامان والوالون، بسبب قناعة الفلامان ابعادهم عن القرار السياسي وسيطرة الوالون على مفاصل الدولة المهمة، مما ولد اعمال عنف في الشارع البلجيكي أثرت على وحدة واستقرار البلاد حتى صدور دستور عام (1993) والنافذ حالياً والذي تحولت فيه بلجيكا من نظام اللامركزية الادارية، إلى نظام اللامركزية السياسية (الفيدرالية)[7].

اشتد الخلاف بين الحركة القومية الفلامانية الناطقة بالهولندية التي مثلت اليمين، وبين الوالون الذين مثلوا اليسار الناطقين بالفرنسية

(7) المصدر نفسه، ص9.

رسخ دستور عام (1993) النهج التوافقي على المستوى الجغرافي والسياسي عبر الفيدرالية، إذ جعل من الفيدرالية احد الحلول للحفاظ على وحدة الدولة من التقسيم، فقد أشار الدستور إلى إنَّ بلجيكا دولة فيدرالية تتكون من مجتمعات واقاليم[8]، كما أشار إلى إنَّ بلجيكا تتكون من ثلاث جاليات (الجالية الفرنسية-الجالية الفلامندية-الجالية الجرمانية)[9]، كما وزع بلجيكا إلى ثلاث اقاليم هي (الاقليم الوالوني والاقليم الفلامندي واقليم بروكسل)[10]، وفيما يتعلق بالتقسيم اللغوي اشار الدستور إلى إنَّ بلجيكا تتكون من أربعة أقاليم لغوية؛ إقليم اللغة الفرنسية، وإقليم اللغة الهولندية، وإقليم بروكسل العاصمة الثنائي اللغة، وإقليم اللغة الألمانية، إذ إنَّ كل وحدة إدارية تُعد (مقاطعة انتخابية) من المملكة وهي جزء من هذه الأقاليم اللغوية، ولا يمكن تغيير أو تعديل حدود الأقاليم اللغوية الأربعة إلا بقانون يتم تبّنيه بأغلبية الأصوات لكل إقليم لغوي في كل مجلس، على أن تجتمع أغلبية أعضاء كل مجموعة من اللحظة التي يساوي فيها مجموع الأصوات الإيجابية المعطاة من قبل الإقليمين اللغويين لثلثي الأصوات المعبر عنها على الأقل[11].

(8) انظر: المادة (1) من الدستور البلجيكي النافذ لعام 1993.

(9) المادة (2) من الدستور البلجيكي النافذ لعام 1993.

(10) المادة (3) من الدستور البلجيكي النافذ لعام 1993.

بتوزيع السلطة بين المجموعات اللغوية في مؤسسات الدولة الرسمية أشار الدستور بشكلٍ صريح إلى النهج التوافقي

(11) المادة (4) من الدستور البلجيكي النافذ لعام 1993.

اما فيما يتعلق بتوزيع السلطة بين المجموعات اللغوية في مؤسسات الدولة

الرسمية أشار الدستور بشكلٍ صريح إلى النهج التوافقي، إذ نص على إنً يتكون مجلس الوزراء من خمسة عشر عضوا في الحد الأقصى، وإنً يتضمن مجلس الوزراء، باستثناء رئيس الوزراء، أعضاء من الناطقين باللغة الفرنسية مساوين في عددهم للأعضاء الناطقين باللغة الهولندية[12]، هذا على المستوى الاتحادي، أما على مستوى الوحدات المكونة للاتحاد فقد أشار إلى وجود حكومة للتجمع الفرنسي وحكومة للتجمع الفلامندي، ويحدد تكوينهما ووظائفهما بقانون يتم تبنيه بأغلبية الأصوات كما هنالك حكومة للتجمع الألماني، يحدد القانون تكوينها ووظائفها[13]، وكذلك الحال مع انتخاب اعضاء البرلمان وتحديداً مجلس الشيوخ المكون عدد اعضائه من (71) عضواً يتم انتخابهم وفق النسب العددية لكل من الناطقين بالهولندية والفرنسية والالمانية[14].

(12) الـمـادة (99) من الدستور البلجيكي النافذ لعام 1993.

(13) المادة (121) من الدستور البلجيكي النافذ لعام 1993.

(14) انظر: المادة (67) من الدستور البلجيكي النافذ لعام 1993.

وبذلك يتضح لنا من خلال ما تم ذكره ان واقع التعددية اللغوية في بلجيكا قد رسخت في الدستور الصادر لعام 1993 الذي اخذ بالنظام الفيدرالي، وتم توزيع السلطة بين الناطقين بالهولندية والفرنسية على اساس توافقي، ليبين واقع الديمقراطية التوافقية في بلجيكا.

المطلب الثاني: التعددية الثقافية والدينية

إنً ظهور اشبه بالثنائية القطبية في بلجيكا هو النتيجة المنطقية للاختلاف اللغوي، فضلاً عن ذلك كان العامل الثقافي والديني بين الفلاندر والوالون له دوره المؤثر، فالفلاندر على وجه الخصوص تشعر إنً قوميتها البلجيكية تتعرض للضغط من الآخر وتوصف هويتها بدون الوطنية، لهذا كان أثر الكنيسة واضحاً في أدبيات الفلاندر، وإنً كان تأثيرها تضاءل مؤخراً لاسًيما في السلوك الانتخابي، بالمقابل الوالون أكثر قلقاً بشأن التهديد الاقتصادي والاجتماعي في المناطق المختلطة[15].

إنّ طبيعة الثقافة البلجيكية بشكلٍ عام هي انعكاس للتعدد والانقسام اللغوي، فالثقافة البلجيكية لم تستطع تجاوز تأثير الفاعل اللغوي لاسيما في القضايا السياسية

وهنا يجب أن نشير إلى إنً طبيعة الثقافة البلجيكية بشكلٍ عام هي انعكاس للتعدد والانقسام اللغوي، فالثقافة البلجيكية لم تستطع تجاوز تأثير الفاعل اللغوي لاسيما في القضايا السياسية، هذا الواقع أدى إلى انقسام الأحزاب السياسية على اسس لغوية، بحيث أصبحت هذه الأحزاب ترتب ملفاتها الانتخابية على مستوى الاقاليم والمجتمعات المختلفة لغوياً، وبذلك أصبح صنع السياسة البلجيكية قائماً على أساس المناطقية اللغوية اقليمياً، وتوافقياً على مستوى الاتحاد ككل، لذلك اصبح اتخاذ القرار التوافقي أكثر وضوحاً ليس في داخل الحزب فقط، بل بسبب جماهير الحزب والثقافة التي دفعت إنً تكون الأحزاب السياسية اقليمية أكثر منها وطنية، وهذا ما انعكس على نوع الحكومات الاتحادية المشكلة التي كانت حكومات ائتلافية توافقية مرتبطة أيديولوجيا بنوع الثقافة من كلا المجموعتين اللغويتين[16].

(15) Jaak Billiet,Bart madbens and Andre-paul Frognier: differences in political culture between Flemings and Walloons, west European politics, vol29,No5,2006,p.912.

(16) ibid.915.

والسؤال الذي نرى ضرورة طرحه هنا حول المجتمع التعددي في بلجيكا هو: هل

القومية تؤدي إلى المركزية العرقية؟ ام إنَّ المركزية العرقية تؤدي إلى القومية؟ او ما إذا كان كلا التأثيرين يعملان في وقت واحد وفي علاقة سببية متبادلة؟

هنا نرى إنَّ التعامل مع المجموعاتً القومية داخل الدولة على قدم المساواة، اي عدم وجود تمييز على أساس العرق أو الأصل القومي واللغوي عادةً يؤدي إلى إنَّ يعم الاستقرار النظام؛ لأن المساواة المدنية شرطاً مهماً للمشاركة الناجحة والتي عادةً يتم ضمانها من الديمقراطية التمثيلية، وعندها يمكن للمجموعات القومية إنَّ تشترك في شعور الانتماء الوطني.

اما في حالة عدم تلبية هذه الشروط حيث تهيمن مجموعة قومية واحدة على الحياة السياسية والاقتصادية مع استبعاد المجموعات القومية الاخرى كما حصل في فترة سابقة في بلجيكا عندما كان الوالون الناطقين باللغة الفرنسية هم المهيمنين على السلطة، هنا يمكن إنَّ ينفجر الاستياء القومي والعرقي، اذ يمكن إنَّ تولد النزعة القومية والعرقية عواطف خطيرة تنتهي بالمطالبة بالاستقلال عن الدولة كما حصل عندما كان الفلاندر الناطقين بالهولندية مهمشين سياسياً، فقد كانت الاخيرة تعتقد إنَّ لها حقاً سياسياً مسلوب رغم إنَّها تشكل الاغلبية من سكان بلجيكا، وهذا الواقع قد يؤدي إلى التطرف وعندها يسود عدم الاستقرار على جميع المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

هذا الواقع ولد ثقافة سياسية ضيقة (فرعية) كان لها أثر كبير على النظام السياسي البلجيكي بوجه خاص، وعلى الحياة السياسية بوجه عام، هذه الثقافة ناتجة عن تمييز افراد المجتمع على أساس الدين أو العرق والوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي على العكس من الثقافة الشاملة[17]، وهذا الواقع انعكس على الحياة السياسية من تأثيره بالأحزاب السياسية التي اثرت بشكلٍ مباشر على نوع الحكومات المشكلة التي اصبحت بطبيعة الحال توافقية، وانسحب ذلك على باقي مؤسسات الدولة، فالأحزاب التقليدية الثلاث على المستوى الوطني (الحزب الديمقراطي، الحزب الليبرالي، الحزب الاشتراكي)، هذه الأحزاب الوطنية لم تكن قادرة على الوقوف في وجه التوترات اللغوية المتزايدة، وعلى ما يبدو إنَّ انهيار هذه الأحزاب بشكلٍ مفاجئ كونها كانت تأخذ بعين الاعتبار في بناء هياكلها الداخلية الاختلافات الثقافية بين الشمال البلجيكي الناطقين بالهولندية، وبين الجنوب الناطق بالفرنسية، لذا حلّت الأحزاب الاقليمية محل الأحزاب الوطنية، والأحزاب الجديدة المشكلة جميعها أصبحت أحزاباً اقليمية، وهنا يجب الاشارة إلى إنَّ التوترات بين المتحدثين بلغتين مختلفتين ليست التوترات الوحيدة التي اثرت على الحياة السياسية البلجيكية، فهناك ثلاث انقسامات مهمة في المجتمع، الأول: هو الانقسام الديني (الكنيسة مقابل الدولة)، والثاني: هو الانقسام الاجتماعي والاقتصادي (العمل مقابل رأس المال)، والثالث وهو الأهم: الانقسام العرقي اللغوي، فالانقسام الاخير أصبح بارزاً في الثقافة السياسية للمجتمع

الأحزاب الوطنية لم تكن قادرة على الوقوف في وجه التوترات اللغوية المتزايدة

(17) للمزيد ينظر: عبدالله محمد عبدالرحمن: علم الاجتماع السياسي(النشأة التطورية الحديثة والمعاصرة)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 2001،ص437.

والنخبة السياسية مما انعكس بشدة على الواقع السياسي الذي تمثل بنشوء نوع من الديمقراطية اضيفت لها صفة التوافقية[18].

وفيما يتعلق بالتركيبة والتعددية الدينية اشار الدستور البلجيكي لعام (1993) إلى حرية الاعتقاد الديني، إذ نص على إنّه لا يجوز اكراه الأفراد على المشاركة بأي طريقة كانت في الشعائر الدينية، أو الالتزام بالعطل الدينية للمجموعات المختلفة دينياً[19]، كما حدد الدستور اختصاصات الكنيسة إذ لا يحق للدولة إنً تتدخل في ترشيح او تعيين الكهنة لأي دين كان كما لا يحق لها ان تمنع هؤلاء الكهنة من التراسل مع مرؤوسيهم او نشر تعاليمهم[20].

وبموجب احصاءات عام 2005 توزعت التركيبة الدينية في مملكة بلجيكا على النحو الآتي: (75%) مسيحيين كاثوليك، و(15%) مسيحيين بروتستانت، ونحو (3,5%) مسلمين، والباقي اديان اخرى مختلفة، أي إنً المسيحية في بلجيكا هي الديانة السائدة والمهيمنة، ولطالما الكاثوليكية هي دين الأغلبية في بلجيكا كانت ذات حضور تاريخي قـويّ بشكل خاص في فلاندرز، فبحسب احصائية يوروبارومیتر لعام 2018 يشكل المسيحيون حوالي 62.8% من مجمل السكان، وتأتي الكنيسة الرومانية الكاثوليكية في مقدمة الطوائف المسيحية إذ يشكل أتباعها حوالي 57.1% من مجمل السكان، يليهم أتباع الطوائف المسيحية الأخرى مع حوالي 2.8% من السكان، وتعترف بلجيكا رسميًا بثلاث ديانات: المسيحية (الكاثوليكية والبروتستانتية والكنائس الأرثوذكسية والأنجليكانية) والإسلام واليهودية، وبسبب العامل الديني تعرض نظام الحكم والوحدة الوطنية في بلجيكا إلى حالة من عدم الاستقرار الشديد عام (1960) عندما أرادت الحكومة ابعاد الكنيسة البلجيكية الكاثوليكية عن الاشراف على نظام التعليم فيها، فهدد الفلامنك الكاثوليك وهم الاكثرية بالثورة والانفصال عن الوالون[21]، مما أدى إلى تراجع الحكومة عن هذا الاجراء.

إنّ التعددية اللغوية والثقافية والدينية في بلجيكا وإنّ كانت نسبة الأخيرة اقل، كانت لها الاثر الواضح في واقع التوافقية البلجيكية لاسّيما التعددية اللغوية

وهنا يجب الاشارة إلى إنً المذهب الكاثوليكي الذي تصل نسبته إلى (75%) متبع من قبل الجماعة الاثنية لكل من الفلامنك والوالون وبنسب مختلفة، وينسحب التقاسم بين الجماعات الاثنية على المذهب البروتستانتي ايضاً، فالجماعة الاثنية الفلامنكية التي تتحدث اللغة الهولندية قسم منهم يتبع المذهب البروتستانتي وإنً كانت نسبتهم قليلة، والعكس كذلك مع الجماعة الاثنية للوالون.

مما تقدم يتضح لنا إنً التعددية اللغوية والثقافية والدينية في بلجيكا وإنً كانت نسبة الأخيرة اقل، كانت لها الاثر الواضح في واقع التوافقية البلجيكية لاسّيما التعددية اللغوية، لكن تبقى هناك عوامل دستورية وسياسية أسهمت بشكلٍ مباشر وغير مباشر في ترسيخ الواقع التوافقي في مملكة بلجيكا سنتناولها في المبحثين الثاني والثالث.

(18) Kris DESCHOUWER, Ethnic Structure, Inequality and Governance of the Public Sector in Belgium, Part of UNRISD Project on Ethnic Structure, United Nations Research Institute for Social Development (UNRISD), 2004, p. 11.

(19) انظر: المادة (20) من الدستور البلجيكي النافذ لعام 1993.

(20) انظر: المادة (21) من الدستور البلجيكي النافذ لعام 1993.

(21) فراس عبدالكريم محمد علي: مصدر سبق ذكره، ص10.

المبحث الثاني

الفيدرالية والبنية التوافقية في بلجيكا

يرى ارنت ليبهارت في كتابه (الديمقراطية التوافقية في مجتمع متعدد)، صعوبة تحقيق الحكم الديمقراطي المستقر في مجتمع متعدد، فالتجانس الاجتماعي والاجماع السياسي بمثابة شرطين مسبقين للديمقراطية المستقرة، فالانقسامات الاجتماعية والاختلافات السياسية داخل المجتمعات التعددية تؤدي إلى عدم الاستقرار السياسي ولاسّيما الحكومي، وربما الانهيار في تلك الديمقراطيات، لذا اقترح ليبهارات تضمين الدستور قواعد الديمقراطية التوافقية لمعالجة مشكلة عدم الاستقرار في المجتمعات التعددية، والتي تقوم على عدة أركان منها ما يعرف (بالاستقلال القطاعي) ويقصد به تبني النظام الفيدرالي الذي يقوم على أساس توزيع السلطة بين القطاعات المختلفة اجتماعياً، وكذلك (النسبية) كركن آخر يتم على أساسه توزيع وظائف الجهاز الحكومي والموارد المالية على مختلف قطاعات المجتمع عن طريق التوافق[22]، وبذلك يكون الدستور من العوامل المباشرة في قيام الديمقراطية التوافقية، وهذا ما أخذ به الدستور البلجيكي لعام 1993 الذي تحولت فيه الدولة من اللامركزية الادارية إلى دولة فيدرالية، ولمعرفة طبيعة الفيدرالية البلجيكية وأثرها على الواقع التوافقي سنقسم هذا المبحث على مطلبين: نتناول في المطلب الأول: أسباب نشأة الفيدرالية البلجيكية وطبيعتها، وفي المطلب الثاني: سنتطرق إلى أثر الفيدرالية في قيام التوافقية.

تبني النظام الفيدرالي الذي يقوم على أساس توزيع السلطة بين القطاعات المختلفة اجتماعياً

(22) ارنت ليبهارت: الديمقراطية التوافقية في مجتمع متعدد، ترجمة: حسني زينة، معهد الدراسات الاستراتيجية، بيروت، 2006،ص11.

المطلب الأول: اسباب نشأة وطبيعة الفيدرالية البلجيكية

تأسست بلجيكا في عام 1830 كملكية دستورية وحدوية، إلا إنَّها مرّت بأربع مراحل من تفويض السلطة عبر اللامركزية الادارية في الاعوام (1988،1980،1970) حتى وصلت إلى ذروتها في شكل اتحاد فيدرالي بشكل رسمي بموجب دستور عام 1993، وقد كانت أحد الاسباب الرئيسية الدافعة لمسار تفويض السلطات ضمن الاطار الفيدرالي هو الاستقطاب السياسي للمجموعتين اللغويتين الرئيسيتين من البلجيكيين، وهم كل من المتحدثين بالهولندية (58%) والمتحدثين بالفرنسية (41%) اما المتحدثين بالالمانية فنسبتهم (1%) من السكان[23]، فقد ازداد التركيز على طابع السياسة ثنائي القطبية مما ينعم به الاقليم الفلمنكي من رخاء اقتصادي يزيد عن غيره من الاقاليم، واستياء الاغلبية المتحدثة بالهولندية من الهيمنة السياسية للمتحدثين بالفرنسية وسيطرتهم على السلطة في الدولة البلجيكية الوحدوية.

(23) رونالد ل. واتس: الانظمة الفيدرالية، ترجمة: غالي برهومة وآخرون، منتدى الاتحادات الفيدرالية، كندا، 2006، ص39.

كما إنَّ من أهم أسباب وأهداف قيام الفيدرالية البلجيكية هو الحفاظ على وحدة الدولة من التقسيم من خلال حماية هوية المجموعات اللغوية البلجيكية الثلاث عن طريق منحها درجة كبيرة من اللامركزية السياسية والثقافية والاقتصادية، فقد قسمت بلجيكا وفق النظام الفيدرالي إلى أربعة أقاليم لغوية(إقليم اللغة الفرنسية، إقليم اللغة الهولندية، إقليم بروكسل العاصمة الثنائي اللغة، وإقليم اللغة الألمانية)،

وكل وحدة إدارية (مقاطعة انتخابية) من المملكة هي جزء من هذه الأقاليم اللغوية، إذ لا يمكن تغيير أو تعديل حدود الأقاليم اللغوية الأربعة إلا بقانون يتم تبّنيه بأغلبية الأصوات لكل إقليم لغوي في كل مجلس، على أن تجتمع أغلبية أعضاء كل مجموعة من اللحظة التي يساوي فيها مجموع الأصوات الإيجابية المعطاة من الإقليمين اللغويين لثلثي الأصوات المعبر عنها على الأقل[24]، وقد أشار في هذا السياق أحد رؤساء وزراء بلجيكا (غاي فير هوفستات) بالقول (إنَّ السعي الدائم للموازنة الصائبة بين الوحدة والتنوع قد احدث تغييرات سياسية كبيرة في هياكل الحكم انعكست بالإيجاب على الاستقرار السياسي وقلل من التوترات الحاصلة بين مكونات المجتمع البلجيكي، وحافظ على وحدة البلاد من التقسيم، بحيث اثبت النظام الفيدرالي جدواه)[25].

إنَّ السعي الدائم للموازنة الصائبة بين الوحدة والتنوع قد احدث تغييرات سياسية كبيرة في هياكل الحكم انعكست بالإيجاب على الاستقرار السياسي

(24) المادة (4) من الدستور البلجيكي النافذ لعام 1993.

(25) نقلاً عن: فراس عبدالكريم محمد علي، مصدر سبق ذكره، ص49.

مع ذلك هناك عاملان رئيسيان يعملان ضد تقسيم وانفصال بلجيكا رغم المشاكل اللغوية والمناطقية:

الاول: الاشكالية الكبيرة في العاصمة بروكسل، ليس كونها العاصمة بل لأنها مدينة ثنائية اللغة (على الرغم من إنَّ الغالبية يتحدثون اللغة الفرنسية)، فضلاً عن ذلك تستضيف العاصمة بروكسل العديد من المنظمات الدولية منها (الاتحاد الأوروبي) التي ترغب في مناطق مستقرة سياسياً.

الثاني: يتعلق بالدين العام المرتفع للدولة (130% من الناتج المحلي الاجمالي في عام 1995، 84% في عام 2007، 97% في عام 2009)، هذه الديون لابدَّ من تقاسمها بين البلجيكيين المتحدثين بالهولندية والفرنسية إذا تفكك البلد، وهذا الأمر ليس بالهين[26].

(26) DESCHOUWER, Kris, « La dynamique fédérale en Belgique », in FOURNIER, Bernard et REUCHAMPS, Min (eds). Le fédéralisme en Belgique et au Canada. Comparaison socio-politique. Bruxelles. De Boeck, 2009, pp 67:

(27) lbid,p72.

مع ذلك بلجيكا هي مثال رئيسي لطبيعة الفيدرالية غير التماثلية، فهناك عدم تطابق بين المستوى الاقليمي والمجتمعي، فالعاصمة بروكسل منطقة وليست مجتمع، والمتحدثون الالمان تم الاعتراف بهم كمجتمع وليس كمنطقة، وعلى الرغم من إنَّ الناطقين بالألمانية أصغر بكثير من المجتمع الفلمنكي إلا إنَّهم يشتركان في سلطات مماثلة في السياسات التعليمية والثقافية[27].

تمكنت عملية تفويض السلطة في الفيدرالية البلجيكية من احتواء التوترات الحادة بين المجموعات اللغوية الناطقة بالهولندية والفرنسية

وتتصف طبيعة الفيدرالية البلجيكية بعناصر قوة كما تتصف بعناصر ضعف[28]:

وتتمثل عناصر القوة بما يلي:

1. تمكنت عملية تفويض السلطة في الفيدرالية البلجيكية من احتواء التوترات الحادة بين المجموعات اللغوية الناطقة بالهولندية والفرنسية، فقد شهدت سنوات ما بعد اقرار الفيدرالية في دستور عام 1993 استقرار نسبي وقد بان ذلك في تراجع التظاهرات على نطاق واسع والتي كانت مرتفعة في ظل نظام اللامركزية الادارية، ولعل أحد أهم الاسباب هو قيام قادة الأحزاب الفلمنكية

(28) wilfried swenden:Belgian federalism, Robinson college, Cambridge,UK,2003,p14

من يمين الوسط بنقل اجزاء معينة من سياسة الضمان الاجتماعي إلى المناطق، وتفويض بعض الصلاحيات المتعلقة بالجانب الثقافي كالتعليم إلى الاقاليم.

2. استطاعت الفيدرالية البلجيكية تقليل الخلافات بين الطائفتين في سياق موحد من تقديم مبالغ مالية مماثلة لكل من المجتمعات اللغوية بغض النظر عن تقييم الحاجة الموضوعية لهذه المنح، هذه الآلية وإنً كانت غير مبررة لكنها أدت إلى نوع من الاستقرار النسبي.

إنّ الفيدرالية البلجيكية تتألف من ثلاث مناطق وثلاث مجتمعات، إلا إنّ واقع السياسة البلجيكية قائمة على الثنائية القطبية بين الوالون والفلامنك

3. بغض النظر عن تفويض السلطات للأقاليم والمجتمعات، كان السكان البلجيكيون عموماً أكثر استعداداً للتماهي مع بلجيكا، فلو خير المواطن بالتعبير عن ولائه لمنطقته بشكلٍ حصري أو مع الدولة البلجيكية، أو بالتساوي مع كليهمًا، تم ملاحظة إنً المواطنين الراغبين في تحويل هويتهم الفرعية إلى الهوية الوطنية قد زادت في الوقت الحاضر أكثر من آبائهم واجدادهم، وهذا يؤشر نجاح وحسن ادارة الدولة ضمن نظام الفيدرالية.

أما عناصر ضعف الفيدرالية البلجيكية فتتمثل بما يلي:

1. على الرغم من إنً الفيدرالية البلجيكية تتألف من ثلاث مناطق وثلاث مجتمعات، إلا إنً واقع السياسة البلجيكية قائمة على الثنائية القطبية بين الوالون والفلامنك، فالناطقين بالألمانية مجتمع صغير جداً يمثل (7000) نسمة، بحيث لم يكن له أي تأثير في صنع السياسات الاتحادية، فالثنائية القطبية لا تتعلق فقط بالنظام الحزبي، بل يتم التعبير عنها في مجالين منفصلين([29]).

(29) Jaak Billiet: op cit, p913

2. غياب أو ضعف اتخاذ القرارات السياسية للسلطة الاتحادية في الفيدرالية البلجيكية، فتقرير اتخاذ القرار النهائي يتركز بيد الأقاليم.
3. عدم توزيع تكاليف العملية الفيدرالية في بلجيكا بالتساوي بين المستوى الاتحادي ومستوى الاقاليم، اذ تتعرض الحكومة الاتحادية لضغوط اقليمية كبيرة للإبقاء على امتيازاتها، وصلاحياتها تحت سيطرة الحكومات الاقليمية.
4. وصفت الفيدرالية البلجيكية بأنها فيدرالية الاحزاب السياسية، على اعتبار إنًها تدار من (النظام الحزبي الثنائي)، والذي يكون له اليد العليا في ترشيح الاشخاص للمناصب العليا في الدولة، لاسيما تشكيل المحكمة الدستورية الاتحادية التي لابد إنً تتألف من عدد مساو من القضاة الناطقين بالهولندية والفرنسية وقاضٍ واحد ألماني، إذ يتم تعيين القضاة من قبل مجلس النوّاب ومجلس الشيوخ الاتحادي([30]).

أن الاساس الدستوري لنشأة وعمل طبيعة الفيدرالية البلجيكية اخذت بنظر الاعتبار الواقع الاجتماعي التعددي

(30) wilfried swenden: op cit,p15.

ومما تقدم نجد أن الاساس الدستوري لنشأة وعمل طبيعة الفيدرالية البلجيكية اخذت بنظر الاعتبار الواقع الاجتماعي التعددي لاسّيما من الناحية اللغوية، والذي كان له الأثر الواضح في بناء ما يمكن تسميته بالفيدرالية التوافقية وهذا ما سنتطرق اليه في المطلب التالي.

المطلب الثاني: أثر النظام الفيدرالي في تنظيم التوافقية البلجيكية

تُعد الفيدرالية من العوامل الدستورية المهمة التي أدت إلى ترسيخ التوافقية البلجيكية، إذ تعتبر من أهم سمات الحكم التوافقي وكان لها الأثر المباشر في تثبيت واستقرار الديمقراطية التوافقية، بالمقابل كانت البيئة الاجتماعية التعددية في بلجيكا قد حتمت الأخذ بالنظام الفيدرالي لتنفيذ الحكم التوافقي بشكلٍ قانوني عبر الفيدرالية، إذاً كانت عملية التأثير متبادلة.

إذ دفع التقليد التوافقي في بلجيكا نحو انشاء نوعين من الكيانات الفيدرالية، وهناك تداخل بينهما لكن بشكلٍ متساو، وربما الذي يحافظ على كيان الدولة متحد هو التوافق أكثر من الفيدرالية، فالأخيرة في بلجيكا محدودة للغاية وغير كاملة لاسّيما فيما يتعلق بالقرارات المتخذة[31].

(31) caroline van wynsberghe: The Belgian Example, weaknesses of the federal formula as implemented in Belgium,catholic university of Louvain,p22.

التوافقية تشارك في المبادئ الاساسية للفيدرالية و إنْ كانت مطبقة في دول غير فيدرالية مثل (هولندا ولبنان)

صوّرتْ عالمة السياسة الهولندية (ارندت ليبهارت) بشكلٍ جيد البنية التوافقية للمجتمع البلجيكي، ووفقاً لها فإنَّ التوافقيةً في بلجيكا هي نظام سياسي قائم على تقاسم السلطة نتيجةً للانقسام المجتمعي، فمبدأ التوافقية يهدف إلى تقاسم السلطة وتشتيتها والحد منها في يد طرف واحد، مع استقلالية شديدة للمجموعات المختلفة، لكنهم يضطرون للعمل بشكلٍ تعاوني لسببين[32].

(32) lbid,p8.

الأول: عدم تمكن أي شريحة للحصول على الاغلبية البرلمانية المطلقة لتشكيل الحكومة بمفردها.

الثاني: القرارات التي تشمل المجتمع البلجيكي بأسره، فعلى الرغم من امتلاك الأقلية حق النقض (الفيتو)، لكنها لابد أن تأخذ بنظر الاعتبار تطلعات الأغلبية، ومن ثم فأن التوافقية تشارك في المبادئ الاساسية للفيدرالية و إنَّ كانت مطبقة في دول غير فيدرالية مثل (هولندا ولبنان)، لاسّيما إنَّ تأسيس التوافقية البلجيكية لم يكن على أساس لغوي فقط، بل ايضاً على اساس توجها المجتمع البلجيكي، فمثلاً الجماعة الفرنسية لا تتمتع بأي حال من الأحوال بأي صلاحيات تؤثر على مواطن فرانكفوني في فلاندرز والعكس صحيح، والتوترات الحالية تنبع من هذا التحديد، فالفرنكفوني في فلاندرز يريد تنظيم تدريس اللغة الفرنسية في مناطق معينة، بينما هناك اعتراض من المتحدثين بالهولندية على هذه التسهيلات التي يعتبرونها مؤقتة، في حين الناطقين بالفرنسية يريدونها دائمة.

هذه الرؤية المزدوجة للفيدرالية توضح سلطات صنع القرار ضمن المجتمع المنقسم في بلجيكا الذي يفقد الكثير من القواسم المشتركة، إذ لا يوجد مركز سياسي حقيقي للقرار في السياسة البلجيكية، إذ تتم ادارة السياسة الفيدرالية من الأحزاب الإقليمية، والتي تؤدي دوراً على المستوى الاقليمي بشكلٍ مؤثر أكثر من دورها على المستوى الفيدرالي، حتى أصبحت صنع السياسات الفيدرالية تأخذ بعين الاعتبار الحساسيات المختلفة للأطراف في كلا الجانبين من البلاد، وتتم عن

طريق الاتفاق بين الطرفين، حتى أصبحت السياسات الفيدرالية شبيهة إلى حدٍ كبير بالسياسات بين الأقاليم التي تديرها الأحزاب الإقليمية[33].

إذاً تم افراغ المستوى الفيدرالي بسبب النهج التوافقي الذي ثبت دستورياً، ومنح صلاحيات واسعة للمجتمعات اللغوية والاقاليم، وهذه كانت نتيجة واضحة لنظام الحزب الاقليمي المزدوج، وعدم وجود احزاب وطنية تدافع عن المركز، فجميع الاطراف السياسية الاقليمية يتنافسون مع احزاب لغتهم، وهذا الواقع خلق انقساماً واضحاً بين الجانبين واصبح المنطق التوافقي هو السائد، وأدى إلى قيام دولة اتحادية توافقية مليئة بالضوابط والتوازنات وتقاسم السلطة وصلاحيات الفيتو، وربما كان منح الاستقلال دستورياً عبر الفيدرالية هو الميزة الأكثر وضوحاً، فالالتزام الدستوري بتقاسم السلطة في الحكومة الفيدرالية، ومنطق اتخاذ القرار بالأجماع عبر تمتع كل طرف بحق الفيتو، علاوةً على إنَّ هناك عدد متساو من الوزراء لكل مجموعة لغوية، كل ذلك يعني إنَّ الامور تم تسويتها دستورياً عبرً التوافق، والنظام الفيدرالي هو الذي هندس هذه التوافقية[34].

فعلى الرغم من وجود آليات للفيدرالية على المستوى الاتحادي التنفيذي والبرلماني، يوجد في المقابل لجنة تسمى (لجنة المداولات)، التي تجمع بين ممثلين اتحاديين واقليميين، تتكون من (12) عضواً (6) منهم يمثلون الحكومة الاتحادية، و(6) يمثلون الحكومات الاقليمية والمجتمعية، والـ(6) الاخيرة مقسمين بالتساوي بين الناطقين بالفرنسية والهولندية، ويحق لهؤلاء تمثيل بلجيكا في الاتحاد الاوروبي بالتناوب كل 6 أشهر، ولم تتبع أي دولة فيدرالية لها عضوية في الاتحاد الاوروبي هذا التطرف كما هو الحال في بلجيكا، إذ يمكن لوزير اقليمي تمثيل وجهة النظر البلجيكية في مجلس وزراء الاتحاد الأوروبي دون طلب موافقة الحكومة الاتحادية[35].

اعتماد النظام الفيدرالي في مملكة بلجيكا كان الهدف الاساس منه هو تنظيم الآلية التوافقية دستورياً في الاقاليم

مما تقدم يتضح لنا إنَّ اعتماد النظام الفيدرالي في مملكة بلجيكا كان الهدف الاساس منه هو تنظيم الآلية التوافقية دستورياً في الاقاليم، وليس ضبط النهج التوافقي عبر السلطات الاتحادية.

المبحث الثالث

النظام الحزبي وبنية الحكومات التوافقية في بلجيكا

عندما تحولت بلجيكا إلى دولة فيدرالية انقسم النظام الحزبي على قسمين بين شرائح لغوية مختلفة لا تنافس انتخابي بينها رغم وجود الاستقطاب الأيديولوجي، كما غابت الأحزاب الوطنية على المستوى الاتحادي حتى بات النظام الحزبي في بلجيكا يمثل حالة التعددية شبه المتطرفة قائمة على الانقسام المناطقي اللغوي، وبسبب تجزئة النظام الحزبي إلى الثنائية فأن الحكومات الائتلافية أصبحت القاعدة وليس الاستثناء، بحيث اسهم هذا النظام في ترسيخ نظام التوافقية في بلجيكا، حتى

(33) versmessn,E:the Belgian regional and national elections of may 1995,regional and federal studies,1995,p244.

(34) Kris Deschouwer: op cit,p12.

(35) wilfried swenden: op cit,p11.

اصبح هناك تقسيم للسلطات بدلاً من فصل السلطات، إذ فقد مبدأ فصل السلطات أهميته فيما يتعلق بالسلطة التنفيذية والتشريعية، لذا كان أثر النظام الحزبي واضحاً وأحد الأسباب الرئيسية في تشكيل الحكومات الائتلافية، على هذا الاساس سيتم تقسيم هذا المبحث على مطلبين، نتناول في المطلب الأول: أثر النظام الحزبي في تشكيل الحكومات الائتلافية البلجيكية، وفي المطلب الثاني: طبيعة الحكومات الائتلافية البلجيكية ومديات استقرارها.

المطلب الأول: أثر النظام الحزبي في تشكيل الحكومات الائتلافية البلجيكية

أن النظام الحزبي في بلجيكا يتصف بسمة غياب الأحزاب الفيدرالية على المستوى الوطني، فمنذ انشقاق الحزب الاشتراكي عام 1978 لم تعد هناك أي أحزاب وطنية في السياسة البلجيكية، ولم ينجح أي حزب سياسي في تنظيم نفسه على أساس ثنائي اللغة، لذا يوجد في بلجيكا نظامين حزبيين متوازنين حتى في بروكسل العاصمة، وحتى الأحزاب التي تقدم مرشحين من كلا المجموعتين اللغويتين وهي نادرة، يحتفظ الناخب بالاختيار الفردي للتصويت لصالح قوائم المجموعة اللغوية التي ينتمي اليها، وعلى هذا الأساس تجري الانتخابات وفق حملتين مختلفتين واحدة في شمال البلاد والأخرى في الجنوب، هذه الظاهرة الحزبية عززت سيطرة النخب السياسية على السلطة من جهة، وترسيخ نظام التوافقية في تشكيل الحكومة والبرلمان من جهة أخرى[36].

(36) caroline van wynsberghe: op cit, p14

لذلك لا يعكس نظام التعددية الحزبية في بلجيكا الانقسامات السياسية والاجتماعية التي أدت الى استقطاب المجتمع البلجيكي على أساس لغوي، فضلاً عن العامل اللغوي يعكس ظهور ابعاد صراع يأخذ جنبة دينية من خلال التعارض بين الحزب الليبرالي والحزب الكاثوليكي، كما ظهرت أهمية الانقسام الاجتماعي والاقتصادي بين اليسار واليمين مع ولادة الحركة الاشتراكية ما ادى إلى تعارض بين الاحزاب الليبرالية والاشتراكية من جهة أخرى.

لا يعكس نظام التعددية الحزبية في بلجيكا الانقسامات السياسية والاجتماعية التي أدت الى استقطاب المجتمع البلجيكي على أساس لغوي

ففي الستينات والسبعينات ارتفع عدد الاحزاب الممثلة في البرلمان بشكل كبير، وبحلول عام 1981 كان هناك (14) حزباً سياسياً في البرلمان الاتحادي، بعدها حدث انخفاض في عدد الاحزاب عندما فقد الشيوعيون وبعض الأحزاب الصغيرة ممثليهم في البرلمان، ورغم ظهور انفراجه بعد قيام الدولة الفيدرالية عام 1993 بشكل رسمي كنتيجة مباشرة للانقسام اللغوي والثقافي المتزايد بين البلجيكيين الناطقين بالهولندية والفرنسية[37]، إلا أن الانقسام ظهر داخل الأحزاب في المناطق، علاوةً على ذلك أن الأحزاب السياسية على المستوى الاتحادي مستقلة تنظيمياً بشكل كامل، بحيث لم تعد هناك أحزاب وطنية على المستوى الاتحادي باستثناء بعض الأحزاب الصغيرة غير المؤثرة، فجميع الأحزاب الفلمنكية والفرونكفونية تقدم نفسها في الدوائر الخاصة بها، بحيث لا يستطيع الناخبون في فلاندرز التصويت

(37) ينظر: رونالد ل.واتس: الانظمة الفيدرالية، مصدر سبق ذكره، ص40.

لمرشحي الوالون، فضلاً عن ذلك هناك الدائرة الانتخابية ثنائية اللغة غير المقسمة في العاصمة بروكسل، إذ يكون التصويت على أساس لغوي، لذلك هذا الواقع أدى إلى ترسيخ الواقع الائتلافي التوافقي حتى على المستوى المحلي[38].

فمثلاً الاحزاب الفلمنكية لاسّيما الديمقراطيون المسيحيون والقوميون ركزوا على اتساع الحكم الذاتي للمنطقة الفلمنكية، وطالبوا بانشقاق الدائرة الانتخابية ثنائية اللغة في بروكسل (هالة-فليفورد) المتحدثة باللغة الفرنسية، رغم معارضة بعض الاحزاب الفلمنكية لمثل هذا الانقسام[39].

وبذلك يتضح أن انقسام النظام الحزبي إلى الثنائية في بلجيكا مرتبط بالواقع الاجتماعي القائم على التصويت العرقي الاقليمي من جهة، فهذان النظامان لا يتنافسان مطلقاً لأنهما يتركزان اقليمياً، فالناخبون الناطقون بالهولندية ينتخبون السياسيين الناطقين بالهولندية، وينطبق الحال على الناخبون الناطقين بالفرنسية، مما يجعل الاحزاب الناطقة بالهولندية تتركز في اقليم المنطقة الفلمنكية، والاحزاب الناطقة بالفرنسية تتركز في منطقتي والون وبروكسل، وأن كانت بروكسل الاقليم الوحيد للمنافسة لكن على المستوى المحلي حصرياً، وليس على مستوى الانتخابات الفيدرالية والاوروبية.

ومن جهة أخرى ساعد النظام الانتخابي (التمثيل النسبي) إلى انتاج تعددية حزبية نابذة أو مستقطبة بين المناطق، كما أدى إلى تشكيل تحالفات غير منسجمة وغير متكافئة على مستوى الحكومة الفيدرالية وبشكل أقل في الحكومات الاقليمية، فأبعاد المنافسة الحزبية تستند على العوامل الاجتماعية والديمغرافية لمختلف الناخبين، وساعد على ذلك طبيعة النظام الانتخابي الذي فاقم من زيادة الأحزاب التي أثرت بشكلٍ مباشر على قيام الحكومات الائتلافية[40].

لكن في عام 2003 أدخلت اصلاحات على النظام الانتخابي بحث اصبح عدد الدوائر (11) اي مساوٍ لعدد المقاطعات بعد أن كان عدد الدوائر (30)، هذا الاصلاح ادى إلى تبسيط توزيع المقاعد إلى حد كبير، كما تم اعتماد عتبة الـ(5%) على مستوى الدوائر الانتخابية في المقاطعات، ومن ثم هذا الأجراء جاء كوسيلة للحد من تفاقم انقسام النظام الحزبي في بلجيكا، وبالفعل ساعدت هذه الاصلاحات على التخلص من الاحزاب الصغيرة[41].

أن المشهد السياسي التوافقي في بلجيكا كان نتيجة لواقع اجتماعي سياسي دستوري، وكان للنظام الحزبي دوراً كبيراً في ترسيخ الواقع التوافقي

مما تقدم يتضح لنا أن المشهد السياسي التوافقي في بلجيكا كان نتيجة لواقع اجتماعي سياسي دستوري، وكان للنظام الحزبي دوراً كبيراً في ترسيخ الواقع التوافقي بسبب التجزئة في هذا النظام لاسّيما بعد فشل الاحزاب الاتحادية في معالجة الولاءات الفرعية، مما أدى إلى غيابها عن المشهد السياسي وظهور أحزاب اقليمية قائمة على الأساس اللغوي في منطقتين سياسيتين بنظامين حزبيين على المستوى دون الوطني، وقد ساعد النظام الانتخابي على هذا الواقع لأنه لا يوفر

(38) Toni Toharudin: individualism, nationalism, ethnocentrism and authoritarianism, university of Groningen, 2010, p32.

(39) Tom Louwerse and Peter Van Aelst: The exceptional Belgian case? Government formation duration in comparative perspective,2010,p13

(40) Jeroen k joly: party system change in Belgium, at: https://www.researchgat.net,(2018,p35.

(41) Lieven De winter and other: party systems and electoral behavior in Belgium at: (https://www.researchgat.net,2015,p7.

دائرة انتخابية واحدة على المستوى الاتحادي، وهذا ما يدفع باتجاه قيام حكومات ائتلافية توافقية.

المطلب الثاني: طبيعة الحكومات الائتلافية التوافقية في بلجيكا ومديات استقرارها

اخذت بلجيكا بنظام الحكم البرلماني، ومن المعروف أن الحكومات المشكلة في هذا النظام لابد أن تحصل على ثقة اعضاء البرلمان، وبعيداً عن الحزب الذي يحصل على الأغلبية البرلمانية فرض الدستور البلجيكي واقع توافقي لتشكيل الحكومة، بحيث أصبح معه واقع الحكومات الائتلافية المشكلة في بلجيكا يختلف عن نظيراتها في باقي الدول الأوروبية، لأننا عندما نتناول الحكومات الائتلافية نجد انفسنا أمام نوعين من هذه الحكومات، وهي الحكومات الائتلافية (التنافسية) (*)، والحكومات الائتلافية (التوافقية) (**)، فقد أشار الدستور إلى أنَ مجلس الوزراء يتكون من (15) عضواً كحد أقصى، ويتضمن باستثناء رئيس الوزراء أعضاء من الناطقين باللغة الفرنسية مساوين في عددهم للأعضاء الناطقين بالهولندية[42]، وهذا يشير إلى أنَ الواقع التوافقي اصبح واقع حال سياسي وانعكاس للواقع الاجتماعي، فحتى لو حصل أي حزب على الأغلبية البرلمانية المطلقة لا يمكنه تشكيل حكومة أغلبية خارج سياق الدستور.

أنَ واضعي الدستور البلجيكي كانوا أمام خيار الأنقسام أو أتباع النهج التوافقي لإدارة الدولة والحفاظ عليها في ظل المجتمع التعددي

وعلى ما يبدو أنَ واضعي الدستور البلجيكي كانوا أمام خيار الأنقسام أو أتباع النهج التوافقي لإدارة الدولة والحفاظ عليها في ظل المجتمع التعددي، فضلاً عن ذلك أنَ أحد أهم اسباب اتباع هذا النهج هو نجاح الأحزاب الإقليمية في كسب الناخبين على أساس لغوي ومناطقي، بالمقابل ضعف بشكل كبير دعم الناخبين للأحزاب التقليدية على المستوى الاتحادي، مما أدى إلى تفكك هذه الأحزاب وإعادة تشكيلها على أسس لغوية، وقد بدأ ذلك مع الديمقراطيين المسيحيين عام 1968، واكتملت مع انقسام الحزب الاشتراكي عام 1978.

أنَ انقسام النظام الحزبي على أسس لغوية انعكس ليس فقط على آلية تشكيل الحكومة، بل على عملية صنع القرار في السلطة التنفيذية والتشريعية، بما يضمن حماية فاعلة لجميع الاطراف، لاسّيما الأقلية الفرنسية، خاصةً و أنَ مجلس الشيوخ المتكون من (71) عضواً قائم على أساس التوافق، وهو يشارك مجلس النواب في تشريع القوانين، لذا لا يمكن تمرير أي تشريع قانوني مالم يتم الموافقة عليه من قبل الأغلبية اللغوية[43]، فعلى مستوى البرلمان هناك حق النقض، عندما تُعلن مجموعة لغوية أنَ اقتراحاً ما سيضر مصالحهم كمجموعة لغوية فيمكنها تنشيط ما يعرف بـ(جرس الانذار) كضمان للأقلية لاسّيما في منطقة بروكسل التي يوجد فيها أقلية ناطقة بالفرنسية، وعادةً يتم تسوية الخلافات حول توزيع السلطات الاتحادية بطرق قضائية، إذ تتولى محكمة التحكيم المكونة من (12) قاضياً، (6) منهم يتكلمون الهولندية، و(6) آخرين يتكلمون الفرنسية، وجميعهم معينين من الحكومة الفيدرالية التوافقية بناءً على اقتراح من مجلس الشيوخ الذي هو الآخر قائم على اساس

(*) وهي الحكومات التي تتشكل من عدة أحزاب بسبب عدم حصول أي حزب على الأغلبية البرلمانية.

(**) وهي الحكومات التي تتشكل وفق نهج معين قائم على تقاسم السلطة بين جميع الأحزاب الممثلة لمكونات المجتمع، بغض النظر عن الأغلبية البرلمانية، وهنا يمكن القول بأن كل الحكومات التوافقية هي حكومات ائتلافية، لكن ليس كل الحكومات الائتلافية هي حكومات توافقية، بل هناك حكومات ائتلافية تنافسية.

(42) المادة (99) من الدستور البلجيكي النافذ لعام 1993.

(43) انظر المواد: (67-81-82) من الدستور البلجيكي النافذ لعام 1993.

توافقي[44]، وبذلك نجد أنَ النهج التوافقي قد شمل جميع مؤسسات الدولة الرسمية. ونتيجةً لهذا الانقسام الحزبي أصبحت العلاقة المتوقعة بين نتيجة الانتخابات وتشكيل الحكومة اشكالية بحد ذاتها، إذ يتحرك النظام الحزبي البلجيكي باتجاهات مختلفة، حتى أصبح معه تشكيل حكومة اتحادية تحترم أرادة الناخب هي ممارسة صعبة، ولابد أنَ تتعارض مع توقعات الجمهور، كما أنَ هذا الانقسام على المستوى الاتحادي أدى إلى زيادة التوترات وعدم الاستقرار السياسي والحكومي على المستوى الاتحادي، إذ أنَ عملية تشكيل الحكومة في بلجيكا وفق البيئة الاجتماعية والسياسية غير المنسجمة صعبة للغاية، وهذا ما جعل تشكيل الحكومة تستغرق احياناً أكثر من (100) يوم، فمثلاً بعد انتخابات عام 2007 استغرق تشكيل الحكومة (194) يوماً، بينما انتخابات عام 2010 فهي المدة الأطول في تاريخ تشكيل الحكومات البلجيكية عندما استغرقت (541) يوماً، وتشير بعض الدراسات إلى أنَ الاستقطاب السياسي والسعي إلى التوافق في تشكيل الحكومة الاتحادية جعل من الحلول الوسط بين الاطراف أكثر صعوبة لعدة اسباب أهمها:[45].

أصبحت العلاقة المتوقعة بين نتيجة الانتخابات وتشكيل الحكومة اشكالية بحد ذاتها

1. تضمين الدستور قواعد أسهمت بالدفع نحو التوافق، كحماية حقوق المجموعات اللغوية في الدولة، وتشكيل الحكومة بالمناصفة بين الناطقين بالهولندية والفرنسية، هذا الواقع الدستوري زاد من تعقيد عملية المساومة لتشكيل الحكومة.
2. الاستقطاب الايديولوجي من حيث التقسيمات التقليدية بين اليمين واليسار، على الرغم من أنَ الاستقطاب اللغوي أكثر تأثيراً، وكثرة الاطراف المشاركة في تشكيل الحكومة، فمعظم السياسات التي يتم تنفيذها من قبل مجلس الوزراء يتم تحديدها وصياغتها ضمن (توافق الائتلاف)، وهذه التوافقات تحدد وتكبح جماح سياسات الحكومة الاتحادية المشكلة[46].

فمثلاً خلال عامي (2008-2009) تم تشكيل وسقوط (4) حكومات، بسبب الخلافات المستمرة بين الديمقراطيون المسيحيون والليبراليون والاشتراكيون[47] لأن بانسحاب أحد الاطراف تفقد الحكومة شرعيتها، أما في الانتخابات النيابية لعام 2014 شكل (تشارلز ميشيل) حكومة ائتلافية فريدة من نوعها ضمت التحالف الفلمنكي الذي شمل الحزب الديمقراطي المسيحي الفلمنكي، والديمقراطيون الفلامنكيون، والليبراليون، أذ اصبح هذا التحالف هو الطرف الرئيسي في تشكيل الحكومة، رغم أنَهم لم يشغلوا منصب رئيس الوزراء الذي كان من الناطقين بالفرنسية، إذ فقدت الأحزاب الناطقة بالفرنسية لأول مرة العديد من المناصب في الحكومة، وشاركت بحزب واحد فقط مقابل ثلاثة أحزاب فلامنكية ناطقة باللغة الهولندية[48].

وكذلك في انتخابات عام 2017 بقي التحالف الفلمنكي مسيطراً على الحكومة الائتلافية التي بقي رئيسها الناطق بالفرنسية (تشارلز ميشيل)، وقد استطاعت

(44) انظر المادة (103) من الدستور البلجيكي النافذ لعام 1993.

(45) Tom Louwerse and Peter Van Aelst: op cit, p12.

(46) Jeroen k joly: op cit,p33.

(47) ibid,p32.

(48) Corinne Deloy: will Belgium re-elect the Swedish coalition in office,federal and regloval elections in Belgium, 26th, my2019,p3.

هذه الحكومة الحفاظ على النزاعات المجتمعية قدر الامكان، مع ذلك حصلت النزاعات والتوترات داخل مجلس الوزراء وبين احزاب التحالف الفلمنكي لاسيما فيما يتعلق بالقضايا الاجتماعية والاقتصادية[49]، وعلى هذا الأساس نجد أنَ مستوى الاستقرار في الحكومات الائتلافية التوافقية في بلجيكا يختلف بين فترة واخرى، وهذا مرتبط بطبيعة وشكل التحالفات ومدى الانسجام بينها، وفيما أذا كانت نفسها الاحزاب موجودة في التحالفات على المستوى الاتحادي والاقليمي.

(49) Benoit rihoux and other: Belgium: Political development and data for 2017,(European Journal of Political Research Political Data Yearbook 57,2018,p32. :

فعندما نتحدث عن العلاقة بين الحكومة الاتحادية وحكومات المجتمعات والاقاليم، نجد أنَ التعاون محدود بحيث لا تستطيع الحكومة الاتحادية فرض قرار معين على المجتمعات والاقاليم دون موافقة حكوماتهم، فمثلاً اقترح أحد الوزراء الاتحاديين زيادة سن التقاعد للمعلمين، لكن تم رفض هذا الاقتراح لأنه يؤثر على السياسات التعليمية وميزانية أحدى المجتمعات، لكن بالمقابل يجب الاشارة إلى ان هناك ترابطاً بين سياسة الحكومة على المستوى الاتحادي والمستوى الاقليمي، عندما تكون الاحزاب المشكلة للسلطة التشريعية والتنفيذية على المستوى الاتحادي هي نفسها على المستوى الأقليمي، أي بمعنى آخر أنَ الحكومات الاتحادية والأقليمية تتشكل من ائتلافات حزبية متطابقة سياسياً[50].

أنَ التعاون محدود بحيث لا تستطيع الحكومة الاتحادية فرض قرار معين على المجتمعات والاقاليم دون موافقة حكوماتهم

(50) wilfried swenden: op cit,p10.

فعلى سبيل المثال تألفت الحكومة الفيدرالية للفترة من (1999-2003) من ثلاثة أحزاب تمثل الفلامنكيين هم (الخضر والاشتراكيون الديمقراطيين والليبراليون)، وثلاثة أحزاب تمثل الفرنسيين هم كل من (الخضر والاشتراكيون الديمقراطيين والليبراليون)، الثلاثة الأولى كانت مدعومة من حزب صغير قومي فلمنكي معتدل، في حين الثلاثة الأخرى هم شركاء في الائتلاف في منطقة حكومة الوالون، وجميع هذه الاطراف الستة تشارك في حكومة بروكسل الاقليمية، هذه الائتلافات الواسعة والشاملة على المستوى الاتحادي والاقليمي ساعدت في بعض الاحيان على التفاهم في حل بعض المشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال تقديم التنازلات[51]، لكن يبقى مستوى الاستقرار السياسي لاسيما الحكومي على المستوى الاقليمي أعلى من الاستقرار السياسي على المستوى الاتحادي، فغالباً تشكل الحكومات على المستوى الاقليمي من طرفين على الأكثر، بينما تشكل الحكومات على المستوى الاتحادي من ستة أطراف احياناً[52].

(51) wilfried swenden: op cit,p11.

(52) Routledge: political parties in consociational democracy,London,1999,p77.

يبقى مستوى الاستقرار السياسي لاسيما الحكومي على المستوى الاقليمي أعلى من الاستقرار السياسي على المستوى الاتحادي

وبسبب العلاقة المتعارضة بين الشمال والجنوب البلجيكي توجد خمس كيانات فيدرالية هي[53]:

1. البرلمان والحكومة الفلمنكية: وهي ناتجة عن اندماج مؤسسات المنطقة الفلمنكية والمجتمع، ويضم برلمانها الاقليمي (118) مقعداً، وبرلمان المجتمع الفلمنكي ايضاً يتكون من (118) عضواً في البرلمان الاقليمي، فضلاً عن (6) اعضاء منتخبين على القوائم الفلمنكية في البرلمان الاقليمي للعاصمة

(53) انظر المواد (121-122) من الدستور البلجيكي النافذ لعام 1993.

بروكسل، وتسري قرارات البرلمان على المنطقة الفلمنكية وبروكسل بخصوص شؤون المجتمع الناطق بالهولندية، ويتم انتخاب الحكومة من البرلمان.

2. البرلمان والحكومة الوالونية: وتضم (75) مقعداً تصدر مراسيم بشأن المسائل الاقليمية في منطقة الوالون، بما في ذلك المنطقة الناطقة بالالمانية، ويتم انتخاب الحكومة من البرلمان.
3. برلمان وحكومة الجالية (المجتمع) الفرنسي: هذا البرلمان غير منتخب من قبل الشعب بشكلٍ مباشر، إذ يتألف من جميع اعضاء البرلمان الاقليمي في والون والبالغ عددهم (75) عضواً، فضلاً عن (19) عضواً منتخبين على القوائم الفرنكفونية في البرلمان الاقليمي لبروكسل، ويصدر البرلمان والحكومة القرارات الخاصة بشؤون المجتمع في منطقة والون باستثناء المنطقة الناطقة بالألمانية، ويتم انتخاب الحكومة من البرلمان.
4. البرلمان والحكومة الناطقة بالألمانية: يتألف البرلمان من (25) مقعداً، يصدر المراسيم في شؤون المجتمع الناطق بالألمانية، ويتم انتخاب الحكومة من البرلمان.
5. برلمان وحكومة العاصمة بروكسل: يتألف البرلمان من (89) مقعداً، يتم انتخاب الاعضاء على أساس قوائم أحادية اللغة، (17) مقعداً للمتحدثين بالهولندية، و(62) مقعد للمتحدثين بالفرنسية، و(10) مقاعد لباقي الاقليات، وتتألف الحكومة بالتوافق، ويتطلب انتخاب رئيس الوزراء من الاغلبية المكونة من المجموعتين في البرلمان[54].

(54) kris Deschouwer: op cit,p19.

مما تقدم يتضح لنا أنَ الواقع التوافقي في بلجيكا قد فرض أولاً بسبب الاختلاف اللغوي داخل المجتمعات والذي انعكس بدوره على طبيعة الأحزاب السياسية التي سارت مع الواقع الاجتماعي للتحول إلى احزاب اقليمية دون الوطنية، وهذا ما فرض على واضعي الدستور مراعاة الواقع الاجتماعي والسياسي وتنظيمه في قواعد قانونية ثبتت مبدأ التوافق ليس فيما يخص تشكيل الحكومات، بل على المستويات الاخرى في السلطة التشريعية والقضائية ايضاً، فالهيكل المنظم للمجتمع البلجيكي بغض النظر عن الجانب اللغوي الاهم، ينقسم بين ثلاث اتجاهات هي (الكاثوليك والليبرالية والاشتراكية)، وكانت الأحزاب تمثل اوضح شكل من اشكال الانقسام، ووفق هذا الهيكل الاجتماعي والتعدد اللغوي والانقسام المجتمعي وفي ظل نظام انتخاب بالتمثيل النسبي ودستور رسخ الحكم التوافقي، جعل تشكيل الحكومات الائتلافية التوافقية أمر واقع لا مفر منه.

أنَ الواقع التوافقي في بلجيكا قد فرض أولاً بسبب الاختلاف اللغوي داخل المجتمعات والذي انعكس بدوره على طبيعة الأحزاب السياسية

(الخاتمة)

أنَ نقطة انطلاق الواقع التوافقي في بلجيكا جاءت بعد أنَ ادرك المجتمع والنخب السياسية أنَها الحل الوحيد للحفاظ على وحدة الدولة، فالتوافقية في بلجيكا نظام

سياسي قائم على تقاسم السلطة نتيجة الانقسام المجتمعي، وهذا ما دفع إلى الأخذ بالفيدرالية التي تُعد من الأمثلة النادرة في العالم لما يسمى بالفيدرالية غير الترابطية، فهناك نوعان من الكيانات الفيدرالية كل منها تتداخل مع الاخرى في بروكسل، وربما من حافظ على كيان الدولة موحداً هو التوافق أكثر من الفيدرالية، لأن الاخيرة محدودة التأثير لاسّيما فيما يتعلق بالقرارات المهمة، ففي ظل الانقسام الاجتماعي والاقتصادي اصبحت معه سياسة الاغلبية سبباً في التوترات السياسية وكان الحل الوحيد هو الابتعاد عن التنافسية والاعتماد على استراتيجيات توافقية.

وعلى ما يبدو أنَ عملية تفويض وتقسيم السلطة توافقياً في بلجيكا قد ساعدت على تخفيف التوترات الحادة بين المجموعات اللغوية المختلفة، وظهر ذلك بشكلٍ واضح من استقرار الحكومة الاتحادية للمدة من (2014-2017) ، مع ذلك بعضٍ التحديات الرئيسية على المدى الطويل لاتزال قابلة للاستمرار في الفيدرالية البلجيكية، في ظل غياب الاحزاب الوطنية، وقوة النظام الحزبي على المستوى الاقليمي، فبسبب هذه التجزئة اصبحت الحكومات الائتلافية هي القاعدة وليس الاستثناء، لكن ربما هذه التجزئة أسهمت في الحفاظ على الاستقرار السياسي في الاقاليم، لكن على حساب المركز الذي بقيت حكوماته تعاني من فقدانه للقرار لصالح الاطراف.

صحيح أنَ الواقع التوافقي في بلجيكا قد أسهم في تخفيف حدة التوترات الاجتماعية والسياسية لاسيما عندما منحت الاقاليم صلاحيات كاملة على اقليمها، لكن تبقى الاشكالية الرئيسية هي في السلطات الاتحادية، ففقدان الاخيرة لسلطاتها الحقيقية كباقي الدول جعلت الاقاليم اشبه بالدول المستقلة عن المركز، ولا تقاس قوة الدولة الا عندما تتعرض للتحديات الخارجية، فأي تحدي خارجي لمملكة بلجيكا مستقبلاً قد يزيد من مطالبة الاقاليم بمزيد من الصلاحيات على حساب المركز، وعلى ما يبدو أنَ الحل يكمن في معالجة النظام الحزبي الثنائي واعادة بناء الاحزاب على المستوى الاتحادي وتوعية المجتمع التعددي بتقديم مصالح الدولة العامة على المصالح الفرعية، لأن ذلك سيجبر الاحزاب على تبني سياسات وطنية، تحافظ على وحدة الدولة من جهة، وتنتقل من التوافقية إلى التنافسية.

المصادر

أولاً: الوثائق الدستورية

-1 الدستور البلجيكي النافذ لعام 1993.

ثانياً: الكتب العربية والمترجمة

ارنت ليبهارت: الديمقراطية التوافقية في مجتمع متعدد، ترجمة: حسني زينة، معهد الدراسات الاستراتيجية، بيروت، 2006.

1. رونالد ل. واتس: الانظمة الفيدرالية، ترجمة: غالي برهومة وآخرون، منتدى الاتحادات الفيدرالية، كندا، 2006.
2. عبدالله محمد عبدالرحمن: علم الاجتماع السياسي(النشأة التطورية الحديثة

والمعاصرة)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 2001.
3. مارك فان دير هولست: بناء الدولة العراقية الواحدة-الخيارات الفيدرالية والتعامل مع التنوع، عمان، 2006.

ثالثاً: الرسائل والاطاريح الجامعية

1. فراس عبدالكريم محمد علي: النظام السياسي لدول البينلوكس – دراسة تحليلية-، رسالة ماجستير(غير منشورة) ، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، 2008.

رابعاً: المصادر الأجنبية

1. Benoit rihoux and other: Belgium: Political development and data for 2017.
2. caroline van wynsberghe: The Belgian Example, weaknesses of the federal formula as implemented in Belgium,catholic university of Louvain
3. Corinne Deloy: will Belgium re-elect the Swedish coalition in office,federal and regloval elections in Belgium, 26th, my,2019.
4. DESCHOUWER, Kris, « La dynamique fédérale en Belgique », in FOURNIER, Bernard et REUCHAMPS, Min (eds.
5. European Journal of Political Research Political Data Yearbook,2018.
6. Jaak Billiet,Bart madbens and Andre-paul Frognier: differences in political culture between Flemings and Walloons, west European politics, vol 29,No5,2006
7. kris Deschouwer: governce of the public sector in Belgium, uNRISD,2004.
8. Le fédéralisme en Belgique et au Canada. Comparaison sociopolitique. Bruxelles : De Boeck, 2009.
9. philippe hambye: Langageet sogiete,competitive-advantage,2009.
10. Routledge: political parties in consociational democracy,London,1999.
11. Tom Louwerse and Peter Van Aelst: The exceptional Belgian case? Government formation duration in comparative perspective,2010 .
12. Toni Toharudin: individualism, nationalism, ethnocentrism and

authoritarianism, university of Groningen, 2010.
13. versmessn,E:the Belgian regional and national elections of may 1995,regional and federal studies,1995.
14. wilfried swenden:Belgian federalism, Robinson college, Cambridge,UK,2003 .

خامساً: المواقع الإلكترونية

1. AMCHAM BELGIUM: be/blog/multilingualism-belgium
2. https://www.researchgat.net,2015.
3. Jeroen k joly: party system change in Belgium, at: https://www.researchgat.net 2018, .
4. Lieven De winter and other: party systems and electoral behavior in Belgium at:)
5. worldometers.info/world-population/Belgium-population.

الحديث النبوي في الفكر الاسلامي: قراءة في الآثار السياسية لعملية التدوين

*جامعة بغداد/ كلية العلوم السياسية

***م.د. نزار محمد جودة**

باحث من العــراق

ملخص :

يعد الملف السياسي ابرز الملفات التي تدور في فلكها ظاهرة صناعة الحديث النبوي المؤسس لإنقسام المجتمع الاسلامي الى تيارات مؤدلجة عقب وفاة الرسول الخاتم، والذي تمظهر بشكل جلي ومعلن ابان الفتنة الكبرى والحروب الاهلية في عهد الامام علي بن ابي طالب ،ثم بزوغ الامبراطوريات الكبرى في العصر الاسلامي .. ذلك كله أسهم بشكل فاعل في صناعة المذاهب الفقهية واستغلال السلطة لها على حساب اتجهات اخرى لغايات سلطوية او مواجهة الفئات المناهضة لمنطق العقل الاقصائي المختلف.

كلمات مفتاحية : الفكر الإسلامي- الحديث النبوي -عملية التدوين -الاثار السياسية للوضع.

Prophetic hadith in islamic thought: a reading of the political implications of the codification process

Dr. Nizar mohammed judeh

Researcher from iraq

University of baghdad/college of political science

ABSTRACT

The political file is the most prominent file that revolves around the phenomenon of the prophet's hadith industry, the founder of the division of the islamic society into ideological currents after the death of the final messenger, which appeared clearly and publicly during

the great strife and civil wars during the era of imam ali bin abi talib, and then the emergence of the great empires in the islamic era. All of this effectively contributed to the manufacture of jurisprudential schools and the exploitation of power for them at the expense of other directions for authoritarian ends or to confront the groups opposed to the logic of the different exclusionary minds.
KEY WORDS: islamic thought - prophetic hadith - codification process - political effects of the situation.

مقدمة:

لا خلاف في أهمية الموروث الروائي في المدرستين (مدرسة النص – مدرسة الشورى) معاً، بل لا يمكن انْ يتصور أداء الدين الاسلامي لبعده الوظيفي منفصلاً عن الموروث الروائي المسمى (السنة)، كونها شريكة القرانْ في النص التأسيسي والتبيين، وبقطع النظر عن مساحات ألسنة من حيث التوسعة والتضييق في بعدها التشريعي بين المدرستين ألا انَّها أدت دوراً ملحوظاً في تأسيس المذاهب الاسلامية.

وفي ضوء ذلك سنتناول أهميتها وأثرها في التأسيس لنشوء الأبعاد السياسية للتمذهب الديني وفق ما يسمى بعصر التدوين الرسمي على وفق المحاور التالية:

الأول: ملامح ما قبل عصر التدوين.

الثانْي: الأسباب السياسية لحظر التدوين.

الثالث: ملاحظات حول عصر التدوين وبدايات التشخيص السياسي (البخاري وموقفه من الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)).

الإشكالية: ماهو دور السلطة السياسية في صناعة النص المؤدلج لهيمنة النزعة الاصولية، في تحويل المقولات الى نص متعالي لايقبل التمايز والاختلاف عن القراءة الرسمية للحديث النبوي.

الفرضية يلعب البعد الايديلوجي في صناعة النص النبوي دورا في تغييب العقل من خلال سلطةالنص السياسي.

المحور الأول: ملامح ماقبل عصر التدوين.

سنقف عند أهم ملامح عصر تدوين الحديث ليتضح لنا خلفيات التفرق والتشرذم المفضي الى التموضع المذهبي والعقائدي المرتكز على أصول وجذور تأريخية كانت ومازالت تمثل الواقع الانْ وموجهات العقل ألاسلامي في بعده السياسي والاجتماعي الذي سنتناولها على وفق ملامح أولية كمدخل لفهم عمليات تأسيس المنظومة المعرفية للموروث الروائي وتجاذباته السياسية والعقدية والتأريخية والتي هي:

<u>الملمح الأول: وضع الحديث واختلاقه</u>

انْ وضع الحديث واختلاقه والكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

في مختلف الدوائر المعرفية، هو يعد من أهم ملامح تلك المرحلة وبالخصوص في العهد الأموي فقد كان هذا الملمح يمثل استراتيجية عامة للسلطة الأموية، بمعنى انْ ظاهرة الدس والتزوير تمثل العمودالفقري للمنظومة الاعلامية والثقافية والدينية للسلطة السياسية .

انْ ظاهرة الدس والتزوير تمثل العمودالفقري للمنظومة الاعلامية والثقافية والدينية للسلطة السياسية

ونظراً لخطورة الموقف وتبعات هذه العملية على صناعة العقل الاسلامي سنقف أمام شواهد عدة تؤيد هذه الحقيقة لكتاب معاصرين من مدرسة الصحابة.

يقول الكاتب المصري أحمد أمين موضحاً تلك الظاهرة (... انْ الأمويين قد وضعوا ووضعت لهم أحاديث تخدم سياساتهم من نواحي متعددة؛ منها: أحاديث في زيادة مناقب عثمانْ اذ كان هو الخليفة الأموي من بين الخلفاء الرأشدين، وهم به أكثر اتصالاً من غيره، مثل حديث: انْ عثمانْ تصدق بثلاثمائة بعير بأحلاسها واقتابها في جيش العسرة ، فنزل النبي (صلى الله عليه وسلم) عن المنبر وهو يقول :(ما على عثمانْ ما عمل بعد هذا اليوم)[1].

(1) أحمد أمين المصري،ضحى الاسلام ،ج (2)، ط (10)،بيروت- دار الكتاب العربي ، (د.ت)، ص123.

وهذا هو بداية التأسيس لنظرية الحق الإلهي واعطاء المشروعية والحصانْة الدينية من أي مسائلة أو محاسبة للخليفة وله الحق في فعل أي شيء سواء أضرَّ بالصالح العام أم بممتلكات وأمن الناس فلا ضير لانْ النبي خاتم الانبياء (صلى الله عليه وآله وسلم) قال في حقه: (ما على عثمانْ ما عمل بعد هذه) ومن جملة موضوعات الحكم الأموي هو عقيدة الجبر (كي يدخلوا الرعب في قلوب العامة والسواد الأعظم الذين لاعرفانْ لهم ؛ في حقيقة الأمر خوفاً من الوقوع في شبهة الشرك)[2].

بداية التأسيس لنظرية الحق الإلهي واعطاء المشروعية والحصانْة الدينية من أي مسائلة أو محاسبة للخليفة

وفي التوحيد وضعوا نظرية التجسيم والقول بانْ الجسمانْية هو من حقائق التوحيد ويكفر كل من يقول بخلاف ذلك ونشأ ذلك نتيجة رفض التأويل لصالح العقل وتفسير النصوص بشكل حرفي[3].

(2) علي الرضوي، وآخرون، سد المفر على القائل بالقدر:دراسة تحليلة حول بحث الارادة والطلب ونقد مقالة الجبر والتفويض(محأضرَات محمد باقر علم الهدى)،ط(1)، أيرأن – مركز فرهنكي ،1378هـ ، ص134.

وفي السياق نفسه يقول الدكتور الخطيب:(وبعد استشهاد علي قام بعض شيعته يطالبون بحقهم بالخلافة، وهكذا نشأت الاحزاب والفرق التي اتخذت شكلاً دينياً ابلغ الأثر في قيام المذاهب الدينية في الاسلام، وقد حاول كل حزب انْ يدعم ما يدّعي بالقرانْ والسنة، ومن البديهي انْ لا يجد كل حزب مايؤيد دعواه في نصوص القرانْ الكريم)[4].

(3) للمزيد حول الجانب التطبيقي لنظرية التأويل عند الاتجاه السلفي ينظر : كريم السراجي ،الاسس الدينية للاتجاهات السلفية ، ط(1)، بيروت – دار السلام ، 2010م،ص ص135-138.

(4)محمد عجاج الخطيب، السنة قبل التدوين، ط(3)، بيروت – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،1980م، ص 188.

وفي ضوء ذلك نتجت عملية الوضع للأحاديث كمنتج طبيعي لأفراز عملية شرعية السلوك السياسي للأحزاب المتصارعة حول السلطة ضمن أطر دينية لغرض استقطاب القواعد الاجتماعية بشكل أكثر سعة وشمولية في مديات التأثير.

ومما تجدر الإشارة له ينبغي التذكير بالكلمة التأريخية الواردة عن سلمانْ الفارسي عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال :(انَّ سلمانْ منا أهل البيت؛ انَّه كان يقول للناس: هربتم من القرانْ الى الأحاديث، وجدتم كتاباً رقيقاً حوسبتم فيه على

النقيروالقطمير والفتيل وحبة خردل، فضاق ذلك عليكم ،وهربتم الى الأحاديث التي اتسعت عليكم)([5]).

انْ في هذا الحديث دلالة واضحة على تأسيس محورية اسلام الحديث وحاكميته على محورية اسلام القرانْ، وهكذا تمت صناعة قداسة الصحابة في ضوء عملية ممنهجة من الحكم الأموي ولكن ذلك لايعني براءة الطرف الآخر من القداسات التي لا أصل لها لأصحاب الائمة.

ينبغي انْ يعلم انْ مسألة المحاكمة لمفهوم الاصحاب في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) أو نقد القداسة لمفهوم الصحبة في مدرسة أهل السنة والجماعة لانْريد منه الاساءة بقدر ماهو الايضاح المنهجي لانْ المسألة نسبية ولكننا نحاول وضع اليد على الاختلال في التعميم لدى المدرستين أذ تطالعنا الشواهد التأريخية بانْ عمليات الدس والتزوير وصناعة الادلة المعرفية تمت عملية توظيفها على يد ثلة من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذين كانوا يمارسون السرقة وشرب الخمر ويكفر بعضهم البعض الآخر إذ يقول الشيخ (محمد بن صالح العثيمين) : (ولاشك انَّه حصل من بعضهم – يعني الصحابة – سرقة وشرب خمر وقذف وزنا ، بإحصانْ وبغير إحصانْ)([6]).

اذن في النص دلالة واضحة على انْ كثيرا من الصحابة لم يكونوا مؤمنين بالاسلام ومنظومته العقدية.

ومما ينبغي التذكير به انْ هناك من اصحاب الأئمة انْكروا إمامة الإمام علي بن موسى الرضا وصاروا من الواقفة وكانت الغاية هي الطمع بأموال الإمام الكاظم (عليه السلام) والبالغة ثلاثين الف دينار ومن الغرائب انْ (البطائني) إدعى انْ الإمام الكاظم (عليه السلام) لم يمت وسيعود وكان الهدف من ذلك السيطرة على الأموال وعدم تسليمها للإمام الرضا (عليه السلام) بدافع الطمع([7]).

بدأت عملية الوضع في فضائل الصحابة ونشطت مع الزمن حتى اختلط الحديث الصحيح بالموضوع وظهرت أحاديث في فضائل الخلفاء

ومن الغريب انْ (زياد بن مروانْ) كان من أهل الورع والفقه والقائلين بإمامة علي بن موسى الرضا ومن خواص الإمام الكاظم كما أورد ذلك في كتاب الارشاد للمفيد ([8]).

هكذا بدأت عملية الوضع في فضائل الصحابة ونشطت مع الزمن حتى اختلط الحديث الصحيح بالموضوع وظهرت أحاديث في فضائل الخلفاء وغيرهم من زعماء الاحزاب تؤسس بصورة صريحة لدعم المذاهب السياسية والفرق الدينية في ضوء معطيات الاخبار الموضوعة في انْتقاص الفرق من بعضها البعض تتولد من خلالها حالة الدفاع المذهبي واقصاء الخصوم على وفق الأحاديث الموضوعة([9]).

لقد واجه المحدثون إشكالية في معالجة الكم الهائل من الوضع والدس للوصول الى الأخبار الصحيحة .

وفي ضوء ذلك يروي (حنبل بن إسحاق) قائلاً:(جمعنا أحمد بن حنبل ، انْا وصالح وعبد الله، وقرأ علينا المسند ، وما سمعه منه غيرنا، وقال لنا: هذا الكتاب

(5)محمد بن الحسن الطوسي ، اختيار معرفة الرجال ،ج(1)، تصحيح وتعليق: الميرداماد الاسترابادي ومحمد باقر الحسيني ، تحقيق: مهدي الرجائي ،ط (1)، قم – مؤسسة آل البيت ،1404هـ، ص71.

(6)محمد بن صالح العثيمين، شرح العقيدة الواسطية ،اعداد: فهد بن ناصر بن ابراهيم السليماني ، ط (2)،المملكة العربية السعوديه – دار الثرية للنشر ، 1426هـ،ص623.

(7)محمد بن الحسن الطوسي ، الغيبة ،تحقيق: عباد الله الطهراني ،علي أحمد ناصح ،ط(1)،قـم – مؤسسة المعارف الاسلامية ،1411هـ، ص64.

(8)محـمـد بـن محمد النعمان البغدادي ،الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، مصدر سبق ذكره ،ج(2)، ص247.

(9)محمد عجاج الخطيب ،السنة قبل التدوين ،مصدر سبق ذكره ،ص189وما بعدها.

قد جمعته وانْتقيته من أكثر من سبعمائة الف وخمسين الفاً ، فما اختلف المسلمون فيه من حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) فأرجعوا اليه فانْ وجدتموه وإلا فليس بحجة)([10]).

انْ سبب الوضع في الحديث يعود الى تأخير تدوينه وربط ألفاظه بالكتابة

وفي السياق نفسه يوعز المحقق (محمود ابو رية) (انْ سبب الوضع في الحديث يعود الى تأخير تدوينه وربط ألفاظه بالكتابة.

- الى ما بعد المئة الاولى من الهجرة وصدر كبير من المئة الثانْية

- انْ اتسعت ابواب الرواية، وفاضت انَّهار الوضع بغير ضابط ولا قيد ،حتى بلغ ما روي من الأحاديث الموضوعة عشرات الألوف، لايزال اكثرها بين تضاعيف الكتب المنتشرة بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها([11]).

وبطبيعة الحال فلا يمكن القول بصحة كتاب البخاري في مدرسة الصحابة وانَّه لا مشكلة فيه وينطبق المنطق ذاته في مدرسة أهل البيت إذ لاوجود لصحة مطلقة للكتب الحديثة المعتبرة عند الشيعة، أي لبيت مستثناة من الوضع والدس والغلو([12]).

الملمح الثانْي: سياسة الترغيب والترهيب (المال والإعلام والسلطة) .

انْ سياسة الترغيب بالمال والمنصب، والترهيب بالمصادرة والقتل تعد من الملامح البارزة في عصر ماقبل التدوين، وقد كان (معاوية بن ابي سيفانْ) رائد هذه السياسة ورئيسها، اذ يؤكد (ابن ابي الحديد المعتزلي) بروايته عن استاذه ابي جعفر الاسكافي قوله :(انْ معاوية وضع قوم من التابعين على رواية اخبار قبيحة في علي (عليه السلام)، تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم جعلاً يرغب في مثله، فاختلقوا ما ارضاه، منهم ابو هريرة وعمر بن العاص والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير)([13]).

انْ سياسة الترغيب بالمال والمنصب، والترهيب بالمصادرة والقتل تعد من الملامح البارزة في عصر ماقبل التدوين

وهذه الأسماء وغيرها من قبيل اليهودي كعب الاحبار، والنصرانْي وهب بن منبه([14])، ممن بالغوا في عدائهم ونصبهم لأمير المؤمنين (عليه السلام).

اعتمدت السلطة الأموية على سياسية الإغراء بالمال ولغة التهديد للقوى المعارضة واذا لم تتمكن من استمالة تلك القوى فتلجأ الى أسلوب الاغتيال السياسي حتى عرف عنهم ذلك الشعار القائل :(لله جنود من عسل) وهو شعار اطلقه مؤسس الدولة الأموية (معاوية بن أبي سفيان) عندما اغتال(مالك الاشتر) بالسم المداف بالعسل([15]).

النظرية الأموية قائمة على معادلة ثلاثية الأبعاد قوامها المال، والسلطة سواء كانت السلطة دينية أم سياسية والاعلام، وهذه المعادلة هي منظومة لأفراز القادة

(10) نـقـلاً عـن محمد ناصر الدين الالباني ، الـذب الأحمد عن مسند الإمـام احمد، ط (1)، المملكة العربية السعودية ،دار الصديق،1420هـ،ص(12).

(11)محمود ابو ريـه، اضـواء على السنة المحمدية (اوالـدفـاع عن الحديث)،ط (2)،قم – دار الكتاب الاسلامي، 2007م،ص118.

(12) هـاشـم مـعـروف الحسني ،الموضوعات في الآثار والاخبار، تحقيق: أسامة الساعدي ، ط(1)، قم،(د.ن)،2009م،ص291.

(13)ابن ابي الحديد المعتزلي ،شرح نهج البلاغة ،ج4،ط (2)، بيروت-دار احياء الكتب العربية ،1965م،ص63.

(14)مـن لطائف ماذكر في كعب الاحبار ووهب بن منبه حسبما اكده المحقق محمود ابو رية في كتاب ،شيخ المضيرة اذ قال : (كان الاستاذ سعيد الافغاني قد نشر مقال في مجلة الرسالة المصرية قال فيه :أن وهب بن منبه هو الصهيوني الاول ،فصححت هذا الراي بمقال نشر في العدد :(656)من هذه المجلة اثبت فيه بالادلة القاطعة أن كعب الاحبار هو الصهيوني الاول ؛ وما كاد هذا المقال أن ينشر حتى هب في وجهنا شيوخ الازهـر وامطرونا وابـلاً من طعنهم المعروف وقالو:كيف تصف(سيدنا كعب)، بانه الصهيوني الاول وهو من كبار التابعين وخيار المسلمين ؛ ومما يؤسف له أنهم لايزالون يذكرون اسمه بالسيادة الى اليوم). ينظر، محمود ابو رية، شيخ المضيرة ابو هريرة ،ط (3)،القاهرة – دار المعارف للمطبوعات، (د.ت)، ص93. واما وهب بن منبه فهو كما وصفه طه حسين بقوله:(ورجل رابع كان يقيم

والساسة على المستوى الديني والسياسي تنتهجها الانْظمة الشموليةعلى امتداد حركة التأريخ .

انْ نفوذ هذا الثالوث الحاكم للعقل الاسلامي يعتمد على سياسة القوى الناعمة في صناعة الأتباع من خلال سلطة المال وإضفاء القداسة للماسكين بالسلطة بمفهومها الواسع لتغيّب حركة الأمة والقوى المعارضة تارةً واستخدام الآثار الشرعية من خلال تفعيل مبدأ الارهاب الديني بأسم الجنه أو النار ، الكفر والإيمان ..... وغير ذلك.

الملمح الثالث: أبدال البنى التحتية للاسلام بالبنى الجاهلية .

اعتمدت السلطة الأموية على سياسية الإغراء بالمال ولغة التهديد للقوى المعارضة واذا لم تتمكن من استمالة تلك القوى فتلجأ الى أسلوب الاغتيال السياسي

وهذا الأمر خطير – الذي ما التفتت لّه الإ القلة من المحققين، منهم المحقق (محمود ابو رية) كما سيأتي – قد لعب دوراً عظيماً في انْحسار الاسلام المحمدي ، واعلاء كعب الاسلام الأموي وابدال اسلام القرانْ بإسلام حديث ، فلو راجعنا سيرة معاوية خصوصاً وبني أمية عموماً، نجدهم ما ادخروا جهداً كبيراً في إبدال قيم الاسلام بالجاهلية الجهلاء ، فبدل من الولاء للاسلام ،استحدثوا الولاء للحكام ، فما تركوا قيمة للاسلام الأ وسارعوا في دفنها ، حتى صار شعارهم الخفي(لا والله الإ دفناً دفناً) يمثل إستراتيجة سياساتهم العدائية العاملةعلى القضاء على الاسلام والمسلمين، وجعلهم لايفرقون بين الناقة والجمل[16].

فيما جاء في اخبار معاوية، عن الزبير بن بكار في الموفقيات – وهو غير متهم في معاوية، ولأمنسوب في ولائه لعلي ، لما هو معلوم من حاله من مجانْبة للإمام علي (عليه السلام)، والانْحراف عنه- انَّه قال:(قال المطرف بن الغيرة بن شعبة ، دخلت مع أبي على معاوية، فكان أبي يأتيه، فيتحدث معه ، ثم ينصرف إليّ فيذكر معاوية وعقله ، ويعجب بما يرى منه ،اذا جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، ورأيته مغتماً فانْتظرته ساعة ، فظننت انَّه لامرحدث فينا، فقلت :مالي أراك مغتماً منذ الليلة ؟ فقال: ابني، جئت من عند اكفر الناسِ وأخبثهم، قلت:وماذاك ؟ قال :قلت له وقد خلوت به:انْك قد بلغت سناً يا أمير المؤمنين ، فلو اظهرت عدلاً،وبسطت خيراً، فانْك قد كبرت ، ولو نظرت الى اخوتك من بني هاشم ، فوصلت ارحامهم فوالله ماعندهم اليوم شيءٍ تخافه ، وانْ ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه فقال : هيهات هيهات ! أي ذكرٍ أرجو بقاءه ! ملك فعدل وفعل ما فعل، فيما عدا انْ هلك حتى هلك ذكره، إلا انَّ يقول قائلٌ: (ابو بكر، ثم ملك أخو عديٍّ، فأجتهدعشر سنين ، فيما عدا هلك حتى هلك ذكره، إلا انْ يقول قائل :عمر وانْ ابن أبي كبشة – يقصد رسول الله صلى الله عليه وآله- ليصاح به كل يوم خمس مرات:(أشهد انْ محمداً رسول الله) فأي عمل يبقى، وأي ذكرٍ يروم بعد هذا لا أبا لك!لاَ والله إلا دفناً دفناً)[17].

وفي ضوء تلك المعطيات التأريخية التي يقدمها لنا النص تتأكد لنا سياسات

بالمدينة ولكنه كان غريب الاطوار ، عرف كيف يخدع كثيراً من المسلمين ومنهم عمر)،طه حسين ، الخلفاء الـرأشـدون ،ج(4)، بيروت – دار الكتاب اللبناني، 1973م، ص189.

(15)احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح،الكاتب العباسي المعروف للسير والمغازي باليعقوبي ،تاريخ اليعقوبي ،ج(2)، ط(بلا)، بيروت – دار صادر،(د.ت)، ص139.

(16)روى المسعودي:)(أن رجل من أهل الكوفة دخل على بعير له الى دمشق في حال منصرفهم عن صفين فتعلق به رجل من دمشق،فقال :هذه ناقتي أُخذت منّي بصفّين ، فارتفع أمرهما الى معاوية ، واقام الدمشقي خمسين رجلاً بيّنةًيشهدون أنها ناقته ، فقضى معاوية الى الكوفيّ وامره بتسليم البعير إليه ، فقال الكوفي :أصلحك الله ، انه جمل وليس بناقة ! فقال معاوية :هذا حكم قد مضى ،ودس الى الكوفي تفرقهم ، فأحضره وسأله عن ثمن البعير ،فدفع اليه ضعفه ،وبّره وأحسن اليه ،وقال له : أبلغ علياً أنّي اقابله بمائة الف ما فيهم من يفرق بين الناقة والجملَ... وقد بلغ من أمرهم في طاعتهم له : أنه صلى بهم عند سيرهم الى صفين الجمعة يوم الأربعاء)). علي بن الحسين بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق :امير مهنا،ط (1)، بيروت – منشورات مؤسسة النور للمطبوعات ،ج(2)، 1421هـ، ص72.

(17)الزبير بن بكار بن عبد الله الـزبـيـري، الاخبارالموفقيات، تـحـقـيـق:سـامـي مـكـي العاني،بغداد،(د.ن)،1972م،ص577. -المسعودي،مروج الذهب ومعادن الجوهر،ج(3)،مصدر سبق ذكره ،ص454.

الاسلام الأموي بإعتمادهم على منهجية اختلاق منظومة معرفية تعرف بمنظومة الضد النوعي، القائمة على استراتيجية تدمير الاسلام من الداخل بوسائل فكرية وعقائدية تعرف بالمعنى المعاصر اليوم في ادبيات الفكر السياسي بالغزو الثقافي والتي تعتمد في فاعلية قوتها التدميرية على الانْدماج داخل الأوساط الاجتماعية والمعرفية والدينية، واتباع سياسة المراحل في تحقيق أهدافها بشكل غير معلن وهذا ما اشار اليه (عبد الله العلايلي) في وصف وتحليل كيفية توغل بني أُمية للوصول للحكم ، فيقول :(دار الحزب الأموي كاد للنبي (صلى الله عليه وسلم) ولدعوته،وعرفنا كيف أسلم زعيم الأموية ابوسفيان، وعرفنا كيف لم يبق للامويين أي مقام إعتباري في محيط الاسلام الذي كان ظهوره فوزاَ وغلبةً للهاشميين ، فعملوا في ظل الدين على التمهيد لانْفسهم والأستئثار بالسلطة ، وقد وجدوا في ولاية معاوية أبي سفيان وولاية يزيد بعده على الشام ،خطوة أولى ليستطيعوا انْ يثبتوا اقدامهم من بعدها))([18]).

تعتمد في فاعلية قوتها التدميرية على الانْدماج داخل الأوساط الاجتماعية والمعرفية والدينية، واتباع سياسة المراحل في تحقيق أهدافها

وهنا ينبغي الأشارة الى تحليل المحقق (محمود ابو رية) اذ يقول: تحت عنوانْ الإسرائيليات في الحديث: ((لما قويت شوكة الدعوة المحمدية واشتد ساعدها وتحطمت أمامها كل قوة تنازعها لم يرَ من كانوا يقفون أمامها ويصدون عن سبيلها الإ انْ يكيدوا لها من داخلها))([19]).

وتأسيساً لما تقدم نجد انْ السلطة السياسة بطبيعتها تعتمد على مبدأ الغاية تبرر الوسيلة ، كما هو معلوم في ادبيات علم السياسة، ولكن من أشد المخاوف في عالمنا اليوم هو انْ تتم عملية تفريغ المنظومة الاسلامية بعنوانَّها الكلي من محتواها العقائدي وتفاقم حالة الارهاب الفكري بادوات دينية وقراءةً ناقصة غير مدركة لأبعاد الفعل السياسي في ضوء التوظيف للقيم الدينية ضمن أطار سياسات التعبئة العامة وتنشيط فاعلية الخطاب المتطرف تحت غطاء مشروعية أتجاه دون آخر ضمن فواعل ثقافة الموروث الديني المنتج لحواضن التطرف على مستوى القراءة المذهبية .

نجد انْ السلطة السياسة بطبيعتها تعتمد على مبدأ الغاية تبرر الوسيلة ، كما هو معلوم في ادبيات علم السياسة

الملمح الرابع: تأثير البلدانْ المفتوحة على الأخبار المروية

لاريب انْ البلدانْ المفتوحة قد تأثرت بالاسلام تاثيراً عظيماً، ولكنها قد أثرت في الاسلام في مقدار عمقه التأريخي والحضاري ، فلم تكن منفعلة بشكل دائم بالاسلام ، وانْما كانت فاعلةً ايضاً، ولذلك نجد الاسلام له صور متقاربة وليست منطبقة في البلدانْ المفتوحة، فالاسلام المشرقيّ شبيهٌ بالاسلام المغربي ولكن ليس مطابق له، كما انْ الاسلام الآسيوي شبيه بالاسلام الأفريقي ولكنه ليس مطابقاً له،وليست هنالك أسباب ظاهرة غير الهويات الحضارية المختلفة ،فالحضارة الفارسية لها مقوماتٌ تختلف عن مقومات الحضارة الهندية ، وهما مختلفتانْ عن الحضارة الصينية، وجميعها مختلفة عن حضارة وادي الرافدين وحضارة وادي

(18)عبد الله العلايلي، الإمام الحسين، بيروت- دار مكتبة التربية،الطبعة الجديدة ،1986م،ص31.

(19)محمود ابو رية ،اضواء على السنة المحمدية، مصدر سبق ذكره، ص145.

النيل ،وعليه فيما ناهده من وجوه الاختلاف بين الاسلام الهندي والاسلام الأفريقي منشؤه الاختلاف الحضاري.

الإثر الحضاري لم يتمكن من التأثير على النص القرانْي لكونه مصوناً من التحريف، بخلاف الروايات، التي تأثرت كثيراً بطبيعة الحضارة واهتماماتها، (فالحضارة التي تهتم بالمعنويات والغيبيات تلاحظ انْبثاق روايات كثيرة منها على ألسن رجال من بيئتها، والحضارة المهتمه بالفلسفة والحكمة تجد ابناءها مؤثرين في الروايات ضمن ميولهم، وبقدرأختلاف المدارس الفلسفية تختلف الرؤية حول الاسلام، وهكذا تولّد عندنا اسلام له ملامح مشائية، واسلام له ملامح اشاراقية، واسلام له ملامح عرفانْية)([20]).

فالحضارة التي تهتم بالمعنويات والغيبيات تلاحظ انْبثاق روايات كثيرة منها على ألسن رجال من بيئتها

فانْ ذلك يعني انْ التأثير الحضاري له فاعلية بمكان في تأسيس الظواهر الدينية ولكن ذلك لايعني فقدانْ محركات ومقومات قوة المنظومة الدينية في توجيه السلوك الانْساني، وذلك لعاملين أساسين هما ([21]):

الأول: قوة الاديانْ ورسوخها في العقل الباطني لأبنائها

الثانْي: انْ الاسلام الواصل الى الحضارات الاخرى لم يكن واصل اليهم

أكثر من اسلام الفتوحات، أو اسلام الحديث مما جعل التسريبات الوثنية المتوارثة ممكنة وهذا ما يتضح من خلال بعض الطقوس والممارسات الدينية الموضوعة والتي تكون ناشئة من تأثير الرواسب الحضارية .للحضارات الوافدة على المنظومة الاسلامية، خصوصاً في ممارسة المشي على النار والاحتفال بأعياد غير الاسلام ، أوجدت شرعيتها من خلال صياغة النصوص الروائية الموضوعة أو المدسوسة في المنظومة التفسيرية، وهذا ما دعى كثيراً من المستشرقين الى توجيه أصابع الإتهام والنقد اللاذع للحديث، والكثير منا لايملك تجاه ذلك غير الطعن بهم وأتهامهم ،وهم وانْ كان الكثير منهم يتحرك ضمن أجندات خاصة راميةً الى الطعن بالاسلام وتقويض أركانَّه، فوجدوا انْ القرانْ مغلقةٌ ابوابه، لانْ اسلًام محورية القرانْ محصنٌ ،ومجموع طعوناتهم بوحيانْية القرانْ كانت مفضوحةً ومردورةً ، فدعاهم ذلك للجوء الى عالم الحديث والتفسير والسيرة ووجدوا الإسرائيليات تلوح لهم بالمطابقة مع ماهو موجود في التوراة والانْجيل والكتب القديمة والتراث الفكري والثقافي للحضارات السالفة ويقول المستشرق جولد تسهير:((هنالك جملُ أخذت من العهد القديم والعهد الجديد وأقوال للربانْيين ، أو مأخوذة من الانْاجيل الموضوعة وتعاليم من الفلسفة اليونانْية ، وأقوال من حكم الفرس والهنود ، كل ذلك آخذ مكانة في الاسلام عن طريق الحديث))([22]).

وأهم فقرة في الملمح الرابع هو إقصاء المرجعية الدينية والسياسية في مدرسة أهل البيت وما تبعهُ من تناقضات نتيجة الانْفتاح على الحضارات ومناهجها بشكل غير مشروط ومحدود بضوابط معرفية ،مما ستتبع أيجادحلول مستعجلة لمواجهة التحديدات الفكرية التي تمكن في فهم الصحابة والتابعيين، وحتى فهم الانْظمة

(20)طلال الحسن،من محورية اسلام الحديث الى محورية اسلام القرآن. ملخص المشروع الأصلاحي للسيد كمال الحيدري، بيروت – مؤسسة الابداع الفكري للدراسات التخصصية ،(د.ت)،ص36.

(21) المصدر نفسه

(22)جولد تسيهر : العقيدة والشريعة في الاسـلام (تأريخ تطور العقدي والتشريعي في الدين الاسلامي). نقله الى العربية :محمد يوسف موسى وآخرون،ط(بلا)، مصر – دار الكتب الحديثة،(د.ت)،ص51.

السياسية المغايرة لأصول الاسلام المحمدي،حتى نشأت مصادر عدة لفهم التشريع الاسلامي وهذا انْتج مشكلة كبيرة لفقهاء الاسلام وهي قلة النصوص التي تستنبط منها الاحكام الشرعية ،ويقول أحد المختصين في مجال علوم الحديث، انْ أبا حنيفة انْما كثر القياس في مذهبه، لكونه في زمن قبل تدوين الحديث، ولو عاش حتى دونت الأحاديث الشريفة ،وبعد رحيل الحافظ في جمعها من البلاد والثغور وظفر بها ، لأخذ بها وترك كل قياس كان قاسه[23].

أيجاد حلول مستعجلة لمواجهة التحديدات الفكرية التي تمكن في فهم الصحابة والتابعيين، وحتى فهم الانْظمة السياسية المغايرة لأصول الاسلام المحمدي

وفي ضوء هذا النص تتأكد لناً مسألة الرأي وتوابعها، تعود في الأصل الى الخليفة الثانْي عمر بن الخطاب، بسبب اصداره مرسوماً عاماً يمنع فيه تدوين الحديث النبوي، إذ يقول المحقق (محمد رضا الجلالي) في هذا الصدد:(لو دونت الأحاديث قبل انْ يولد ابو حنيفة لما ضاع شيء منها، واستفادت الأمة كلها منها في معرفة دينها، وأصلاح دنياها ، لكن المانْعيين كانوا يعتمدون في ضياع الاحكام وتشتيت أحوال أمة الاسلام، لتحريم تدوين السنة، مضافاً الى منع روايتها على الألسن)[24].

انْ اقصاء المرجعية الدينية والسياسية لأهل البيت ،جعل الحكومات الجائرة تضطر الى تأسيس للأخبار المنسوبة الى النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم،بشكل مباشار أو بفعل البعد الزمانْي عن عصر النبوة سواء كان ذلك العمل عن عمد أم حسن ظن، ولذا نجد انْ قراءة المستشرقين للتراث الاسلامي على مستوى الفقه والتفسير والسيرة، وقد وجدوا ملامح الصناعة الرسمية للمدارس الفقهية والعقدية، بأدوات ومضامين مختلفة عن رؤية المدرسة العلوية كونها تصنف ضمن خط المعارضة للموقف الرسمي للسلطة- فقرأوا التراث المصنوع بأدوات حكومية وحللوه مما أسس الى تركة يصطلح عليها بالسنة المحكية أو ما يعرف بمدرسة الرأي ،إذ يقول المستشرق الإلمانْي شاخت:(المبادئ التي استرشدوا بها على ماورد في الكتاب وماصح من أحكام الرسول فيما لم يرد له ذكر في الكتاب، ولما حاولوا بسط هذه المبادئ المحدودة نوعاً ما،انْتهى بهم الأمر الى التوسع في تأويلها، توسعاً خرج بها عن معناها الأصلي، وربما كان سبباً في ظهور احاديث جديدة)[25].

وجدوا ملامح الصناعة الرسمية للمدارس الفقهية والعقدية، بأدوات ومضامين مختلفة عن رؤية المدرسة العلوية

وهذا تصريح واضح في تأكيد طبيعة الأحداث وعمليات الاقصاء التي افرزت حاكمية السنة المحكية مقابل السنة الواقعية، بمعنى انْ المستشرقين قد انْتهوا في بحوثهم الى نتائج موضوعية، لايمكن الطعن بها لانَّهم إطلعوا على التراث الرسمي للاسلام بصناعة الفقه السلطانْي، وفي هذا الصدد يقول المستشرق الهولندي كوننكز فيلد:(انْ دراستنا للاسلام ذات اتجاه واحد ومحور الواحد هو الاسلام السني.حيث المذهب الرسمي: فلا نعرف غيره)[26].

فيما يتعلق بنشأة المذاهب والمدارس العقدية ،فانَّها تنشأ في ظل السلطة

(23) ظفر أحمد التهانوي الحنفي ،قواعد في علوم الحديث، تحقيق:عبد الفتاح ابو غدة، ط (5)، حلب – مكتب المطبوعات الاسلامية،1404هـ،ص454.

(24)محمد رضا الجلالي،تدوين السنة الشريفة ،ط(2)،قم – مركزالنشر التابع مكتب الأعلام الاسلامي،1418هـ،ص489.

(25)جوزيف شاخت، اصول الفقه المحمدي،ترجمة: بشير بن نصر،مجلة كلية الدعوة ،ع(11)،ليبيا،1994م،ص56.

(26)جعفرعبد الرزاق ،حورات مع المستشرقين ،مجلة الفكر الجديد ع(15-16)،لندن- دار الاسلام للدراسات والنشر ،1997م،ص43.

الحاكمة من أجل بناء منظومة الفقه الحكومي، من أجل ايجاد شرعية لمواجهة القوى المعارضة للسلطة السياسية من خلال الدس والوضع في الأخبار الخداع العامة من الناس ويقول جولد تسيهر :(ليس من السهل تبين هذا الخطر المتجدد عن بعد الزمانْ والمكان من المنبع الأصلي ،بانْ يخترع اصحاب المذاهب النظرية والعلمية احاديث لايُرى عليها شائبةٌ في ظاهرها،ويرجع بها الى الرسول واصحابه، فالحق انْ كل فكرة وكل حزب وكل صاحب مذهب يستطيع دعم رأيه بهذا الشكل ،وانْ المخالف لَه في الرأي يسلك ايضاً هذا الطريق، ومن ذلك لايوجد في دائرة العبادات أو العقائد أو القوانْين الفقهية او السياسية مذهب أو مدرسةً لاتعزز رأيها بحديث أو بجملة من الأحاديث ،ظاهرها لاتشوبه أية شائبة([27]).

بنشأة المذاهب والمدارس العقدية ،فانَّها تنشأ في ظل السلطة الحاكمة من أجل بناء منظومة الفقه الحكومي

مما نريد الوصول إليه انْ عصر ما قبل التدوين – وهو القرن الهجري الأول هو عصر الفتوحات، يتميز بتأثير نوعي ومتنوع في صياغة المرويات الحديثية وذلك بفعل الأختلاف الحضاري للمجتمعات الجديدة المنضوية تحت راية الاسلام، مما يستتبع بالضرورة تفاقم حجم الروايات بقدر تأثير تلك الحضارات المستقبلة للاسلام، والتي لم تتمكن من الغاء تراثها وضغوطاتها الحضارية على صياغة النصوص الروائية.

(27) جولد تسيهر،العقيدة والشريعة في الاسلام ،مصدر سبق ذكره ،ص49-50.

انْ عصر ماقبل التدوين-هو عصر الجهاد والتكوين وليس عصر العلم والبحث، مما ينتج الفعل الانْشطاري في قراءة الاسلام الى نوعين: -اسلام السلطة واسلام المعارضة، والاسلام المعارض ينقسم على قسمين اسلام الانْدماج والتعايش، واسلام التكفير.

عصر ماقبل التدوين-هو عصر الجهاد والتكوين وليس عصر العلم والبحث

المحور الثانْي: أسباب منع التدوين

أجمع علماء الاسلام على صدور أوامر المنع من تدوين الحديث النبوي في الصدر الاول من الاسلام ، ووقع اختلاف شديد بين المدرستين في تحديد جهة المنع، إذ ذهبت مدرسة الصحابة الى انْ المنع قد صدر من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واستدلوا لذلك بعدد من الروايات المنسوبة للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، أو ماهو قريب من ذلك ، في حين ذهبت مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) الى انْ المنع انْما صدر من الخليفة الأول والثانْي لعهد الرأشدين، ثم استمر المنع لحين صدور الأذن الرسمي في عهد الحاكم الأموي عمر بن عبد العزيز بصورة جزئية، ثم كانت البداية الحقيقية على يد عبد الملك ابن جريج الرومي، الأموي في عهد المنصور العباسي .

قال الحاكم النيسابوري:(أول من دون الحديث بأمر عمر بن عبد العزيز محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبدالله بن شهاب الزهري، أحد الأئمة الاعلام، وعالم أهل الحجاز والشام، أخرج عن جماعة من صغار الصحابة وكبار التابعين، ثم فشى

التدوين في الطبقة التي تلي طبقة الزهري، فكان أول من جمعه ابن جريج بمكة ،وابن اسحاق او مالك في المدينة)([28]).

انْ هذه البداية هي بداية جزئية وليس بداية حقيقية ذات طابع مهني ،انْما البداية الرسمية كانت في عهد المنصور العباسي والتي أخذت بعداً منظماً وموسعاً صنعت على عين الانْظمة الحاكمة والتي يؤرخ لها من سنة 136هـ حتى سنة 158هـ ([29]).

ومن الجدير بالذكر انْ مرحلة التدوين على وفق مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) تؤرخ منذ العهد النبوي وانْتهاءً بعصر الإمام الصادق باعتباره وريث هذه المدرسة ولم تلتزم مدرسة أهل البيت بقرار المنع الصادر عن الخلافة الرأشدة([30]).

انْ مرحلة التدوين على وفق مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) تؤرخ منذ العهد النبوي وانْتهاءً بعصر الإمام الصادق

يستند المانعون للتدوين للحديث النبوي على أخبار واردة عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)،انَّه قال :(لاتكتبوا عني شيئاً سوى القرانْ ، ومن كتب شيئاً سوى القرانْ فليمحه)([31]).

ثم نقلوا عن سيرة الخليفتين ابو بكر وعمر بن الخطاب، مايدل على التشديد بقرار المنع، فقد روى الذهبي خبراًعن الخليفة الأول ابو بكر :(انَّه جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال:- إنكم تحدثون عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ،أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد أختلافاً فلا تحدثوا عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)شيئاً فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله ،وأستحلواحلاله وحرمو حرامه)([32]).

وأما عن الخليفة الثانْي عمر بن الخطاب فقد روى ابن سعد في طبقاته عن عبد الله بن العلاء انَّه قال:(سألت القاسم يملي عليّ أحاديث) فقال :انْ الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب ،فأمرَ الناس انْ يأتوا بها، فلما أتوه ،أمر بتحريقها ، ثم قال: مثناةٌ(*)كمثناة أهل الكتاب)([33]).

بالنسبة الى تصريح الخليفة الأول، ففيه تأكيد واضح على المنع الصريح لتدوين الحديث النبوي لايحتمل التأويل، اما بالنسبة الى تصريح الخليفة الثانْي، فانَّه تصريح يثير علامات أستفهام من جهة وصفه لمدونات الحديث النبوي بكتب أخبار بني اسرائيل بعد موسى (عليه السلام) هذا من جهة ومن جهة أخرى هل كان للخليفة علم مسبق ومعرفة بكتب الأحبار اليهودية ومن أين أتى بمشروعية الأحراق، يتحمل أطلاع الخليفة الثانْي ببعض افكار التلمود، وذلك واضح من خلال تصريحه بالمنع للتدوين وتأكيده من خلال وصف المدونات النبوية بالمثناة.

جاءت فكرة الترويج وتسويغ منع التدوين مستندين ذلك الى أحاديث النهي عن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم

ثم جاءت فكرة الترويج وتسويغ منع التدوين مستندين ذلك الى أحاديث النهي عن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ونهي الخلفاء مخافة اختلاط السنة بالقرانْ الكريم، وهو من أشهر التبريرات، فهذا ابن حجر يقول في ذلك:(أما السنة

(28)محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، معرفة علوم الحديث، تحقيق: معظم حسين ، ط(2)،القاهرة -مكتبة المتنبي ، 1397هـ،ص10.

(29)عبد الجواد ياسين ، السلطة في الاسلام،مصدر سبق ذكره،ص27.

(30)زهير غزاوي الإمام جعفر بن محمد الصادق بين الحقيقة والنفي : دراسة في جدلية صعود مدرسة أهل البيت ، ط(بلا)،دمشق-(د.ن)،1998م،ص15.
- عبد الهادي الفضلي ، اصول الحديث ،ط(2)، بيروت - مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع ،2011م،ص77-73.

(31)سليمان بن أبراهيم القندوزي الحنفي ، ينابيع المودة لذوي القربى،تحقيق: علي جمال اشارف، مصدر سبق ذكره ،ج (2)، ص292.

(32)شمس الدين الذهبي ،تذكرة الحفاظ ،مصدر سبق ذكره ،ج(1)، ص2

(*) في الصحيح تسمى المشنا وليست المثناة، والمشنا تنطوي على مجموعة من النصوص الاساسية لفتاوي علماء اليهود وهي تمثل الشريعة الشفوية غير المكتوبة ،تمثل بعداً توضيحياً لنص التوراة المكتوب ، وبحسب زعم اليهود، أن تدوين تلك الشريعة الشفوية ،امراً محرماً وذلك تمييزاً لليهود عن الوثنيين إذ ما سيطرت أمة على اليهود .
للتفصيل ينظر، نديم الجابري ،الاصولية اليهودية ،مؤسسة الفضيلة

النبوية فقد نهى النبي (صلى الله عليه وسلم) أصحابها عن كتابتها أول الأمر،مخافة اللبس بالقرانْ،اذ قال عليه الصلاة والسلام:لاتكتبوا عني ،ومن كتب غير القرانْ فليمحه،وحدثوا عني،فلاحرج....)[34].

اذاً ففي قول بن حجر تسويغ يتعلق بالدفاع عن مشروعية الإحراق وغيره من المواقف،واذا كان التسويغ مخافة اختلاط السنة بالقرانْ فانْ هذا الرأي محل نظر من الناحية العلمية للأسباب التالية :-

1. اذا كان النبي محمد (صلى الله عليه وآله) يخشى على القرانْ من الضياع، اذا اسلمنا من باب التنزل بصحة الخبر الوارد فانْ هذا الأمر غير منطقي كون القرانْ يتمتع ببلاغة عالية يستطيع الصحابة التمييز بين النص القرانْي ومفرداته البلاغية عن غيره من النصوص.
2. اذا كان الأمر يدل على الخوف من الشروحات البيانْية (التفسير)يمكن وضع أشارة في تمييز النص القرانْي عن النص التفسيري.
3. كيف يمكن الجمع بين نصوص النهي عن كتابة الحديث النبوي وهنالك تاكيد وحث نبوي على الكتابة في الخبر الوارد عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال:(كنت أكتب كل شيءٍ اسمعه عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا:الكتب كل شيء تسمعه عن ورسول الله (صلى الله عليه وسلم)بشر يتكلم في الغضب والرضا ؟! فامسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)فأومأ باصبعه الى فيه ،فقال:اكتب فو الذي نفسي بيده مايخرج منه الإ الحق)[35].

فضلاً عن الحديث الذي ترويه مدرسة الصحابة في كتاب الموطأ لمالك بن انْس انْ النبي (صلى الله عليه وآله) انَّه قال :-(تركت فيكم أمرين، لن تضلّوا مامسكتم بهما : كتاب الله وسنة نبيه)[36].

وعلى الرغم من انَّه ليس بالحديث الصحيح الذي يرويه الفريقان[37]، ولكن أستدلالنا من باب ألزموهم بما الزموا انْفسهم ،أي كيف يوصي النبي (صلى الله عليه وآله) في آخرأوقات حياته بالتمسك بالسنة، وقد نهى عنها من قبل؟!

انْ هنالك تعارضاً وتضارباً في الأقوال بين التحديث النبوي التدويني والتحديث من دون التدوين والتأكيد على مسألة الحفظ أخص من التدوين

يبدو انْ هنالك تعارضاً وتضارباً في الأقوال بين التحديث النبوي التدويني والتحديث من دون التدوين والتأكيد على مسألة الحفظ أخص من التدوين، فانْ المشكلة قائمة سواء قلنا بالحديث أو التدوين أو الجمع بينهما، كون البيئة السائدة آنذاك فيها ميل للحفظ أكثر من الكتابة، ومما تجدر اليه الاشارة هو مدى القيمة الموضوعية للمنع بالتحديث أو التدوين للسنة النبوية سواء كان المنع صادراً من الرسول أم من الخليفتين، فلماذا كسر قيد المنع، من الخليفة عمر بن عبد العزيز أو المنصور العباسي ؟! ألا يدعو هذا الى التساؤل حول اذا ماكان رفع الحضر عن التدوين شكلاً من اشكال الطعن الصريح بالسنة النبوية ذاتها وتشكيكاً بمشروعية الأخبار الصادرة عن النبي من طريق الخلفاء.

للدراسات والنشر، بغداد ،2006م، ص ص75-76

(33)محمد بن سعد ،الطبقات الكبرى،ج(5)،بيروت - دار صادر،(د.ت)، ص188.

(34) احمد بن علي بن حجرالعسقلاني، الاصابة في تمييز الصحابة ،ج(1)،دراسة وتحقيق وتعليق:عادل احمد عبد الموجود،علي محمد معوض،تقديم : محمد عبد المنعم البري ،عبد الفتاح ابو سنة ،بيروت – دار الكتب العلمية ،1415هـ، ص28.

(35) اسماعيل بن كثيرالدمشقي، تفسير القرآن العظيم ،ج(4)، بيروت – دارالمعرفة ،(د.ت)، ص264.

(36) مالك بن أنس ، الموطأ ،تحقيق محمد فؤادعبدالباقي،ج(2)،ط(1)،بيروت – دار احياء التراث العربي ،1406هـ،ص899.

(37)الحديث الصحيح الذي رواه الفريقان معاً هو:(أمّا بعد ،ألا أيها الناس فانما أنا بشرٌ يوشك أن ياتي رسول ربي فاجيب ،وانا تارك فيكم ثقلين ،أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور ،فخذوابكتاب الله واستمسكوا به- فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال :(وأهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي ،اذكركم الله في أهل بيتي،اذكركم الله في أهل بيتي)،مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري،صحيح مسلم ،ج(2)، بيروت- دار الفكر،(د.ت)، ص122.

لاسيما الأول والثانْي ؟

انْ منع التدوين ورفع الحظر من السلطة الأموية والعباسية، أسس بمشروعية تشويه معالم السنة من خلال المركز ولو كان الخوف على اختلاط السنة بالقرانْ، كان من الممكن لمؤسسة الخلافة الرأشدة القيام بتربية جيل من الصحابة أو التابعين واختيار لجنة تتصف بالأمانْة والنزاهة لجمع الأحاديث الى جنب جمع القرانْ، لقطع الطريق على الوضاعين الذين شوهوا السنة النبوية ودسوا فيها الأخبار الموضوعة التي فرقت المسلمين شيعاً وأحزاباً[38].

(38) هاشم معروف الحسني،دراسات في الحديث والمحدثين ، ط (بلا)،بيروت –دار التعارف للمطبوعات ،(د.ت)،ص23.

لو انّ الحديث بحسب - رأي ابو رية – في عصر النبي تم تدوينه الى جانْب تدوين القرانْ بأعتماد وسائل الدقة والتحري لما اختلف المسلمون هذا الاختلاف الشديد ،الذي لم يستطع احدّ تلافيه[39].

انْ المسوغات التي يسوقها الكتاب وأرباب السيرة والتأريخ هي مسوغات املتها عليهم ضرورات حجية الصحابي وعدم المساس به

وبناءً على ما تقدم يبدو انْ المسوغات التي يسوقها الكتاب وأرباب السيرة والتأريخ هي مسوغات املتها عليهم ضرورات حجية الصحابي وعدم المساس به أو ربما مسوغات تنطلق من منطلق حاكمية نص السلطة مقابل سلطة النص للأعمال منظومة شرعية تدفع بالمدونات النبوية التي قد تضر بالعامل البراغماتي الذي يؤسس لنص سياسي يضفي المشروعية للخلفاء الذين يفتقرون لمعيار الأهلية في ادارة الدولة تحت مظلة الفقه النبوي المرتكزة على الاحكام الشرعية ذات الصلة بالبنية المعرفية والدينية وهذا متجسد في كلمات مدونات أعلام الاسلام ،لاسيما في كتاب اعلام الموقعين لابن القيم الجوزية الذي يؤكد فيه على عدم مشروعية سلطة الخليفة الثانْي على مستوى المعرفة الدينية لأحكام الشريعة ذات الصلة بإدارة الدولة الى الحد الذي يوصف به الخليفة عمر بالقول :انْ تكون المرأة أفقه من الخليفة عمر. لابل أبعد من ذلك يكون الاعرابي أعلم من الخليفة في حكم الميراث[40].

(39)محمد ابو ريه، اضواء على السنة المحمدية ،مصدر سبق ذكره، ص23.

المحور الثالث: ملاحظات حول عصر التدوين وبدايات التنصيص السياسي **(البخاري وموقفه من الإمام جعفر الصادق عليه السلام)**

لاريب انْ الأرتقاء الملحوظ المتمثل بالانْتقال في تدوين السنة الشريفة من مرحلة المشافهة الى البعد التدويني ونقلاته النوعية على مستوى المعالجات السندية والتصحيح على مستوى علم الجرح والتعديل ،إلا انْ هذه المعالجات منحصرة في الأطار الشكلي .

(40)للمزيد حول ذلك ينظر :-أبي عبد الله بن ابي بكر بن أيوب المعروف بابن القيم الجوزية ،أعلام الموقعين عن رب العالمين ،علق عليه وخرج احاديثه مشهور بن حسن ال سلمان ،ط (1)،(د.م)،دار بن الجوزي ،1423هـ،ج(4)،ص21-26، باب مسائل خفيت عن عمر .

اما على المستوى فهنالك أزمة خطيرة وتداعيات أخطر يحددها أحد المحققين المعاصرين ضمن ثلاثة نقاط وهي :-

العامل الأساس المتحكم في المدرستين هو البعد الايديولوجي المتناغم مع رغبات السلطة السياسية

1. تضليل الرأي العام
2. تغييب المتون الأخرى أي الإعتماد على مصنفات حديثية معينة وتغييب المتون الاخرى، الامر الذي أدى الى اعتبار تلك المتون المغيبة تعد مصادر ثانْوية بحجة معارضتها الصحيحي مسلم والبخاري وهذه القاعدة تشمل المدرستين معاً(مدرسة النص –

مدرسة الشورى)

ولانْ العامل الأساس المتحكم في المدرستين هو البعد الايديولوجي المتناغم مع رغبات السلطة السياسية (الدولة الصفوية ودعمها الى الإتجاه الاخباري والسلطة العثمانْية ودعمها الى الإتجاه الحنفي فقهياً والإتجاه السني ضمن الإطار العام ([41]).

3. شيوع ظاهرة الارهاب الفكري في المتون الفقهية .

انْ أغلب المنطلقات الفقهية والأسس العقائدية لحركات التطرف الاسلامي منشأها وجود أرضية فكرية ومنطلقات عقائدية في بطون الصحيحين، وفرت الغطاء الشرعي لتلك الحركات المتطرفة والتي أرتسمت ملامحها بأقصاء الآخر على مستوى الفكر وأستخدام القوة كوسيلة مشروعة للقتل والتصفية، لإعتبارات طائفية على وفق منظومة فقهية داعية للتطرف الديني([42]).

ووفقاً لذلك نجد انْ ذلك يتجسد بشكل عملي من خلال موقف البخاري في النقل للنصوص عن أهل البيت عموماً والإمام جعفر الصادق (عليه السلام)على نحو الخصوص ، لم يحتج البخاري في صحيحه بأقوال الإمام جعفر الصادق عليه السلام، حسب ما ينقله ابن تيمية انْ البخاري قد أستراب من الإمام جعفر الصادق ولم يخرج له لما بلغه عن يحيى بن سعيد القطانْ فيه كلام فلم يخرج له ([43]).

وهذا يكشف لنا انْ المعيار في صحيح البخاري انَّه خاضع لأدوات السلطة العباسية في صناعة الادلة على وفق معيار توثيق المجروحين وممن يناصب العداء الى أهل البيت، وهذا يتضح من خلال توثيق وتجريح الأحاديث في صحيح البخاري لابن عثمانْ الرحبي. الذي كان يسب علياً ويلعنه ([44]).

وفي السياق نفسه يحتج بأحاديث عمرانْ بن حطانْ الخارجي الذي يؤكد فيه الالبانْي في القول:(عمر بن حطانْ من روؤس الخوارج وشعرائهم، وهو الذي مدح ابن ملجم الشقي قاتل سيدنا علي بالابيات الشهيرة، قال بعضهم: انْما أخرج له البخاري على قاعدته في تخريج أحاديث المبتدع إذ كان صادق اللهجة متُديناً)([45]).

تطور الموقف من مرجعية الإمام الصادق على وفق مبانْي الاسلام الأموي من موقف الريبة والشك الى موقف التشكيك والطعن بالإمام جعفر الصادق (عليه السلام)

انْ ليس من المستغرب انْ يتم تخريج أحاديث المبتدعين والخوارج على نحو الخصوص، اذا ماعرفنا معايير المنهج الأموي في قلب معايير علم الجرح والتعديل، بمعنى جعل محبة معاوية هي المعيار في قبول الحديث اورده ([46]).

لقد تطور الموقف من مرجعية الإمام الصادق على وفق مبانْي الاسلام الأموي من موقف الريبة والشك الى موقف التشكيك والطعن بالإمام جعفر الصادق (عليه السلام) من قبل الاتجاه المعاصر المتأثر بالنزعة الأموية السلفيةوهذا يتضح بشكل جليً في عبارات أبراهيم الجبهانْ الذي في مقدمة كتابه (تبديد الظلام وتنبيه النيام على خطر التشيع على المسلمين والاسلام).

إذ يؤكد على امور بحسب رأيه :- انْ يرفع الالتباس في ذهن قارئه أذ يصف الإمام الصادق بالزندقة والالحاد ولذلك لايصح تسميته بالصادق وجعل هذا اللقب

(41)كمال الحيدري، حجية السنة وموقعها، محأضرةً على طلبة البحث الخارج بثتها قناة الفيض الفضائية ،بتاريخ 2017/7/14م.

(42) خالد الملا ،الخطاب الديني بين التطرف والأعتدال (داعش نموذجاً) في برنامج حوار بالمعلن ،بثته قناة الغدير الفضائية ،بتأريخ 2017/7/27م.

(43)أحمد ابن تيمية ،منهاج السنة النبوية ،ج(4)،تحقيق:محمد رشاد سالم ،قاهرة – مطبعة بولاق ،1321هـ،ص143.

(44) يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف ،المعروف بالمزي، تهذيب الكمال في اسماء الرجال ،تحقيق:بشار عواد معروف،ط(1)،بيروت- مؤسسة الرسالة ،1980م،ج(5)،ص576.

(45)محمد ناصر الدين الالباني ،مختصر صحيح الإمام البخاري، الرياض- مكتبة المعارف ، 202م،ج(4)،ص39 ،هامش 11.

(46) للمزيد حول هذه المسألة ينظر، علي المدني، السلطة وصناعة الوضع والتأويل، (دراسة تحليلية تطبيقية في حياة معاوية بن أبي سفيان)، تقرير للسيد كمال الحيدري ، بيروت - دار المرتضى ،2012م، ص 156ومابعدها.

مختص به، إذ يعتقد الجبهانْ انْ البخاري كان محقاً في عدم تخريج الأحاديث للإمام الصادق لسلوكه المتسم بالبذخ والترف وقبوله العطايا من شيعته وهي محرمة عليه ولم يكن من مستحقيها حتى قيل انَّه أشترى داراً في البصرة بمبلغ ثلاثين الف دينار، عدا الاموال التي انْفقها على الدعاة والمبشرين والجمعيات السرية التي كان لها دور في تخريب وافساد الأمة الاسلامية ([47]).

ومن خلال ماتقدم نجد انْ النهج الأموي بصياغته لمنظومة الحديث والتأريخ في تبني سياسة المواجهة العدائية، واستخدام كافة الوسائل لاجهاض المنظومة المعرفية للاسلام المحمدي. من خلال اعتماد منهج الكذب الصريح والتشويه لإتباع مدرسة أهل البيت، وتسميتهم بالروافض، إذ يقول احسانْ إلهي ظهير:(إذ يقول ويسمون ايضاً الرافضة أو الروافض، لرفضهم مناصرة ائمتهم ومتابعتهم، وغدرهم بهم وعدم وفائهم لهم ...)([48])

(47)ابراهيم الجبهان ، تبديد الظلام وتنبيه النيام على خطر التشيع على المسلمين والاسلام، ط(3)،السعودية – رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد ،1988م،ص9-10.

(48)إحسان الهي ظهير، الشيعة والتشيع فرق وتأريخ ،ط (4)، باكستان – ادارة ترجمان ،1984م، ص270.

الخاتمة

1. يبدو من خلال الاستعراض المركز لملامح الاسلام الأموي بتطبيقاته التأريخية والمعاصرة ،نجد انْ الهدف من كيل التهم واعتماد سياسية التشويه والكذب والافتراء لكل من ناهض المشروع الأموي وصياغته العقدية في فهم الاسلام، لا يوجد له مسوغ في ايجاد منظومة معرفية لها مسحة دينية حتى تجد لها موطأ قدم ضمن الحواضن الاجتماعية ،التكريس ثقافة الكراهية ،كمقدمة لخلق مقبولية في العقل الاسلامي لإعتماد ثقافة العنف وللتهيئة النفسية ،لخلق مسوغات ممارسة العنف المنظم .
2. انْ نشأة المذاهب كانت عبارة عن فعل سياسي قامت به السلطة السياسية (منظومة الخلافة من أجل ايجاد مرجعية دينية تمثل مظلة لشرعنة الممارسات اليومية ورسم مسارات علاقة الأمة بالسلطة من أجل تغييب حركة الإمام الصادق في العقل الجمعي للأمة على مسرح التحدبات الدينية والعقائدية، ومن هنا .
3. انْ الغاية الاساس من عميلة صياغة عمليات البناء والرصد المعرفي لتشكيل الحديث برغبة سلطوية هو اسباغ مشروعية محكمة في ادارة الصراع بين محورين المحور الاول اعادة تشكيل ورسم معالم السلطة السياسية وفق نزعة براغماتية (الغاية تبرر الوسيلة) يسهم بشكل او اخر في ديمومة الصراع وخلخلة الأمن الاجتماعي للحيلولة دون الشروع بمحددات الصيرورة الاجتماعية المتفاعلة مع البناء الفوقية سياسياً بشكل متوزاي لاجهاد مشروع الدولة القائم على اساس ادرة التنواعات والحد من الصراع من خلال استثمار البعد الديني وتوظيفاته الايدلوجية ضمن عميلة صفرية لأقصاء المختلف سياسياً .
4. يترتب على النتيجة السابقة آنفة الذكر كان لمشروع التصيص السياسي للحديث الاثر البالغ في تشكيل العقل السياسي المعاصر المروج لثقافة والتطرف ضمن المنظومة الفكرية للحركات والجماعات المتطرفة في منطقة الشرق الاوسط.

قائمة المصادر

1. ابراهيم الجبهانْ ، تبديد الظلام وتنبيه النيام على خطر التشيع على المسلمين والاسلام، ط(3)،السعودية – رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد ،1988م.
2. ابن ابي الحديد المعتزلي ،شرح نهج البلاغة ،ج4،ط (2)، بيروت-دار احياء الكتب العربية ،1965م
3. أبي عبد الله بن ابي بكر بن أيوب المعروف بابن القيم الجوزية ،أعلام الموقعين عن رب العالمين ،علق عليه وخرج احاديثه مشهور بن حسن ال سلمانْ ،ط (1)،(د.م)،دار بن الجوزي ،1423هـ،ج(4)، باب مسائل خفيت عن عمر .
4. إحسانْ الهي ظهير، الشيعة والتشيع فرق وتأريخ ، ط (4)، باكستانْ – ادارة ترجمانْ ،1984م
5. أحمد ابن تيمية، منهاج السنة النبوية ،ج(4)،تحقيق:محمد رشاد سالم ،قاهرة – مطبعة بولاق ،1321هـ.
6. أحمد أمين المصري،ضحى الاسلام ،ج (2)، ط (10)،بيروت- دار الكتاب العربي، (د.ت).
7. احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح،الكاتب العباسي المعروف للسير والمغازي باليعقوبي ،تاريخ اليعقوبي ،ج(2)، ط(بلا)، بيروت – دار صادر،(د.ت).
8. احمد بن علي بن حجرالعسقلانْي، الاصابة في تمييز الصحابة ،ج(1)،دراسة وتحقيق وتعليق:عادل احمد عبد الموجود،علي محمد معوض،تقديم : محمد عبد المنعم البري ،عبد الفتاح ابو سنة ،بيروت – دار الكتب العلمية ،1415هـ.
9. اسماعيل بن كثيرالدمشقي، تفسير القرانْ العظيم ،ج(4)، بيروت – دارالمعرفة، (د.ت) .
10. جعفرعبد الرزاق ،حورات مع المستشرقين ،مجلة الفكر الجديد ع(15-16)،لندن-دار الاسلام للدراسات والنشر ،1997م.
11. جوزيف شاخت، اصول الفقه المحمدي،ترجمة: بشير بن نصر،مجلة كلية الدعوة ، ع(11)، ليبيا، 1994م.
12. جولد تسيهر : العقيدة والشريعة في الاسلام (تأريخ تطور العقدي والتشريعي في الدين الاسلامي). نقله الى العربية :محمد يوسف موسى وآخرون، ط(بلا)، مصر – دار الكتب الحديثة،(د.ت)
13. خالد الملا ،الخطاب الديني بين التطرف والأعتدال (داعش نموذجاً)في برنامج حوار بالمعلن ،بثته قناة الغدير الفضائية ،بتأريخ 2017/7/27م.
14. الزبير بن بكار بن عبد الله الزبيري، الاخبارالموفقيات، تحقيق:سامي مكي العانْي،بغداد،(د.ن)،1972م.
15. زهير غزاوي الإمام جعفر بن محمد الصادق بين الحقيقة والنفي : دراسة في جدلية

صعود مدرسة أهل البيت ، ط(بلا)،دمشق- (د.ن)،1998م
16. سليمانْ بن أبراهيم القندوزي الحنفي ، ينابيع المودة لذوي القربى،تحقيق: علي جمال اشارف
17. طلال الحسن، من محورية اسلام الحديث الى محورية اسلام القرانْ. ملخص المشروع الأصلاحي للسيد كمال الحيدري، بيروت – مؤسسة الابداع الفكري للدراسات التخصصية ،(د.ت).
18. طه حسين ، الخلفاء الرأشدون ،ج(4)، بيروت – دار الكتاب اللبنانْي، 1973م.
19. ظفر أحمد التهانْوي الحنفي ،قواعد في علوم الحديث، تحقيق:عبد الفتاح ابو غدة، ط (5)، حلب – مكتب المطبوعات الاسلامية،1404هـ.
20. عبد الجواد ياسين ، السلطة في الاسلام
21. عبد الله العلايلي، الإمام الحسين، بيروت- دار مكتبة التربية، الطبعة الجديدة، 1986م.
22. عبد الهادي الفضلي ، اصول الحديث ،ط(2)، بيروت – مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، 2011م.
23. علي الرضوي، وآخـرون، سد المفر على القائل بالقدر:دراسة تحليلة حول بحث الارادة والطلب ونقد مقالة الجبر والتفويض(محأضرًات محمد باقر علم الهدى)،ط(1)، أيرانْ – مركز فرهنكي ،1378هـ .
24. علي المدني، السلطة وصناعة الوضع والتأويل، (دراسة تحليلية تطبيقية في حياة معاوية بن أبي سفيان)، تقرير للسيد كمال الحيدري، بيروت - دار المرتضى ،2012م.
25. علي بن الحسين بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق :امير مهنا،ط (1)، بيروت – منشورات مؤسسة النور للمطبوعات ،ج(2)، 1421هـ.
26. كريم السراجي، الاسس الدينية للاتجاهات السلفية ، ط(1)، بيروت – دار السلام ، 2010م.
27. كمال الحيدري، حجية السنة وموقعها، محأضرًة على طلبة البحث الخارج بثتها قناة الفيض الفضائية ،بتاريخ 2017/7/14م.
28. مالك بن انْس ، الموطأ ،تحقيق محمد فؤادعبدالباقي،ج(2)،ط(1)،بيروت – دار احياء التراث العربي ،1406هـ.
29. محمد بن الحسن الطوسي ، اختيار معرفة الرجال ،ج(1)، تصحيح وتعليق: الميرداماد الاسترابادي ومحمد باقر الحسيني ، تحقيق: مهدي الرجائي ،ط (1)، قم – مؤسسة آل البيت ،1404هـ، ص71.
30. محمد بن الحسن الطوسي ، الغيبة ،تحقيق: عباد الله الطهرانْي ،علي أحمد ناصح، ط(1)،قم – مؤسسة المعارف الاسلامية ،1411هـ.
31. محمد بن سعد ،الطبقات الكبرى،ج(5)،بيروت – دار صادر،(د.ت).
32. محمد بن صالح العثيمين، شرح العقيدة الواسطية ،اعـداد: فهد بن ناصر

بن ابراهيم السليمانْي ، ط (2)، الممكلة العربية السعوديه – دار الثرية للنشر ، 1426هـ،.
33. محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، معرفة علوم الحديث، تحقيق: معظم حسين، ط(2)،القاهرة –مكتبة المتنبي ، 1397هـ.
34. محمد بن محمد النعمانْ البغدادي ،الارشاد في معرفة حجج الله على العباد.
35. محمد رضا الجلالي،تدوين السنة الشريفة ،ط(2)،قم – مركزالنشر التابع مكتب الأعلام الاسلامي،1418هـ.
36. محمد عجاج الخطيب، السنة قبل التدوين، ط(3)، بيروت – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،1980م.
37. محمد ناصر الدين الالبانْي ، الذب الأحمد عن مسند الإمام احمد، ط (1)، المملكة العربية السعودية ،دار الصديق،1420هـ.
38. محمد ناصر الدين الالبانْي ،مختصر صحيح الإمام البخاري، الرياض- مكتبة العارف ، 202م.
39. محمود ابو رية، شيخ المضيرة ابو هريرة ،ط (3)،القاهرة – دار المعارف للمطبوعات، (د.ت).
40. محمود ابو ريه، اضواء على السنة المحمدية (اوالدفاع عن الحديث)،ط (2)،قم – دار الكتاب الاسلامي، 2007م.
41. مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري،صحيح مسلم، ج(2)، بيروت- دار الفكر،(د.ت).
42. نديم الجابري ،الاصولية اليهودية ،مؤسسة الفضيلة للدراسات والنشر، بغداد ،2006م.
43. هاشم معروف الحسني ،الموضوعات في الآثار والاخبار، تحقيق: أسامة الساعدي ، ط(1)، قم،(د.ن)،2009م.
44. هاشم معروف الحسني،دراسات في الحديث والمحدثين ، ط (بلا)،بيروت –دار التعارف للمطبوعات ،(د.ت).
45. يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف ،المعروف بالمزي، تهذيب الكمال في اسماء الرجال ،تحقيق:بشار عواد معروف،ط(1)،بيروت- مؤسسة الرسالة ،1980م.

مسلمو تركستان الشرقية(الايغور) والعلاقة مع السلطات الصينية. دراسة في اليات الاندماج والاستيعاب

*د. علاء عبد الرزاق مطلك الفهد
باحث من العـراق

*جامعة بغداد/ مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية
alaaakadian@gmail.com

ملخص :

تشكل طبيعة العلاقة بين المسلمين والسلطات الصينية عبر العصور المحور الاساسي لهذه الورقة والتي وان تناولت الوضع الخاص بالمسلمين في الصين من حيث الوجود التاريخي وطبيعة العلاقة مع الاسر الصينية الحاكمة الا انها تمحورت حول الوضع الخاص بمسلمي تركستان الشرقية أو ما يعرف باسم الايغور والذين يقطنون في الجزء الشمالي من البلاد، ولابد من الوقل إن تعامل بعض السلطات المتعاقبة في الصين مع المسلمين بشكل عام والايغور بشكل خاص قد جاء طبقا لتصور يقوم على ان المسلمين ليسوا صينيين في الاصل بل وفدوا عبر حقب متتالية على البلاد وبالتالي فان الوضع الخاص بهم لا يختلف عن وضع الجالية الاجنبية، وبقبالة هذا الرأي هنالك اتجاه ساد في الاوساط الرسمية الصينية بان المسلمين جزء أساسي ومكون أصيل من مكونات البلاد وان هنالك ضرورة لان يتمتع بكافة الحقوق الدينية والثقافية والتي تبقيه متميزاً عن الاعراق والمكونات الاخرى. لقد تداخلت جملة من العوامل الجيوستراتيجية والتي دفعت بالسلطات الصينة للتضيق على المسلمين في شمال شرق الصين وذلك للحيلولة دون تبنيهم نزعة انفصالية او الترويج لفكرة اقامة دولة طورانية تمتد لتشمل بلدان مجاورة للصين، بمعنى إن العامل السياسي والجغرافي كان هو الفيصل المحدد في نوع العلاقة التي ميزت الحكومة الصينية مع مسلمي تركستان الشرقية.

كلمات مفتاحية : الايغور، الاسلام في الصين، الاستيعاب

Muslims of East Turkestan (Uyghurs) and their Relationship with the Chinese Authorities. A Atudy in the Mechanisms of Integration and Assimilation

Dr. Alaa Abdul Razzaq Mutlaq Al-Fahd
Researcher from Iraq
University of Baghdad / Center for Strategic and International Studies

ABSTRACT

The topic area of that's a paper dealing with conditions of Muslims of China as a whole and Uyghur as a partial community in the northeast of China, the main hypothesis of the paper-based upon the mechanism which was adopted by Chines governments during centuries, and how that's governmental procedures influenced upon relations between Muslims and China government in last decades.

The controversial issue of relations between Muslims and China authorities that's many Chines consider Muslims of China are descendants of the Muslims from the Middle East and Central Asia who migrated to China at different times and for different reasons. The opening of China and the collapse of the Soviet Union have brought profound changes to the border region between the two countries. In official pronouncements, governments on both sides of the border have emphasized the military and political cooperation and economic development that has been taking place since the early conflict.

However, it is clear from the study of confidential documents from state organizations and from discussions with local scholars that, in private, governments accept that regional and ethnic identities, which are still evolving, remain a significant part of the complex jigsaw of relations in the region and must be taken into account when the policy is being formulated .because of the security dilemma in borders the Chines authorities treat with the Uyghur question with security procedures, that's mean incorporated them with forcibly means.

KEY WORDS: Uygur, Islam in China, Containment

المقدمة:

يؤدي الاختلاف الديني أو العرقي دوراً كبيراً في إثارة مكامن الصراعات العرقية والاثنية وذلك إذا ما توفرت الارضية الخصبة لإذكاء عوامل الصراع ولم تتوفر الادارة الناجحة التي تتمكن من ادارة سبل الاختلاف والتنوع بشكل يفضي لمخرجات سليمة وهو ما يؤدي لتأزم في العلاقة بين الحكومة والاقليات العرقية أو الدينية الموجودة داخل البلاد، وإذا ما تم تداخل بين ما هو داخلي وبين ما هو اقليمي بمعنى أن يكون للأقلية العرقية والدينية امتداد سكاني خارج حدود الاقليم الذي تقطن فيه، ومن هنا تتولد الازمة، والتي قد تلعب عوامل دولية دوراً كبيرا في تأجيجها أو تلعب على وتر اشعالها واستغلال مخرجاتها لضرب البلد الام الذي يتهم بعدم

احترام الحقوق الدينية والثقافية للأقليات أو انتهاك وجودها وكيانها المتمايز عن المجموع، ولعل تداخل العوامل الداخلية والاقليمية والدولية يظهر بشكل بارز في قضية مسلمي الايغور في الصين وهو موضوع البحث.

يعد مسلمو تركستان الشرقية والمعروفين باسم الايغور أكبر مجموعة عرقية متمايزة في الصين وذلك لاختلافها عرقياً ودينياً عن الاغلبية المهيمنة في البلاد وكان لطبيعة الدور والتأثير الذي مارسته هذه المجموعة في حياة المسلمين في تلك الرقعة الجغرافية تأثير كبير على مديات حضورها ومن ثم الاهتمام بها بعدما اضحت جزءا من جمهورية الصين الشعبية واغلقت بستار قوي من التعتيم الاعلامي وحظر لممارسة النشاط الديني والثقافي.

لعبت عوامل تاريخية وجغرافية دوراً كبيرا في رسم معالم الهوية الايغورية المعاصرة

لقد لعبت عوامل تاريخية وجغرافية دوراً كبيرا في رسم معالم الهوية الايغورية المعاصرة والتي جعلتها كما ذكرنا انفاً متميزة ومختلفة عن الهوية الصينية التي تحاول الحكومة فرضها بالاستناد ايضا إلى أدلة تاريخية تواءمت مع الحقبة التي هيمنت فيه الصين في عهد الاباطرة على هذه المنطقة، كما لعبت الموارد الطبيعية وطبيعة المنطقة التي تمثل منفذ الصين على منطقة اسيا الوسطى دوراً كبيراً في التضييق على مقومات الهوية الايغورية والتي أضحت مرتبطة بالإسلام السياسي بدرجة كبيرة سيما في العقود الأخيرة.

إن الفرضية الاساسية التي يتمحور حولها البحث تتجلى بالكيفية التي نظر بها مسلمو تركستان الشرقية للحكومة الصينية والتي كانت جزءاً من نظرتهم لمؤسسة الحكم في الصين منذ قرون خلت، وكيف تعاملت الحكومة الصينية بالمقابل مع المسلمين فهل سعت لإدماجهم قسراً في المجتمع الشيوعي الصيني أو انها استوعبت اختلافهم وتمايزهم العرقي والديني وعدم تقبلهم للفكر الشيوعي وسمحت لهم بقدر لا بأس به من التمايز عن قطاعات كبيرة من فئات الشعب الصيني،

واما الاشكالية الخاصة بالبحث فتستند على إثارة جملة من الاسئلة منها ماهية العلاقة التي ربطت المسلمين بالحكومة الصينية وهل كانت علاقة تقوم على الانسجام أو التوتر؟ وكيف تعاملت الحكومات الصينية المتعاقبة مع الوجود الاسلامي في البلاد وهل كان هذا الوجود بمثابة إثراء وغنى للثقافة الصينية أم عامل غذى طابع التعصب لدى الطرف الاخر ودفعه لاتباع سياسات تقوم على العنت والاضطهاد وسلب حقوق المسلمين؟

وفي إطار هذه العلاقات كيف رعت الصين تفاعلها مع العالم الاسلامي ومع البلدان التي يشترك سكانها عرقياً مع الايغور وهم شعوب آسيا الوسطى، وكيف اثر تعاملها مع مسلمي الايغور على طبيعة النظرة اليها كدولة شمولية متعددة الاعراق والاديان؛ وكيف اثرت مثل هذه النظرة على سمعتها ودورها الاقليمي والعالمي المتعاظم في العقود الاخيرة.

ما هي الاليات الدفاعية التي انتهجها المسلمين في الصين كأقلية للحفاظ على هويتهم المتميزة والمتمايزة عن الأغلبية وما هي الافكار القومية والسياسية التي تبنوها طيلة عقود من تأسيس الحكم الشيوعي في الصين، وما هي المشاريع السياسية التي يسعون لتحقيقها في ظل وجود دولة قوية شمولية إن كان لهم أصلا مشاريع سياسية، وما طبيعة العلاقة التي تربطهم بمحاولات تركيا إحياء الهوية الطورانية لجميع الاتراك خارج الوطن التركي؛؟

لابد من القول إن المنهج المتبع في البحث هو المنهج التاريخي والذي يستند على تبيان الجذور التاريخية للعلاقة التي ربطت مسلمي الايغور بالسلطات القائمة في الصين وطبيعة هذه العلاقات ومدى ما انعكس من تأثيراتها سلباً أو ايجاباً على المسلمين.

بين يدي البحث:

تعد الصين موطناً لما يقارب الخمسين مليون مسلماً موزعين على مجموعتين أساسيتين هما (Hui) والايغور الموجود في المنطقة الحدودية الشمالية الغربية المتاخمة لآسيا الوسطى والتمييز بين هاتين المجموعتين ضروري لفهم طبيعة العلاقة بين الحكومة الصينية والمسلمين وكيفية تبلور هوية مسلمة صينية، تسعلا للاندماج بالهوية الصينية الجامعة، ومثل هذه الرغبة بالاندماج يبدو واضحاً عن أبناء مجموعة (Hui) أكثر من الايغور بحكم وجودهم في أكثر من مكان في الصين فلا وجود لطرف قصي حدودي يمثل كيانهم القومي واللغوي كما هو الحال مع الايغور، ولابد من التذكير بحقيقة تاريخية وهي إن تبلور الهوية الصينة لدى المسلمين الصينيين لم يأتِ بطريق معبد بالورود وانما جاء بعد صراعات دموية حادة بين العرقً الغالب والسائد في الصين (Han) وكذلك المسلمين، والذي لم تُحل بعض فصوله المعقدة حتى الوقت الحاضر، وقد يكون القادة الشيوعيين في الصين الاكثر قدرة على تفهم العلاقات المعقدة التي ربطت بين المسلمين ككل وبين الحكومات المتعاقبة في الصين إذ اتبعت سياسة تقوم على الانفتاح على المسلمين من مجموعة دون اخرى وربطت النشاط الديني والثقافي بأجهزة الدولة وقيدت نشاط الايغور لارتباط هويتهم الدينية برغبات انفصالية تؤدي الى تقويض وحدة الصين وتدخل قوى خارجية في شؤونها الداخلية.

إن تبلور الهوية الصينة لدى المسلمين الصينيين لم يأتِ بطريقٍ معبد بالورود وانما جاء بعد صراعات دموية حادة بين العرق الغالب والسائد في الصين (Han) وكذلك المسلمين

نبذة تاريخية عن الاسلام في الصين:

تستند الروايات التاريخية للمسلمين في الصين لما يشبه الاسطورة بدخول سعد بن أبي وقاص الزهري القرشي للصين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أي بعد قيامه بفتح العراق ومن ثم توجه نحو الشرق و وصوله للصين وبنائه لواحد من أقدم المساجد الاسلامية فيها، وبطبيعة الحال لا يمكن التصديق بهذه الرواية أو تقبلها وعلى أي نحو، غاية ما في الأمر هي إن المسلمين يَسعون لربط

تاريخهم الديني بحقبة هي الأقرب لعصر الرسالة المحمدية، على إن الروايات الأقرب للحقيقة هي انتقال الاسلام لهذه البقعة من الأرض عن طريق التجار الفرس والعرب وذلك في عهد اسرة تانغ(617-907)، وعلى الرغم من وجود حالة من الصراع بين الدولة العباسية والصين على عهد أسرة تانغ والتي اسفرت عن اندلاع معركة تالاس فان العلاقات بين الامبراطوريتين سرعان ما عادت لطبيعتها وأضحى هنالك تبادل للسفراء وتم أرسال معونة عسكرية من العراقيين والفرس لميناء كوانزو الصيني لإخماد تمرد أريد به تقويض حكم الامبراطور سو تسونغ في العام 756 م، كما أسفر التعاون بين الامبراطورية العباسية والصينية عن مواجهة الطرفين للهجمات التي يقوم بها سكان التبت ضد مسلمي آسيا الوسطى ولقد أرسل هارون العباسي(766-809) ما يشبه البعثة الدبلوماسية والتي عملت في مقاطعة جانغان.[1]

إن الأسباب التي دفعت بالمسلمين من عرب وغيرهم للتجارة مع الصين هي السياسة التي اتبعتها سلالة تانغ والتي كانت تنحو منحى عالمياً في تعاملها مع جيرانها

ولابد من القول إن الأسباب التي دفعت بالمسلمين من عرب وغيرهم للتجارة مع الصين هي السياسة التي اتبعتها سلالة تانغ والتي كانت تنحو منحى عالمياً في تعاملها مع جيرانها ولا سيما على حدودها الغربية الأمر الذي دفع بالتجار المسلمين للقدوم والاستيطان ومباشرة شبكة من العلاقات مع المجتمع الصيني ومن ثم العمل على نشر الإسلام.

استوطن المسلمون في غوانزو وشيدوا مسجداً عرف باسم مسجد هايسنغ، والذي تعرض لحريق أتى على مبانيه في العام 1314 ومن ثم أُعيد تشييده في العام 1349-1351، ولقد بقيت مئذنة المسجد شاهداً حتى هذه اللحظة على وجود مسجد للمسلمين في هذه المدينة، ولقد وصل التجار المسلمون إلى الصين متبعين طريق الحرير وكان لهم تأثير كبير على اقتصاد الصين إذ انهم هيمنوا على التجارة الخارجية في عهد سلالة سونغ (960-1279) كما أضحت مفاتيح الاستيراد والتصدير في الامبراطورية الصينية حكراً على المسلمين ولا سيما فيما يخص تبادل السلع من جهتي الجنوب والغرب.[2]

ولم يكن من المستغرب أن يقوم الامبراطور شين تسونغ في العام 1070 بدعوة ثلاثة الاف وخمسمائة شخص من بخارى للقدوم والاستيطان في الصين، ولقد أستعان الامبراطور بالمسلمين البخاريين من أجل تدبير أمور الحملة العسكرية التي قادها الامبراطور ضد امبراطورية لياو في الشمال الشرقي من البلاد، ولقد أستوطنت هذه الجالية البخارية المسلمة فيما بعد بين مدينتي سونغ ويوشينغ وهي إحدى ضواحي بكين الحالية وكان الهدف من استيطانهم إيجاد منطقة عازلة بين الصين ولاو، واما في العام 1080 فقد استوطن الصين ما يقارب عشرة آلاف عربي وجدوا في الأقاليم الشمالية والشمالية الشرقية من الصين موطناً لهم.[3]

وكان التأثير الذي تركه المسلمون على الصين في تلك الحقبة كبيراً ولا سيما في المجال العلمي فلقد اشتهرت كتب الشيخ الرئيس ابن سينا وكتابه المهم القانون في

(1) Jiang Yonglin, The Mandate of Heaven and The Great Ming Code, University of Washington Press,2011,pp:86-87
وللمزيد من التفصيل ينظر : Fredrick Wakeman,The Great Enterprise, California University Press,Volume 1,The Manchu Reconstruction in Seventh Century,1986,pp655:

(2) David Atwill, Chines Sultanet,Islam, Ethnicity,and the Panthay Rebellion in Southwest China,Stanford University Press, 2005,pp:55-56

(3) David Robinson ,Empire Twilight, Northeast Asia Under Mongols, Harvard University Asia Center, 2009,p:315

الطب كواحد من المراجع الاساسية والمهمة في الطب والعلاج في الصين.[4]

وخلال هذه الحقبة برزت شخصية قيادية مسلمة عدت بمثابة الشخصية الرائدة للمسلمين في الصين وهو الامير سعيد والذي عد بمثابة الأب الروحي للمسلمين في الصين وكان يمارس بطبيعة الحال جملة من المهام الإدارية والدينية وكانت العلاقة بين الامبراطورية الصينية والمسلمين تتجلى بالسماح للمسلمين والايغور بإدارة التجارة والتمثيل الدبلوماسي في البلدان المسلمة واحترام خصوصيتهم الدينية ولابد من التذكير بان الصبغة الاسلامية لمسلمي الصين قد تلونت في تلك الحقبة بصبغة فارسية وذلك لاستيطان عدد كبير من التجار الفرس في موانئ الصين ومنها ميناء كوانزو وهو الامر الذي جعل السُلطات الصينية تستخدم جملة من المصطلحات الفارسية لتدل على المسلمين وذلك لوجود اغلبية فارسية منهم في المدن الصينية ولقد كان للتجار المسلمين اليد الطولى في مساعدة اسرة يوان في فتح المناطق الجنوبية من الصين والتي بقيت على ولائها لاسرة سونغ، وبقيت الاسرة الحاكمة في الصين محتفظة بعلاقات ودية مع المسلمين من ايغور وغيرهم ومنحتهم جملة من الحقوق المدنية والعقائدية واضحى لهم القدح المعلى في مجال الإدارة والتجارة الخارجية والتمثيل الدبلوماسي بل تراجعت للخلف مكانة الكُتاب من اتباع الديانة الطاوية والكونفوشيوسية، وبدا المسلمون والايغور تحديداً بإدارة جوانب مهمة من جوانب الحياة السياسية والثقافية في الصين وللدلالة على هذه المكانة فقد حكم المسلمون من الايغور ثمان من اصل اثني عشر مقاطعة من مقاطعات اقليم يوان خلال الحقبة التي تسلم فيها قبلاي خان الحكم واما المقاطعات الاربعة المتبقية فقد عمل فيها المسلمون الايغور في وظيفة نائب الحاكم.[5]

وكانت العلاقة بين الامبراطورية الصينية والمسلمين تتجلى بالسماح للمسلمين والايغور بإدارة التجارة والتمثيل الدبلوماسي في البلدان المسلمة

بعد لأي من الزمن أجبرت الامبراطورية الصينية عدداً كبيراً من مسلمي آسيا الوسطى للاستيطان في الصين وأوفدت عدداً كبيرا من الصينيين للعيش في آسيا الوسطى كجزء من محاولة تغيير ديمغرافي في الامبراطورية المترامية الأطراف ولقد بلغ عديد المسلمين في الصين نحو اربعة ملايين نسمة في مطلع القرن الرابع عشر.[6] ولقد قدم احد علماء الفلك الفرس في هذه الحقبة واسمه جمال الدين للإمبراطور قبلاي خان جملة من الأدوات الضرورية في علم الفلك وكان أي اختراع أو تطوير لحقل من حقول المعرفة في العالم الاسلامي مدعاة لان تقوم الصين باستجلاب العالم الذي اخترع وطور هذه الالة أو تلك وحثه على العمل في الصين والاستفادة من خبراته وعلمه، كما برع المعماري المسلم أمير الدين في تصميم عاصمة سلالة يوان دادو.[7]

ولم يكن من الممكن ان تستمر الاحوال الهادئة والهانئة بالنسبة للمسلمين والايغور تحديداً فقد قاد المسلمون الفرس والايغور ثورة ضد السلطات القائمة في جنوب فيوجان، ولقد قمعت هذه الثورة بقسوة بالغة وأثرت على الوضع الخاص

(4) Angela Schottenhammer(editor), The East Asiancrossroads, Culture, Commerce and Human Migration, Harrassowitz Verlag Wiesbaden,2008,p:138

(5) Barbara L.K. Pillsbury (1981) Muslim history in China: a 1300-year chronology, Institute of Muslim Minority Affairs. Journal, 3:2, 1

(6) Hossisa Ali Exhibition: Islam in Asia: Diversity in Past and Present: The Silk Road & Islam Spread, Cornell University, 2019,pp:9-11: ,

(7) Reid, Anthony (2015). A History of Southeast Asia: Critical Crossroads. Blackwell History of the World. John Wiley & Sons. p. 102

بالمسلمين بشكل كبير، وتراجعت بعد هذه الثورة وإلى حد كبير مكانة ميناء كوانزو كميناء رئيسي ومهم في الحياة الاقتصادية الصينية.[8]

ولقد تراجع ومنذ تلك الحقبة العصر الذهبي للمسلمين في الصين وذلك بعد أن بدأ الخطر المغولي يهدد الصين وآسيا برمتها فمع قيادة **جنكيز خان** لجحافل من القبائل البدائية والرعوية وهيمنته على عاصمة الامبراطورية الصينية بدأ بالتضييق على كل من المسلمين واليهود وذلك عن طريق منعهم من تأدية الطقوس الخاصة بالختان وكذلك الذبح الإسلامي واليهودي ودفع معتنقي الدينيين لأداء طقوسهم سراً، ولقد عدهم عبيد ارقاء للجيش المغولي، ولقد أدى الفساد والاضطهاد الذي عانى منه المسلمون والايغور بنحو خاص في تلك الحقبة إلى اتباع المسلمين وسائل عنيفة للحصول على حقوقهم وهو الأمر الذي دفعهم للثورة واقتدى بهم الصينيون الكارهين للهيمنة المغولية حتى إن مؤسس اسرة مينغ زهاو يونازونغ استعان بعدد كبير من القادة المسلمين في حربه ضد المغول الامر الذي مكنه من دحر المغولً وتحرير الاراضي الصينية وهو ما جعل الصينين يعرفون الايغور والمسلمين في الصين باسم القِلاع لشدة مراسهم في الحرب ومقارعة الهجمة المغولية.[9]

تراجع ومنذ تلك الحقبة العصر الذهبي للمسلمين في الصين وذلك بعد أن بدأ الخطر المغولي يهدد الصين وآسيا

(8) Robinson, David M. "Eight The Ming Court and the Legacy of the Yuan Mongols" (PDF). Culture, Courtiers and Competition: The Ming Court (1368–1644). Harvard University Asia Center. p. 384

(9) LOS Angles Times,-June,23,2008..9 L Tibet-an-Muslim tensions roil China,. BARBARA DEM-ICK

هنا يمكن القول إن العلاقة بين المسلمين والأباطرة الصينيين كانت تتأثر ولحد كبير بالموقف الشخصي للإمبراطور من ظاهرة التعدد الديني في البلاد ومن المواقف التي تمر بها البلاد من هجمة أو غزو خارجي يقتضي توحيد جميع الجهود لمواجهة هذا الغزو وبالتالي لم تتبلور حتى تلك الحقبة نظرة موحدة او موقف موحد تجاه التعامل مع المسلمين بحيث يمكن القول بآن مثل هذا الموقف كان موقفاً ثابتاً وموحداً لحد كبير.

ومع استيلاء سلالة يًوان على الحكم أي في مطلع القرن الرابع عشر بدأ نظام الحكم باتباع سياسات معادية للمسلمين وبدأت الحقوق والامتيازات التي كانوا يتمتعون بهًا سابقاً بالاختفاء والتلاشي ولقد تم في العام 1340 اجبارهم على اتباع التعاليم الكونفوشيوسية ولاسيما في مجال طقوس الزواج وفرض على رجال الدين المسلمين منذ العام 1340 دفع ضرائب كونهم يمثلون ديناً أجنبياً وفد إلى الصين وقد تم تقليص السلطات والصلاحيات التي يتمتع بها القضاة المسلمين وهو الأمر الذي دفع المسلمين للانتفاض واعلان الثورة ابتداء من الاعوام 1307-1367، وكانت كوانزو هي ميدان هذه الانتفاضات والثورات والتي لم يكتب لها بأي حال من الاحوال النجاح والاستمرار وذلك لأسباب تتعلق بالانقسامً والتناحر داخل صفوف قياداتها وهو الامر الذي مكن القوات النظامية الصينية من محاصرتها ومن ثم دحرها.[10]

تم تقليص السلطات والصلاحيات التي يتمتع بها القضاة المسلمين وهو الأمر الذي دفع المسلمين للانتفاض واعلان الثورة

(10)SINO-PLATONIC PAPERS, October,2000,pp:14-16 Toh Hoong Tei,

ولم يكن الايغور في تلك الحقبة بعيدين عن الاحساس بالغبن والاضطهاد الامر

الذي دفعهم للانتفاض وذلك في العام 1765 وذلك بعد تعرض إحدى النساء الايغوريات للخطف من لدن حاشية حاكم الولاية وبدلاً من ان تعالج السلطات الرسمية حادث الاختطاف بروية وتعقل اتهمت المسلمين بإثارة القلاقل والفتن الامر الذي جعل الامبراطور يصدر امراً يقضي بإعدام كل الرجال المسلمين في القرية التي اختطفت فيه الفتاة المسلمة واسْترقاق النساء والاطفال.[11]

(11) ,James Millward, Beyond pass, Economy, Ethnicity, and Empire in Qing Central Asia,1759-1864,Stanfored University Press,1998,pp:220-221

بدأ المسلمون في الصين ومع تسلم سلالة (Qing) أو تشينغ[12](1644-1912) والتي كانت أخر سلالة ملكية حاكمة بتلمس معالم هويتهم كمواطنين صينيين ومسلمين في ذات الوقت ولقد رسخت هذه السلالة حدود الصين سياسيا وعدت هذه الحدود بمثابة حدود مقدسة غير قابلة للتجزئة أو التقسيم وفي ظل هذه السلالة نمت القواعد الأساسية لتعامل جهاز الحكم الصيني مع الاقليات العرقية والدينية.

نمت في أواخر القرن التاسع حركتين إسلاميتين ظهرت الأولى منهما في الجزء الشرقي من البلاد في حين ظهرت الثانية في الأجزاء الشمالية الغربية،

ومع الحقبة الملكية الاخيرة نمت طبقة متنورة وحداثية مسلمة وصفت بالاعتدال ضمت المثقفين ورجال الدين والتجار ورجال الأعمال وأمراء الحرب من زعماء التجمعات القبلية والموظفين الحكوميين سعت إلى ربط الاسلام مع القيم الحديثة مثل الإيمان بوجود دستور ينظم الحياة السياسية للبلاد والسعي للدخول في حلبة التطور الصناعي والزراعي والاقتصادي ونمو الروح القومية التي تعلو على الانتماء الديني.

(12) مزيد من التفاصيل عن سلالة تشينغ الحاكمة، ينظر: Richard Smith, Qing Dyansty and Traditional Chinese Culture, Rowmany& Littlefield, Maryland,2015,pp62-50:

لقد نمت في أواخر القرن التاسع حركتين إسلاميتين ظهرت الأولى منهما في الجزء الشرقي من البلاد في حين ظهرت الثانية في الأجزاء الشمالية الغربية، وكانت كل واحدة منهما مختلفة عن الاخرى في طروحاتها الفكرية وتطلعاتها وعلى الرغم من أن كلاهما استندا على المناداة بالعودة للقران الكريم والسنة النبوية الشريفة إلا انهما اختلفا في كيفية التعامل مع هذه الاصول الدينية وفي التأثر بمعطيات الثقافة الصينية بشكل خاص والحياة العصرية بشكل عام، وكانت الحركة الإصلاحية التي نشأت في الجزء الشرقي من البلاد أكثر تأثراً بالخط السلفي الذي يقوم على استلهام نصوص القرآن الكريم والسنة بدون أي إضافة من لدن الشيوخ ومحاولة تطهير العادات والتقاليد الاسلامية من أي مؤثرات خارجية وفي الوقت الذي كانت فيه المدرسة الاولى تسعى لانخراط المسلمين في البلاد بإجراءات التحديث والتمدن كانت الحركة الثانية أكثرُ ميلاً للانغلاق ومعاداة الآخر المختلف وتبني مفهوم الامة الاسلامية الذي يعلو على اي انتماءات وطنية أو قومية ضيقة، ولقد مهدت هذه المدرسة لظهور جماعات سياسية اسلامية متطرفة شكلت فيما بعد امتداداً لحركة الاخوان المسلمين وبدأت بتحشيد قدراتها التنظيمية والتي غدت عسكرية في حقبة الاربعينات وبرزت بشكل واضح أثناء مرحلة الاحتلال الياباني للبلاد ، ومثل هذا التوجه المعادي للآخر انعكس فيما على الموقف الذي تبناه الايغور والحركة

بدت الحركة الاسلامية المتنورة أكثر تأثيراً في مجال نشر التعليم الاسلامي في الصين

الاستقلالية التي تبنوها من اجل الانفصال عن الصين منذ منتصف القرن العشرين.

على الرغم من وجود مدرسة إقصائية للآخر بدت الحركة الاسلامية المتنورة أكثر تأثيراً في مجال نشر التعليم الاسلامي في الصين، و عدت هذه الحركة الاسلامية المتنورة في الصين بمثابة امتداد للحركة الاسلامية التحديثية التي كانت بذور أفكارها قد نمت منذ منتصف القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين وادت إلى جملة من التطورات السياسية والاجتماعية في العالم الاسلامي، وبالإضافة إلى تبني القيم الحديثة سعى المسلمون في الصين إلى تبيئة شروط الاندماج بالدولة الصينية الحديثة وكان التحول من النظام الامبراطوري إلى النظام الجمهوري في العام 1911 فرصة مناسبة لإيجاد خيارات أكثر عقلانية ساعدت المسلمين لان يكونوا مواطنين فاعلين في الحياة السياسية الصينية، وكانوا جزءا من تحالفات الصين مع بعض بلدان العالم الاسلامي.

وكان ترويج المدرسة الحداثية في الاسلام لمبادئ التعليم الحديث يعني اكتساب المسلمين للمعارف والعلوم الحديثة وعدم الانسلاخ في ذات الوقت عن هويتهم الدينية على ان تكون هذه الهوية الدينية مبنية على قراءة معمقة بشكل فردي للموروث الديني دون التمسك بأي اضافات من لدن شيوخ الدين في عصور خلت، وهو ما يعنيه التخلي عن القيم البالية والمتخلفة واكتساب هوية مسلمة منفتحة على المعارف والعلوم الحديثة والانخراط في بناء الهوية الوطنية الصينية.[13]

لقد شجعت بعض السياسات التي تبناها الاباطرة المتأخرون وكذلك مؤسسو الجمهورية الفتية المسلمين على البروز ككيان مستقل وجاء ذلك بعد انتشار القيم السياسة الحديثة والتي بدأ المسلمون في الصين بتبنيها إذ أعدوا أنفسهم للمطالبة بصين حرة يتمتعون فيها بشروط المواطنة الكاملة.

ولم يكن من المستغرب بعد أن تم الاعلان عن تأسيس الجمهورية الصينية أن يقوم قادة الجمهورية بالإعلان على إن كل ابناء القوميات الخمس المؤلفة للشعب الصيني وهم الهان والهوي(المسلمين) والمنغول والمانشو والتبتيين يتمتعون بحقوق وحريات متماثلة كونهم مواطنين في بلد واحد ولقد كان قادة الجمهورية قد عدوا المسلمين بمثابة قومية واحدة او مجموعة عرقية واحدة وهو الأمر الذي يُعد بمثابة مغالطة ذلك ان المسلمين ينقسمون لمجموعتين هما (Hui) والايغور، والايغور مختلفين عرقيا ولغويا عن الهوي في حين سعى المسلمين من المجموعة الاولى لعد أنفسهم ممثلين عن كل مسلمي الصين، وحتى عندما تشكلت الرابطة الاسلامية التقدمية في العام 1912 من لدن عدد من أمة المساجد في بكين وكانت أول جماعة تدعي تمثيل كل المسلمين في الصين واشترطت على قادة الايغور وزعاماتهم القبول بقيادة مسلمي(Hui) للرابطة، وكانت الفكرة الاساسية التي تؤمن بها الجمعية هي الايمان بمثل ومبادئ الجمهورية وبضرورة ايمان المسلمين بهويتهم الوطنية كصينيين.

والايغور مختلفين عرقيا ولغويا عن الهوي في حين سعى المسلمين من المجموعة الاولى لعد أنفسهم ممثلين عن كل مسلمي الصين

(13) Dru Gladey. "Making Muslims in China: Education, Islamization, and Representation". In China's National Minority Education: Culture, State Schooling and Development. Gerard A. Postiglione, ed., New York: Garland Press, 1999, 55-87.

ومثل هذه الحوادث تكررت وهو ما جعل مشاعر الايغور متقدة دائماً ضد السلطات الصينية.

ولم يكن حال المسلمين الايغور ومسلمي الصين بشكل عام في بداية تأسيس الجمهورية الصينية بأفضل حال من العيش في ظل حكم الاباطرة ولقد انقسم المسلمون بين مؤيد للنظام الجمهوري والذي وضع اسسه سن يات سن(1866-1925) في العام 1911والذي لقي ترحاباً وتأييدا من المسلمين ذوي النزعة الثورية في حين بقي المحافظون يميلون لحكم الاباطرة من اسرة تشينغ، لقد أعلن سن منذ الخطوات الاولى لإعلان الصين جمهورية بان كل مواطن صيني يولد بحقوق متساوية سواء كان من الهان أو الهوي أو المسلمين او المينغ والتي تعني شعب المغول وكذلك شعب التبت، ولقد أدت مثل هذه الروح إلى تحسن في العلاقات بين مختلف شعوب الصين ونهاية سلالة زينغ وزيادة في اطر العلاقات بين الشعب الصيني ومختلف شعوب العالم الامر الذي كان شبه مغلقاً او مقيداً لدى السلالات الحاكمة السابقة، ومع فتح الأبواب المغلقة لسور الصين زادت صلات الوصل بين مسلميها ومسلمي العالم ولا سيما منطقة الشرق الاوسط وزادت الفرص المتاحة للمسلمين للسفر للديار المقدسة بقصد الحج بين عامي 1923 وحتى العام 1939 كما درس ما يقارب 33 طالباً صينياً في الازهر الشريف وتأسست في العام 1912 عصبة الاتحاد الاسلامي الصيني في بانغ ومن ثم افتتحت فروعاً لها في بكين في العام 1922 ومن ثم شنغهاي في العام 1925.[14]

وتطورت العلاقات الثقافية والاكاديمية بين مسلمي الصين وبلدان العالم الاسلامي فلقد تأسست أكثر من دورية اسلامية وما يزيد عن(100) جريدة ذات طابع اسلامي في الحقبة الممتدة بين عامي 1911 وحتى العام 1937، وعلى الرغم من انَ لينيزيا بقيت مركزاً للفاعليات والنشاطات الدينية فان المسلمين بدأوا بنقل نشاطاتهم الثقافية لبكين.[15]

ولقد قدر عديد المسلمين في الصين في مطلع القرن العشرين بحوالي 20 مليون مسلمٍ صيني، و واجه المسلمون والايغور كما واجه الشعب الصيني برمته مرحلة سوداء بعد العام 1939 وذلك حينما غزت القوات اليابانية البلاد والتي اتبعت سياسة الارض المحروقة وسعت لتدمير عدد كبير من الشواخص الحضارية في الصين ومنها مساجد المسلمين حتى وصل عدد المساجد التي دمرها الاحتلال الياباني لنحو(220) مسجداً وتم قتل عدد كبير من المسلمين من المتعاونين والمشاركين في عمليات المقاومة الشعبية، لقد دفعت ظروف الاحتلال الياباني اعداداً كبيرة من المسلمين لان يكونوا مهاجرين ومطاردين في بلدهم بعد فقدانهم المأوى والمسكن والعمل، ولعل ما كان أفظع وأبشع بالنسبة للمسلمين هو اجبارهم على امتهان اعمال تتناقض تماماً مع التزامات الشريعة الاسلامية فلقد احيلت المساجد

قدر عديد المسلمين في الصين في مطلع القرن العشرين بحوالي 20 مليون مسلمٍ صيني

(14) Jonathan Lipman Familiar Stranger, History of Muslims in Northwest China, University of Washington Press,1997,pp:265-266,

(15) Ibid

لاماكن يتم في داخل أروقتها ذبح الخنازير واستغلال ما لدى المسلمين من ماشية لإطعام جنود الاحتلال واجبار الفتيات على ممارسة البغاء مع الجنود أو خدمتهم في الثكنات العسكرية، ولقد أدت مثل هذه الافعال الشنيعة إلى زيادة رغبة المسلمين في الانخراط في صفوف المقاومة الشعبية والتصدي لقوات الاحتلال ولقد لعب قادة مسلمون دوراً كبيراً ومؤثراً في قيادات الجيش الصيني الوطني واحراز انتصارات في المناطق ذات الاغلبية المسلمة والتي وجدوا فيها بطبيعة الحال قدراً كبيراً من التأييد والمساندة المادية والمعنوية، ولم يكن من المعقول ان يقف المسلمون باختلاف انتماءاتهم العرقية مع القوات الشيوعية التي كان يقودها ماو تسي تونغ إذ كانت مشاعرهم مع قوات الكومنتانج وحكومة الصين الوطنية واستهل المسلمون ومنهم الايغور علاقتهم مع الشيوعيين بجملة من الانتفاضات التي كانت تهدف لعرقلة المسيرة الشيوعية في السيطرة على الاراضي الصينية وذلك ابتداء من العام 1935 وحتى العام 1950.[16]

لعب قادة مسلمون دوراً كبيراً ومؤثراً في قيادات الجيش الصيني الوطني واحراز انتصارات في المناطق ذات الاغلبية المسلمة

(16),Edward Rhoads, Manchu and Han, Ethnic Relations and Political Power in late Qing dynasty and early Republic in China1861-1928, University of Washington press,2000,pp:192-195

لقد نمت قبل تأسييس جمهورية الصين الشعبية واستيلاء الحزب الشيوعي على الحكم جملة من العلاقات بين المسلمين والشيوعيين، ولعل من الضروري التوقف لديها قبل التعرض لموقف الحكومة الشيوعية من المسلمين بعد العام 1949.

لم يكن الحزب الشيوعي الصيني ولا الحركة الشيوعية في الصين على علاقة وطيدة مع الجماعات العرقية التي تشكل مجموع الشعب الصيني قبل تأسيس الجمهورية الشعبية ولقد اعلن الجيل الاول من قادة الحزب امثال جين دايزو(1879-1914) تمسكهم بالمبادئ اللينينية الخاصة بالتعامل مع القوميات ومنها الايمان بحق تقرير المصير حتى بالنسبة للجماعات القصية ومنها المنغوليين، ورسخ الحزب الشيوعي الصيني في مؤتمره الثاني والمنعقد في العام 1922 مبدأ احترام حقوق الجماعات القومية التي يتكون منها المجتمع الصيني وهم المغول والتبتيين والمسلمين والاعتراف بها كقوميات منفصلة وضمان ان يتمتعوا بحكم ذاتي في ظل وجود حكم اقطاعي صيني.

لم يكن الحزب الشيوعي الصيني ولا الحركة الشيوعية في الصين على علاقة وطيدة مع الجماعات العرقية التي تشكل مجموع الشعب الصيني

ولكن برزت فيما بعد أفكار وطروحات (لي داز هاو)(1888-1927)وهو أحد اباء الماركسية الصينية والذي دعا لاتباع سياسات أكثر استيعاباً للاختلافات القومية إذ آمن بضرورة وجود روح قومية صينية شاملة في التعامل مع الاختلافات العرقية أو الدينية الموجودة في البلاد لقد آمن وعلى نحو لا يتسرب اليه الشك بضرورة تأسيس نظام سياسي جمهوري وديمقراطي يضم كل الاعراق والجماعات القومية الموجودة في الصين والذين يؤلفون امة متجانسة موحدة، وهذا يستدعي بالنسبة اليه ضرورة اتحاد القوميات الخمس التي تشكل مجموع الشعب الصيني وعلى الارض التاريخية التي شكلت امبراطورية سلالة(Qing) تشينغ وكان وجود المسلمين ضمن هذه القوميات الخمس يمثل قضية شائكة بالنسبة لمثقفي الحزب الشيوعي

فمصطلح(Hui) يشير غالباً إلى المسلمين الموجودين في اقليم جيانج الجنوبي وهو ذات المفهوم الذي استخدمه سن يات سن في اشارته إلى المسلمين كأحد القوميات التي تؤلف مجموع الشعب الصيني.

لقد دلت الوقائع التاريخية على أن ما يندرج ضمن وصف الصينيين المسلمين(Hui) والذين يقطنون في الجزء الشرقي والجزء الجنوبي الغربي من الصين لا ينتمون إلى ما يطلق عليه اسم(Hui) إذ طور هؤلاء المسلمون في العقود الاولى من تأسيس الجمهورية سردية أثنية لتاريخهم ولمجتمعهم وشيئاً فشيئاً بدأوا يعدون أنفسهم كقومية مستقلة تعرف باسم(Huizu) وبدأ خطباء المساجد والائمة والمؤرخين برسم معالم مجتمع قومي منفصل ومستقل عن باقي الجماعات المسلمة الأخرى، وترك الخلاف حول تحديد انتماء مسلمي الصين لجماعة قومية أو انتماءهم للعرق الصيني السائد تأثيرات على الصراع الذي تلى وفاة مؤسس الجمهورية بين حزب الكومنتانج بقيادة تشاي كاي شيك(1887-1975) والحزب الشيوعي الصيني.

بقي الحزب الشيوعي الصيني في السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الاولى مؤمناً بان الوجود الاسلامي في الصين والقضية الاسلامية تمثل واحدة من القضايا الشائكة التي تواجه البناء القومي في البلاد ولم يكن لدى الحزب أو مثقفيه دراية واسعة بالانقسامات الموجودة لدى المسلمين من الناحية العرقية أو المذهبية ولم يتم التمييز بين الدين والعرق بالنسبة لمسلمي الصين سواء في المؤتمر الذي عقده الحزب في موسكو في العام 1928 او في تبنيه لدستور العام 1931والذي ربط فيه بين قومية(Hui) والدين الاسلامي وكان موقفه يعكس عدم احتكاكه تماماً مع المسلمين كوجود بشري أو فكر ديني أو معتقد.

بدأ الشيوعيون يشعرون بضرورة التعامل والتفاعل مع قضايا المسلمين في الصين سيما بعد أن اضطرتهم ضربات حزب الكومنتانج الموجعة للتراجع للحدود الجنوبية للبلاد وهو ما جعلهم في تماس مباشر مع المسلمين لأول مرة واضحت القضية الاسلامية ومشاكل المسلمين تحظى باهتمام الشيوعيين وقادة الحزب، وفي الوقت الذي كان فيه الحزب يرى بان عقائد القبليين في الجزء الجنوبي الغربي من البلاد ليست سوى مجموعة من الخرافات والاساطير، فانه واجه مع المسلمين عقيدة توحيدية ودياناً ابراهيمياً وحينما اجتازت القوات الشعبية مناطق المسلمين في ميناء كوانزو (وزيناهي) أصدر الحزب جملة من التعليمات التي أراد منها ضمان حصوله على تعاطف المسلمين وتأييدهم للحزب وكفاحه السياسي وعرفت هذه التعليمات باسم توجيهات للعمل السياسي في المناطق المسلمة، وتم وضع برنامج العمل هذا في ايلول من العام 1935، ولقد وجه البرنامج القيادات الشيوعية بالتفاوض مع ائمة المساجد وتبيان ان القوات الشعبية ترمي لتحرير البلاد من اليابانيين وامرت اعضاء الحزب باحترام المسلمين وعقائدهم الدينية وتقاليدهم

بدأ الشيوعيون يشعرون بضرورة التعامل والتفاعل مع قضايا المسلمين في الصين

الاجتماعية وطقوس حياتهم الخاصة ومنعت افراد الجيش الشعبي من الدخول للمساجد او مس نسخ القرآن الكريم وتحريم أكل لحم الخنزير في قرى المسلمين والعمل على الترويج لمبدأ المساواة بين مختلف قوميات ومكونات الشعب الصيني وهو ما يدل على أن الحزب الشيوعي عامل المسلمين كقومية، وطالب اعضائه باحترام مبدأ الملكية الخاصة للتجمعات المسلمة في البلاد، وتجنب العمل على انشاء مجلس سوفييت لأي مدينة أو اقليم تدخله قواته متجنباً اثارة المشاعر السلبية للمسلمين بشأن تجريدهم من ملكياتهم او اقامة نمط انتاجي على الطراز الشيوعي، لقد آمن الحزب بان معاملة المسلمين كمجموعة اثنية سيؤدي لتعاطف كبير مع الحزب وكفاحه السياسي ولكن أثبتت الحوادث التاريخية بان جهود الحزب هذه لم تأت بنتائج مثمرة فقد بقي المسلمون يرون في الحزب بأنه حزب الحادي تتناقض مبادئه مع العقيدة الاسلامية وان جل ما يفعله أو يدعيه من احترام للعقيدة الاسلامية انما هو وسيلة مرحلية ترمي للحصول على تعاطف المسلمين ليس إلا، إذ كان الحزب وقواته الشعبية ترى في المسلمين لا سيما في اولئك القاطنين في الجزء الشمالي الغربي من البلاد مقاتلين اشداء بإمكانهم تغيير مسارات ونتائج الحرب إذا ما وقفوا مع الشيوعيين في حين كانت مشاعر المسلمين تتجه نحو تأييد الحزب الوطني وقواته وهو ما شكل هاجساً مخيفاً امام الشيوعيين وعرقل تقدمهم نحو الاجزاء الشمالية من البلاد.[17]

أن الحزب الشيوعي عامل المسلمين كقومية، وطالب اعضائه باحترام مبدأ الملكية الخاصة للتجمعات المسلمة في البلاد

(17) Lipman, Jonathan , Familiar Strangers. A History of Muslims in Northwest China, Seattle, University of Washington Press,1997,p:144

وعلى الرغم من هذه النتائج المحبطة لآمال الحزب الشيوعي وقادة الجيش الشعبي فان امالهم بان يقف مسلمو الصين إلى صفهم لم تفتر أبداً وعلى هذا الاساس فقد وعد الحزب المسلمين من (Hui) بمنحهم منطقة حكم ذاتي تتبع لها أي منطقة محررة يتواجد فيها المسلمون في الاقاليم الشمالية والغربية وعدت مثل هذا الوعد بمثابة تحفيز للمسلمين لمواجهة قوات الحزب الوطني والقوات اليابانية التي تحتل البلاد، وضمن الحزب في الوقت ذاته بان يكون مشروع الحكم الذاتي هذا جامعاً لكل الطبقات والفئات التي يتكون منها المجتمع المسلم ومنها التجار ورجال الدين والمحاربين أي لم يقصره على العمال والفلاحين استجابة منه للأوضاع الاجتماعية السائدة في المجتمع المسلم في تلك الحقبة، وبدأ الحزب ولأول مرة بتشخيص العناصر المسلمة المتعاونة معه والعناصر التي عدها بمثابة قوى رجعية معارضة لأفكار وتطلعات الحزب والحركة التقدمية بشكل عام، وقدم الحزب توجيهات تسعى لان تكون خطب صلاة الجمعة أكثر توجها نحو التحرر واقحام موضوعات سياسية تصب في نهاية المطاف لمصلحة الحزب وحربه ضد القوى الرجعية وهو ما شكل بداية لتدخل حزبي في شؤون دينية ترسخ فيما بعد حينما هيمن الحزب والفكر الشيوعي على مقاليد الحياة السياسية والثقافية في الصين.

ولم ينس مؤسس الصين الحديثة ماو تسي تونغ(1893-1976) اثارة مشاعر المسلمين والتودد لهم وذلك في الخطاب الذي ألقاه في ايار من العام 1936 حينما دعاهم كأخوة أحباء إلى استلهام الانموذج التركي كبلد مسلم يسير في طريق الحداثة والتقدم وانهم كمواطنين صينيين يواجهون خيارين اما الموت وهو الخضوع والاستسلام لإرادة الامبريالية العالمية او النصر وهو ما يعني العيش بظل حياة تقوم على العدالة والحرية والاستقلال الكامل، ولقد خاطب ماو المسلمين بصفتهم القومية(Hui) وهو ما يؤشر فشل القيادة الشيوعية وعلى اعلى المستويات في إدراك تكون المسلمين في الصين من مجموعات عرقية ولغوية مختلفة ومتنوعة بل ان ماو خاطب المسلمين في العالم بالصفة القومية الصينية وعدهم واحداً من الشعوب المقهورة والمضطهدة في العالم.[18]

مزيد من التفصيل حول (18) حياة وأفكار ماو تسي تونغ، ينظر: Jonathan Fenby, Modern China, The Fall and Rise of Great Power,1850 to present,pp200-195:

وعلى الرغم من كل هذه الجهود التي بذلها الحزب الشيوعي وقيادته فانه لم يتمكن من الحصول على تأييد عدد كبير من المسلمين حتى لفكرة منحهم حكماً ذاتيا في الأجزاء الشمالية الغربية من البلاد، ويبدو إن قيادة الحزب الشيوعي لم تستطع إدراك التطلعات الحقيقية للمسلمين من قومية(Hui) فلم يكن الحكم الذاتي على أسس جغرافية مما يستهويهم أو يدور بأذهانهم ذلك أنهم احتفظوا وعلى الدوام بعلاقات اقتصادية وثيقة مع المحيط المجاور لهم رغم كل الاختلافات الدينية والعرقية بل كانوا هم المهيمنين في هذه العلاقات والروابط، وجل ما كانوا يرومون لتحقيقه هو الاستقلالية الثقافية بمعنى ان تتم صيانة حقوقهم الثقافية والدينية.

دفعت شراسة الاحتلال الياباني و وحشيته الشعب الصيني بجميع تياراته السياسية إلى توحيد الصفوف والتجاوز عن الاختلافات السياسية والعقائدية

دفعت شراسة الاحتلال الياباني و وحشيته الشعب الصيني بجميع تياراته السياسية إلى توحيد الصفوف والتجاوز عن الاختلافات السياسية والعقائدية وتم تشكيل جبهة موحدة في العام 1937 تواجدت فيها القوى الشيوعية مع القوى الاسلامية والقوى الوطنية ولعبت الجبهة الاسلامية للخلاص الوطني دوراً رئيسياً ومحورياً في تحشيد القوى الصينية بمختلف انتماءاتها من أجل مواجهة الاحتلال الياباني وكان المسجد الخاص بمدينة ياونان الذي اضحى مقر عمليات جبهة الخلاص مقراً للقاء عدد كبير من القيادات الصينية ومنهم ماو تسي تونغ نفسه واصبح امام المسجد شاي دانغ شاو(1887_1951) مسؤولاً عن الخدمات الدينية في الجبهة المتحدة التي ضمت اليساريين والقوميين ولقد عرف هذا الامام باسم الامام الاحمر لآنه تولى في السنوات التالية مهمة الترويج للفكر اليساري وأصبح منسجماً مع خط الحزب الشيوعي الصيني، وامتدح السياسات التي كان الحزب يسعى لتحقيقها في المناطق ذات الغالبية المسلمة، ورغم ذلك فلم يلقى ترويجه لقضية الحكم الذاتي تأييداً كبيرا من المسلمين ذلك انه لم يكن يحظى أصلا بمكانة علمية كبيرة وسط شيوخ الاسلام فضلا عن أن يوانان لم تكن مقصداً لعدد كبير من المسلمين في الصين، رغم انها غدت بعد لأي من الزمن بمثابة محجة لعدد كبير من المفكرين

والمثقفين المنشقين عن الخط السياسي العام الذي حاول رسمه الحزب الشيوعي الصيني في المناطق المسلمة.[19]

الحقبة الشيوعية:

تم الاعلان عن تأسيس جمهورية الصين الشعبية وتحت مظلة الحزب الشيوعي الصيني في العام 1949 وكانت بداية الافتراق بين المسلمين ومنهم الايغور والحكم الشيوعي مع بدايات الاعلان عن الثورة الثقافية والتي أراد بها الحزب الشيوعي تدشين مرحلة جديدة من الافكار والمعتقدات التي يفترض أن تسود في المجتمع الاشتراكي وكانت العقبة الكؤود في نظر الحزب وجود جملة من المعتقدات الدينية ومنها بطبيعة الحال المعتقدات الاسلامية والتي تعد بمثابة معتقدات خرافية ذات صلة بمرحلة طفولة الجنس البشري، ولقد عدت مرحلة الثورة الثقافية بمثابة عقد أسود في تاريخ المسلمين في الصين فلقد تم تهديم عدد كبير من المساجد والمراكز الثقافية الاسلامية وكذلك الحال مع الكنائس والمعابد البوذية، واحرقت نسخ قديمة ونادرة من القرآن الكريم، وهو الامر الذي دفع المسلمين الايغور للانتفاض ضد الحكومة المحلية الشيوعية وكانت ثورتهم بمؤازرة باقي مسلمي الصين ولقد قمع الجيش الاحمر هذه الانتفاضة بشدة وقسوة متناهية إذ قتل ما يقارب الالف وستمائة مسلم وأبيد سكان قرى بأكملها، وبعد سقوط ما عرف باسم عصابة الاربعة قدمت السلطات الصينية اعتذاراً للمسلمين وابناء القرى التي ابيد عدد كبير من افرادها.[20]

دخلت العلاقة بين الحكومة الصينية والمسلمين مرحلة جديدة بعد العام 1978 أي بعد اتباع الحكومة سلسلة من الاصلاحات الاقتصادية والسياسية التي أريد منها التخفيف عن كاهل الشعب بقومياته المختلفة والتعويض عن المآسي التي رافقت العشرية السوداء الملازمة للثورة الثقافية، وكان من بين هذه الاصلاحات اتباع نوع من المزج بين الاجراءات الرأسمالية والاشتراكية والتي افرزت الغاء الدعم الصحي والذي انتقده مسلمو الايغور بشكل كبير وذلك لانهُ يحرمهم من الحصول على عناية صحية كافية سيما وان تركستان الشرقية تعد بمثابة منطقة نائية وحدودية ومن الصعب وصول خدمات صحية كافية ولازمة لأبنائها. ومع وصول دينغ زهاو بينغ(1904-1997) لرئاسة الحكومة الصينية في العام 1979 بدأت الحكومة باتباع إجراءات أقل تشدداً في التعامل مع الاختلافات العرقية وتم لأول مرة في ظل حكومة شيوعية احترام الخصوصية الدينية للمسلمين، فقد سمح لهم استخدام لغتهم الخاصة وتطوير تراثهم الثقافي وفنونهم التي اشتهروا بها، وممارسة عقديتهم بحرية، أي تطوير هويتهم الثقافية بمعزل عن الهوية الجمعية الشمولية التي حاولت الحكومة فرضها قبل عقدين من الزمن.

دخلت العلاقة بين الحكومة الصينية والمسلمين مرحلة جديدة بعد العام 1978 أي بعد اتباع الحكومة سلسلة من الاصلاحات الاقتصادية والسياسية

ولابد هنا من القول أن الحكومة الصينية بدأت منذ منتصف الثمانينات باتباع سياسة معتدلة مع مسلمي الصين بشكل عام آخذةً بنظر الاعتبار الانحدار العرقي

(19) ,Wlodzimierz Cieciura, The Crescent and the Red Star,.Hui Muslims and Chines Communism, in Historical Perspective, Ročník IV / číslo 1 / 2014,pp:10-12.

(20) للتفصيل ينظر: Michael Dillon,Xinjiang, China Muslims far Northwest, New York, Routledge Cruzon,2004,pp:77-81

واللغوي لهم فلم تكن الطقوس الدينية او التعليم الديني ذو خطر على السلطة ما لم يلازمه رغبة حثيثة بالانفصال السياسي او تحوير الشعارات الدينية لغطاء لأهداف سياسية.

ولابد من القول إن الحكومة الصينية قد اتبعت طبقاً لمثل هذا التمييز مناهج وأساليب مختلفة للتعامل مع الايغور مقارنة بباقي مسلمي الصين ويعود بذلك بدرجة كبيرة لكون المطالب الخاصة بالايغور لا تندرج باطار المطالب الدينية البحتة وانما ترتبط برغبة حثيثة بالانفصال وتكوين دولة مستقلة، ولقد ظهر مثل هذا التمايز في التعامل حتى عندما ظهر كتاب تم فيه انتقاد طقوس الزواج وتقاليده عند المسلمين عاملت السلطات الصينية المسلمين من غير الايغور بشفافية في الوقت الذي اعتقلت فيه الناشطين من الايغور الذين تظاهروا لذات السبب، وبذلك حاولت السلطات الصينية إظهار تعاملها مع المسلمين على انه تعامل قائم على احترام الخصوصية الدينية لهذه الفئة من الشعب الصيني، واحيانا اللعب على وتر التمييز بين المسلمين(Hui) من جهة والمسلمين الايغور من جهة أخرى، والذين كانت علاقتهما يشوبها قدر كبير من عوامل الكراهية والرغبة بالانتقام، حتى أنها ميزت المسلمين (Hui) بمزايا دفعت لزيادة نموهم السكاني مقارنة بالايغور إذ بلغ عند(Hui) حوالي 4,4% سنوياً في الوقت الذي كان فيه لدى الايغور1,7%، ولقد ولدت هذه الزيادة السكانية لدى المسلمين من غير الايغور عوامل من الحنق والكراهية بين الايغور وغيرهم من مسلمي الصين والتي لم تكن أصلاً بدون وجود مقدمات تاريخية، إذ لم ينسَ الايغور الدور الذي لعبه الهو المسلمين في معركة كاشغر في العام 1934 حينما قاموا بقتل 8,000_2,000 الاف ايغوري وهو ما دفع ب(Hui) إلى مغادرة المناطق التي قطنها الايغور بعد نهاية الحرب وبعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية، ولم يتعاطفوا البتة مع أي مطالب انفصالية للايغور إذ عدوا مثل هذه المطالب بمثابة فتح باب لصراع عرقي طويل الامد في منطقة شرق آسيا ومثيرة لصراعات عرقية لدى بلدان مجاورة.[21]

إن الحكومة الصينية قد اتبعت طبقاً لمثل هذا التمييز مناهج وأساليب مختلفة للتعامل مع الايغور مقارنة بباقي مسلمي الصين

(21) Michael Dillon Chinas Muslims Hui, Community, Migration ,settlement and sect ,Psychology Press,1999,pp:101-105

يمكن القول إن الاسلام كديانة معترف بها في الصين تحظى وكذلك المسلمين الصينيين بقدر عال من الاحترام والسماح بحرية ممارسة الشعائر والطقوس الاسلامية ولم تمانع الحكومة في العقود الاخيرة من تأسيس روابط وجمعيات اسلامية عملت على توزيع خدماتها في مختلف المدن والاقاليم التي تضم غالبية اسلامية وبغض النظر عن الاصول الاثنية والعرقية للسكان، ويتمتع المسلمون في الصين بحرية دينية واعتقادية ولا تنظر لهم الحكومة بحسب ما هو معلن أي نظرة عدائية، ولكن المشكلة الاساسية تكمن في العلاقة المتوترة دوماً بين الحكومة والايغور، ففي اقليم جيانج غير المتفق على تسميته بين السلطات

إن الاسلام كديانة معترف بها في الصين تحظى وكذلك المسلمين الصينيين بقدر عال من الاحترام والسماح بحرية

الرسمية والسكان يتم تقييد أي نشاط يقوم به الايغور وذلك لاعتبارات عرقية إذ ان الايغور ينتمون لعرق وثقافة تختلف تماماً عن العرق والثقافة السائدين في الصين وهنا تكمن العُقدة في العلاقة، فحلم تأسيس دولة منفصلة في اقليم تركستان الشرقي كما كانت موجودة لحقبة محدودة في بداية عقد العشرينات لا يزال يداعب خيال الكثيرين من الايغور، كما بدأت السلطات الصينية بالتخوف من أي نزعة انفصالية سيما بعد انهيار الاتحاد السوفييتي في كانون الاول من العام 1991 سيما وأن هنالك امتداد عرقي واثني للترك الايغور في جمهوريات اسيا الوسطى التي استقلت عن الاتحاد السوفييتي تباعاً رغم ان السلطات الرسمية في جمهوريات مثل كازاخستان واوزبكستان وطاجيكستان قد أعلنت صراحة بعدم نيتها بالتدخل بالشأن الداخلي الصيني وعدم مساندة أي نزعة ترمي لتقويض الوحدة الوطنية الصينية.

لقد بدأت الحكومة الصينية تخشى وعلى نحو متزايد اي نمو للنزعة القومية الانفصالية في اقليم تركستان الشرقية والذي عرفته باسم اقليم جينانج وذلك بتأثير الآراء والاتجاهات المتطرفة والتي يمكن ان يكسبها مسلمو الاقليم نتيجة تأثرهم بنظرائهم من مسلمي آسيا الوسطى والذين يشتركون مع الايغور في الدين واللغة.[22]

(22) .Donald Daniel Leslie, The Integration of Religious Minorities in China: The case of China Muslims, Fifty nineth George Ernest Morrison Lecture in Ethnology,1998,pp:23-24

لقد راعت الحكومة الصينية مشاعر المسلمين في الصين حينما حلت سنة الخنزير في التقويم الصيني فلم تقم باحتفالات صاخبة متجنبة أي اثارة للمشاعر الاسلامية المتعلقة بقذارة هذا الحيوان، ولكنها وفي الوقت ذاته تعاملت بشكل مختلف تماماً مع المسلمين طبقاً لانتمائهم العرقي والمناطقي فالمسلمون الصينيون من عرق(Huei) كانوا قادرين ومنذ عقد الثمانينات من التعبير عن هويتهم الدينية وبناء مساجدهم وتجديد المتهالك منها وكذلك السماح لأطفالهم بارتياد المساجد وتلقي التعليم الديني، في الوقت الذي كانت تطبق فيه إجراءات أكثر تشدداً تجاه الايغور فلقد تم إستبعاد مدارس الايغور من أي دعم أو مساندة حكومية وذلك بسبب نزعتهم الانفصالية وامتزاج المشاعر الدينية بالمَشاعر العرقية في أي توجه ثقافي لهم.[23]

راعت الحكومة الصينية مشاعر المسلمين في الصين حينما حلت سنة الخنزير في التقويم الصيني فلم تقم باحتفالات صاخبة

(23).A.c.s.Peacock(editor) Islamisation Comparative Perspective from History, Edinburg University Press, 2017,pp:425-428

(24) Anthony Reid,A History of Southeast Asia, Critical Crossroads, Wily Blackwell, 2015,pp:394-395

وعلى الرغم من أن التعليم الديني للأطفال محرم في أغلب المدارس الصينية في البلاد إلا ان الحكومة الصينية تعاملت بشكل مختلف مع المسلمين فسمحت لأطفال المسلمين بتلقي التعليم الديني وإكمال الدراسة الثانوية في مدارس دينية بتوجيه أئمة مختصين، وبالطبع مثل هذه الامتيازات لم يكن ليتمتع بها الايغور في اقليم جيانج.[24]

فالجماعة العرقية هي تلك الجماعة التي تتميز بجملة من الخصائص البيولوجية واللغوية والنفسية والتي تجعلها بمثابة جماعة متميزة عن الجماعات الأخرى

كما سمحت الحكومة الصينية للمسلمين الهوي وفي مختلف اصقاع البلاد بممارسة الصوم اثناء حلول شهر رمضان المبارك وكذلك ادائهم لمناسك الحج وسمحت للنساء بارتداء الزي الاسلامي، ومثل هذه الحرية المتاحة للمسلمين الصينيين لم ينل منها الايغور سوى نزرٍ يسير.

ولعل من المناسب هنا قبل الدخول في التفاصيل الخاصة بالوضع الاثني والسياسي للايغور في الصين بشكل منفصل التعريف بمفهوم الجماعة الاثنية أو العرقية ومدى انطباق هذا الوصف على الايغور المسلمين، فالجماعة العرقية هي تلك الجماعة التي تتميز بجملة من الخصائص البيولوجية واللغوية والنفسية والتي تجعلها بمثابة جماعة متميزة عن الجماعات الأخرى، ولعل هنالك ضرورة ماسة لفهم التمايز والاختلاف بين الجماعات العرقية المختلفة دون أن تكون هنالك رغبة بإعلاء قيمة ومكانة عرق أو اثنية على حساب الجماعات العرقية الاخرى.

ويترسخ وجود الجماعة العرقية أو الاثنية وكذلك مفهوم مثل الصراع العرقي والاثني في أي دولة أو مجتمع عندما تؤمن الجماعة العرقية أو الاثنية بأن هنالك ضرورة لأن تكون جماعتهم العرقية أو الدينية متمتعة بتقدير ومكانة عاليين وقد يسعون هم بالمقابل للحصول على اعتراف دولي أي إنَ هنالك تلازم طردي بين المكانة الدولية أو الاقليمية للكيان الاقليمي وبين مكانة الشعب الذي ينتمي لهذا الكيان ويجسد هويته العرقية بما تحمله من رموز ثقافية ودينية، وغني عن القول إن أي صراع عرقي أو اثني يعمل على تقسيم المجتمعات سيما تلك التي تتكون من مجموعات من الاعراق والاثنيات والمذاهب المختلفة إلى مجموعة من الهويات المتناثرة والمتناحرة.[25]

(25) Okamura, Situational ethnicity, Ethnic and Racial Studies, Volume (4),1984,pp:452-465

ولابد من التأكيد على الدور الذي يلعبه الاعتراف السياسي في بلورة الهوية العرقية وابرازها للوجود ولا سيما في البلدان التي عانت مرارة التحول السياسي والحصول على الاستقلال الناجز، وذلك على صعيد العلاقة بين الدولة والجماعة العرقية الموجودة على اراضيها سيما إذا كانت هذه الجماعة تُشكل أقلية كبيرة من الناحية العددية، وعن طريق الاعتراف السياسي تحظى الجماعة العرقية بهوية عرقية متوائمة ومتجانسة، وقد تكون عملية بناء الهوية الجمعية عملية قائمة على التركيز على الدور التاريخي لجماعة اثنية بعينها دون أن يشمل ذلك بقية الجماعات الاثنية التي تشكل المجموع السكاني لجميع سكان البلاد، وقد تدعي بعض الجماعات الاثنية بان بلداً أو اقليماً معينا هو بمثابة الارث التاريخي او الموطن الاصلي لهذه الجماعة وبالتالي فأن على المؤسسات السياسية أن تعكس واقع التجانس القومي في مثل هذا البلد، وفي مقابل ذلك قد تطالب بعض الجماعات العرقية بالحق في أن تمثل ضمن البلد وتتمتع بشكل متساوٍ من ناحية توزيع الثروات أو المشاركة في آليات الحكم، وبطبيعة الحال فان مثلً هذا الاختلاف بين ما تحدده الجماعة العرقية الاكبر ومطالب الجماعات العرقية الاقل عدداً قد يؤدي لحالة من الصراع السياسي والتي تؤدي لهيمنة تامة من لدن الجماعة الاكبر وإيجاد صيغة دستورية تفضي لإرساء قاعدة من المساواة في الحقوق بين مختلف الجماعات العرقية.[26]

تدعي بعض الجماعات الاثنية بان بلداً أو اقليماً معينا هو بمثابة الارث التاريخي او الموطن الاصلي

(26) Horowitz, Ethnic Groups in Conflict, Berkeley, California, University of California Press,1985,pp:55-92

ولابد من القول أن هنالك عاملين أساسيين يرتبطان بالهوية العرقية وهما وجود

مشاعر من العداء والبغضاء مستفحلة ومتقدة، بين مختلف الجماعات العرقية والاثنية وحينما تسعى الجماعات العرقية إلى تعزيز هويتها المميزة فهي تتخذ جملة من الخطوات المكملة التي تؤدي للانفصال عن المجموع، وهو الامر الذي يترك تأثيراً كبيراً على العمل السياسي في البلاد وحينما تتواجد جماعة تختلف في سماتها العرقية والدينية عن الجماعة الاصلية في البلاد، ينشأ قدر كبير من التناقض والصراع مع الجماعة العرقية الاصلية وهو ما يولد الرغبة الحثيثة بتأكيد الهوية العرقية المتمايزة والمختلفة.[27]

(27) Tonkin, Macdonald and Champan (eds), History and Ethnicity, ASA, Monographs,27,London, Routtledge,1988,p:78

وحينما تعاني جماعة عرقية من أي اضطهاد أو أي شكل من أشكال التمييز فإنها تعمل على المطالبة بحقوقها على نحو شرعي، وبالتالي فأن ما تسعى لتحقيقه جهة أو جماعة معينة سوف يفضي لفقدان الامتيازات التي كانت تتمتع بها جماعة اخرى، كما أن سعي الجماعات العرقية لإيجاد حالة من الشرعية لنضالها السياسي يؤدي لإبراز هويتها القومية، ولعل من السمات غير الواضحة للصراع العرقي او الاثني سعي جماعة عرقية معينة للهيمنة على بلد متعدد الاعراق، وفرض مشروع ايدلوجي يرتبط بهذه الهيمنة وبالتالي اتخاذ الصراع الاثني ابعاداً لا تتحدد بالصراع الاثني او العرقي بل بالسياسة العامة للبلاد.

وحينما تعاني جماعة عرقية من أي اضطهاد أو أي شكل من أشكال التمييز فإنها تعمل على المطالبة بحقوقها على نحو شرعي

ولعل من المناسبة هنا ان نعرف معنى الاقلية وهل ينطبق هذا المصطلح على الايغور في الاقليم الذي يشكل هويتهم العرقية والاثنية فالأقلية بحسب تعريف القانون الدولي:» مجموعة من السكان الاصليين أو المهاجرين المستوطنين ممن يختلفون عن الاغلبية أما من ناحية العرق أو الدين او اللغة، ولكنهم يتمتعون بحقوق المواطنة كافة من دون تمييز، وتتولى الدولة حماية حقوقهم وحرياتهم مع الاعتراف بولايتها الكاملة عليهم.[28]

(28) جمال الدين محمد محمود، الاسلام والمشكلات السياسية المعاصرة، القاهرة، بيروت، دار الكتاب المصري واللبناني، 1992،ص:385

وتختلف الاقلية الاثنية بهذا المفهوم عن الوافدين الاجانب حتى وأن اقاموا اقامة دائمة ومتصلة للعمل داخل البلاد، ذلك إن وجودهم لا يعدو كونه مؤقتاً ولا يترتب عليه ما يترتب على وجود الاقلية التي شكل تاريخها جزءا من تاريخ البلاد وتفاعلت مع عناصره ومكوناته عبر العصور.

ولعل الميزة الخاصة بالأقلية العرقية أو الاثنية هي إنها اقلية لها هوية ثقافية مختلفة عن الهوية الثقافية لغالبية افراد المجتمع وهويتها الثقافية هذه عادة ما تتطور في اتجاه متميز ومختلف عن الهوية الغالبة لأفراد المجتمع الذي تتشارك معه العيش. ولما كانت الهوية سواء كانت شمولية او فرعية عبارة عن هوية ثقافية فيبدو التساؤل ملحاً حول ما فعلته الحكومة الصينية مع الثقافة الفرعية الايغورية، ويشهد الواقع التاريخي أن الحكومة الصينية بدأت ومنذ العام 1978 باتباع سياسة تقوم على الانفتاح على الثقافات الفرعية التي يتكون منها المجتمع الصيني وعلى هذا الاساس فقد بدأ الكتاب والمثقفين من الايغور بكتابة الروايات

ويشهد الواقع التاريخي أن الحكومة الصينية بدأت ومنذ العام 1978 باتباع سياسة تقوم على الانفتاح على الثقافات الفرعية

والقصص التي كانت امتداداً للأدب التركي الايغوري ولقد انطوت كتاباتهم على ثيمات وأفكار كان من غير المعقول والمقبول طرحها قبل عقدين من الزمن أي في مرحلة تأسيس جمهورية الصين الشعبية، ولقد سعى عدد من الكتاب والمفكرين الايغور إلى محاولة احياء الثقافة الايغورية ذات الطابع الهوياتي المتمايز عن الاغلبية السكانية في الصين وانتشرت في هذه الحقبة كتابات عبد الرحيم اوكتور والذي نشر عدداً من القصائد والروايات ذات الطابع السياسي، كما وضع الشاعر والمؤرخ طورخان الماز عدداً من المقالات التاريخية والتي كان من أهدافها احياء الهوية الايغورية والتي ركزت على التاريخ القديم والمتمايز للايغور وعملهم على تأسيس عدد من الدويلات عبر التاريخ ولقد تسامح المسؤولون مع هذه الكتابات المخالفة والمناقضة للطروحات الرسمية للحكومة، وذلك لإدراكهم الحنكة التي كان يتمتع بها زهاو سينغ بينغ وادارته لثيمة الاختلافات العرقية في البلاد.[29]

ولم يكن من الممكن أن يستمر طويلا شهر العسل الذي ساد بعد اصلاحات بينغ في نهاية عقد السبعينات فقد القت سني التسعينات ظلالها على العلاقة التي بدأت بالتدهور سيما بعد التظاهرات الطلابية في ساحة تيان مين في العام 1989، ولم يكن من المستغرب أن تتهم الحكومة الماز بالعمل على إثارة مكامن الحقد العنصري والعمل على الترويج لانفصال الايغور عن الصين.

(29) Wang Ke, Between The Ummah and China, The Qing Dyansty Rule over Xinjiang Ughur Society, Journal of Intercultural Studies, Kobe University ,Vol(48),2017,pp:184-198

أن أي صراع عرقي أو اثني يعتمد على ثلاثة عناصر اساسية الا وهي الهوية القومية ومحاولة احيائها من لدن الاقلية

ولنتعرف في البداية عن كيفية تمايز الهوية الايغورية لابد من التذكير بحقيقة وهي أن أي صراع عرقي أو اثني يعتمد على ثلاثة عناصر اساسية الا وهي الهوية القومية ومحاولة احيائها من لدن الاقلية، ومقدار الشرعية السياسية التي يتمتع بها النظام السياسي الحاكم وتأثير تقبل شرعيته على تحرك الاقلية المطالب بالحكم الذاتي أو الاستقلال، ومقدار العدالة في توزيع الثروات ونسبة المشاركة السياسية، فاذا ما اخذنا الهوية القومية للايغور فسوف نجد ان اصلهم التركي الطوراني يجعلهم بعيدين عن عرق الهان السائد في الصين ويحتل الاقليم الخاص بهم والذي اصبح يعرف باقليم جيانج والذي تثير تسميته سخط الايغور والذي يعني الارض الجديدة حتى كأنها بمثابة أرض جديدة لم تكن موجودة أو مأهولة قبل احتلال الصين لها، ويمثل الاقليم سدس مساحة البلاد إلا أنه لا يشكل من الناحية الديمغرافية سوى 1% من مجموع سكان الصين، ويضم الاقليم مكامن احتياطية غنية بالنفط والغاز الطبيعي والمعادن الثمينة ولقد عدت الحكومة الصينية بان الاقليم وما يضمه من ثروات ومساحات شاسعة قادر على استيعاب المهاجرين من مناطق صينية مختلفة فضلاً عن كون الأقليم الطريق المؤدي لآسيا الوسطى وبالتالي فهو جزء من طريق الحرير والذي يشكل مشروعا محوريا مهما للصين وتؤمن الحكومة الصينية بان أي ضياع للإقليم يعني ضياع تايوان والتبت، وتؤمن الرواية الرسمية الصينية بأن الاقليم

ولقد عدت الحكومة الصينية بان الاقليم وما يضمه من ثروات ومساحات شاسعة قادر على استيعاب المهاجرين من مناطق صينية مختلفة

وسكانه كانوا جزءا من الصين ومنذ حقب بعيدة في حين يرى الايغور بأن منطقتهم كانت مستقلة عن أي شكل من أشكال الهيمنة الصينية، وحتى نفهم مثل هذه الثيمات التاريخية وجب علينا العودة قليلا للتاريخ الذي استولت فيه الصين على المنطقة وذلك في عهد سلالة زانغ الحاكمة، التي سعت للامتداد في المناطق التي تشكل الان جزءا من تركستان الشرقية ولقد اطلق على الاراضي التي فتحها الجيش الامبراطوري اسم جيانح((Xinajiang)) ليدل على الحدود الجديدة والتي اضحت تتمتع بها الامبراطورية الصينية ومن الملاحظ أن هذه السلالة الحاكمة لم تطلق مثل هذه التسمية على اراضٍ جديدة تم اخضاعها للحكم الصيني وفي ذات الحقبة واطلق على سكان المنطقةً المسلمين بدلاً من الايغور واحيانا المسلمين المعممين وذلك لتمييزهم عن غيرهم من المسلمين الموجودين في الصين، ولقد تصارعت جملة من التسميات الدينية والقومية والجغرافية لتكون صفة للمنطقة فسادت حيناً تسمية المنطقة الحدودية المسلمة والمنطقة القبلية المسلمة لتدل على محتوى اثني ديني وحيناً الدائرة الجنوبية لتشير محتوى جغرافي بحت.[30]

(30) Wang Ke, op.cit,p:188

ولقد تحولت المنطقة لما يشبه المحمية العسكرية واصبح القائد العسكري الصيني بمثابة حاكم عليها وقدرت الحامية العسكرية الصينية بنحو 39,726 الف جندي، ضمت تركستان الشرقية خمسة الاف منهم وذلك لضرورات المواجهة مع روسيا، وكذلك لمعالجة أي حالات عدائية قد تطرأ بين الايغور من جهة والكازاخ أو القرغيز من جهة أخرى، ولقد طبقت الادارة الامبراطورية ثلاثة انماط ادارية في المنطقة عكست التنظيم الاداري الموجود في البلادً، كان الاول في المنطقة الشرقية من الاقليم والتي دمجت مع وزارة الداخلية أي انها كانت تدار من لدن ضباط شرطة وقسمت لمقاطعتين، واما النظام الثاني فقد عرف باسم نظام الساغ والذي كان مخصصاً لإدارة المناطق البدوية أو المناطق التي يقطنها البدو الرحل من المغول، وهي مناطق محاذية لمناطق الايغور في كامول وتوربان أي في المحيط الشرقي للمنطقة.

طبقت الادارة الامبراطورية ثلاثة انماطٍ ادارية في المنطقة عكست التنظيم الاداري الموجود في البلاد،

واما النظام الثالث فهو النظام الذي كان يرأسه ((البيك)) وهو لقب تركي يعني الرئيس او السيد والذي كان غالباً ما يمنح لأفراد من علية القوم، وتراس ((الباكوات)) من الاسر الايغورية الرفيعة هذا المنصب وكان ذلك دليلاً على اندماج زعاماتهم في تلك الحقبة مع النظام الاداري الصيني والذي كان يسعى لفرض الامن والنظام في المنطقة مع مراعاة التقاليد والاعراف السائدة، وانقسم نظام الباكوات إلى عدة انماط وانيطت لعدد من الشخصيات من ذات الاسرة ممارسة جملة من المهام فكان هنالك حكيم بك المسؤول عن الادارة المدنية وشاهين بك المسؤول عن الشؤون الداخلية وغازانجي بك المسؤول عن الضرائب، وميراب بك المسؤول عن اعمال الري وغازي بك المسؤول عن تطبيق الشريعة الاسلامية، وأضحى الباكوات ممثلين عن السلالة الامبراطورية في حكم المنطقة وادارتها وجمع الضرائب وادارة الشؤون

الزراعية والصناعية والتجارية وكذلك نظم التربية والتعليم والشؤون الدينية كما كان من حق كل (بك) الاحتفاظ بقوة عسكرية من المسلمين للحفاظ على الامن والنظام في الاقليم. [31]

(31) Ibid,p:196

ومنذ العام 1877 قام احد زعمائهم وهو يعقوب بك بتأسيس مملكة مستقلة واقام علاقات دبلوماسية مع تركيا وبريطانيا وهنا حصل الاختلاف بشان جذور الهوية القومية بالنسبة للايغور والحكومة الصينية فغالباً ما تسعى الاقلية المطالبة بالاستقلال الى التأكيد على أن تاريخها الاستقلالي موغل بالقدم في حين تقدم الحكومة رواية اخرى تعد فيها الاقليم رقعة جغرافية شكلت الامتداد الطبيعي لأرضها وممتلكاتها ويبدو هنا الصراع على تاريخانية المكان اكثر من الصراع على المكان ذاته، لقد شهد تاريخ المنطقة على رغبة الايغور بإثارة المشاعر المعادية للحكومة الصينية سواء في عهد الاباطرة او في العهد الجمهوري الاول (1911-1949) ولقد استطاع قادة الايغور الاتراك تأسيس دولتين في حقبتين مختلفتين كانت الاولى بين عامي 1933 وحتى العام 1934 واما المحاولة الثانية فقد كانت الاكثر نجاحاً وفاعلية إذ ضمت الاقاليم الشمالية الغربية من الاقليم واستمرت بين العامين 1944 وحتى العام 1949. [32]

، وأضحى الباكوات ممثلين عن السلالة الامبراطورية في حكم المنطقة وادارتها وجمع الضرائب وادارة الشؤون الزراعية والصناعية والتجارية

(32) James Millward, Eurasian Crossroads, A History of Xinjiang, Columbia University Press,2007,p:108

لقد واجه الحزب الشيوعي الصيني تحديات جمة في الاقليم بعد الاعلان عن تأسيس جمهورية الصين الشعبية وكانت أبرز هذه التحديات هي نمو الرغبات الاستقلالية لسكان المنطقة، الأمر الذي واجهته السلطة والحزب بالقمع والسجن والتضييق على كل اولئك الذين يتبنون النزعة الانفصالية وهنا حصل اختلاف حول الشرعية الخاصة بالنظام السياسي وادواته الايدلوجية، ولقد برزت جملة من الاحـزاب السرية والتي روجت للانفصال أو سعت للتأكيد على هوية سياسية متمايزة، ولم يكن من المتوقع ان تسمح الحكومة الصينية سيما في حقبة الستينات بتأسيس احزاب معارضة في أي مكان في الصين الأمر الذي دفع قادة الحركات السياسية الايغورية للهجرة نحو الاتحاد السوفييتي والتخطيطي لمشروع سياسي ايغوري يقوم على تأسيس دولة الايغور المستقلة. [33]

واجه الحزب الشيوعي الصيني تحديات جمة في الاقليم بعد الاعلان عن تأسيس جمهورية الصين الشعبية

(33) James Wellman, Bloodshed,Religion and Violence across Time and Tradition,, Rowman & Littlefield Publishers,USA,2007,P:121-122

ولم تشهد الحقبة الممتدة بين الاعوام 1958 وحتى العام 1976 أي نوع من أنواع النشاطات الانفصالية، ولكن كانت هنالك منظمات سرية تعمل من أجل إذكاء الرغبات الانفصالية ولقد شهد العام 1962 قيام عدد كبير من الايغور والكازاخ بالتظاهر في الشمال الغربي من الاقليم وشهدت هذه الحقبة هجرة ما يقارب من 600,000 الف ايغوري إلى الاتحاد السوفييتي ولم يستطع الايغور التعبير عن تطلعاتهم القومية وهويتهم المتميزة بعد العام 1978 وشاركوا في عدد كبير من التظاهرات في نهايات عقد الثمانينات وكانت بعض مطالبهم تتلخص بالدعوة للاستقلال لإقليم جيانج منذ عقد التسعينات وجلبت مثل هذه المطالب انظار

المجتمع الدولي بعد ان كانت المنطقة برمتها منسية وكانت أحداث العنف في منطقة باري في العام 1990 قد بينت حقيقة الهوية الايغورية فلقد هاجم الالاف من الشباب الايغور مقرات الحكومة المحلية ومراكز الشرطة وكان ذلك واحداً من أكثر الحوادث المميزة لتحركهم عنفاً ودموية، كما كان حادث التفجير الخاص بالباص في ارومجاي العام 1992 ومن ثم تكرر ما يماثله في العام 1997ولقد تركت مثل هذه الحوادث العشرات من القتلى وأدت إلى وسم الايغوريين الانفصاليين بسمة الارهاب كما تحولت التظاهرات السلمية في العام 1995 في هوتان إلى مواجهات دموية بعد أن هاجم رجال الشرطة المتظاهرين وبأساليب عنيفة بمعنى إن النزاع في الاقليم تحول إلى موضع اهتمام دولي بعد العام 2000 اما قبل هذا التاريخ فلم يكن يلقى الاهتمام الكافي وذلك بحكم سرية الحركة وعدم اعلان معظم قادة الحركات السياسية الايغورية عن نفسها ولم تبد أي دولة رغبتها بالتدخل أو الوساطة بين الانفصاليين والحكومة الصينية.[34]

(34) Justin Ben Adam, Oasis Identities, Uyghur Nationalism a long China Silk Road, Columbia University Press,1997,p:188

أن وجود حالة من الصراع العرقي او الاثني هنالك ثلاث ثيمات اساسية الا وهي الهوية والشرعية السياسية وتوزيع السلطات والعدالة في توزيع هذه السلطات

لابد من القول أن وجود حالة من الصراع العرقي او الاثني هنالك ثلاث ثيمات اساسية الا وهي الهوية والشرعية السياسية وتوزيع السلطات والعدالة في توزيع هذه السلطات، وهذه العوامل ترتبط فيما بينها ارتباطاً وثيقاً، ولعل التساؤل الابرز هو كيفية تبلور الهوية المتميزة والمختلفة وكيفية نمو الشعور القومي الذي يدفع بالفرد إلى عد ذاته مختلفاً عن الجماعة السياسية الشمولية المفترضة، وفي حالة الايغور هي الصين والقومية الصينية، وما هي العوامل والدوافع التي تفضي لتعزيز الجوانب الاختلافية في الهوية، أي العناصر التي تجعل المواطن مختلفاً عن نظيره بما يحمله من ارث ثقافي وديني متميز، وهل يتحول هذا الاختلاف إلى حالة من العنف في التعبير عن مكونات الهوية ومخرجاتها في حالة فشل الحكومة في تلبية متطلبات الحكم العادل وتحقيق قدر معقول من الشرعية السياسية، وما هي الخيارات المطروحة امام صانع القرار لحل الاشكاليات المرتبطة بالصراع الاثني وهل ستكون خيارات مثل الحكم الذاتي أو إقرار حق تقرير المصير او اتباع النظام الفيدرالي خيارات مطروحة لتتلاءم مع مطالب وتطلعات الاقلية الاثنية أو العرقية بمعنى ان الحل الذي يقدمه صانع القرار قد يتواءم مع رغبة بإنشاء دولة مستقلة أو الحصول على حقوق وامتيازات تخص وضع الاقلية بالدرجة التي يجعلها متميزة عن باقي السكان، وبالنسبة للايغور لا تعدو الرغبة بإحياء الهوية المتميزة والمختلفة عن الهوية الشمولية الصينية إلا نتيجة اختلاف ديني وعرقي ينتظر جملة من المحركات التي تفضي لاتخاذ التمايز والاختلاف طابعاً اكثر حدة ومنها الرغبة بتغيير الطابع الديمغرافي فمثلا شهد العام 1981 تظاهرات منددة بمقتل شاب ايغوري على يد فرد من قومية الهان ولقد ندد المتظاهرون في حينها بالإجراءات الحكومية التي ترمي لتغيير طابع المنطقة السكاني ودعوا بشكل علني لتأسيس جمهورية ايغورستان.[35]

(35) Hsia Ting Lin, Modern Chinas Ethnic Frontiers, A Journey to the West, Routledge Studies in the Modern History of Asia,2011,p;66-67

ولم تكن هذه التظاهرات سوى بداية لتظاهرات حاشدة تلتها في الاعوام التي سبقت مظاهرات ساحة تيان مين وكانت اشدها ما حصل في العام 1985 حينما اقيل اداري ايغوري من منصبه كحاكم لاقليم جيانج وتعيين صيني بدلا عنه وهو الامر الذي أحيا قضية التنديد بوجود عدم تكافؤ للفرص بين الايغور وغيرهم وهذا يعني ان احياء الهوية ارتبط بإحياء مبدأ العدالة والمساواة، فارتبطت شعرات مثل الحصول على العدل وتكافؤ الفرص مع ضرورات اخراج الهان من الاقليم، وهو ما يعني إن المعاناة من الحرمان السياسي ترتبط بوجود سياسات حكومية ترمي لتغيير طابع المنطقة وتسعى لتأطيرها باطار صيني رسمي.

لابد من القول إن في حالات الصراع الاثني يتحول أي إجراء حكومي إلى اثارة مشاعر الشك والريبة لدى الطرف الذي يحس بالحرمان والتمييز حتى وان كان ظاهر هذا الاجراء ايجابياً، وهو ما يفضي لعده وسيلة من وسائل القسر القومي الذي تقوم به الاغلبية، وهو ما دفع بالايغور الى التدرج بحكم الظروف السياسية والتاريخية في مطالبهم من الرغبة بإيجاد قاعدة من المساواة في الحقوق والامتيازات إلى طلب المشاركة في السلطة أو تحقيق الحكم الذاتي وذلك لحماية الخصوصية الثقافية لأبناء المنطقة وآما الخيار الأخير فهو الانفصال والذي يطرح بعد استيفاء الحلول السابقة، والتساؤل الذي يطرح هنا هو إلى أي حد تبدو الجذور الثقافية والعرقية والدينية للايغور مختلفة عن الهوية الجمعية الشاملة، فهم أساساً ينتمون لأرض ودين وثقافة مختلفة بشكل تام عن الثقافة الجمعية وينتمون في ذات الوقت لفضاء ثقافي وعقدي أوسع هو الفضاء الاسلامي، ولم تختلف الرغبة عند الايغور بايجاد هوية متميزة ومختلفة عن الهوية الجمعية الشاملة التي تسعى لفرضها الحكومة الصينية عن رغبة المسلمين بإحياء هويتهم كونهم يشعرون بانتمائهم لامة مختلفة ومتميزة عن الفضاء الثقافي الصيني ذو الجذور البوذية والكونفوشيوسية، كما لم تنفصل رغبتهم بتحقيق استقلال ناجز وتام عن رغبة دول عديدة بالتدخل من اجل التأثير على الدور والحركة الصينية في البلدان العربية والاسلامية وبدأت معالم هذا التدخل منذ منتصف عقد التسعينات من القرن العشرين بدافع المحافظة على حقوق الانسان وحماية الاقلية الايغورية، كما نشط الايغور ذاتهم في الترويج لقضيتهم والدعوة لتطوير مبدا الحكم الذاتي إلى مبدأ حق تقرير المصير ومن ثم تحقيق الاستقلال الناجز عن الهيمنة الصينية، وبطبيعة الحال لم تكن دعوتهم تلك منفكة عن رؤيتهم لنظرائهم في جمهوريات اسيا الوسطى وهو يتمتعون بحقوقهم كمواطنين كاملي الاهلية بعد انهيار الاتحاد السوفييتي في نهاية العام 1991، وعلى الرغم من أن القادة الصينيين اكتسبوا خبرات واساليب القادة السوفييت في التعامل مع الاقليات وكذلك ادارة الجمهوريات ذات الاغلبية المسلمة في اسيا الوسطى.[36]

إن في حالات الصراع الاثني يتحول أي إجراء حكومي إلى اثارة مشاعر الشك والريبة لدى الطرف الذي يحس بالحرمان والتمييز حتى وان كان ظاهر هذا الاجراء ايجابياً

لم تكن الثروات الطبيعية التي تضمها منطقة تركستان الشرقية بعيدة عن تفكير

(36) Dru C. Gladney, Muslims Chines: Ethnic Nationalism in the people Republic, Harvard University Asia Center,1996,pp: 137-396-397

صانع القرار الصيني حينما يسعى لرسم اطر من التعامل مع الايغوريين كشعب يسعى لأن تكون هويته الدينية مداراً لانتمائه السياسي إذ تحتوي المنطقة على احتياطات واسعة من النفط والغاز الطبيعي وتعد معبراً مهماً للصين وطريقاً لمواصلاتها مع اسيا الوسطى، ولقد شهدت المنطقة في الحقبة التي تولى فيه الحزب الشيوعي الصيني مقاليد الامور في البلاد تحولات دراماتيكية كبرى على صعيد التغييرات السكانية إذ تناقص عدد الايغور في شرق تركستان بنسب ملحوظة فبعد ان كانت نسبتهم 75% اضحت اليوم 45%.

لم تكن الثروات الطبيعية التي تضمها منطقة تركستان الشرقية بعيدة عن تفكير صانع القرار الصيني

وعلى الرغم من الايغور يتبنون اسلاماً معتدلاً ذو توجه صوفي ويوائمون كما ذكرنا بين دينهم وهويتهم الثقافية بمعنى أن الاسلام السياسي غدا محركاً اساسيا لهويتهم كأتراك أيغور، ويركزون في ذات الوقت على طبيعة الاختلافات التي تميزهم عن باقي مسلمي الصين من قومية(الهان) والمنسجمين اكثر مع الخط الحكومي، لقد عمل الايغور كما هو الحال مع التبتيين على إبقاء تميزهم الديني والثقافي كأداة من أدوات مواجهتهم للحكومة الصينية ولم تتمكن الحكومة من صهر هويتهم ببوتقة ايدلوجية الجزب الشيوعي أو الثقافة الرسمية الصينية، كما كانت اجراءات مثل تقليص فرص التعليم التي يمكن أن يتمتع بها الايغور قد ادت لتطور جذري في موقف الانفصاليين الايغور ومطالبتهم بتأسيس دولة مستقلة وذلك لمواجهة الحكومة وإجراءاتها الاكثر تطرفاً.

لقد عمدت الحكومة الصينية إلى جعل إجراءاتها التي تحد من الحريات الدينية لدى الايغور بمثابة قوانين مرعية وعدت التجمعات الدينية لدى الايغور بمثابة جريمة يعاقب عليها القانون الامر الذي جعل الايغور يشعرون بان هويتهم بمواجهة مخاطر الطمس والتذويب.

بالمقابل كانت الحكومة الصينية تبرر كل اجراءاتها القمعية والصارمة ضد الايغور بانه جزء من مواجهتها لقوى الارهاب والتطرف الديني والرغبات الانفصالية التي تهدد سلامة و وحدة الاراضي الصينية أي أنها لم تكن موجهة ضد الاسلام كدين أو الثقافة الاسلامية، وبررت في ذات الوقت إجراءات مثل ضرورة مراقبة الخطب الدينية وتلقي ائمة المساجد دروسا في التوعية السياسية التي تجعلهم منسجمين مع التوجهات الحكومية وضمان عدم استخدام أي كتب دينية خلا القرآن الكريم وتقديم نسخة مسبقة من خطبة صلاة الجمعة لضرورة الموافقة عليها وتحريم ارتداء ملابس يمكن عن طريقها تمييز الشخص طبقاً لانتمائه الديني وكذلك عدم ارتياد الافراد الذين تقل اعمارهم عن ثمانية عشر عاماً المساجد حتى لا يكونون عرضة لتأثير الثقافة الدينية المتشددة، ومثل هذه الاجراءات لا تشمل بطبيعة الحال المسلمين في بقاع أخرى من الصين.

كانت الحكومة الصينية تبرر كل اجراءاتها القمعية والصارمة ضد الايغور بانه جزء من مواجهتها لقوى الارهاب والتطرف الديني

ولعل أكثر القوى الدولية الساعية للتدخل في القضية الايغورية هي الولايات

المتحدة والتي بدأت رغبتها بالتأثير على القضية الايغورية حينما انشأت اذاعة تستخدم اللغة الايغورية ضمن اذاعة اوروبا الحرة وكان مدير الاذاعة اربكين البكتين وهو واحد من انشط دعاة الاستقلال الايغوريين عيسى يوسف البكتين، وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة أوقفت بث هذه الاذاعة بعد التقارب الامريكي الصيني على عهد الرئيس ريتشارد نيكسون الا أن تدخلها في القضية بقي بنسب متفاوتة فلقد عمد الكونغرس الامريكي لتأسيس اذاعة اسيا الحرة في العام 1996 وكانت موجهة للصين ولدول اخرى وبدأت المحطة ببث برامج موجهة للايغور في العام 1998، ولقد حاولت الحكومة التأثير على بث وارسال هذه الاذاعة والتي أضحت الاذاعة المفضلة لعدد كبير من الايغوريين والذين يسترشدون بتقاريرها الخاصة عن الحريات الدينية وكانت الرسالة الاساسية التي تسعى الاذاعة لايصالها هي أن الايغور يستحقون الحصول على حق تقرير المصير وأن موطنهم الاصلي تركستان الشرقية.[37]

(37) Elisabeth Alles, Leila Cherif Chebbi and Constance Halfon, Chinese Islam: Unity and Fragmentation , Religion, State and Society, Volume (31),No (1),2003,pp:19-20

ولقد عمد الايغور إلى تأسيس منظمات سياسية في بلدان اللجوء ك كازاخستان وقرغيزستان وبدأت هذه المنظمات بإرسال جملة من المجلات والتقارير والكتب لاقليم جيانج وروجت بشكل كبير لمبدأ الاستقلال دون الوقوف عن تطوير الحكم الذاتي وعلى الرغم من أن هذه التنظيمات السياسية لا زالت موجودة وتعمل بشكل علني إلا أنها واجهت ضغوطاً من حكومات كازاخستان وقرغيزستان للتوقف عن العمل او على الاقل تجميد نشاطها وذلك بحكم عضوية هذه الدول في منظمة شانغهاي للتعاون والتي تضم الصين، ولا تزال بعض التنظيمات الايغورية نشطة في تركيا كتلك التي اسسها عيسى البكتين، كما دخلت السعودية بنهجها المتطرف على خط دعم الايغور بعد أن عمل الايغوريين العاملين في السعودية على مد تنظيمات الداخل بالمال والدعم اللوجستي.[38]

أن هذه التنظيمات السياسية لا زالت موجودة وتعمل بشكل علني إلا أنها واجهت ضغوطاً من حكومات كازاخستان وقرغيزستان

(38) Heryk Szadziewski ,Religious Repression of Uyghur in East Turkestan Uyghur Human Rights Project, Venn Institute,-March,19,2013

كما أسس عدد كبير من الايغور المهاجرين في أوروبا واستراليا جملة من المنظمات والنوادٍ الثقافية والتي عملت على الترويج للحركة الاستقلالية، ولقدٍ سعت الحكومة الصينية ودأبت منذ نهاية عقد الثمانينات على إلصاق صفة الارهاب بعدد من هذه التنظيمات السياسية لكنها لم تنجح في مسعاها هذا على الصعيد الاممي، وعلى الرغم من نشاطها الخارجي فان هذه التنظيمات السياسية والثقافية تركت تأثيراً على مجريات السياسة الداخلية في اقليم جيانج على الرغم من إن عدداً كبيراً من قادة هذه الحركات السياسية كانوا موضع اتهام وملاحقة قضائية من السلطات الصينية.[39]

أسس عدد كبير من الايغور المهاجرين في أوروبا واستراليا جملة من المنظمات والنوادٍ الثقافية والتي عملت على الترويج للحركة الاستقلالية

(39) Hannah Beech, If China is Anti Islam Why are these Chines Enjoying a Faith Revival, Time, August,12,2014

لقد استبشر الايغور خيراً بعد تدخل الامم المتحدة وحلف شمال الاطلسي في أكثر من بقعة في العالم لمواجهة مخاطر التهديد العرقي كما جرى في البوسنة والهرسك وكوسوفو في يوغسلافيا السابقة واتشي في اندونيسيا، وكانوا يأملون بان

بالإمكان ان تقوم الهيئات الدولية بدور مماثل في الاقليم وذلك لحماية المسلمين ولكن وبعد احداث الحادي عشر من ايلول في العام 2001 قلت احتمالية قيام الهيئات الدولية بمثل هذا الدور نيابة عن الايغور، وكان اعلان الولايات المتحدة للحركة الاسلامية في تركستان الشرقية بمثابة حركة ارهابية بمثابة عامل محفز للصين ومحطماً لآمال عدد كبير من الايغور والذين وجدوا أن واحداً من أهم حركاتهم السياسية قد أضحت حركة ارهابية وبالتالي لن يكونوا قادرين على الحصول على أي شكلٍ من اشكال الدعم الدولي.[40]

لقد عدّ قادة واركان الحزب الشيوعي الصيني بأن جملة المنظمات والهيئات التي تدعو لاستقلال او الترويج لحق تقرير المصير للايغور بمثابة ادوات بيد الإمبريالية العالمية لتفكيك الصين وتحطيم قدراتها الصاعدة.

(40) Neha Sahay, Uyghur in China Should be believe what we see?, The Telegraph Online, December,11,2018.

الخاتمة والاستنتاجات:

لقد تنوعت وتعددت الاساليب والادوات التي اعتمدتها الحكومات الصينية المتعاقبة للتعامل مع المسلمين والذين يشكل وجودهم ارثا تاريخيا امتد للحقب الاولى التي ظهر فيها الدين الاسلامي على مسرح التاريخ، وعلى الرغم من مساهمة العرب والفرس في نشر الاسلام فان سرعة تقبل الصينين له ومن ثم ترك بصمة خاصة لإسلام صيني قد أدى لبروز مساهمة صينية في المسيرة الحضارية الاسلامية وهي مسيرة كانت موضع تقدير واجلال عدد كبير من اباطرة الصين، على ان هذه العلاقة لم تكن ايجابية على الدوام فقد تخللها قدر من الفتور واساءة التعامل في مراحل عديدة الامر الذي جعل الجمهورية الصينية والتي تأسست في العام 1911 ترث ملفاً معقداً يخص طبيعة العلاقة بين المسلمين في البلاد والسلطة، ولقد حاول النظام الجمهوري بعهديه الوطني والشيوعي إرساء أسس جديدة من العلاقات الايجابية ولكنه اصطدم بعدم تفكيك للعلاقة بين الاثنية والعرق من جهة والدين من جهة فتم التعامل مع المسلمين في البلاد ككل كجزء من قومية (Hui) والتي ينتمي لها المسلمون في مختلف ارجاء الصين ما خلا الجزء الشمالي الغربي والذي تقطنه اقلية الايغور وهو الامر الذي دفع الايغور للتمسك بجذور هويتهم المتميزة والمختلفة عن الهوية الصينية الجامعة وهي نتيجة حتمية لمحاولة تهميش تراثهم الثقافي او عده بمثابة نتاج لثقافة رجعية متخلفة تتناقض مع التفكير العلمي.

تداخلت عوامل اقليمية ودولية شجعت الايغور على المطالبة بحقوقهم وبروز قضيتهم على اكثر من محفل عالمي

لقد تداخلت عوامل اقليمية ودولية شجعت الايغور على المطالبة بحقوقهم وبروز قضيتهم على اكثر من محفل عالمي ولم يكن ذلك بدواع انسانية بكل الاحوال اذ كانت الرغبة بإيقاف او عرقلة المد الصيني في اكثر من بلد اسلامي هدفاً من اهداف الحملة التي تسعى للمطالبة بحقوق الايغور أو السعي لحث الحكومة الصينية على منحهم حق تقرير المصير. ولابد من القول إن سعي أي قومية أو مجموعة اثنية للمطالبة بحقوقها السياسية والثقافية يرتبط بوجود جملة من الاشكاليات المتعلقة

بعلاقتها مع الحكومة ونظرتها لطبيعة هويتها المتمايزة وإحساسها بعدم تمتعها بحقوقها الكاملة في المواطنة وفي الثروات الخاصة بالإقليم الذي تقطن فيه، وهذا يستدعي ايجاد قاعدة من الحوار المتبادل مع الحكومة المركزية والتمسك في الوقت ذاته بثوابت وطنية تجعل من قاعدة الحوار اداة لصياغة الهوية بنحو لا يفضي لان تكون اداة انقسام وتمزق بقدر ما تكون اداة تفاعل ايجابي بين الأنا والأخر.

المصادر:

اولا: الكتب العربية

1. جمال الدين محمد محمود، الاسلام والمشكلات السياسية المعاصرة، القاهرة، بيروت، دار الكتاب المصري واللبناني، 1992.

ثانيا: المصادر الانكليزية

1. Angela Schottenhammer(editor),The East Asiancrossroads, Culture,Commerce and Human Migration, Harrassowitz Verlag Wiesbaden,2008.

2. Anthony Reid,A History of Southeast Asia, Critical Crossroads, Wily Blackwell,2015.

3. A.c.s.Peacock(editor)Islamisation Comparative Perspective from History, Edinburg University Press, 2017.

4. BARBARA DEMICK, L Tibetan-Muslim tensions roil China, LOS Angles Times,June,23,2008.

5. Barbara L.K. Pillsbury (1981) Muslim history in China: a 1300-year chronology, Institute of Muslim Minority Affairs. Journal.

6. David Atwill, Chines Sultanet,Islam, Ethnicity,and the Panthay Rebellion in Southwest China,Stanford University Press, 2005,pp:55-56 3. David Robinson ,Empire Twilight, Northeast Asia Under Mongols, Harvard University Asia Center, 2009.

7. Donald Daniel Leslie, The Integration of Religious Minorities in China: The case of China Muslims, Fifty nineth George Ernest Morrison Lecture in Ethnology,1998.

8. Dru C. Gladney, Muslims Chines: Ethnic Nationalism in the people Republic, Harvard University Asia Center,1996.

9.Edward Rhoads, Manchu and Han, Ethnic Relations and Political Power in late Qing dynasty and early Republic in China1861-1928, University of Washington press,2000.

10. Elisabeth Alles, Leila Cherif Chebbi and Constance Halfon, Chinese Islam: Unity and Fragmentation , Religion, State and Soci-

ety, Volume(31),No(1),2003.
11. Hannah Beech, If China is Anti Islam Why are these Chines Enjoying a Faith Revival, Time, August,12,2014
12. Heryk Szadziewski ,Religious Repression of Uyghur in East Turkestan Uyghur Human Rights Project, Venn Institute,-March,19,2013
13. Horowitz, Ethnic Groups in Conflict, Berkeley, California, University of California Press,1985.
14. Hossisa Ali Exhibition: Islam in Asia: Diversity in Past and Present: The Silk Road & Islam Spread, Cornell University, 2019.
15. Hsia Ting Lin, Modern Chinas Ethnic Frontiers, A Journey to the West, Routledge Studies in the Modern History of Asia,2011.
16. James Millward, Beyond pass, Economy, Ethnicity, and Empire in Qing Central Asia,1759-1864,Stanfored University Press,1998.
17. James Millward, Eurasian Crossroads, A History of Xinjiang, Columbia University Press,2007.
18. James Wellman,Bloodshed,Religion and Violence across Time and Tradition,,Rowman&Littlefield Publishers,USA,2007.
19. Jiang Yonglin, The Mandate of Heaven and The Great Ming Code, University of Washington Press,2011.
20. Jonathan Lipman Familiar Stranger, History of Muslims in Northwest China, University of Washington Press,1997.
21. Justin Ben Adam, Oasis Identities, Uyghur Nationalism a long China Silk Road, Columbia University Press,1997.
22. Michael Dillon Chinas Muslims Hui, Community, Migration settlement and sect ,Psychology Press,1999.
23. Michael Dillon,Xinjiang, China Muslims far Northwest, New York, Routledge Cruzon,2004..
24. Neha Sahay, Uyghur in China Should be believe what we see?, The Telegraph Online, December,11,2018
25. Okamura, Situational ethnicity, Ethnic and Racial Studies, Volume(4),1984.
26. Reid, Anthony (2015). A History of Southeast Asia: Critical Crossroads. Blackwell History of the World. John Wiley & Sons.
27. Robinson, David M. “Eight The Ming Court and the Legacy of

the Yuan Mongols" (PDF). Culture, Courtiers and Competition: The Ming Court (1368–1644). Harvard University Asia Center.
28. Toh Hoong Tei , SINO-PLATONIC PAPERS,October,2000.
29. Tonkin, Macdonald and Champan (eds), History and Ethnicity, ASA,Monographs,27,London, Routtledge,1988.
30. Wang Ke, Between The Ummah and China, The Qing Dyansty Rule over Xinjiang Ughur Society, Journal of Intercultural Studies, Kobe University ,Vol(48),2017.

Contents

Hammurabi File: The Future of Iraq and the Region after the US Withdrawal from It, "The Repercussions of the Afghan Scene"

- Redefining the United States' Global Role and Its Repercussions on the Middle East on Military Presence ....Asst.Prof. Emad Moayad Jassem,ph.D. 6- 41
- The Ascendancy of Regional and International Balances on the Iraqi Geostrategic Situation After the Withdrawal of American Forces in 2021 Asst Prof. Samah Mahdi Salih Al–Elayawi, Ph.D. 42-75
- The Security and Military Capabilities of the Iraqi Military Institution to Face Potential Challenges after the US Withdrawal in the Light of the Afghan Experience and Its Repercussions... .....Lieutenant-General. Hassan Salman Khalifa Al-Baydani 76-116

Hammurabi's researches:

- Frameworks for Media Handling of Correspondents' Reports on Arab Satellite Channels about the Demonstrations in Iraq.....Asst.Prof. Sharif Saeed Hamid Al-Saadi, Ph.D 118-148
  .....Asst.Instructor. Ahmed Nayef Marzouq Al-Zaidi 149-173
- The Return of the Cold War ..... Dr. Ahmed Bukhris
- The European Union and Limiting the Spread of Weapons of Mass Destruction: the Iranian Nuclear Program as a Model... .....Shahd Hassan Ali 174-194
- Cyber War: a Study in the Strategy of Cyber Attacks between the United States of America and Iran..... ..... Asst.Prof. Karar Abbas Miteb Faraj, ph.D 195-223
- The Phenomenon of Terrorism in the Middle East after 2011, Syria and Yemen a Model ..... Dr. Aseel Hamza 224-249
- The Reality of Consensual Democracy in the Kingdom of Belgium, Lessons Learned..... Dr.Haider Abed Jassas 250-272
- Prophetic Hadith in Islamic thought: A Reading of the Political Implications of the Codification Process .... Dr. Nizar Mohamed Joudeh 273-290
- Muslims of East Turkestan (Uyghurs) and the Relationship with the Chinese Authorities. A study in the Mechanisms of Integration and Assimilation .... Dr. Alaa Abdul Razzaq Mutlaq Al-Fahd 291-320

Cohesive Periodic for Political and Strategic Affairs
Issued by: Hammurabi Center for Researches & Strategic Studies
40th Issue - 10th year - Winter 2021

HAMMURABI
Journal for Studies

Editor in Chief: **Asst.Prof. Dr. Shareef Said Hameed**

Editorial Director: **Hiba Ali Hussein**

Editorial Board

Prof. Dr. Balkis Mohemmed Jawad - *Giglgamesh Ahliya University - Iraq*

Prof. Dr. Khairi Abdul Razzaq Jassim - *Center for International and Strategic Studies - University of Baghdad*

Prof. Dr. Mohsen Saleh - *Faculty of Social Sciences - Lebanese University*

Prof. Dr. Said M. Dahdouh - *Political Sciences - Iraq*

Prof. Dr. Muthenna Ali Hussain - *Faculty of Political Science - University of Baghdad*

Prof. Dr. Saadoun Hamoud Jathir - *Faculty of Management and Economics - University of Baghdad*

Prof. Dr. Wissam Fadel Rady - *Faculty of Education - University of Baghdad*

Prof. Dr. Amhamad Maleki - *Political Sciences - Morocco*

Prof. Dr. Norhan Al-Cheikh - *Political Sciences - Egypt*

Prof. Dr. Arous Al-Zobaeir - *Sociology - Algeria*

Prof. Dr. Bushra Ahmed Jassim _ *United Arab Emirates - University of Sharjah*

Asst. Prof. Dr. Arkan Resan Abbas - Al-Mustansiriya Universitya- Iraq

Arabic language checking: Prof. Dr. Faiza Abbas Hamidi Al-Rubaie

English language checking: Sa'ad Mizhar Karam allah

ONE YEAR: FOR INDIVIDUALS: 30 $
FOR INSTITUTIONS: 50 $
FOR ABROAD: 80 $

E-MAIL: hcrsiraq@yahoo.com
The number at the House of Books and Documents In Baghdad
1709 Year 2012

ISSN 2227-5312